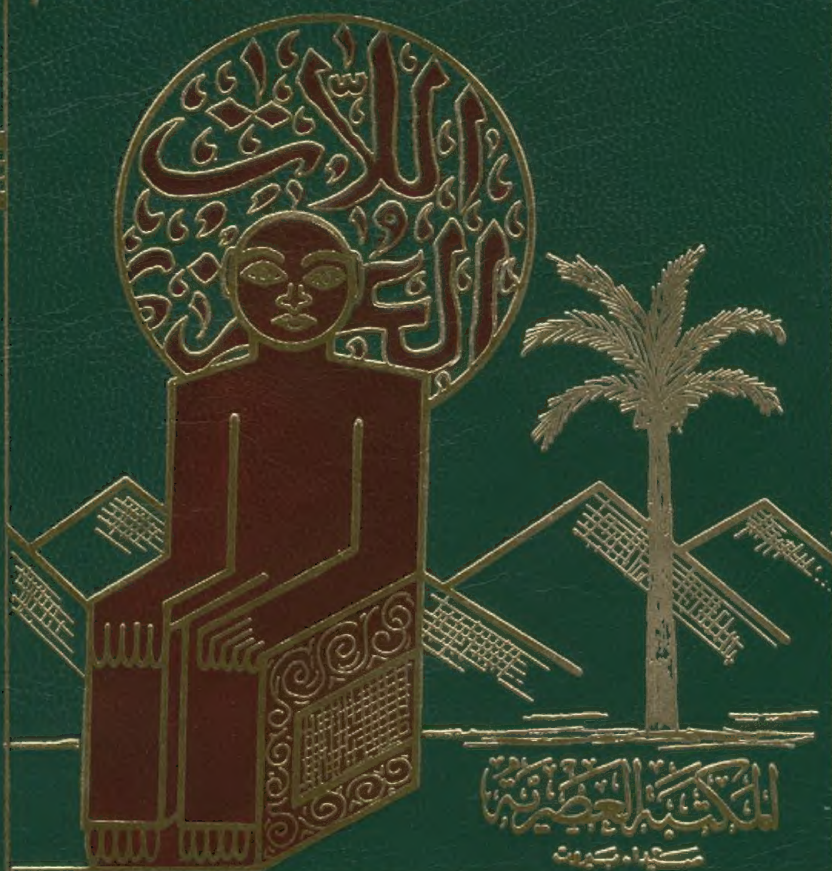


المسح
عفا الله عنه

أبي بكر الصديق في الجاهلية

تأليف

محمد عبد الوكيل بك
علي محمد الجاوي
محمّد الفضل إبراهيم



المسح
عفا الله عنه

أَسَائِمُ الْعَرَبِ بِهَيْئَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تأليف

محمد أحمد عبد المولى بك علي محمد الجبالي محمد أبو الفضل إبراهيم

منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت

مراجعة الكتاب

الأغاني	: لأبي الفرج الأسفهاني
بلوغ الأرب في أحوال العرب	: للأتومي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجي زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشيخ محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاط القرشي
خزانة الأدب	: للبندادي
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
دغية الأمل من كتاب الكامل	: للرصفي
مرح الميون	: لابن نباتة المصري
شرح ديوان الحماسة	: للتبريزي
شرح المفصليات	: لابن الأنباري
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعراء النصرانية	: للويس شيخو
شواعر العرب	:
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
الممثلة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للمؤلفين
الكامل (في الأدب)	: للمبرد

الكامل (في التاريخ)	: لابن الأثير
لسان العرب	: لابن منظور
مجمع الأمثال	: للميداني
الختار من نوادر الأخبار	: لحمد بن أحمد الأنباري
المزهر	: للسيوطي
المضاف والنسوب	: للشمالي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معجم ما استمعجم	: لأبي عبيد البكري
قائض جرير والفرزدق	: لأبي عبيدة ممر بن المثنى

—————

الفهرس

١ - أيام العرب والفرس

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١	يوم الصفقة .
٢	٦	يوم ذى قار

٢ - أيام القحطانية فيما بينهم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٤٢	يوم البردان
٢	٤٦	» الكلاب الأول
٣	٥١	» عين أباغ
٤	٥٤	» حليلة
٥	٦٠	» اليعاميم
٦	٦٢	حروب الأوس والخزرج
—	٦٢	١ - حرب سمير
—	٦٩	٢ - حرب كعب بن عمرو
—	٧٢	٣ - حرب حاطل
—	٧٣	٤ - يوم بُمات
٧	٨٥	يوم سحبل

٣ — أيام القحطانيين والمدنانيين

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٩٤	يوم طخفة
٢	٩٩	» أواره الأول
٣	١٠٠	» أواره الثاني
٤	١٠٧	» السلان
٥	١٠٩	» خزاز
٦	١١٢	» حُجْر
٧	١٢٤	» السكّاب الثاني
٨	١٣٢	» فيفّ الريح
٩	١٣٧	» ظهر الدعاء

٤ — أيام ريعة فيما بينها

الرقم	الصفحة	المنوان
١	١٤٢	حرب البسوس وتشتمل على : يوم النهى » الدنائب » واردات » عنيزة » القصبيات » محلاق اللهم

٥ - أيام ربيعة ونعيم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	١٧٠	يوم الوقيط
٢	١٧٥	» ثَبَل
٣	١٧٨	» جَدُود
٤	١٨٢	» زَرُود
٥	١٨٤	» ذى طُلُوح
٦	١٩١	» الإياد
٧	١٩٧	» النَبِيط
٨	٢٠١	» قَشَاوَة
٩	٢٠٦	» زَبَالَة
١٠	٢٠٨	» مُبَايَض
١١	٢١٢	» الزُّورِين
١٢	٢١٥	» عَاقِل
١٣	٢١٧	» الشَّيْطِين
١٤	٢٢٠	» الوَقْبِي
١٥	٢٢٦	» الشَّيَّاك

٦ - أيام قيس فيما بينها

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٢٣٠	يوم منبج
٢	٢٣٥	» النفراوت
٣	٢٤٢	» بطن عاقل

المستهم

- و -

الرقم	الصفحة	العنوان
٤	٢٤٦	يوم داجس والغبراء
٥	٢٧٨	» الرقم
٦	٢٨١	» الفتاة
٧	٢٨٣	» حوزة الأول
٨	٢٨٩	» حوزة الثاني
٩	٢٩٣	» اللوى
١٠	٣٠٠	حديث ابن ضبا
١١	٣٠٤	يوم هراميت

٧ - أيام قيس وكنانة

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣١٢	يوم الكديد
٢	٣١٩	» برزة
٣	٣٢٢	حروب الفجار
	٣٢٢	أيام الفجار الأول :
	٣٢٢	اليوم الأول
	٣٢٤	» الثاني
	٣٢٥	» الثالث
٤	٣٢٦	أيام الفجار الثاني :
	٣٢٦	يوم نخلة
	٣٣١	» شملة
	٣٣٣	» المبلد
	٣٣٤	» عكاظ
	٣٣٧	» الحريرة

٨ - أيام قيس ونعيم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٤٤	يوم رخرحان
٢	٣٤٩	» شعب جبلة
٣	٣٦٥	» ذى نجب
٤	٣٦٨	» الصرام
٥	٣٧٠	» الرغام
٦	٣٧٣	» جزع ظلال
٧	٣٧٥	» المروت

٩ - أيام ضبة وغيرهم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٧٨	يوم النّسار
٢	٣٨٢	» الشّقيقة
٣	٣٨٨	» براخة
٤	٣٩٠	» دارة مأسل
٥	٣٩١	» النقيعة

- ح -

١٠ - أيام متفرقة

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣٩٦	يوم جديس
٢	٣٩٩	» ذات الأمل
٣	٤٠٦	» صومر

~~XXXXXXXXXX~~

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من نثر وشعر ، وما تدمى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروى كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والمدنانيين من خلاف ، وبين المدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأنفاذ والمناثر .

ثم هي في أسلوبها القصصي ، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وماداتهم وأسلوب الحياة العائلية بينهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والفداء والأسر ، والنجمة والاستقرار ؛ وهي أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ؛ كالنفاع عن الحرم ، والوفاء بالعهد ، والانتصار للمشيرة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملة وتفصيله ، وبخاصة ما كان في الفخر والحاسة والثناء والهجاء ، فإنك تجده قد ارتسط بهذه الأيام لوتباطاً تاماً ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم
كان الشعراء من ورائهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون ألستهم
في خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيهم صراخهم والقتلى من أشرفهم وزعمائهم ؛
ترى ذلك ممثلاً في شعر الأعشى ، وعنترة ، وابن حُلَزة ، وعامر بن الطفيل ، وأبي قيس بن
الأسلت ، وقيس بن الحطيم ، وعبد ينوث بن صلاة ، والمهلهل بن ربيعة ، والخنساء ،
وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام في شعره
من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من
ذكر المناوير من أبطال الوقائع ؛ هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم ، وساحة بطولتهم ،
ومستردُّ حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ،
ودريد بن الصمة قائد جشم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاشم بن حرمة
صاحب النماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سبَّحُوا في
هذه الأيام مواقف ومفاورات تملأ القلوب دهشة وإعجاباً .

ولم تغل هذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم
ورياستهم مثلاً علياً في نصيحة الرأي ، وإصابة المحز ، والهدى إلى مواطن الصواب ؛
وفيا أثر عن أكنم بن صيفي ، وقيس بن عاصم النقري ، والحارث بن عباد البكري ،
وعبد الله بن جُدعان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر المصور .



يبدأ أن هذه الأيام على خطرهما وجليل شأنها ليس بأيدي الناس كتاب خاص بها
يعظم مقدما ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الفنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتاباً صغيراً حوى خمسة وسبعين يوماً ، وآخر كبيراً جمع فيه ألفاً ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتاباً جمع فيه ألفاً وسبعمائة يوم ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات منتشرة في كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغاني والنقائض والمقد الفريد ومجمع البلدان وابن الأثير والمسمودى ومجمع ما استجمع ، وهى متفرقة لا يحدها نظام ، ولا تجتمع في باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشمر ، وتحريف الأعلام .

ومحينا أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن نفرد للأيام كتاباً خاصاً يجمع شقيتها ، ويؤلف بين رواياتها ، ويرسم معالمها وحدودها ؛ وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتاباً قد اجتهدنا في تنسيقه وتهذيبه ، وتأقنا في جمعه وتبويبه ، وجعلنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو العصبية القبلية ؛ إذ كان مثار الحفائظ ومبعث الحروب الخلاف في الجنس أحياناً ، وفي أصول القبائل أحياناً ؛ وأنتمنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد في ضبطه وشرحه ، واخترتا الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضاً ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب - وإن كان معقوداً للأيام التي وقعت في العصر الجاهلي - قد تضمن قليلاً من الأيام التي حدثت في الإسلام كيوم الرقي ويوم الشيطان ويوم سحبل ؛ إذ أنها في أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك لحريم . أما الأيام التي وقعت في الإسلام وكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والذهبية فقد أفردنا لها كتاباً خاصاً نرجو أن يكون قريباً في أيدي القراء .

هنا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها
وذكر أسبابها ورواية أعمارها وقصائدها ؛ أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا
ذكر عنواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب ، فقد جاوزها اختيارنا ، إذ كان
النرضُ من هذا الكتاب خيراً يروى ، أو قصة تحكي ، أو مثلاً يؤثر ، أو شعراً
يذكر . .

والله نسال أن يجعله عملاً نافعا مقبولا .

{ رمضان ١٩٦١
{ سبتمبر ١٩٤٢

المترجم

—

تَنبِيهَات

١ — وضع « يوم سحبل » في الباب الثاني صفحة ٨٥ ، والصواب أن يوضع في الباب الثالث .

٢ — ذكرت قصيدة للخنساء في رثاء صخر في يوم حوزة الثاني صفحة ٢٩١ ، والصواب ذكرها بعد يوم الأثل صفحة ٤٠٠

٣ — وقع اضطراب في شرح البيت الثاني صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا :
قال التبريزي في شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه . ونصب
شجناً ؛ لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على البناء ؛ هذا إذا جعلت
الشجن الحزن والحاجة ، وإن جعلته الحبيب نصبت له لأنه مفعول به .

٤ — سقط من قصيدة ابن القائف في يوم براحة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو :
ولممرُجْدك ما الرقاد بطائش رعنش بديته ولا هوادر
ولإليه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

المشام
عفا الله عنه

١- أَيَّامُ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ

وَتَحْتَمِلُ عَلَى مَا يَأْتِي

١- يَوْمُ الصَّفْقَةِ

٢- يَوْمُ ذِي قَارِ

١- يَوْمُ الصَّفَةِ

قال ابن الكلبي :

بَثَّ كَسْرَى أَنُو شُرَوَان^(١) إِلَى عَامِلِهِ^(٢) بِالْيَمَنِ بِمِيرٍ تَحْمِلُ نَبْعًا^(٣) ، وَكَانَتْ عِيرُ كَسْرَى تُبَذَّرَقُ^(٤) مِنْ الْمَدَائِشِ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى النَّمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ بِالْحِجْرَةِ ، وَالنَّمَانُ يُبَذِّرُهَا بِمُخْرَاءٍ مِنْ بَنِي رَيْبَعَةٍ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ فَيُبَذِّرُهَا حَتَّى يُخْرِجَهَا مِنْ أَرْضِ بَنِي حَنْثِيْفَةٍ ثُمَّ تُدْفَعُ إِلَى تَيْمٍ ، وَتَجْعَلُ لَهُمْ جِمَالَةً^(٥) قَتَسِيرُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْيَمَنِ ، وَتَسَلَّمَ إِلَى عَمَّالِ كَسْرَى بِالْيَمَنِ .

وَلَمَّا بَثَّ كَسْرَى بِهَذِهِ الْعِيرِ وَوَصَلَتْ إِلَى الْيَمَامَةِ قَالَ هَوْذَةُ بْنُ عَلِيٍّ لِلْأَسَاوِرَةِ^(٦) الَّذِينَ يَرِاقِقُونَهَا : انْظُرُوا إِلَيَّ تَجْعَلُونَهُ لِبْنِي تَيْمٍ فَأَعْطُونِيهِ ، وَأَنَا أَكْفِيكُمْ أَسْرَمًا ، وَأَسِيرُهَا مَعَكُمْ حَتَّى تَبْلُغُوا مَا مَعَكُمْ .

وَخَرَجَ هَوْذَةُ وَالْأَسَاوِرَةُ وَالْعِيرُ مَعَهُمْ مِنْ هَجَرَ^(٧) ، حَتَّى إِذَا كَانُوا يَنْطَلِعُ^(٨)

* لِكَسْرَى عَلَى تَيْمٍ ، وَاسْمُ الصَّفَةِ ، لِأَنَّ كَسْرَى أَصْفَى الْبَابِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ فِي حَصْنِ الشَّقَرِ ، وَاسْمُ أَيضًا يَوْمِ الشَّقَرِ ، وَالشَّقَرُ حَصْنُ الْبَحْرَيْنِ .

الْأَغَانِي ص ٧٥ ج ١٦ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٣٦٨ ج ١ ، الْمَعْدُ الْقَرِيدُ ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٢٢٥ ج ١ ، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ص ١٣٣ ج ٢ ، الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ص ٢٢٥

(١) هُوَ كَسْرَى أَنُو شُرَوَانُ بْنُ قَبَاذَ ، مِنْ أَشْهُرِ مُلُوكِ الْقُرْسِ وَأَعْظَمِهِمْ ذِكْرًا ، وَكَانَتْ نَيْلًا طَاهِرًا ، هَلَكَ ثَمَانٌ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ (٢) هُوَ وَهْرَزُ الْقَائِدُ الشُّجَاعُ الَّذِي أَرْسَلَهُ كَسْرَى مَعَ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ لِتَطْهِيرِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَيْشِ (٣) النَّبْعُ : شَجَرٌ لِقْسَى وَلِلسَّهْمِ يَنْبِتُ فِي قَلَّةِ الْجَبَلِ (٤) الْبَذْرَقَةُ : الْحَفَارَةُ (٥) الْجِمَالَةُ (مِثْلَةُ) : مَا يَجْعَلُ عَلَى الْعَمَلِ (٦) الْأَسَاوِرَةُ : جَمْعُ أَسْوَارٍ ، وَهُوَ الْقَائِدُ مِنَ الْقُرْسِ (٧) هَجَرَ : اسْمٌ لِأَرْضِ الْبَحْرَيْنِ (٨) نَطَاعٌ : اسْمٌ لِرُوَادِ الْيَمَامَةِ .

بلغ بنى تميم ما صنع هوزة ؛ فصاروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا
عامة الأساورة وسلبوهم ، وأسروا هوزة بن علي ، فاشتري هوزة نفسه بثلاثمائة بعير ،
فساروا معه إلى هجر ، وأخذوا منه فداءه^(١) .

وعند ذلك عمد هوزة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم - وكانوا قد سلبوا -
فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى - وكان هوزة رجلاً جليلاً شجاعاً
ليبياً - فدخل عليه وقص عليه أمر بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من
ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قباء^(٢) دباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ،
وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا بمقدّر من درّ فقعد على رأسه^(٣) .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه نفزو المفازي
فيمصّب ؛ فقال له كسرى : كم ولدك ؟ قال : عشرة . قال : فأيتهم أحب إليك ؟ قال :
غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .

قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلَك على أن طلبت مني الوسيلة .
ثم قال : ياهوزة ؛ رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ؛ أيتنك وبينهم
صلح ؟ قال هوزة : أيها الملك ؛ بيني وبينهم حساء^(٤) الموت ، وهم قتلوا أبي ، فقال
كسرى : قد أدركت ثأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوزة : إن أرضهم لا تطيقها

(١) في ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوزة مقرون اليدين إلى النحر

وردنا به نخل اليمامة غانياً عليه وثاق القد والحلق السر

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لذلك هوزة ذا التاج (٤) حساء الموت :
تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يمتنعون بها ؛ ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك .

فعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الميرة في سنة مجديبة ، ثم أرسل إلى هوزة فأتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفي منهم واشتف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكمبر^(١) ؛ فساروا حتى نزلوا المشقر^(٢) من أرض البحرين ، وبث هوزة إلى بني حنيقة فأتوه فدنوا من حيطان المشقر ؛ ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتمالوا فامتاروا .

فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاها بنو سعد^(٣) ؛ فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المكمبر فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فإذا مر رجل من بني تميم بينه وبين هوزة إخوانه أو رجل يرجوه ، قال للمكمبر : هذا من قومي فيخايه له ، فنظر خيرى بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بمد السلب إلا القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سلسلة كانت على باب المشقر ، فقطعها

(١) كان المكمبر عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاد فردز بن جشس ، وصنمه العرب المكمبر : لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، وآلى ألا يدع من بني تميم عينا تطرف ففعل .

(٢) المشقر : حصن حياه حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محلم (بتسديد اللام) ، بناء رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ (٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يد رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا الناس يُقَتَّلون ، فثارت بنو تميم^(١) .

فلما علم هوذة أن القوم قد نذروا به كلم السكير في مائة من خيارهم ، فوجههم له يوم الفصح^(٢) .

(١) هذه رواية المقد القرين ، وفي الطبري : إن الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه عبيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هنأ لات حين تذكر	تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها	مصاب الحريف بين زور ومنور
ألا هل آتى قوى على التأى أنى	حيث ذمارى يوم باب المشفر
ضربت رجاج الباب بالسيف ضربة	تفرج منها كل باب مضبر

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى يمدح هوذة :

سائل تميا به أيام صفتهم	لما رآهم أسارى كلهم ضرها
وسط المشفر في غبراء مظلمة	لا يستطيعون بعد الضر متفعا
فقال لللك أطلق منهم مائة	رسلا من القول مخفوضاً ومارضا
فك عن مائة منهم إسامم	وأصبحوا كلهم من غلة خلما
بهم تحرب يوم الفصح ضاحية	يرجو الإله بما أسدى وما صنما
فلا يرون بناكم لعمرة سبت	إن قال قائلها حقا بها وسما

٢- يَوْمَ ذِي قَارِ

كان منزل أيوب^(١) بن مَعْرُوف في اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصابَ دماً في قومه ، فهرب ، ولحق بأوس بن قلام^(٢) الحارثي بالحيرة ، وكان بينهما نَسَبٌ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ ، فلما قدم عليه أكرمهُ ، وأنزله في داره ، فكث معه ما شاء الله أن يمكث .

ثم إن أوساً قال له : يا بنَ خال ؛ أتريد المقامَ عندي وفي دارى ؟ فقال له : نعم ، فقد علمتُ أنى إن أتيت قومي ، وقد أصبْتُ فيهم دماً ، لم أسلم ، ومالي دارٌ إلا دارُك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرفَ ولدى لك من الحقِّ مثل ما أعرفُ ، وأخشى أن يقعَ بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرِّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكان في الحيرة إليك فأعلمني به لا تُطعمَكَه أو أبتاعه لك . فاختار موضعاً في الجانب الشرقي من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برِعاتها وفرساً وقينته^(٣) . فكث في منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحوّل إلى داره بعد مهلك أوس ،

* لبكر على العجم . ووقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرنا . وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة . وبعد هذا اليوم من مفاخر بكر .

المقد التريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبري ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغاني ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسي ، خزنة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النفاذ ص ٦٣٨ (طبع أوروبا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧ .
(١) روى عن ابن الأعرابي أنه أول من سمى أيوب من العرب .
(٢) هكذا ضبط في الأغاني والطبري . (٣) القينة : الأمة .

وَاتَّبَعُوا بِاللُّوْكَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِمْيَرِ ؛ وَعَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَحَقَّ ابْنِهِ زَيْدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَلِكٌ يَمْلِكُ إِلَّا وَلِيُّكَ أَيُّوبُ مِنْهُ جَوَائِزُ وَمُحَلَّانٌ ^(١) .

ثم إن زَيْدَ بْنَ أَيُّوبٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ آلِ قَلَّامٍ ، فَوَلَدَتْ حَمَادًا ، ثُمَّ خَرَجَ زَيْدٌ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَرِيدُ الصَّيْدَ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْحِمْيَرِ ، وَهُم مُنْتَدُونَ ^(٢) بِحَفِيرٍ ، فَانْفَرَدَ فِي الصَّيْدِ ، وَتَبَاعَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِينَ كَانُوا لَهُمُ الثَّأْرُ قَبْلَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ — وَقَدْ عَرَفَ فِيهِ شَبَهَ أَيُّوبَ — يَمْنُ الرُّجُلُ ؟ قَالَ : مَنْ بَنِي تَيْمٍ قَالَ : مَنْ أَيُّهُمْ ؟ قَالَ : مَرَّتِي ^(٣) . قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَأَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟ قَالَ : الْحِمْيَرُ قَالَ : أَمِنْ بَنِي أَيُّوبَ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ بَنِي أَيُّوبَ ؟ وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَذَكَرَ الثَّأْرَ الَّذِي هَرَبَ أَبُوهُ مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ بِهِمْ ، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ . فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَنَ أَيْ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا امْرَأُؤُ مِنْ طَيْيٍّ ، فَأَمِنَهُ زَيْدٌ وَسَكَتَ عَنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ تَفَقَّلَ زَيْدًا ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَفَلَقَ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَرَمْ ^(٤) حَافِرُ دَابَّتِهِ حَتَّى مَاتَ .

ولبت أصحابُ زَيْدٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ طَلَبُوهُ ؛ وَقَدْ افْتَقَدُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أَمْنَنَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَبَاتُوا يَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَنْسُوا مِنْهُ ، ثُمَّ غَدَوْا فِي طَلَبِهِ ، فَاقْتَمَوْا أَثَرَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ أَثَرَ رَاكِبٍ يُسَايِرُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثَرَ حَتَّى وَجَدُوهُ قَتِيلًا ؛ فَمَرُّوا أَنَّ صَاحِبَ الرَّاحِلَةِ قَتَلَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَأَغْدَوْا السَّيْرَ ؛ فَأَدْرَكُوهُ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، فَصَاحُوا بِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ ؛ فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالنَّبْلِ ، حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛

(١) المحلان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة (٢) اتدى القوم : اجتمعوا ؛ وحفيرة : موضع بالحيرة ، ذكره عدى بن زيد في شعره ، قال :

قد أَرَانَا وَأَهْلَنَا بِحَفِيرٍ نَحْمِبُ الدَّهْرَ وَالسِّنِينَ شَهْرًا

(٣) مرَّتِي : نسبة إلى امرئ القيس بن زيد مناة (من قبائل تميم) . (٤) لم يرم : لم يدهج .

وقد أصاب رجلاً منهم في مَرَجٍ^(١) كَتَفِيهِ بِهِمْ ، فلما أَجَنَّهُ اللَّيْلُ مات وأُفِلَّت
الرَّأْيُ ، فرجموا وقد قُتِلَ زَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ مَعَهُ .

فَكَتَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ فِي أَخْوَالهَ حَتَّى أَبْقَعَ^(٢) ، وَلَحِقَ بِالْوُصَفَاءِ^(٣) ، ثُمَّ مَحْمُولٌ
إِلَى دَارِ أَبِيهِ ؛ وَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ فِيهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ ، وَخَرَجَ
مِنْ أَسْكَتَبِ النَّاسِ ؛ وَطُلِبَ حَتَّى صَارَ كَاتِبَ النُّعْمَانِ الْأَكْبَرِ^(٤) ؛ فَلَبِثَ كَاتِبًا لَهُ ؛
حَتَّى وُلِدَ لَهُ ابْنُهُ زَيْدٌ ؛ وَكَانَ لِحَمَّادٍ صَدِيقٌ مِنَ الدُّهَّاقِينَ^(٥) ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ
أَوْصَى بِابْنِهِ زَيْدٍ إِلَى الدُّهَّاقَانِ ، فَأَخَذَهُ إِلَيْهِ فَكَانَ مَعَ وَلَدِهِ ، وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ حَدِّقَ
الْكِتَابَةَ وَالرَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ الدُّهَّاقَانِ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ عِلَّمَهُ الْفَارْسِيَّةَ فَلَقِّنَهَا .

ثُمَّ إِنَّ الدُّهَّاقَانِ أَشَارَ عَلَى كَسْرَى أَنْ يَجْعَلَ زَيْدًا عَلَى الْبَرِيدِ فِي حَوَائِجِهِ ، وَلَمْ
يَكُنْ كَسْرَى يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَوْلَادِ الْمَرَّازِيَةِ^(٦) ، فَكَتَبَتْ ذَلِكَ لِكَسْرَى زَمَانًا .
ثُمَّ إِنَّ النُّعْمَانَ هَلَكَ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ فِيمَنْ يَمْلِكُونَهُ إِلَى أَنْ يَمْقِدَ كَسْرَى
الْأَمْرَ لِرَجُلٍ يُنْصَبُ بِهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الدُّهَّاقَانِ زَيْدُ بْنُ حَمَّادٍ ؛ فَكَانَ عَلَى الْحَيْرَةِ إِلَى أَنْ
مَلَكَ كَسْرَى الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ^(٧) .

ثُمَّ إِنَّ زَيْدًا تَزَوَّجَ نَعْمَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ الْمَدَوِيَّةَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَدِيًّا ، وَوُلِدَ لِلدُّهَّاقَانِ
ابْنُ سَمَاءَ شَاهَانَ مَرْدٌ ، فَلَمَّا تَحَرَّكَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَأَبْقَعَ طَرَحَهُ أَبُوهُ فِي الْكِتَابِ ،

(١) مَرَجٌ كَتَفِيهِ : أَسْفَلُهُمَا (٢) أَبْقَعَ : يَقَالُ : أَبْقَعَ الْفُلَامُ إِذَا شَارَفَ الْإِحْتِلَامَ .

(٣) الْوُصَفَاءُ : جَمْعٌ وَصِيفٌ وَهُوَ الْفُلَامُ دُونَ الرَّاهِقِ (٤) هُوَ النُّعْمَانُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

حَكَمَ ثَمَانِيَةَ وَعِصْرِينَ عَامًا ، وَتَرَكَ الْمَلِكُ سَنَةَ ٤٣١ م (٥) الدُّهَّاقِينَ : جَمْعٌ دُهَّاقٌ وَهُوَ التَّاجِرُ

(٦) الْمَرَّازِيَانِ : أَحَدُ مَرَّازِيَةِ الْفَرَسِ ، وَهُوَ الْفَارِسُ الشَّجَاعُ الْقَدِيمُ عَلَى الْقَوْمِ (٧) هُوَ الْمُنْذِرُ بْنُ

أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَمَاءُ السَّمَاءِ اسْمُ أُمِّهِ ، وَكَانَ أَشْهَرَ مَلُوكِ الْحَيْرَةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ يَوْمِي النِّعَمِ وَالْبُؤْسِ
تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٣ م .

حتى إذا حَدِّقَ أرسله الله هقان مع ابنه إلى كُتَّاب الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه ،
ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ؛
وقال الشعر ، وتعلَّم الرَّمي بالنَّشَاب ، نَفَرَج من الأساورة^(١) الرُّثَاء ، وتعلَّم لِبَب
العَجَم على الخيل بالصَّوَالِجَة^(٢) وغيرها .

ثم إن الله هقان وقد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرده ، فأتبته كسرى مع
سائر أولاد الدهقان في صحابته ؛ فقال الدهقان لكسرى : إن عندى غلاماً^(٣)
من العرب خلفه أبوه في حِجْرِي فربيتُهُ ؛ فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربية
والفارسية ، والملكُ محتاجٌ إلى مثله ؛ فإن رأى أن يُبْتَنَ مع ولدى فعمل ، فقال :
اذعهُ ، فأرسل إلى عدى ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسنِ ، وكانت الفُرسُ تَبْرَكُ
بالوجه الجميل ؛ فلما كلمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه ، وأتبعته
مع ولد الدهقان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحيرة إلى عدى ورهبوه ، ولم يزل بديوان كسرى في الدائن
يُؤذَنُ له عليه في الخاصَّة ، وهو مُعجَّب به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذ حتى ، إلا أن
ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه ، فكان عدى إذا أراد المقام بالحيرة استأذن
كسرى ، فأقام في أهله الشهرَ والشهرين ، وأكثر وأقل ، ثم يعود .

ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طُرف ما عنده ، فلما أتاه عدى
بها أكرمه ، وحمله إلى عماله على البريد ليريه سمة أرضه ، وعظيم مُلكه ؛ وكذلك
كانوا يصنعون ؛ فنن ثم وقع عدى بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجيد الرمي بالسهم (٢) الصوالجة : جمع صولجان ،
وهو عصا يطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدى بن زيد .

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزَعِ مِنْ دُو مَةَ^(١) أَشْهَى إِلَى مِنْ جَيْرُونِ^(٢)
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا لُوا وَلَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ النَّوْنِ
قَدْ سَقِيتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشِيرٍ قَهْوَةً مُزَّةً^(٣) بِمَاءِ سَخِينِ
وفسد أمرُ الحيرة ، وعدى بدمشق ؛ حتى أصلح أبوه زيد بينهم ؛ إذ أن أهل
الحيرة حين كان عليهم النذر أرادوا قتله ؛ لأنه كان لا يعدلُ فيهم ؛ وكان يأخذ من
أموالهم ما يُعجبه ؛ فلما تيقن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد ،
فقال له : يا زيد ؛ أنت خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة ، فلا حاجة
لي في مُلككم ، دونكموه ، ملكُوه مَنْ شِئتم . فقال زيد : إن الأمرَ ليس إليّ ،
ولكني أسبرُ لك هذا الأمر ، ولا آلوك نصحاً .

فلما أصبح غداً إليه الناس خيوة تحيةَ المُلك ، وقالوا له : ألا تبعثُ إلى عبدك
الظالم (يعنون النذر) فترج منه رعيّتك ؟ فقال لهم : أو لا خيرٌ من ذلك ؟ قالوا :
أشرٌ علينا ! قال : تدعونني على حاله ، فإنه من أهل بيتِ مُلك ، وأنا آتيه فأخبره
أن أهلَ الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه ، إلا أن يكون غزواً أو قتالاً ،
فلك اسمُ الملك ، وليس إليك سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيك أفضل .

فأتى النذرَ فأخبره بما قالوا ، فقَبِلَ ذلك وفرح ، وقال : إن لك يا زیدُ على
نممةٍ لا أكفرُها ما عرفت حق سبَد^(٤) . فولّى أهلُ الحيرة زیداً على كل شيء سوى
اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر .

ثم هلك زيد ، وعدى بالشام ، وكان لزيد ألفُ ناقةٍ للحِمالات^(٥) ، كان

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جبرون : بناء عند باب دمشق (٣) الزة :
الحمر اللبنة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل الكوفة (٥) الحِمالات : جمع حمالة (بالفتح)
وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللّاتِ والنّزى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيد تُفروق^(١) ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والدّهقان الذي ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجّه إليها ، وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه في الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يملّكوه للمّكوه ، ولكنه كان يؤثر الصّيد واللّهو واللّعب على الملك ، فكث سنين يبدو^(٢) في فصلى السنة ، فيقيم في جفير^(٣) ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن في خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هنداً بنت النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بَلَغت أو كادت .

٢

كان للمنذر ابنان : أحدهما النعمان ، وكان في حجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أَرْضَعُوهُ وربّوه ، وكان له ابن آخر في حجر بنى مَرينا^(٤) ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشاهب^(٥) لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٦) قصيراً ، فلما احتضر المنذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قبيصة

(١) قال الأصمعي : التفروق : قمع التمرة والبصرة ، يكنى به من القلة ، فيقال : ماله تفروق ، أى ماله شيء . (٢) يبدو : يخرج إلى البادية . (٣) جفير : موضع بنجد . (٤) بنو مَرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل البجاد . (٥) الفهبية في الأصل تطلق على البيضاء التى يطف على السواد ، وقد يطلق على مطلق البيضاء ، قال الأعشى في بني المنذر :

وبنى المنذر الأشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

الطائي ، وملّكه على الحبرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فكث مملّكا عليها أشهراً ، وكسرى بن هرمز في طلب رجل يملّكه عليهم ، فقال لمدى : مَنْ بقي من آل النذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعم ، أيها الملك السعيد ، إن في ولد النذر لبقيةً ، وفيهم كلُّهم خير ، فقال : ابث إليهم فأحضِرْهم .

فبث عدى إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنمان : لست أملك غيرك ، فلا يُوحِشَنَّكَ ما أفضّل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإنّي إنّا أغترّهم بذلك ، ثم كان يفضل إخوته جميعاً في النزّل والإكرام والملازمة ، ويُريهم تنقّصاً للنعمان ، وإنّه غير طامع في تمام أمره على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أغرّ ثيابكم وأجلّها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا في الأكل وصنّروا اللّقم ، ونزّروا ما تأكلون ، فإذا قال لكم : أنكفوني العرب ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد أنكفونيّه ؟ فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدرُ على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمع في تفرّقكم ، ويعلم أن للعرب منّةً وبأساً ، فقبّلوا منه ؛ وخلا بالنمان ، وقال له : ألبس ثياب السفر ، وادخل متقلداً سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظّم اللّحم ، وأسرع المضغ والبّقع ، وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يعجبه الأكل من العرب خاصّة ، ويرى أنّه لا خير في العربي إذا لم يكن أكلًا شرّها ، ولا سبًا إذا رأى غير طماحه ، وما لا عهد له به ، وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فن لي بإخوتك ؟ فقل له : إن هجرت عنهم فإنّي عن غيرهم لأعجز .

وخلا ابن مريّنا بالأسود أخيه فسأله عمّا أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غشّك والصليب والممودية ، وما نصّحك ، ولئن أطمعتني لفخّالفت كلّ ما أمرك به ،

وَلْتَمَلَّكَنَّ ، وَلَيْنُ عَصِيَّتِي لِيُتَمَلَّكَنَّ النِّمَانُ ! وَلَا يَفْرُتُكَ مَا أَرَاكَ مِنْ الْإِكْرَامِ
وَالْتَفْضِيلِ عَلَى النِّمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ دَهَاءٌ مِنْهُ وَمَكْرٌ ؛ وَإِنْ هَذِهِ الْمَدِيَّةُ لَا تَخْلُو مِنْ
مَكْرٍ وَحِيلَةٍ . فَقَالَ : إِنْ عَدِيًّا لَمْ يَأْلَنِ نَصْحًا ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِكَسْرِ مِنْكَ ، وَإِنْ
خَالَفَتْهُ أَوْ حَشَّتْهُ وَأَفْسَدَتْ عَلَى ، وَهُوَ جَاءُ بِنَا وَوَصَفْنَا ، وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كَسْرِي .
فَلَمَّا آيَسَ ابْنُ مَرْيَنَ مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ : سَتَعْلَمُ .

وَدَعَا بِهِمْ كَسْرِي ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أُعْجِبَهُ بَجَالُهُمْ وَكَلَامُهُمْ ، وَرَأَى رَجُلًا
قَلَمًا رَأَى مِثْلَهُمْ ، فَدَعَا لَهُمُ بِالطَّعَامِ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَدِيٌّ ، فَجَمَلُ يَنْظُرُ إِلَى النِّمَانِ
مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ أَكْلَهُ ، فَقَالَ لِعَدِيٍّ بِالْفَارْسِيَّةِ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنْ
هَذَا . فَلَمَّا غَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ جَمَلُ يَدْعُو بِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُ : أَنْكَفِيَنِ الْعَرَبُ ؟
فَيَقُولُ : نَعَمْ ، إِلَّا إِخْوَتِي ، حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى النِّمَانِ آخِرُهُمْ ، فَقَالَ : أَنْكَفِيَنِ الْعَرَبُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَلَّمَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ لِي بِإِخْوَتِكَ ؟ قَالَ : إِنْ عَجَزْتُ
عَنْهُمْ فَإِنِّي مِنْ غَيْرِهِمْ أَعْجَزُ . فَلَسَكَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَالتَّبَسَّهُ تَابَجًا قِيَمَتُهُ سِتُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ فِيهِ اللَّزْلُ وَاللُّزْلُ وَالذُّهَبُ .

فَلَمَّا خَرَجَ - وَقَدْ مُلِكَ - قَالَ ابْنُ مَرْيَنَ لِلْأَسْوَدِ : هَوْنُكَ عُقْبِي خِلَافِكَ لِي .
ثُمَّ صَنَعَ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ طَعَامًا ، وَدَعَا عَدِيَّ بْنَ مَرْيَنَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنِّي هَرَفْتُ أَنَّ
صَاحِبَكَ الْأَسْوَدَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ يُمَلِّكَ مِنْ صَاحِبِي النِّمَانِ ، فَلَا تَكْمُنْ عَلَى شَيْءٍ
كُنْتُ عَلَى مِثْلِهِ ، وَإِنِّي أَحِبُّ أَلَّا تَحْقِدَ عَلَيَّ شَيْئًا لَوْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ ، وَإِنْ نَصَبِي
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِأَوْفَرٍ مِنْ نَصِيكَ ، وَحَلَفَ ابْنُ مَرْيَنَ أَلَّا يَهْجُوهُ ، وَلَا يَفْهِيهِ
غَائِلَةٌ أَبَدًا . فَقَامَ ابْنُ مَرْيَنَ وَحَلَفَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَهْجُوهُ وَيُبْغِيهِ الْغَوَائِلَ مَا بَقِيَ ، وَقَالَ :

ألا أبلغ عدياً عن عديٍّ فلا تجزع وإن رئت^(١) قواكا
 فإن تظفر فلم تظفر جيداً وإن تمطب^(٢) فلا يبعد سواكا
 ندمت ندامة الكسبي^(٣) لا رأيت عيناك ما صنعت يداكا

ثم قال عدي بن مريتا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تمجزن أن تطلب بئارك
 من هذا الممدى الذى فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن معداً لا ينم كيدُها
 ومكرُها ، وأمرتك أن تمصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأنيك
 فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على ، ففعل .

وكان ابن مريتا كثير المال والضيعة ، فلم يكن فى الدهر يوم يأتي إلا على باب
 النمان هدية من ابن مريتا ، وكانت إذا ذكر عدي بن زيد عند النمان أحسن
 الثناء عليه ، وشيع ذلك بأن يقول : إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة ، والممدى
 لا يصلح إلا هكذا .

فلما رأى من يطيع بالنمان منزلة ابن مريتا عنده لزمه وتابوه ، فجعل
 يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا له :
 إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النمان -
 حامله ، وإنه هو ولأه ما ولأه ؟ فلم يزالوا به حتى أضغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً
 على لسانه إلى قهرمان^(٤) له ، ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ؛ وأتوا به
 النمان فقراه ؛ فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدي بن زيد : عزمت عليك إلا زرتنى ،

(١) رئت : ضمنت (٢) عطب كفرح : هلك (٣) الكسبي منسوب إلى كسح ،
 وهو حى من قبس عيلان ، والكسبي رجل رام ، رى بمد ما أعظم الليل عياً فأصابه وطن أنه
 أخطأه ، فكسر قوسه ثم ندم من الفدحين نظر إلى العير مقتولا وسبه فيه ، فصار مثلاً لكل
 نادم على ضله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند القرس .

فاني قد اشتقتُ إلى رؤيتك - وعدى يومئذ عند كسرى - فاستأذن كسرى فأذن له؛
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في مخبئ لا يدخل عليه فيه أحد؛ فجعل عدى
يقول الشعر، وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس:

ليت شعري عن الهام ويأتيك لك بخبر الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المسال والأذى نفس إذ تاهدوا ليوم الحال^(١)
ورضائي في جنبك الناس يرمو ن وأرأي وكلنا غير آلي^(٢)
فأصيب الذي تريد بلا غش ن وأرأي عليهم وأوالي
ليت أني أخذت حثفي بكفة ي ولم ألق ميتة الأقتال^(٣)
محلوا محلهم^(٤) لصرعتنا العا م فقد أوقموا الرحا بالثقال^(٥)

وقال:

سمى الأعداء لا يألون شراً طيَّ ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى ليسجن أو يدفده في القلب^(٦)
وكنتم لراز^(٧) خصمكم لم أعرد^(٨) وقد سلكوك في يوم عصب
أعاليهم وأبطن كل سر كما بين اللحاء إلى المسيب^(٩)
فقرت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدر الأريب

(١) إخطار المال والأنس: بينهما . والناهدة: المناهضة في الحرب، والحال: الكيد والمكر
(٢) غير آلي: غير مقصر (٣) الأقتال: جمع قتل وهو العدو (٤) يقال: محل فلان
صاحبه إذا سعى به إلى السلطان (٥) الثفال: الجلد الذي يسط تحت رجا اليد ليق الطحين من
التراب (٦) دمه في القيد: حذره من علو إلى سفلى، والقلب: البئر (٧) أي لا أذع
خصمك يخالف ويemand (٨) عرد: هرب وفر (٩) المسيب: جريئة من النخل مستقيمة
دقيقة يكشط خوصها . واللحاء: قشر الشجر . والمراد: أن السر يبقى عنده مكتوماً .

وما دَهْرِي^(١) بَأَنْ كُدِّرْتُ فُضْلًا ولكن ما لقيتُ من العَجِيبِ
ألا من مُبْلَغِ النِّمَافِ هَي وقد تُهْدَى النِّصِيحَةُ بِالْغَيْبِ
أَحْطَى كَانِ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْبَيَّانُ لَدَى الطَّيِّبِ
أَتَاكَ بِأَنْتَى قَدْ طَالَ حَبْسِي ولم تَسَامُ بِمَسْجُونِ حَرِيبِ^(٢)
وَبَنِي مُقْفِرٍ إِلَّا نَسَاءً أَرَامِلٌ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يَادِرُونَ الدِّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ كَشَنَ خَانَهُ خَرَزَ الرَّيْبِ^(٣)
يُمَاجِزْنَ الْوِشَاءَ عَلَى عَدِيٍّ وما اقْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا قَدْ يَسِيمُ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَأَنْ أَظْلِمُ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي وَإِنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي
وَأَنْ أَهْلِكَ تَجِدُ قَعْدِي وَتُخْذَلُ إِذَا أَلْتَقَتِ الْعَوَالِي فِي الْحُرُوبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَذَارَكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُقَلِّبْ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَأْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

• • •

وَلَمَّا طَالَ سَجْنُ عَدِيٍّ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي - وَهُوَ مَعَ كَسْرِي - بِهَذَا الشِّعْرِ :
أُبْلَغُ أُبَيًّا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ
بَأَنْ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفَوَا دِ كُنْتَ بِهِ وَاتِّقَا مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مُوْتَقٍّ فِي الْحَدِيدِ إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا ظَلِمَ

(١) ما دهرى بكذا أو كذا ، أى ما لرادق وفاقى كذا (٢) الحريب : الذى سلب ماله
(٣) الشن : الخلق من كل آنية صمت من الجلد ، والمراد بالرييب هنا المصلح .

فلا أعرفنك كذاتِ الفلأ م ما لم تجد عارياً تَمَرَم^(١)
فأرضك أرضك إن نانا تَم نومة ليس فيها حلم
فكتب إليه أخوه أبي :

إن بكُ خانك الزمانُ فلا ما جزُ باع ولا ألف^(٢) ضميفُ
ويعين الإله لو أن جأوا طحونا تضي فيها الشيوف^(٣)
ذات رزٍ محتابة غمرة المو ت صحيح سر بالها مكفوف^(٤)
كنت في سحبا لجنتك أسمى فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف^(٥)
أو بحال سالت دونك لم يمد نع رلاذ لحاجة أو طريفُ
أو بأرض أسطيع آتيك فيها لم يهلني بعد بها أو مخوفُ
ولعمري لن جزفت عليه لجزوع على الصديق أسوفُ
ولعمري لن ملكك عزائي لقليل شرواك^(٦) فيما أطوفُ

وذهب أبي أخوه إلى كسرى ، فكلّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى
النعمان بأمره بإطلاقه ؛ وبث معه رجلاً - وكان للنعمان خليفة عند كسرى - فلما
علم بأمر كسرى في عدى كتب إليه : إنه قد كتب إليك في أمر عدى .
ولما جاء الرسول دخل على عدى قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : يا عدى ،

(١) أراد بذات الفلام : الأم الموضع ، والعارم الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبست من يهرما
أو عيس ثديها . قال في اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه دوت هي خلعت ثديها ، وقال ابن
الأعرابي : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه (٢) الألف : الثقل البطيء (٣) الجأواء :
الكتيبة التي يملوونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
(٤) الرز : الصوت ، السربال : القميص ، والمكفوف من كفت الثوب إذا خبط حاشيته .
ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شرواك . مثلك .

إلى قد جئت بإرسالك ؟ فما عندك ؟ فقال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدة سَنِيَّةٍ ؛ وقال له : لا تخرجنَّ من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب ، فأوصله إليه ، فانطلق بعضُ من كان هناك من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهبٌ به ، وإن فصل والله لم يستبقِ منا أحداً أنت ولا غيرك . فبمَثَّ مَنْ قَتَلَهُ .

ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامةٌ ، وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل إليه فخذنه . فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن ، فلم يرَ عدياً ، وقال له الحرس . إنه مات منذ أيام ولم نَجْزِرْهُ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أيبعثُ بك الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي ! ثم تهده ورشاه وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدى ، وعرف أنه قد احتيل عليه في أمره ؛ واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبةً شديدةً . ثم إنه خرج للصيد فرأى ابناً لمدى يقال له زيدٌ ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدى بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريف ؛ وفرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرّبه وأعطاه ووصله وجهزّه ، وسيرّه إلى كِسْرَى ووصفه له ، وقال : إن عدياً كان ممن أُعِين به الملك في نُصْحِهِ ولُبّه ، فأصابه ما لا بُدَّ مِنْهُ ، وانقطعت مُدَّتُهُ ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبِّ به أحدٌ أشد من مصيبتى ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جمل
الله له منه خلفاً ، لما عظم الله من مُلكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ،
رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرَّ حته إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل
وليصرف عمه^(١) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقع سألَه عن النعمان فأحسن الثناء عليه ،
وأقامَ عند الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ؛ فكان يكثرُ الدخولَ
عليه والخدمة له .

وكانت للوك الأعاجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يبعثون فى طلب
من يكون على هذه الصفة من النساء ، فإذا وُجدتُ مُحِلَّتْ إلى الملك ، غير أنهم لم
يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ؛ ولا يظنُّونها عندهم ؛ ثم إنه بدا للملك فى طلب
تلك الصفة ، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي ؛ ودخل إليه زيدُ بن عدى ، وهو فى ذلك
القول ؛ فخاطبه فيما دَخَلَ إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ الملكَ قد كتبَ فى نسوةٍ
يُطلبنَ له ، وقرأتُ الصفة ، وقد كنتُ بآل النذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من
بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة .

قال : فاكتبَ فيهن . قال : أيها الملك ؛ إنَّ شراً شىء فى العرب وفى النعمان
خاصةً أنهم يتكبرون - زعموا فى أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكرهُ أن يُغيبَهن
عنَّ تمتُّ إليه ؛ أو يمرضَ عليه غيرهن ، وإن قَدِمْتُ أنا عليه لم يقدرُ على ذلك ؛
فابشئى وابشئى معى رجلاً من رَهَاتِكَ يفهم العربية ، حتى أبلغَ ما تحبُّه .

(١) كان عمه الذى بلى السكانية عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورهما وفى خواص أمور الملك ،
وكانت له من العرب وظيفة موظفة فى كل سنة .

فبثّ معه رجلاً جلدًا فيهما ، وخرج به زيد ، وجلس يكرم الرجلَ وَيُلِطُهُ
حتى بلغ الحيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى
نساءِ لِنَفْسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبثّ إليك ؟ قال :
ما هؤلاء النسوة ؟ قال : هن صِفْتُهُنَّ قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن النذر الأكبر أهدى إلى أنوشرؤان جاريةً كان أسابها
إذ أغار على الحادث الأكبر أبي شمر النّسائي ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت
هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد
ورفيقه ، وهي :

« إني قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةً الخلق ، هيئة اللون والثغر ، بيضاء
قمرَاء ، وَطَفَاءً ^(١) ، كَحَلَاءَ ، دَعَجَاءَ ^(٢) ، حَوْرَاءَ ^(٣) ، عَيْنَاءَ ^(٤) ، قَنَوَاءَ ^(٥) ،
شَمَاءَ ^(٦) ، بَرَجَاءَ ^(٧) ، زَجَاءَ ^(٨) ، أَسِيلَةَ ^(٩) الخَدِّ ، شَمِيَّةَ الْقُبْلِ ، جَمَلَةَ ^(١٠) الشعر ،
عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عَيْطَاءَ ^(١١) ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ،
ضَخْمَةً مُشَاشٍ ^(١٢) النَّكِبِ والعَضِدِ ، حسنة المِصَمِّ ، لطيفة الكفِّ ، سَبْطَةً
الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، نَحِيصَةَ الْخَصْرِ ، غَرَّتِي ^(١٣) الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ ^(١٤) الْأَقْبَالِ ،

(١) الوطفاء : فرزة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدمع : شدة سواد العين وشدة
ياضها (٣) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستمارة
(٤) العين : سمة العين (٥) القنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديب في وسطه ، وسبوغ
في أعلاه (٦) الشم في الأنف : ارتفاع القصة (٧) البرجاء : الجميلة الحسنة (٨) الزجاء :
دقيقة الحاجبين في طول (٩) الحد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجملة من
الشعر : للكتيف الأسود (١١) العيطاء : الطويلة المنق (١٢) اللشاشة : رأس العلم
الممكن المضع (١٣) غرث الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الروداح : العجزاء الغليظة الأوراك
الثامة الخلق . والأقبال : ما استبقت من مصرف .

داية الكفل ، لقاء^(١) الفخذين ، رباً الروادف ، ضخمة الماكمتين^(٢) ،
مفممة^(٣) الساق ، مشبمة^(٤) الخأخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف^(٥) المشي ،
مكسال الضحاح^(٦) ، بضة^(٧) التجرد ، سموعاً للسيد ، ليست بمخفساء^(٨) ولا سقماء^(٩) ،
رقية الأنف ، عزيزة النفر ، لم تُفد في بؤس ، حبيبة رزينة ، حليلة ركنية ،
كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جحاح
قبيلتها ، قد أحكمها الأمور في الأدب ، فرأيتها رأياً أهل الشرف ، وعملها عمل أهل
الحاجة ، صغاع الكفنين ، قطيعة^(١٠) اللسان ، رهوة^(١١) الصوت ساكنته ،
تزين الولي ، وتشين العدو (١٢) .

ولما قرأ زيد هذه العفة على النعمان شق عليه ، وقال لزيد ، والرسول يسمع :
أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد
بالفارسية : ما لها والعين ؟ فقال له بالفارسية : « كاوان » أى البقر ؟ فأمسك الرسول ،
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم
يكتب إليك به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك
ليس عندي ، وقال لزيد : اعذرني عند الملك .

فمادا إلى كسرى ، فقال زيد للرسول الذى قدِم معه : اهدق الملك عما سمعت ،
فانى سأحدثه بمثل حديثك ، ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى قال زيد :

(١) لقاء : ضخمة الفخذين مكتنزة (٢) الماكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين
(٣) مفممة الساق : ممتلئها (٤) كناية عن السمس (٥) وصف من القفاف ، وهو تقارب
الخطو (٦) المكسال : المرأة التى لا تكاد تخرج مجلسها ، وهو مدح عندهم (٧) البضة :
الناحمة (٨) الخنس : قريب من القطس (٩) السفع : السواد (١٠) ليست سليطة
(١١) رهوة : رقيقة (١٢) حذفت بعض العبارات المستهجنة .

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنت خبرتنى به ؟ قال : كنتُ خبرتكُ بضئتهمُ بنسائهم على غيرهم ، وإنَّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والمرى على الشمع والرياش ، وإيثارهم السَّوم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم ليسمونها السَّجن ، فسل هذا الرسول الذى كان معي عما قال ، فإني أُكرِّمُ الملك عن مُشافهته بما قال ، وأجاب به . فقال للرسول : وما قال ؟ فقال الرسول : أيها الملك ؛ إنه قال : أما في بقر السَّواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ؟ فُتْرِفَ الغضبُ في وجهه ، ووقع في قلبه ما وقَّعَ ، ولكنه لم يزد على أن قال : رَبِّ عَبْدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ، ثم صار أمره إلى التَّيباب .

وشاع هذا الكلامُ حتى بَلَغَ النُّعمانُ ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمانُ يستعدُّ ويتوقَّع ، حتى أتاه كتاب كسرى : أن أقبل ، فإن للملك حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه ، وما قوَّى عليه ، ثم لحق بجيكتى طيبي^١ ، وكان متزوجاً إليهم^(١) ، فأراد النعمانُ طيئاً على أن يَدْخُلوه الْجَبَلَيْنِ ويمنعوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، وقالوا له : لولا صهرُك لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به .

٤

فأقبل يطوفُ على قبائل العرب ليس أحدهم منهم يقبله ، غير أن بنى رَوَاحَةَ

(١) كانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وكذلك كانت عنده زينب بنت أوس ابن حارثة .

ابن قُطَيْمَةَ بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا مملك - لِنَتَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُمْ . قال :
مَا أَحِبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرِي .

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ فِي ذِي قَارٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ ^(١) سَرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ ^(٢)
الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا - فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ لَزِمَنِي ذِمَّتُكَ ، وَأَنَا
مَانِعُكَ مِمَّا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي مِنْهُ ، مَا بَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِي الْأَذْنَيْنِ رَجُلٌ ، وَإِنْ
ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِكَ ، لِأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ ، لَسْتُ أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ
لَأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مُجَاوَرَتِي ، وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ . فَقَالَ : هَاتِنِي ، فَقَالَ : إِنْ كُلَّ
أَمْرٍ يَحْمِلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمَلِكِ سُوقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ
بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَئِنْ تَمَوْتَ كَرِيمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَجَرَّعَ الدُّلَّ أَوْ تَبْقَى سُوقَةً بَعْدَ الْمَلِكِ ،
هَذَا إِنْ بَقِيتَ ؟ فَاغْضُ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا ، وَأَلْقِ بِنَفْسِكَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ صَفَّحَ عَنْكَ فَمَدَّتْ مَلَكًا عَزِيزًا ، وَإِنَّمَا أَنْ أَصَابَكَ فَالَوْتُ خَيْرٌ مِنْ
أَنْ يَتَلَبَّ بِكَ صَعَالِيكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفَكَ ذُنَابُهَا ، وَتَأْكُلَ مَالَكَ وَتَعِيشَ فَقِيرًا
مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَقْهُورًا . فَقَالَ : كَيْفَ مَجْرَعِي ؟ قَالَ : هُنَّ فِي ذِمَّتِي لَا يُخْلَصُ
إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُخْلَصَ إِلَى بَنَاتِي . فَقَالَ : هَذَا وَأَيُّكَ الرَّأْيُ الصَّحِيحُ وَلَنْ أَجَاوِزَهُ .

ثُمَّ اخْتَارَ النِّعْمَانَ خِيَلًا وَحُلَلًا مِنْ عَصَبِ ^(٣) الْيَمَنِ ، وَجَوْهَرًا وَطُرْقًا كَانَتْ عِنْدَهُ ،
وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى كَسْرِي ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ ، وَيُعْلِمُهُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَوَجَّهَ بِهَا

(١) شَيْبَانَ : بَطْنٌ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ (٢) وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ لَمْ يَدْرِكْ هَذَا
الْأَمْرَ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَانِيُّ بْنُ قَيْصَةَ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ مَسْعُودٍ (٣) الْعَصْبُ : نَوْعٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ يُعَصَّبُ
غَزْلُهُ ، أَيْ يَشَدُّ وَيَجْمَعُ ثُمَّ يُصْبَغُ وَيُنْسَجُ .

مع رسوله ، فقبِلَها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فماد إليه الرسولُ فأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

فضى إليه بعد أن استودع هانيُ بن مسعود حَلَقَتَه وأهله وولده وألفَ شِكَّةً^(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن^(٢) لقيه زيدُ بن عديّ على قنطرة سَابَاط^(٣) ، فقال له : انجُ نَعِمَ إن استعلت النجاء . فقال له : أفصَلتَها يا زيدُ ؟ أما والله لئن عشتُ لك لأقتلكَ قِتْلَةً لم يُقتلها عَرَبِيٌّ قطَّ ؛ ولأُحِقَّكَ بِأبيك . فقال له زيد : امضِ لِسَأْنِكَ نَعِمَ ، قد أُخِيتُ لك أُخِيَّةً^(٤) لا يَقْطَعُهَا المهر الأَرْن^(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعثَ إليه فقيده وبعث به إلى سِجْنٍ^(٦) كان له . فلم يَزَلْ به حتى وقع الطاعون هناك ، فمات فيه^(٧) .

(١) الشكَّة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وصماها باسمه ، فسببت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز (٤) الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها القابة (٥) الأرن النشط (٦) وفي رواية لابن الكلبي : ألفاه تحت أرجل القيلة فوطئته حتى مات (٧) ولما نهي إلى النابغة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمثّل :

من يطلب الدهر تتركه مغالبه	والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى نجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على محمد سراتهم	بالتافئات من النبل المصاييب
لأن وجدت سهام الموت معرضة	بكل حتف من الآجال مكتوب

ورثاه زهير بن أم سلمى فقال :

ألم تر للثمان كان بنجدة	من الفر لو أن أمراً كان باقياً
فلم أر مغذولا له مثل ملكه	أقل صديقاً أو خبيلاً موافياً
خلا أن حيا من راحة حافظوا	وكانوا أناساً يتقون الخازيا
فقال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم توديع ألا تلاقيا

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وبعث إليه : أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هاني ابن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذرية . فبعث إليه هاني يقول : إن الذي بلفك باطل ، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أجد رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه إياها ، ولن يسلم الحر أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد .

فلما منها هاني غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تغير في السواد^(١) ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلًا وطعمة على أن يضمن له بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ، فأقطعه الأبل^(٢) وما والآها ، وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك ، فكانت له حجرة^(٣) فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نُجرت ناقة أُقيدت أخرى .

فكان يأتيه من أناه من بكر فيعطيه جلة^(٤) تمر وكر باسة^(٥) ، حتى إذا قدم الحارث بن ولة والمكسر بن حنظلة أعطاها جلتي تمر وكر باستين ، ففضبا وأيا أن يقبلا ذلك منه ، وخرجا واستفويا ناساً من بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد .

(١) السواد : ما حوالى القبة من القرى (٢) الأبل : بلد على شاطئ دجلة البصرة
(٣) الحجرة : حظيرة للإبل (٤) الجلة : وعاء من خوص يكثفه التمر (٥) الكرباسة : ثوب من قطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَنَقُهُ عليهم، وأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأبلة وقال له : لقد غَرَرْتُني من قَوْمِكَ ، وزعمتَ أنك تكفينهم ، وأمر به فحُبِسَ في سِباط .

ثم أرسل إلى إياس بن قبيصة ، واستشاره في الفأرة على بَكْرٍ فقال له : ماذا ترى ؟ وكَمْ ترى أن تُفْزِهِم من الناس ؟ فقال له إياس : إن المَلِك لا يصلح أن يَمْسِيهِ أَحَدٌ من رَعِيَّتِهِ ، وإن تُطْعَمَني لم تُعَلِّم أَحَدًا لَأَيِّ شَيْءٍ عَبَرْتُ وقطعت الفرات ، فيروا أن شيئًا من العرب قد كَرَبَكَ ، ولكن ترجع وتضرب فهِم ، وتبث عليهم العيون حتى ترى غِرَّةَ منهم ، ثم ترسل حَلْبَةَ^(١) من المِجَم فيها بعضُ القبائل التي تَلِيهِم ، فيؤْتَمُون بهم وقعة الدهر ، ويأتونك بطَلَيْتِكَ .

فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكر بن وائل أخوالك ؟ فانت متمصَّبٌ لهم ، ولا تألوهم نُصْحًا . فقال إياس : رأى المَلِك أفضل .

فقام إليه عمرو بن عدى بن زيد العبادى - وكان كاتبه وترجمانه بالمرية وفي أمور العرب - فقال له : أقم أيها الملك ، وابعث إليهم بالجنود يكفوك .

وكان عنده النعمان بن زرعة التغلبي - وهو يحبُّ هلاكَ بَكْرٍ ؟ فقال لكسرى : يا خيرَ الملوك، أذلك على عدوِّ يطلبهم، وعلى غِرَّة بكر ؟ قال : نعم . قال : أمهلنا حتى نَقِيط ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء ، يقال له ذوقار تساقط الفِراش في النار؛ فأخذتهم كيف شئت، وأنا عندك إلى أن أ كفيكمهم ، ومع ذلك فإن مُطالِبهم في ذلك الوقت كثير ، وذلك مما يؤمن كيدهم ويكون أسير على الملك هلاكهم .

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل لجميع السباق أو الفأرة .

فواقفه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاطوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو^(١)
حنو ذي قار.

٦

ولما بلغ كسرى، نزولهم عقد للنعمان بن زُرعة على ثَقَلَب والنمر، وعقد لخالد بن
يزيد البهراني على قُصَاعَة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على العرب، ومعه كتيبتاه
الشهباء والدوسر^(٢). فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز^(٣) على ألف من
الأساورة، وعقد لخنَّازين على ألف، وبعث معهم باللطيمة. وقد كانت تخرج من
المراق فيها البرّ والعطر والألنطاف توصلُ إلى بأذان عامل كسرى باليمن - وأمر عمرو
ابن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفّروهم وتُجيرهم حتى تبلغ اللطيمة
اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودّخوا منها أن يبعثوا النعمان بن
زُرعة يُخَيِّرهم بين ثلاث خصال: إما أن يعطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملك بما شاء،
وإما أن يمرّوا الديار، وإما أن يادّخوا بحرب.

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك بيني تميم يوم الصَّفَّة^(٤)، فالعرب وجلة خائفة
منه، وكانت هند بنت النعمان في بني سنان، فلما علمت بمسير جُمُوع كسرى قالت
مُنْذِر العرب:

ألا أبلغ بني بكر رسولا فقد جدّ النفير بمنفقير^(٥)
فليت الجيش كلهم فداكم ونفسي والسرير وذا السرير

(١) هو من ذي قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر: كتيبتان حربيتان، كان قد
جعلهما يزدرج ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده، وكان رجال الشهباء من
الفرس؛ ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على سلحة كسرى بالسواد
(٤) انظر يوم الصَّفَّة ص ٢ (٥) المنفقير: الداهية.

كَانِي حِينَ جَدَّ بِهِمْ إِلَيْكُمْ مَمْلَقَةُ الذَّوَابِّ بِالْمَبُورِ^(١)
فَلَوْ أَنِّي أَطَقْتُ لَذَاكَ دَفْعًا إِذَا لَدَفَعْتُهُ بَدَمِي وَزِيرِي^(٢)

فلما بلغ الخبر بَكْر بن وائل سَارَ هَانِي^٣ بن مسمود حتى انتهى إلى ذِي قَار، فنزل به ، وأَقْبَلَ النِّعْمَانُ بن زُرْعَةَ حتى نَزَلَ على ابن أُخْتِهِ مَرَّةً بن عمرو ، فحمد الله النِّعْمَانُ وأثنى عليه ثم قال : إنكم أخوالى وأحد طرفي ، وإن الرَّاثِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد أَنَا كَمَ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَخْرَارِ فَارَسَ وفُرْسَانَ الْعَرَبِ ، وَالسَّكَيْتَانِ : الشَّهْبَاءُ وَالذَّوْسَرُ ؛ وَإِنْ فِي الشَّرِّ خِيَارًا ، وَلَآنَ يَفْتَدِي بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَصْطَلَمُوا^(٤) ؟ انظروا هَذِهِ الْحَلَقَةَ فَادْفَعُوهَا ! وَادْفَعُوا رَهْنًا مِنْ أَبْنَائِكُمْ بِمَا أَخَذَتْ سَفَهَاؤُكُمْ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا .

٧

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ بَكْرِ . وَبَرَزُوا يَبْطَحَاءَ ذِي قَارَ بَيْنَ الْجَلْهَتَيْنِ^(٥) :
وَأَخَذُوا يَرْتَقِيُونَ^(٦) مِنْ يَأْتِي مِنْ قِبَائِلِ بَكْرِ ؛ لَا تَرْفَعُ جَمَاعَةٌ إِلَّا قَالُوا سَيِّدُنَا فِي

(١) المَبُورُ : نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ بِلِ الْجُوزَاءِ . (٢) الزَّيْرُ : مَا اسْتَحْكَمَ فَتَلَهُ مِنَ الْأَوْتَارِ .
(٣) تَصْطَلَمُوا : تَتَأَصَّلُوا وَيَتَبَدَّوْا . (٤) جَلْهَةُ الْوَادِي : مَقْدَمُهُ وَمَا اسْتَفْلِكَ مِنْهُ
وَانْسَجَ لَهُ . (٥) رَوَى فِي الْأَغَانِي : أَنَّ مَرْدَاسًا السُّلَمِيَّ كَانَ مُجَاوِرًا فِي بَكْرِ يَوْمَئِذٍ ، فَلَمَّا رَأَى
الْجَبُوشَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ حَمَلَ عِيَالَهُ وَخَرَجَ عَنْهُمْ وَأَنْشَأَ يَحْرَضُهُمْ :

بَلَغَ سِرَاتِ بَنِي بَكْرِ مَفْطَلَةً لَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ سَرِيَّةَ الْوَارِي
السَّرِيَّةِ : الْجَمَاعَةُ يَغْتِيرُونَ . وَالْوَارِي : الْمُتْلِبُ .

لَأَنِّي أَرَى الْمَلِكَ الْهَامِرَ مِنْصَلَّتًا يَرْجُو جِيَادًا وَرَكْبًا غَيْرَ أَعْيَارٍ
الْمِنْصَلْتُ : الْمَسْرَعُ ، وَالْأَعْيَارُ : جَمْعُ عَيْرٍ وَهُوَ الْحِمَارُ .

لَا تَلْفُظُ الْبَحْرَ الْحَوْلَى نَوْتَهُمْ لِلْجَائِزِينَ عَلَى أَعْطَانِ ذِي قَارَ
الْأَعْطَانُ : مَبَارَكُ الْإِبِلِ .

فَإِنْ أَيْتَمَ فَإِنِّي رَافِعُ ظَمْفِي وَمَنْشَبٌ فِي جِبَالِ الْوَبِّ أَظْفَارِي
الْوَبُّ : هَمُّ النَّوْبِ ، وَهَمُّ جَبَلٍ فِي السُّودَانِ .

وَجَاعِلٌ بَيْنَنَا وَرَدًّا غَوَارِبَهُ تَرَى إِذَا مَارَا الْوَادِي بَقْيَارَ
رَبَا : ارْضَعْ ، وَ « وَرَدًّا غَوَارِبَهُ » أَرَادَ الْبَحْرَ .

هذه ؟ فرُفِعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا في هذه ، فلما دَنَوْا إذا هم بعبد عمرو بن بشر ابن مَرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أخرى، فقالوا: سيدنا في هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليَشْكُري ، فقالوا : لا . فرُفِعت أخرى، فقالوا : في هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعله بن المجالد الذَّهلي ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا ؟ فإذا فيها الحارثُ بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رفعت لهم أخرى أكبرُ مما كان يحسُّ فقالوا : لقد جاء سيدنا ، وإذا رجل أصْلَعُ الشعر ، عظيمُ البطن ، مُشربٌ حمرة ، هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار المِجْلِي ؛ فقالوا : يا أبا مَعْدَان قد طال انتِظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أُمراً دونك ، وهذا ابنُ أُختك قد جاءنا ، والرَّائد لا يَكْذِبُ أهله ، وهذا هانيُ بن قبيصة بهم بركوب الفلاة ، ويقول لنا : لا طاقةَ لكم بمجموع الملك^(١) . قال حَنْظَلَةُ : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم واتفقَ عليه مَلؤُكم^(٢) ؟ قالوا : إنَّ اللّٰهَ^(٣) أهون من الوهي ؛ وإن في الشرِّ خياراً ، ولأنَّ يفتدَى بعضنا بعضاً خيراً من أن نصطَلَمَ جميعاً .

فقال حنظلة : فَبَحَّ الله هذا رأياً ! لا تَجِرْ أحرارُ فارس أرجلها بِيَطْحَاءِ ذِي قَارِ وأنا أَسْمَعُ هذا الصَّوْتِ ، ثم أمر بُلْبُتَه فُضِرَتْ بوادي ذِي قَارِ ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غيرَ القتال ؛ فإنَّا إن ركبنا الفلاةَ مِتْنَا عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسَبِّي ذرارينا . ثم قال لهانيُ بن مسمود : يا أبا أُمَامَةَ ؛ إن دِمَتَكُمْ دِمَتُنَا عامَّةً ، وإنه لن يُوصَلَ إليك حتى تَفْسِي أرواحنا ، فأخرج هذه الحلقة ففرَّقها بين قومك ؛ فإن تظفر فتدُّ عليك ، وإن تهلك فأهونُ مَفْقُود .

(١) قال في العقد الفريد : لم تر من هانيُ سقطة قبلها (٢) الملا : جماعة القوم

(٣) اللّٰه : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك

فَأَمَرَ بِهَا هَانِيٌ فَأُخْرِجَتْ وَفُرِّقَتْ فِي الْقَوْمِ . ثُمَّ التَفَتْ حَنْظَلَةُ إِلَى النِّمَانِ وَقَالَ : لَوْلَا أَنْكَ رَسُولٌ لَمَا أَتَيْتَ إِلَى قَوْمِكَ سَالِمًا ، فَرَجَعَ النِّمَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْقِتَالِ ، وَبَكَرَ يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَرْبِ ^(١) .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْبَلَتِ الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى تَمْيِيَةٍ ^(٢) ، وَمَعَهُمُ الْجُنُودُ وَالْأَفْيَالُ عَلَيْهَا الْأَسَاوِرَةُ ؛ وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي شَيْبَانَ رَيْمَةَ بِنْتُ غَزَالَةَ السَّكُونِي ثُمَّ التَّجِيبِي هُوَ وَقَوْمُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي شَيْبَانَ ؛ أَمَّا إِنِّي لَوْ كُنْتُ مِنْكُمْ لَأَثَرْتُ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مِثْلِ عُرْوَةِ الْعِلْمِ ^(٣) ، فَقَالُوا : أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْ أَوْسَطِنَا فَأَثِرْ عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ : لَا تَسْتَهْدِفُوا لِهَذِهِ الْأَعَاجِمِ ، فَهَلَكُكُمْ بِنُشَابِهَا ^(٤) ؛ وَلَكِنْ تَكْرَدُّسُوا كِرَادِيسٍ ^(٥) ، فَإِذَا أَقْبَلُوا عَلَى كِرَدُّوسٍ شَدَّ الْآخِرَ ، فَقَالُوا : قَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا .

٨

وَلَمَّا تَقَارَبَ الرَّحْفَانُ قَامَ حَنْظَلَةُ بْنُ ثَمَلَةَ فَقَالَ : إِنَّ النُّشَابَ الَّذِي مَعَ الْأَعَاجِمِ يُفَرِّقُكُمْ ، فَإِذَا أَرْسَلُوهُ لَمْ يَخْطِئْكُمْ ؛ فَمَا جُلُومُ اللَّقَاءِ ، وَابْدُءُوهُمْ بِالشَّدَةِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى وَضِينٍ ^(٦) رَاحِلَةً أَمْرَأَتُهُ فَقَطَعَهُ ، ثُمَّ تَلَبَّعَ الظَّمْنَ يَقْطَعُ وَضُنْهِنَّ ^(٧) ، فَسَقَطْنَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : لِيُقَاتِلْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ حَلِيَّاتِهِ . ثُمَّ ضَرَبَ قَبَةَ عَلَى نَفْسِهِ بِيَطْحَاءِ ذِي قَارٍ ، وَآلَى لَا يَفِرُّ حَتَّى تَفِرَّ الْقَبَةُ . وَقَطَعَ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ شَيْبَانَ أَيْدِي أَقْبِيَّتِهِمْ مِنْ مَنَاكِبِهَا لِتَخَفَّ أَيْدِيَهُمْ لَضَرْبِ السِّیُوفِ . وَقَامَ هَانِيٌ ^(٨) بَنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : « يَا قَوْمُ مَهْلِكٌ مَقْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَجَاءٍ مَعْرُورٍ ^(٩) وَإِنْ الْحَذَرُ لَا يَدْفَعُ الْقَدَرَ ، وَإِنْ

(١) شهدت بكر جميعا هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تميمية : أصله وهما (٣) أي العلم الذي يوفق به وهو يريد الرأي السديد (٤) النشاب : النبل (٥) الكر دوس : قطعة من الخيل (٦) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوض (٨) في الأمالي : هي هاني بن قبيصة الشيباني ، ورواية الأمالي فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : معاب .

الصَّبْرُ من أسباب الغفر ، النِّيَّةُ ولا الدَّيَّةُ ، واستقبال الموت خَيْرٌ من استِدْبَارِهِ ،
والطَّمَنُ في الثَّغَرِ ، أَكْرَمُ من الطَّمَنِ في الدَّيْرِ ، يَقُومُ جَدُّوا فَمَا مِنَْ الْمَوْتِ بَدٌّ ، فَتَحُّ
لَوْ كَانَ لَهُ رَجَالٌ ، أَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أَرَى قَوْمًا ، وَيَا آلَ بَكْرٍ شَدُّوا وَاسْتَعِدُّوا ، وَإِلَّا
تَشَدُّوا تُرَدُّوا .

وقام شريك بن عمرو بن سراحيل فقال : يا قوم ، إِنَّمَا تَهَايُونُهُمْ أَنْكُمْ تَرَوْنَهُمْ عِنْدَ
الْحِفَاطِ أَكْثَرَ مِنْكُمْ ، وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ ، فَإِنَّ الْأَسِنَّةَ تُرَدِّي
الْأَعِنَّةَ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَدْ مَا ^(١) قَدْ مَا !

وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل ^(٢) :

إِنْ تَهَزُّمُوا نَمَاتِقَ وَنَقَرِشُ النَّمَارِقِ ^(٣)

أَوْ تُهَزِّمُوا نَفَارِقَ فِرَاقَ غَيْرِ وَاثِقِ

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قَدْ جَدَّ أَشْيَاعُكُمْ فِجْدُوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا مُؤَدِّ ^(١) جَلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَعُرْدُ ^(٥) مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلْتُ أَجْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنْ النَّايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هَذَا مُعْمَرٌ حَيَّهَ أَلَدُّ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرْدُ

حَتَّى يَمُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ فَاسْتَبَدُّوا

نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

(١) أَي تَدْمُوا (٢) عَجَل : بَطْنٌ فِي شَيْبَانَ (٣) النَّمَارِقُ : جَمْعُ نَمْرَقَةٍ ، وَالنَّمْرَقَةُ الْوَسَادَةُ
الصَّغِيرَةُ ، أَوْ الْمِثْرَةُ ، أَوْ الْطَنْفَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ (٤) مُؤَدِّ : ذُو أَدَاةٍ مِنَ السَّلَاحِ تَامَةٌ ، أَيْ
لَا عِزْلَى (٥) عَرْدٌ : شَدِيدٌ .

من فر منكم فر عن حريمه وجاريه وفر عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه إن الشراك قد من أديمه^(١)
وكأهم يجرى على قديمه من قارح الهجنة أو صميمه^(٢)

وقال عمرو بن جبلة اليشكري :

يا قوم لا تفرركم هذى ايلحرق ولا وميض البيض في الشمس يرق
من لم يقاتل منكم هذا المنق^(٣) فجنبوه الراح واسقوه المرق
ووقف الجيشان متقايين ، فكانت بنو عجل في اليمنة بإزاء خنازين وعليهم
حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز ، وعليهم بكر بن يزيد
ابن مسهر ، وأفناء بكر في القلب وعليهم هاني بن مسمود ، فخرج أسوار من الأعاجم
في أذنيه درّتان من كتيبة الهامرز يتحدّى الناس للبراز ، فنادى في بني شيان فلم
يبرز إليه أحد ، حتى إذا دنا من بني يشكر برّز له يزيد بن حرثة ، فشد عليه بالرمح
فعاثنه ودقّ صلبه ، وأخذ حليته وسلاحه^(٤) .

وخرج الهامرز يذهب إلى البراز فخرج إليه الحوفزان^(٥) فقتله . وفي ذلك الحين
أرسلت إباد - وكانت في جيوش كسرى - سرا إلى بكر ، وقال رسولهم : أي الأمرين

(١) الشراك : سير التعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ (٢) القارح : الحصان ،
والهجين : عربي ولد من غير عربي (٣) المنق : الجماعة وهو مذكر (٤) وذلك قول سود بن
أبي كاهل يفنخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم فلم تهزبه الرزبات المعمر
تحرى : تازع القلبة

وبارزه منا غلام بصارم حاسم إذا لاق الضريبة يتر

الضريبة : ما ضربته بالسيف

(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم ؛ أن فطيرَ تحتَ لَيْلَتِنَا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تُلاقون القوم قالوا : بل تقيمون ؛ فإذا التقى الناسُ انهزمُ بهم .

وقال يزيد بن حمار السَّكُونِي - وكان حليفاً لَشَيْبَانَ - أطيعوني واكْمُنُوا لهم كَمِينًا ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأسهم ، وكمُنُوا في مكان يقال له الخبيء واجتَلَدُوا ، وحملت مَيْسِرَةُ بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت مَيْمَنَةُ بكر وعليها يزيد ابن مسهر على مَيْسِرَةِ الجيش ، وخرج عليهم الكمينُ من الخَبِيءِ وعليهم يزيد بن حمار ، فشدُّوا على قَلْبِ الجيش ، وولَّتْ إِيَادُ مُنْهَزِمَةٍ كما وَعَدَتْهُمْ ؛ وانهزمت الفرس ، وتبعتهم بكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرْعَةَ فَأَهْوَى لَهُ طَمَعًا ، فسبقه النعمان بصدرِ فرسه فَأَفْلَتَهُ^(١) ، ولكن أسود بن بجير المعجلي وضع يده في يده ، ثم جَزَّ ناصيته ، وخلَّى سبيله .

ثم اتبعت بكر الفُرسَ وأَخْلَافَهُمْ من العرب يقتلونهم بقيةَ يومهم وليتهم حتى أَصْبَحُوا من الند وقد شارفوا السَّوَادَ ، ودخلوه في طلب القوم .

أما إياس بن قبيصةَ فكان أَوَّلَ مَنْ انصرفَ إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزعَ كَتِفِيهِ ؛ فلما أتاه إياسُ سألَه عن الخبر فقال : هَزَمْنَا بكر بن وائل ، فَأَتَيْنَاكَ بنسائهم ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه إِيَاسُ فقال : إن أخى قيس بن قبيصةَ مريضٌ بين التمر فأردت أن آتيه^(٢) ، فأذن له

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى لطمان شهدتها فأغرقت فيها الرمح والجمع محجم
وأفلتني النسمان فوت رماحنا وفوق فطاة المهر أزرقت لهنم
القطاة : موضع الردف من العاية ، والهدم : كل شيء من سنان أو سيف قاطع .
(٢) قال ذلك ليتخى عنه .

كسرى، فركب فرسه الحَمَامَةَ^(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوَرَنَق فسأل : هل دخلَ على الملك أحد ؟ فقليل : نعم، إياس، فقال: نَسَكْتَ إياساً أمه ، وظن أنه قد حدثته الخبر ، فدخل عليه وحدثه بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمرَ به فَنَزِعَتْ كَتَفَاهُ .

١ — وفي ذلك اليوم^(٢) يقول أَعَشَى قَيْسٌ مُفْتَخِرًا :

أَمَّا تَيْمٌ فَقَدْ ذَاقَتْ عِدَاوَتَنَا وقيسُ عيلانُ مسَّ الْخِزْيُ وَالْأَسْفُ
وجندُ كسرى غداةَ الْحِنُو صَبَّحَهُمْ منا غَطَارِيفُ تَرْجُو المَوْتَ وانصرفوا
لَقُوا مُلْكَمَةً^(٣) شَهْبَاءَ يقدِّمُهَا للموت لا عَاجِزٌ فيها ولا خَرَفُ^(٤)
فَرعَ نَمَتِهِ فروعٌ غيرُ ناقصةٍ موفَّقٌ حازمٌ في أمره أَرْفُ^(٥)
فيها فوارسُ محمودٍ لقاؤُهُمْ مثل الأَسَنَةِ لا مِيلٌ ولا كُشْفُ^(٦)
يَبِضُ الوجوهِ غداةَ الرُّوعِ تحسبهم جَنَّانٌ عَيْنُهَا الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(٧)

(١) لهذه الفرس خبر ذكره صاحب الأعاني ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لا يأس ثم أودعها عند رجل من تيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد إياس أن يفرق قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يميز رجلاً أو يذله ، وما كنت لأقطع رحمه فيها ، فقال إياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها دخيس دواء لا أضيع غزاها
دخيس : صينة ، والدواء : تسجين الفرس

فأعددتها كفتاً لكل كربة إذا أقبلت بكر تحرر شاها

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل في هذا اليوم من الشعر (٣) كتيبة مملومة ومملعة : مجموعة مضموم بعضها إلى بعض (٤) خرف الرجل : فسد عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأتى خرفة (٥) الجمل الأنف الذلول المؤاني الذي يأنف من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عفواً سهلاً ، قال في اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه ، كأنه متكشف هير مستور (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لما رأونا كشفنا عن جاجنا ليملوا أننا بكرٌ فينصرفوا
قالوا: البقية^(١)، والهندى يحصدُهم ولا بقية إلا السيف فانكشفوا
لو أن كلَّ معدٍ كان شاركنا في يوم ذى قار ما أخطأهم الشرفُ
لما أتونا كأنَّ الليلَ يقدمهم مُطَبِّقُ الأرض تَفْشَاهَا^(٢) بهم سُدفُ
بطارق وبنو ملكٍ مَرَاذِبُهُ من الأعاجم في آذانها النطفُ^(٣)
من كلِّ مَرَجَانَةٍ في البحر أحرزها تيارُها ووقاها طينها الصدفُ
وظعننا خلفنا تجرى مدايمها أ كبادُها وجَلَّأ مما ترى تجفُ^(٤)
كأنَّما الآلُ في حافاتِ جَمِيعِهِمْ والبيض برقَ بدَا في عَارِضِ بَكْفُ
يحسِرُن عن أوجه قد عاينتِ عبراً ولاحها عبْرَةُ ألوانها كِسْفُ^(٥)
ما في الحدودِ صدورٌ عن وجوههم ولا عن الطمن في اللَّبَّاتِ مُنَحَرَفُ
لما أمالوا إلى النَّشَابِ أيديهم ملنا بيضَ فظلَّ الهامُ يُقْتَطِفُ^(٦)
وخيل بكرٍ فانتفكَّ تَطَحُّنُهُمْ حتى تولَّوا وكاد اليومُ يَنْتَصِفُ^(٧)

٢ — وقال يمدح بنى شيبان :

فَدَمَى لَبْنِي ذُهْلُ بْنُ شَيْبَانَ نَاقَتِي وراكبُها يومَ اللِّقَاءِ وَقَاتِ
كَفُّوا إِذْ أَتَى الْهَامَرُزُ تَحْفَقُ^(٧) فَوْقَهُ كَظَلَّ الْعَقَابُ إِذْ هَوَتْ فَخْدَتِ
أَذَاقُوهُمْ كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَدَخَتْ^(٨) فَرَسَانُهُمْ وَأَذَكِ

(١) العرب تقول للعدو إذا غلب : البقية : أى ابغوا علينا ولا تستأصلونا ، وفي اللسان : قالوا
البقية والخطى يأخذهم (٢) في الديوان : تفشاهما لم (٣) النطف : الأفرط وفي رواية : العنف
(٤) تجف : تضرب (٥) قطعاً ، أى أن ألوانها مختلفة (٦) رواية القيد : ملنا بيض لمل
الهام تحتطف (٧) في الديوان : تحنف ، والحنف : الليل (٨) بدخ : تناول وتكبر ،
وفخر ، وعلا ، وبدخ : البحر : اشتد هديره فلم يكن فوقه شيء .

فصبتهم بالحنوِ حنورِ قُراقرِ
وذى قارها منها الجنود فقلت^(١)
على كل محبوبك^(٢) السراة كأنه
عقاب سرت من مرّقب إذ نلت^(٣)
فجاءت على المامرّز وسط بيوتهم
شأيب موت أسبلت فاستهأت
تناهت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم
فوارس من شيبان غلب فوكت

٣ — وقال أبو عبيدة : سئل أبو عمرو بن الملاء ، وقد تنافر إليه مجلى ويشكرى ؛
فزعم المجلى أنه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى ومجلى ، وقال يشكرى : بل
شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم ، فقال أبو عمر : قد فصل بينكما التغلبى حيث يقول :
ولقد رأيت أخاك عمراً مرة يقضى وضيئيه بذات المجرم^(٤)
في غمرة الموت التى لا تشكى غمرايتها الأبطال غير تغمم
وكأنما أقدامهم وأكفهم سرب^(٥) تساقط فى خليج مغمم
لما سمعت دعاء امرأة قد علّا وأتى ربيعة فى العجاج الأقم
وعلم يمشون تحت لوائهم واللوت تحت لواء آل علم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم فى كل سابتة كلون العظيم^(٦)

(١) روى هذا البيت فى اللسان :

وم ضربوا بالحنو حنور قرار
مقدمة المامرّز حتى تولت

قال : وصواب انشاده : ثم ضربوا ، وهذه هى رواية الديوان ؛ ورواية النفاذ أيضاً .

(٢) فى الديوان : مجبول ، والتصحيح عن اللسان (٣) فى اللسان : عقاب سرت من مرّقب
وتملت (٤) يقاب وضمت عند فلان وضمة ، وفى التهذيب وضياء ، أى استودعته ودبى ،
ويقال للودبة وضيع . والمجرمة شجرة من المضاة فليظة عظيمة لها عقد كعقد الكلاب تتخذ
منها القسي ، والجمع هجرم يضم العين والراء وكسرهما ، قال العجاج يصف المطايا :

* نواحلا مثل قسي المجرم *

(٥) السرب بالحريك : الماء السائل (٦) العظيم : عمارة شجر لونه كالليل أخضر للى الكدرة ،
والعظم أيضاً : صبيح أحر .

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شاكٍ مُعلم
وسمعت يشكرُ تُدعى بِحبيب^(١) تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشّت أسدُ العرين يوم نحسٍ مُظلم
والجمعُ من ذهل كأن زهاءم^(٢) جُرب الجمال بقودها ابنًا قشعم
والخيلُ من تحت العجاج عوايساً وعلى مناسيجها^(٣) سعائبُ من دم

٤ - وقال العدیل بن الفرج المجلی :

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لكرمةٍ إلا اضطلّينا وكُنّا مُوقدى النار
وما يمدّون من يوم سمعتُ به للناس أفضل من يوم بنى قار
جثنا بأسلابهم والخيْلُ عابسةٌ لما استلبنا لِكسرى كل إسوار^(١)

٥ - وقال أبو كلبة التيمي :

لولا فوارسُ لا ميلٌ ولا عُزْلُ^(١) من اللهازم^(٢) ما فظنم^(٣) بنى قار
إن الفوارسَ من عجلهم أنفوا من أن يُخنّوا لِكسرى عرصة^(٤) الدار

(١) الحبيب : صاحب ، والحباب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منها

(٢) زهاء الشيء : شغفه ، واحده كجمه ، وأشد ابن الأعرابي :

* دهماً كأن الليل في زهاها *

زهالها : شغوصها ، يصف نخلا يعني أن اجتماعها يرى شغوصها سواداً كالليل

(٣) اللسج بكسر الليم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهزة وضمها : قائد القرس ، وقيل : هو الجيد الرى بالسهم ، وقيل : هو الجيد اثبات على ظهر القرس ، والجمع أساور وأساور (٥) الأمل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو الذي لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والغزل : الذي لا سلاح معه (٦) اللهازم : بنو تيم الله بن ثعلبة (٧) في بعض الروايات : لقم ، وقاظ الرجل : مات ، وفي مذهب الأغاني : قظم (٨) الرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع الراس والرمسات .

لَا قَوْا فَوَارِسَ مِنْ عَجَلٍ بِشَكَّتِهَا^(١) لَيْسُوا إِذَا قَلَّصْتَ حَرْبُ بَأْغَمَارِ^(٢)
 قَدْ أَحْسَنْتَ ذَهْلَ بَنِ شَيْبَانَ وَمَا عَدَّكَ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ فُرْسَانَ ابْنِ سَيَّارِ
 هُمُ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسَ وَرَادَ بِصُدَّارِ^(٣)

٦ - وقال الأعشى يبيحه^(٤) :

أُبْلَغَ أَبَا كَلْبَةَ التَّمِيمِ مَأْلَكَةً فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ وَاللَّهِ أَشْرَارِ
 شَيْبَانَ تَدْفَعُ عَنْكَ الْحَرْبَ آوَنَةً وَأَنْتَ تَنْبِجُ نَبِجَ الْكَلْبِ فِي الْغَارِ

٧ - وقال الأعشى يلوم قيس بن مسعود :

أَقِيسَ بَنِ مَسْعُودِ بَنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَارِثُ
 أَطُورَيْنِ فِي عَامِ غَزَاةٍ وَرَحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا عَرَفْتَهُ الْقَوَاتِلَ
 لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ - لَوْ كُنْتُ عَالِمًا - قَبَابُ وَفِيهِمْ رَحْلَةٌ وَقَبَائِلُ
 رَحِلْتُ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
 فَمَرَّيْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ كَمَا عَرِيتُ مِمَّا تُنْمِرُ الْمَفَازِلُ
 لَمَلِكٍ يَوْمَ الْجَنُودِ إِذْ صَبَّحَتْهُمْ كِتَابُ مَوْتٍ لَمَّا تَمِظُكَ الْمَوَازِلُ

(١) الشكة : السلاح (٢) رجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحنكه التجارب ،
 وجهه أغمار (٣) رواية النفاض :

نَحْنُ أَنْيَانُ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسَ وَرَادَ بِصُدَّارِ

(٤) وفي النفاض : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال : صدق ، ثم قال متنفراً :

مَنْ تَقَرَّنَ أَصَمٌ بِعَجَلٍ أَعْفَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْحَسَارِ
 فَلَسْتُ بِمَجْصَرٍ مَا قَدْ يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حَوَارَى

٨ - وكتب لقيط الابدی إلى بنی شیان فی يوم ذی قار شعراً یقول فیہ :

قوموا قیاماً علی أمشاط أرجلکم ثم افزعوا ، قد ینالُ الأمن من فزعا
وقلدوا أمرکم ، لله درکم ا رَحَبَ الدراع بأمرِ الحرب مُضْطَلَعَا
لا مُتَرَفَاً إِن رَحَاءَ العیش ساعدہ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوءٌ بِهِ خَشَمَا
مازال یحلبُ هذا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ (١) یكونُ متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرَّ علی شزر مریرته مستحکم الرأی لافحماً (٢) ولا ضرعاً

٩ - وقال بُکَیرُ أصمُّ بنی الحارث بن عباد یمدح شیان :

إن كنت ساقیة الدَّامَةِ أهلها فاستعی علی کرم بنی همام
وأبا ریمعة کلها ومحلماً سبقاً بفاية أمجدِ الأیام (٣)
ضربوا بنی الأحرار يوم لقوهمُ بالشرقی علی مقیل الهام
شدَّ ابن قیس شدَّةً ذهبت لها ذکراً له فی مُعْرِقٍ (٤) وشام
عمرؤوما عمرؤوبقحهم (٥) دالْفٍ (٦) فیها ولا غَیر ولا بُفلام

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أى خیر ضروبه ، یعنی أنه مر به خیره وشره وشدته ورخاؤه تشبيهاً بحلب جمیع أخلاف الناقة ، ما كان منها حفلاً وغیر حفل وداراً وغیر دار (٢) القم : الکبیر من الابل ، قال فی اللسان : ولو شبه به الرجل کان حائراً (٣) فی مذهب الأغاني : بفاية أفضل الأقسام (٤) فی رواية : مغرب (٥) القم : الکبیر من الابل ، ولو شبه به الرجل کان جائراً ، وقال الجوهری : شیخ قم : أى م کبیر (٦) فی الکامل : ولا داله .

٢- أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي:

١- يوم البكرادان

٢- الكلاب الأول

٣- عين أباع

٤- حليمة

٥- اليحاميم

٦- حروب الأوس والخزرج

١ "حرب سمير

٢ " = كعب

٣ " = حاطب

٤ " = يومبعات

٧ - = = سحبل

المشاع
عفا الله عنه

١- يوم البرادان

كان حُجْر^(١) بن عمرو بن معاوية الكندي قد أغار في كِنْدَةَ وريعة على البَحْرَيْنِ فبلغ زياد بن المَبُولَةِ^(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَةَ وريعة وأمواهم ، وهم خُوف^(٣) ، ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحریم والأموال ، وسَبَى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْر ؛ وسمع حجر بنارة زياد فطلبه ، وصَحِبَه من أشرف ربيعة : عَوْف بن عَلم بن ذهل بن شَيَّان ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شَيَّان وغيرها ، فأدركوا عمراً بالبرَدَان ، وقد أَمِنَ الطَّلَب .

فنزل حُجْر في سَفْح جَبَل ، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدَةَ مع حُجْر دون الجبل . فتمجَّل عوف بن عَلم وعمرو بن أبي ربيعة وقالوا لحُجْر : إنا مُتَمَجِّلَان إلى زياد لملنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْف إِخَاء فدخل عليه وقال له : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ^(٤) : ارْدُدْ عَلَيَّ امرأتى أمانة ، فردّها عليه ، وهي حامل^(٥) . ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ؛ ارددْ عليّ ما أخذت من

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن المَبُولَةِ (من قضاة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، ولم يبين الموضع الذي وقع فيه ذلك اليوم .

ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغاني ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بآكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله نبيج ملك اليمن ، ولم يزل ملكاً حتى خرف (٢) كان زياد بن المَبُولَةِ ملكاً على الشام ، وكان من قضاة (٣) الخُوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأَشْدَاد ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يشدها فاستومها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد أناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فرفق بابن أم أناس .

إلى فردّها عليه ، وفيها فَحَلُمَا ، فَنَارَعَهُ الْفَحْلُ إِلَى الْإِبِلِ فَصَرَعهُ عمرو ، فقال له زياد : ياعمرو ؛ لو صَرَغْتُمُ يَا بَنِي شَيْبَانَ الرِّجَالَ كَمَا تَصْرَعُونَ الْإِبِلَ لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ . فقال له عمرو : لقد أُعْطِيتَ قَلِيلًا ، وَصُمِّيتَ جَلِيلًا ، وَجُرَزْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَبِلَا طَوِيلًا ، وَلَتَجِدَنَّ مِنْهُ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أُرْوِيَ سِنَانِي مِنْ دَمِكَ ، ثُمَّ رَكَضَ فَرَسَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ .

فَأَقْبَلَ حَجْرٌ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرُ ، أَرْسَلَ سَدُوسُ بْنُ شَيْبَانَ وَصَلِيحُ بْنُ عَبْدِ غَنَمٍ يَتَجَسَّسَانِ لَهُ الْخَبَرَ ، وَيَمْلِكَانِ عِلْمَ الْعَسْكَرِ ؛ فَخَرَجَا حَتَّى هَجَمَا عَلَى عَسْكَرِهِ لَيْلًا ، وَقَدْ قَسَمَ الْقَنِيمَةُ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ تَمْرًا وَسَمْنًا ، فَلَمَّا أَكَلَ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ فَلَهُ فِدْرَةٌ ^(١) تَمْرٌ ؛ فَجَاءَ سَدُوسُ وَصَلِيحُ بِحَطَبٍ ، فَتَوَلَّاهُمَا تَمْرًا ، وَجَلَسَا قَرِيبًا مِنْ قُبَيْتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلِيحٌ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِعَسْكَرِ زِيَادٍ ، وَأَرَاهُ التَّمْرَ .

وَأَمَّا سَدُوسٌ فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ بِأَمْرِ جَلِيلٍ ، وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ يَتَسَمَّعُ مَا يَقُولُونَ . وَهَذَا امْرَأَةٌ حُجْرٌ خَلْفَ زِيَادٍ ؛ فَقَالَتْ لُزْيَادٍ : إِنْ هَذَا التَّمْرُ أَهْدَى إِلَى حُجْرٍ مِنْ هَجَرَ ، وَالسَّمْنُ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ .

ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَنْهُ ، فَضَرَبَ سَدُوسُ يَدَهُ إِلَى جَلِيسٍ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ غَافَةٌ أَنْ يَسْتَنْكِرَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَدَنَا سَدُوسُ مِنْ قُبَيْتِ زِيَادٍ بِمَحِيطٍ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَدَنَا زِيَادٌ مِنْ هَذَا امْرَأَةِ حَجْرٍ فَقَالَ لَهَا : مَا ظَنُّكَ الْآنَ بِحَجْرٍ ؟ فَقَالَتْ : مَا هُوَ ظَنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَقِينٌ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَنْ يَدْعَ طَلَبَكَ حَتَّى يُطَالِيَ الْقُصُورَ الْحُمْرَ - تَعْنِي قُصُورَ الشَّامِ - وَكَأَنِّي بِهِ فِي فُؤَادٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

(١) فِدْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ : فِدْرٌ مِنْ تَمْرٍ . وَكَانَ ابْنُ الْمُبَوَّلَةِ لَدَى أَصَابِ فِي عَسْكَرِ حَجْرٍ مَا لَا كَثِيرًا .

يَذْمُرُهُمْ^(١) وَيَذْمُرُونَهُ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْكَلْبِ تُزِيدُ شَفَتَاهُ ، وَكَأَنَّهُ بِمِيزِ آكِلِ
مَرَارٍ^(٢) ؛ فَالْتَجَاءُ النَّجَاءُ ! فَإِنْ وَرَاءَكَ طَالِبًا حَيْثُ ، وَجَمْعًا كَثِيفًا ، وَكَيْدًا مَتِينًا ،
وَرَأْيَا صَلِيحًا .

فَرَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا قُلْتَ هَذَا إِلَّا مِنْ عَجَبِكَ بِهِ ، وَحُبِّكَ لَهُ .
فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَبْنَضْتُ ذَا نَسَمَةٍ قَطُّ بُفَضِي لَهُ ، وَلَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْزَمَ مِنْهُ نَائِمًا
وَمُسْتَيْقِظًا ، إِنْ كَانَ لَتَنَامُ عَيْنَاهُ فَبِمَضْنِ أَعْضَائِهِ مُسْتَيْقِظٌ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ
أَمَرَنِي أَنْ أَجْلِسَ عِنْدَهُ عُسًا^(٣) مِنْ لَبَنٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ وَأَنَا قَرِيبٌ^(٤) مِنْهُ
أَنْظَرُ إِلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَ أَسْوَدُ سَالِحٍ^(٥) إِلَى رَأْسِهِ فَنَحَى رَأْسَهُ ، فَقَالَ إِلَى يَدِهِ فَقَبَضَهَا ، فَقَالَ
إِلَى رِجْلِهِ فَقَبَضَهَا ، فَقَالَ إِلَى الْمَسِّ فَنَشَرَهُ ثُمَّ عَجَّ . فَقُلْتُ : يَسْتَيْقِظُ فَيُشْرِبُهُ فَيَمُوتُ
فَأَسْتَرِجِ مِنْهُ ، فَانْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَالَ : عَلَى بِالْإِنَاءِ . فَأَنَيْتُهُ بِهِ ؟ فَشَمَمَهُ ثُمَّ أَلقَاهُ
فَهَرِيقٍ^(٦) ، فَقَالَ : أَيْنَ ذَهَبَ الْأَسْوَدُ ؟ فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُهُ . فَقَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ! وَذَلِكَ
كَلَهُ بِأُذُنٍ سَدُوسٍ ، فَلَمَّا نَامَتِ الْأُخْرَاسُ خَرَجَ يَسْرَى لَيْلَتَهُ حَتَّى صَبَحَ حَجْرًا ، فَقَالَ :
أَتَاكَ الْمُرْجُفُونَ بِرَجْمٍ^(٧) غَيْبٍ عَلَى دَهْشٍ وَجَشْتِكَ بِالْيَقِينِ

(١) ذَمَرَهُ : لَامَهُ وَحَضَهُ وَحَنَهُ (٢) المَرَار : شَجَرٌ مَرَّ إِذَا أَكَلْتَهُ الْإِبِلُ قَلَعَتْ عَنْهُ مَشَافِرَهَا
قِيلَ : سُمِّيَ حَجَرٌ آكَلُ الْمَرَارِ مِنْ يَوْمِئِذٍ . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمِثْرَاءُ فِي اللِّسَانِ : إِنْ ابْنَةُ كَانَتْ لَهُ
سَبَاهًا مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ سَلِيجٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ هُبُولَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَةُ حَجَرٍ : كَأَنَّكَ بَأبَى قَدْ جَاءَ كَأَنَّهُ جَمَلٌ
آكَلُ الْمَرَارِ - بِمَعْنَى كَأَشْرَأَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، نَسَمَى بِفُلْكَ . ثُمَّ أَوْرَدَ سَبِيحًا آخَرَ لَهُذِهِ التَّنْسِيبَةِ (لِسَانٌ -
مَادَّةُ مَهْدٍ) (٣) الْمَس : لِنَاءٌ كَبِيرٌ (٤) هُنَا الْقَفْظُ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْثَنَى وَالْجَمْعُ ، وَفِي
الْمَصْبَاحِ : الْقَرِيبُ فِي الْفَقَةِ مَعْنِيَانِ أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ قَرَبٌ ، فَيَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ ، يُقَالُ زَيْدٌ قَرِيبٌ
مِنْكَ ، وَهَنْدٌ قَرِيبٌ مِنْكَ ، لِأَنَّهُ مِنْ قَرَبِ الْمَكَانِ وَالْمَسَافَةِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ هَنْدٌ مَوْضِعُهَا قَرِيبٌ ، وَمِنْهُ
لِإِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْحُسَيْنِ . وَالثَّانِي قَرِيبٌ قُرَابَةٌ فَيُطَابِقُ ، يُقَالُ هَنْدٌ قُرَابَةٌ ، وَهِيَ قُرَيْبَتَانِ
(الْمَصْبَاحُ وَاللِّسَانُ - مَادَّةُ قَرَبٍ) (٥) أَسْوَدُ سَالِحٌ : الشَّدِيدُ السَّوَادُ مِنَ الْحَيَاتِ ؟ وَيُقَالُ لَهُ : سَالِحٌ
لِأَنَّهُ يَسْلُخُ جِلْدَهُ كُلَّ مَامٍ (٦) هَرِيقٌ : أَرِيقٌ (٧) الْمُرْجُفُونَ : الَّذِينَ يُولَدُونَ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ ،
وَالرَّجَمُ : التَّكْلُمُ بِالظَّنِّ .

فني بك قد أذاك بأمر لبس قد آتني بأمر مُستبين
ثم قص عليه ما سمع به ، فأسِف ونادى بالرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر
ابن الهبولة فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحابُ ابنِ الهبولة ، وقُتِلوا قتلاً ذريعاً ،
واستنفذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعَرَفَ سدوس زياداً
فحمل عليه فاعْتَنَقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حَتَمَهُ
فطعن زياداً فقتله ، فغَضِبَ سدوس وقال : قتلَ أسيرى ، وديته ديةُ ملك ، فتجأ كما
إلى حُجْر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك ، وأعطاهم من ماله ، وأخذ حُجْر
زوجته هنداً فربطها في فرسين ، ثم ركضهما حتى قطعاهما ، وقال فيها :
إِنْ مَنْ غَرَّ النساءُ بشيءٍ بعدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَفْرُودٌ
حُلُوةُ العَيْنِ والحديثِ ومِرَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَجَنٌّ مِنْهَا الضَمِيرُ
كُلُّ أَشْيٍ - وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ - حُبُّهَا خَيْتَمُورٌ (١)

(١) خينمور : كل شيء يتلون ، ولا يدوم على حال .
قال ابن الأثير بعد إمراده لهذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليج
كانوا بأطراف الشام مما على البر من قسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه
البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً للوك القرس ، ولم تكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليجي
ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طویل ، لأن حجرأ هو جد الحارث بن عمرو
ابن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أنوشروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة
وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستائة سنة ، وقبل غسانة ، وأهل
ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليج ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليج فتريد
للمدة زيادة أخرى ، وحيث أطلبت رواية العرب على هذه الفزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح
ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام
حتى يستقيم هذا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج بل
قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

٢- يوم الكلاب الأول

كان الحارث بن عمرو المقصور^(١) بن حُجْر آكل المرار قد ملك الحيرة في أيام قُبَاذ بن قَيْرُوز ملك الفرس لدُخوله في دين المزدكية^(٢) الذي دعاه إليه ، بعد أن نفي المنذر بن ماء السماء^(٣) عنها . واشتغل بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، فَنَفَّاسَدَت^(٤) القبائل من زرار ؟ فأتاه أشرافهم ، وشكّوا إليه ما حلّ بهم من غلبة السفهاء ، وحُكْم الأقوياء ، وطلبوا إليه أن يملك أبناءه عليهم . فملك ابنه حُجْرَ آلى بنى أسد وغطفان ، وابنه شُرَحْبِيلَ على بكر بن وائل بأسريها وعلى بنى حنظلة ، وملك ابنه معديكرب على بنى تغلب والنير بن قاسط وسعد بن زيد ، وملك ابنه سَلَمَة على قيس عيلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيد فرأى جماعة من حمر الوحش فشده عليها ، وانفرد منها حماراً فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كَيْدِهِ ، فطلبتة الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوى على النار وأطعم من كَيْدِهِ وهي حارّة ، فمات .

* لكمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل المرار على أخيه شرحبيل . والكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

الأغاني ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٣٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرئ القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حجر بعد موته (٢) المزدكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف إباضي ظهر في فارس على عهد قباد ، ودعا الناس إلى الرندقة وإباحة الحرم ، وأيده قباد وصانف رواجاً عند الكثيرين من الفرس (٣) وكان سبب نفي المنذر عن الحيرة أن قباد دعاه إلى أن يدخل في دين المزدكية ، فأبى حية وأغفة ؛ ففاه وقرب الحارث وملكه بعد أن أجاب دعوته إلى الذهاب المزدكي (٤) نفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تَشَتَّتْ أُمُرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشي بينهم الرجال ، وتَفَاقَمَ أمرهم حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه المجموع ، وزحف إليه بالجيش .
وبلغت المداوة أشدها بين شُرَحْبِيل وسَلَمَةَ ، بِفَضْلِ المنذر الذي عاد إلى الحيرة بعد هلاك قُبَاذ ، وأخذ يُفَرِّي بين الأخوين .

وسار شُرَحْبِيل ومن معه حتى نزلوا « الكَلَّاب »^(١) ، وأقبل سَلَمَةُ فيمن معه ، وكان نُصحاء شُرَحْبِيل وسَلَمَةَ نهوُها عن الفساد والتحاسد ، وحذروها عَرَاتِ الحرب ، وسوء مَنبَتها ، فلم يقبلا ولم يَبْرَحَا ، وأقاما على التنايع^(٢) واللجاجة في أمرهما ، واقتتل القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى شُرَحْبِيل : مَنْ أَنَاي برأس سَلَمَةَ فله مائة من الإبل ؛ ونادى منادى سَلَمَةَ : مَنْ أَنَاي برأس شُرَحْبِيل فله مائة من الإبل .

واشتدَّ القتال حينئذ ، كلُّ يطلب أن يظفرَ لِمَلِّه يصلُ إلى قتل أحد الرّجلين ليأخذَ مائة من الإبل ؛ وكانت الغلبةُ لسَلَمَةَ وأتباعه ، ومضى شُرَحْبِيل منهزماً ، فقبضه من بني تغلب ذو السُّنَيْنَةِ^(٣) ، فالتفت إليه شُرَحْبِيل ، وضربه على ركبته فأطن^(٤) رِجْلَه .

وكان لدى السُّنَيْنَةِ أخ لأمه اسمه عصيم بن مالك الجُشَمِيُّ ، ويكنى أبا حنشل فقال له إذ رآه : قتلني الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنشل لشُرَحْبِيل : قتلني الله إن لم أقتلك ، وحمل عليه حتى أدركه . فقال : يَا أَبَا حَنْشِل ! اللَّيْنُ اللَّيْنُ^(٥) ! فقال : قد مررتَ لبناً كثيراً .

(١) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقبل ماء بين جبلة وشعاع على سبع ليل من اليمامة (ياقوت) (٢) التنايع : يقال يتنايع في الأمور أي يرى بنفسه فيها من غير تثبت .
(٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جهم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رِجْلَه : قطبها .
(٥) يريد الدية .

قال شرحبيل: يا أبا حنشل، أملكنا بسوفة! فقال: إن أخي كان ملكي، ثم طعنه وألقاه من فرسه، ونزل إليه، فأخذ رأسه^(١)، وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له اسمه أبو أجا بن كعب، فأثاه وألقى الرأس بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حي شر من هذا. فقال سلمة: وقد دممت عيناه! أنت قتلتَه؟ فقال: لا؛ ولكن قتله أبو حنشل. وعرف أبو أجا الندامة في وجه سلمة، وظهر عليه الجزع لموت أخيه، فهرب وهرب أبو حنشل، ثم نظر سلمة إلى رأس أخيه وبكى وقال^(٢):

ألا أبلغ أبا حنشل رسولا فما لك لا تجي^٤ إلى الثواب
 قلم^(٣) أن خير الناس طرأ قتيل بين أحجار الكلاب
 تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جماسيس^(٤) الرباب^(٥)
 قتيل ما قتيلك يا بن سلمى^(٦) نضر به صديقك أو تُحابي
 وبلغت الأبيات أبا حنشل فقال عجيبا:

أحاذر أن أجيشك ثم تحبو رحياء أهلك يوم صنيعات^(٧)

(١) وقول امرؤ القيس في مقتل شرحبيل وهلاك آيائه:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنمة بالإياب
 أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد المير حجر دى القباب
 واعلم أنني محمدا نليل سأنشب في شبا ظفر وناب
 كما لاقى أبي حجر وجدى ولا أنسى قبلا بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لم يذكره أخى شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلا عن حربهما
 (٣) تعلم: أعلم (٤) الجماسيس: جمع جمسوس، وهو القصير الدميم (٥) الرباب: أحياء
 ضبة، وقد كانت هي وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى: أم أبي حنشل، وهي بنت عدى
 ابن ربيعة، بنت أخى كلب (٧) صنيعات: موضع ذكره ياقوت، وارجع أيضاً إلى التفاضل
 وبمع الأمتال، قبيها: قوله يوم صنيعات: إن ابناً للحارث كان مسترضاً بين حين من العرب تميم
 وبكر، فأتى يغال لدغته حبة فأخذ خمسين رجلاً من بكر فقتلهم بذلك.

فَكَانَتْ قَدْرَةَ شِمْاءَ تَهْفُو قَلْدَها أَبوكَ إِلَى المَلاتِ^(١)
 وَبِمع بَقْتَل شُرَحْبِيلَ أَخُوهُ مَعْدَ يَكْرِبُ - وَكانَ صاحِبَ سَلَامَةٍ ، مَعْتَرِلاً عَن جَمِيعِ
 الحُرُوبِ - فَقَالَ يَرِثِيهِ :

إِن جَنَّبِي عَنِ الفَرَّاشِ لَنُكَابِرَ كَتَجَاقِي الأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ^(٢)
 مِنْ حَدِيثٍ نَمَّا إِلَى فَمَا تَرَى قَاتًا عَنِّي وَلَا أُسَيِّغُ شَرَابِي
 مَرَّةً كَالذُّعَافِ أَكْتُمَهَا النَّاسَ سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةً^(٣) كَالشَّهَابِ
 مِنْ شُرَحْبِيلَ إِذْ تَمَاوَزَهُ الأَرْضُ مَاحَ فِي حَالِ لَذَّةٍ^(٤) وَشَبَابِ
 يَا بَنَى أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدَّ عَو تَيْمًا وَأَنْتَ عَيْرٌ مُّجَابِ
 يَوْمَ نَارَتِ بَنُو تَيْمٍ وَوَلَّتْ خِيْلُهُمُ يَتَّبِعِينَ بِالْأَذْنَابِ
 وَيُحْكَمُ يَا بَنَى أَسِيدَ إِنِّي وَبِحُكْمِ رَبِّكَمُ رَبِّ الرُّبَابِ
 أَيْنَ مَطْبُكُمُ الْجَزِيلُ وَحَايِسُكُمْ عَلَى الْفَقْرِ بِالْمَثْنِ اللَّبَابِ^(٥)
 فَارِسَ يَطْمُنُ الكِمَاةُ جَرَى تَحْتَهُ قَارِحٌ^(٦) كَلَوْنُ الظَّرَابِ

وَلَمَّا قُتِلَ شُرَحْبِيلُ قَامَ عَوْفُ بْنُ شَجَّانَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَمْدٍ دُونَ عِيَالِهِ فَمَنْعُوهُمُ ،
 وَحَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمْ ، وَدَفَعُوا عَنْهُمْ حَتَّى أَلْحَقُوا بِقَوْمِهِمْ وَمَأْمَنَهُمْ ، وَبَلَغَ أَمْرُ الْقَيْسِ
 ابْنِ أَخِي شُرَحْبِيلِ أَمْرُهُمْ مَعَ عَمِّهِ فَقَالَ يَمْدَحُهُمْ ؛ وَيَمْرُضُ بَيْنِي حَنْظَلَةُ الَّذِينَ خَذَلُوهُ :

(١) قَالَ مَطْلُقُ الْأَغَانِي (ص ٦٢ ج ١١ سَامِي) قَالَ هُشَامُ : قَتَلَ لَأْبَى : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ حِجَابُ
 أَبِيهِ يَوْمَ صَنِيعَاتِهِ ؟ قَالَ : كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو غُلَامٍ مُسْتَرْضِعٍ فِي بَيْتِ تَيْمٍ وَبِكْرٍ ، وَكَانُوا يَقْبِضُونَ
 فِي صَنِيعَاتِهِ ، فَهَشَّتْ حَبَّةُ الْغُلَامِ ، فَاتَّهَمَ بِهِ الْحَيَّانَ جَيْبًا ، فَجَاءُوا يَمْتَنِدُونَ إِلَيْهِ ، فَأَتَهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ ،
 فَقَالَ : إِنِّي نَفْسِي بِأَمَانٍ حَتَّى أَسْأَلَ عَنْ ابْنِي وَمَا حَالُهُ ، فَأَتَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ثُمَّ قَتَلْتَهُمْ جَيْبًا .
 (٢) يُقَالُ بِمِثَرٍ أَسْرَ : إِذَا كَانَ فِي سِرِّهِ دَاءٌ فَيَتَجَافَى لِذَا يَرِيهِ ، وَالظَّرَابُ : جَمْعُ ظَرْبٍ ، وَهُوَ
 مَا تَأْتِي مِنَ الْمَجْلُودَةِ (٣) لِلْمَلَّةِ : الْجَمْرُ (٤) فِي الْفَتَنِ : فِي حَالِ صَبْوَةٍ (٥) الْبَابُ : خِيَارُ
 الْأَيْلِ (٦) الْقَارِحُ : الْفَرَسُ -

أَحْظَلَّ لَوْ حَامِيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَتْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا رُضَانِي
 أَلَا إِنْ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسَ دُونَهُمْ هُمْ مَتَمَّوْا جَارَ السَّكَمِ آلَ غُدْرَانٍ^(١)
 ثِيَابَ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى تَقِيَّةً وَأَوَجَّهُمُ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانُ^(٢)
 عُوَيْرٌ^(٣) وَمَنْ مِثْلَ الْمُوَيْرِ وَرَهْطُهُ وَأَسْعَدُ^(٤) فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانُ
 هُمْ أَبْلَغُوا حَى الْمَضَلِّ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا - وَاللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ - أَيْرٌ بِمِثَاقٍ وَأَوْفَى بِجِدَارٍ

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحرمت بهم هم متموا جاراً لكم بالأمس دونهم ، أى كنت بالأمس جاراً لكم دونهم ، فأردتم أن تغدروا بي وأضمرت ذلك ، فأتم أهل غدر (٢) قال فى اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وغران ، ثم أشد هذا البيت . وفيه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شجعة ، وصفوان من سادات بني سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المخير الذى لا يدري أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبائل العرب كانت تتحاماه ولا تجهده ، خوفاً من الملك الذى كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، فى ليل البلابل : فى الهجوم والانسكاف ، كأنه خفف بعضها .

٣- يَوْمَ عَيْنِ أَبَاغٍ

سار المنذر^(١) بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في معةً كلها حتى نزل بعين أبَاغٍ ، فأرسل إلى الحارث^(٢) الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيني الفدية فأصرفَ عنك بجنودى ، وإما أن تأذنَ بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تُهلك جنودى وجنودك ، ولكن يخرجُ رجل من ولدى ، ويخرج رجل من ولدك فنُقْتل خرج عِوضَه آخر ، وإذا فِئى أولادنا خرجت أنا إليك ، فن قتل صاحبه ذهب بالملك ، وتماهدا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شُجَمان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصّفين ، ويُظهر أنه ابنُ المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كِرب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده ، أو بعض شُجَمان أصحابه .

* الحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعين أبَاغٍ - واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام .

ابن الأثير ص ٣٢٦ ج ١ ، العقد القريد ص ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة ص ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٥٦ ، لسان العرب ص ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان ص ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القدي (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وقصماً ، حاصر من ملوك القرس قباز وابنه آوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور . في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات إنه صاحب يومى التيمم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلام همة وأبعدم صوتاً ، وهو القى سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلى قيصر توفي سنة ٥٥٦ م .

قال : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ ما كان الشيخ ليغدير ! فباد إليه وقامه ، قتلته الفارس وألقى رأسه بين يدي التنر وعلد ؛ فأمر الحارث ابنه آخر بقتاله ، والطلب بنار أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هنا واقف عبدُ التنر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخ ليغدير ! فباد إليه ، وشد عليه الرجل وقتله .

فلما رأى ذلك شير بن عمرو الخنفي ، وكان مع النضر - وكانت أمه غسانية - قال له : أيها الملك ؛ إن الفدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بابي عمك دفعتن .

فَقَضِبَ النَّذْرُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، فَلَحِقَ بِمَسْكِرِ الْحَارِثِ وَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ، فَقَالَ لَهُ : حُلَّتْكَ وَخُلَّتْكَ^(١) . فَلَمَّا كَانَ النَّذْرُ حَرَضَ الْحَارِثِ أَصْحَابَهُ - وَكَانَ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا - وَاسْطَفَوْا لِلْقِتَالِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ النَّذْرُ ، وَهَزِمَتْ حَيَوْشَةُ .

فَأَمَرَ الْحَارِثُ أَبْنِيَهُ الْقَتِيلَيْنِ فَحَمَلَا عَلَى بَعِيرٍ بِمَنْزِلَةِ الْمَدِينِ ^(٣٧) ، وَجَمَلَ
النَّفَرُ فَوْقَهُمَا فَرَدَّ ، وَقَالَ : يَا لِمَلَاوَةِ بَيْنِ الْمَدِينِ ، وَسَارَ إِلَى الْحِمَاةِ فَهَبَهَا وَأَحْرَقَهَا ،
وَدَفَنَ أَبْنِيَهُمَا ، وَبَنَى النَّارِيَيْنِ ^(٣٨) عَلَيْهِمَا .

وفي ذلك يقول ابنُ الرِّعَاءِ الضَّيَّابِي :

كم تركنا بالمعين عين أباح من ملوك وسوقة أكفأ.

(١) الحلة : الصداقة (٢) العدل : التل، ويقال : عادله في المحمل ركب معه (٣) الثريان : بناءن بالكوفة ، وفي بعض الروايات : ابن القى بنى الثريان هو الثمان بن للتند علي قبلى تدعى .

أَمْطَرْتَهُمْ سَحَابَ الْوَيْحِ إِنَّ فِي الْوَيْحِ رَاحَةَ الْأَشْقِيَاءِ
 لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا لِلْيَتِّ مِيتَ الْأَحْيَاءِ
 وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قُتِلَ فِرْعَوْنُ وَقَيْسُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِنِ عَامِرٍ ، قَالَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ^(١)
 تَرَى أَبَاهَا :

بَيْنَ أَبَاغٍ فَاسْمُنَا لِلنَّأْيَا فَكُلَّانِ قَسِيمُهُمَا خَيْرَ الْقَسِيمِ^(٢)
 وَقَالُوا مَا جَدًّا مِنْكُمْ قَتَلْنَا كُنْكَ الرَّمْعُ يَكْلَفُ بِالْكَرَمِ^(٣)

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : إِنَّ قَاتِلَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ الْخَنَزِرِ فِي أَيْمَانِ (٢) لِلْيَتِّ : ابْنُ الْيَتَامَى
 مَا فَاسْمُنَا أَخَذْتُ خَيْرَ قَسَمٍ ، وَمَا لِلرَّيْثَانِ (٣) مَا جَدًّا انْصَبَّ عَلَى أَنَّهُ مَضُولٌ مُقَدَّمٌ وَالْمُنَى ؟
 تَعَدُّوا : مَا جَدًّا مِنْكُمْ قَتَلْنَا . فَأَجِيبُوا : الرَّمْعُ يَمْتَلِكُ الْكَرْمَ وَيُؤْلِفُ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ . وَرَوَايَةُ الْبَلَّاقِ
 جَدِّمِ الْيَتِّ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، وَرَوَى الْيَتِّ الثَّانِي :
 وَقَالُوا لَرَسَا مِنْكُمْ قَتَلْنَا قَتَلْنَا الرَّمْعَ يَكْلَفُ بِالْكَرَمِ

٤- يَوْمَ حَلِيمَةَ

لَا تَوَلَّى الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ مَلِكَ الْحِيرَةِ^(١) ، وَاسْتَقَرَّ فِي مَلِكِهِ سَارَ إِلَى الْحَارِثِ النَّسَائِيِّ^(٢) طَالِبًا بِأَرَأَيْهِ عِنْدَهُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ : إِنْ قَدْ أَعْدَدْتَ لَكَ الْكُمُولَ عَلَى الْفُحُولِ^(٣) ، فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ : قَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ الْمُرْدَ عَلَى الْجُرْدِ^(٤) . وَسَارَ الْمُنْذِرُ حَتَّى نَزَلَ بِمَجْعٍ حَلِيمَةَ ، وَسَارَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ أَيْضًا ، ثُمَّ اشْتَبَكُوا فِي الْقِتَالِ ، وَمَكَّنَتْ الْحَرْبُ أَيَّامًا يَنْتَصِفُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْحَارِثُ قَعْدَ فِي قَصْرِهِ ، وَدَعَا ابْنَتَهُ حَلِيمَةَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ النِّسَاءِ ، فَأَعْطَاهَا طَيِّبًا وَأَمْرَهَا أَنْ تَطْلُبَ مِنْ مَرْبِّهَا مِنْ جُنْدِهِ ، فَجَمَعُوا يَمْرُونُ بِهَا وَتَطْلُبُهُمْ^(٥) ، ثُمَّ نَادَى : يَا فِتْيَانُ غَسَّانَ ؛ مَنْ قَتَلَ مَلِكَ الْحِيرَةِ زَوْجَتَهُ ابْنَتِي . فَقَالَ لِبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو النَّسَائِيِّ^(٦) لِأَيِّهِ : يَا أَبْتَ؛ أَنَا قَاتِلُ مَلِكِ الْحِيرَةِ أَوْ مَقْتُولُ دُونِهِ لَا تَحَالَةَ ،

* الْحَارِثُ الْأَعْرَجُ بْنُ جَبَلَةَ ، مَلِكُ الْعَرَبِ بِالشَّامِ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ، مَلِكُ الْعَرَبِ بِالْحِيرَةِ ، وَحَلِيمَةُ هِيَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ ضَرَبَ الْمَثَلُ : مَا يَوْمَ حَلِيمَةَ بِسَرٍ .

ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٢٨ ج ١ ، الْمُفَضَّلِيَّاتُ ص ١٨٧ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٣٣٠ ج ٣ ، خَزَانَةُ الْأَدَبِ ص ٣٠٣ ج ٣ ، نَحَارُ الْقُلُوبِ ص ٢٤٨ ، رَغْبَةُ الْأَمَلِ مِنْ شَرْحِ الْكَامِلِ (لِلرَّصَنِ) ص ٣٣ ج ١ ، مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ص ٢٠٢ ج ٢ ، تَارِيخُ الْعَرَبِ الْقَدِيمِ (لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلِ بْنِ) ص ٤٤ ، تَارِيخُ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ (لِجُورْجِيِّ زَيْطَانِ) ص ١٩٣

(١) كَانَ يُقَالُ بِالْأَسْوَدِ ، وَلَمْ يَمُكِّنْ فِي الْمَلِكِ طَوِيلًا مَاتَ سَنَةَ ٥٨٢ م (٢) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ: إِنَّ الْحَارِثَ هَذَا هُوَ صَاحِبُ يَوْمِ عَيْنِ الْبَاقِ ، وَرَبِّي جُورْجِيُّ زَيْطَانِ ، أَنَّهُ غَيَّرَهُ ، (ص ١٩٣) مِنْ تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ (٣) الْقُحُولُ : الذِّكُورُ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ ، وَالْكُمُولُ : جَمْعُ كَهْلٍ وَهُوَ مِنْ كَانَتْ سَنَةُ بَيْنَ الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ وَالْحَادِيَةِ وَالْخَمْسِينَ (٤) الْمُرْدُ جَمْعُ أَمْرَدٍ وَهُوَ الشَّابُّ طَرِشَارِهِ وَلَمْ تَنْبِتْ لِحْيَتَهُ ، وَالْجُرْدُ : جَمْعُ أَجْرَدٍ وَهُوَ الْقَرَسُ السَّاقِ (٥) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ : إِنَّهَا أَخْرَجَتْ لَهُمْ مَرْكَئًا مِنْ طَيِّبٍ وَطَيِّبَتِهِمْ (٦) قَالَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ثَمَرَةَ عَنْهُ لَا بَيْتَهُ : هُوَ أَرْهَامُ عِنْدِي ذَكَاءُ فُؤَادٍ .

ولست أرضى فرسى فأعطيتى فرسك ، فأعطاء فرسه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شدَّ لبيد على المنذر فضرَّ به ضربة ، ثم ألقاه عن فرسه ، وانهزم أصحاب المنذر من كل وجه ، ونزل لبيد فاحترَّ رأسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم ، فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك يا بنت عمك ^(١) ، فقد زوجتكها . فقال : بل أنصرف فأوأسى أصحابي بنفسى ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أبا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقاتل ، وقد اشتدت نكباته ، فتقدم لبيد فقاتل حتى قُتل ، ولكن لَحْمًا انهزمت ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن الظفر ، بعد أن أسروا كثيرًا من كانوا مع المنذر من العرب .

وكان من أبرهم الحارث مائة من بنى تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولما سمع أخوه علقمة ^(٢) وفد إليه مُسْتَشْفِعًا وأنشده هذه القصيدة :

طَحَّابُكَ قَلْبٌ فِي الْحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدُ الشَّبابِ عَصْرُ حَانَ مَشِيبُ ^(٣)
 بُكَلِّفْنِي لَيْلِي . وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ ^(٤)
 مُنَاجِمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَزَادَ رَقِيبُ ^(٥)
 إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تَقْشِرْ سَرَّهُ وَتُرْضَى يَا بَـ الْبَعْلَ حِينَ يَتُوبُ
 فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَنْتُكَ رَوَايَا الْمُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ ^(٦)

(١) يريد حليمة (٢) هو علقمة بن عبدة البعل ، ولقب بالبعل لأنه غلب امرأة القيس . وكان معاصراً له . في الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفي سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب في مذهب بيد ، وطروب : كثير الطرب ، وحان : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ، والوادي : حوادث الأيام (٥) الناعمة : المرأة الحسنة الفداء كالنعمة ، وروى في المفضليات : نعمة (٦) المنسر : القى لم يجرب ، والروايا : الإبل التي تحمل الماء ، شبه سحائب المزن بها .

سَقَاكَ يَمَانِي ذُو حَيَّةٍ وَعَارِضٌ تَرُوحُ بِهِ جُنُحَ الشَّيْءِ جُنُوبٌ^(١)
وَمَا أَنْتَ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَجِيَّةٌ يُخَطُّ لَهَا مِنْ تَرَمَدَاهُ قَلْبٌ^(٢)
فَإِنْ تَمَالَوْا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ^(٣) بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَلِبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الرِّهْ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهَنْ نَصِيبٍ
يُرْدَنْ ثَرَاءَ السَّالِ حَيْثُ عَلِمَتْهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
فَدَعْنَاهَا وَسَلِّ اللَّهُمَّ عَنْكَ بَجْزَةَ كَهْمُكَ فِيهَا بِالرَّدَاكِ خَيْبٌ^(٤)
وَنَاجِيَةٌ أَفْنَى رَكِيبٍ ضُلُوعُهَا وَحَادِكَا تَهْجُرُ فِدْمُوبٌ^(٥)
تَتَّبَعُ أَفْيَاءَ الظُّلَالِ عَشِيَّةٌ عَلَى طَرَقِ كَأَنَّهَا سُبُوبٌ^(٦)
بِهَا حَيْفُ الْحَصْرِ قَامَا عَظَامُهَا فَيُفِضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ^(٧)
فَأَوْرَدُهَا مَا كَانَ رِجَامَهُ مِنَ الْأَجْنِ حِنَاءٌ مِمَّا وَصِيبٌ^(٨)
تُرَادَى عَلَى دِمْنِ الْخِيَاضِ فَلَنْ تَفَّ ظَنْ لِلنَّدَى رِحْلَةً فَرُكُوبٌ^(٩)

(١) المي : الحلب (٢) أم : حرف رد به الاستفهام قبله ، وذكرها : تذكرها ورجية : منسوبة إلى ربيعة ، ويخط فيها من الخط وهو الحفر . وترمدها : موضع مقهور بالحصب . والقلب : البئر . يقول : ما شألك تبست حاك من صحو إلى سكرة ، أم ما تذكرك ليلى وهي ربيعة ذات غنى وسعة . ورواه في اللسان : أما ذكرها ربيعة (٣) في التفضيلات : بصير (٤) البصرة : الناقة للاضية ، وكهك : كزملك ، والرفاق : جمع رديق وهو من يركب خنك ، والحبيب نوع من البير (٥) الناجية : الناقة تجوز ركابها ، والركيب : ملوك على الضلوع من النعم ، والمراك عظم مشرف من جانبي الكاهل ، والتهير : البير في المجرة ، واللهوب : للناقة في البير (٦) يريد باليوب : ما تنسجه بالتهلريد الرياح الحلرة (٧) الحصري من الأيل التي كانت وتمت ، والصليب : الصديد (٨) جملة : مياهه الكثيرة ، والأجن : اختلاط لدهن بغيره ، والصيب : لهم ، يصف الماء بالخير ليد الهد (٩) ترادى : ترلود ، والعمن : بقية الماء في الخوض ، والتدية : أن تورود الأيل فتشرب قليلا ، ثم ترعى ، ثم ترد إلى الماء .

وَتَصْبِحُ عَنْ غِيبِ الشَّرَى وَكَأَنَّمَا مَوْلَةٌ تَخْشَى الْقَنِيصَ شَبُوبُ^(١)
تَعَفَّقُ بِالْأَرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالٌ فَبَذَتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ^(٢)
إِلَى الْحَرْثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي لِكَلِكَلِهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَحِيبُ^(٣)
لِتُبَلِّغْنِي دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ^(٤)
إِلَيْكَ أَيْتَ اللَّحْنِ كَانَ وَجِيفُهَا بِمُسْتَبَهَاتٍ هُوْنُهُنَّ مَهِيبُ^(٥)
هَذَاكَ إِلَيْكَ الْفَرَقْدَانِ وَلَا حِبُّ لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ اللَّتَانِ عُلُوبُ^(٦)
وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَاتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِضْتُ رُبُوبُ^(٧)
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا وَغَوْدِرُ فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبُ^(٨)
فَوَالِقَةُ لَوْلَا فَارَسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ لَأَبَا خَزَايَا وَالْإِيْلِبِ حَيْبُ^(٩)
تَهْدَمُهُ حَتَّى تَنْيَبَ حُجُولُهُ وَأَنْتَ لِيَيْضُ الدَّارَعَيْنِ خَرُوبُ^(١٠)
مُظَاهِرُ سِرْبَالِي حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا عَقِيلَا سِيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ^(١١)

(١) غيب كل شيء : آخره ، والمولدة : البقرة الوحشية ، والقنيس : المائد ، والشبوب :
الثابة من البقر (٢) تعفّق : لاذّ ، والضمير للمائد ، والأرطى : شجر ، وبذّت : سبّت ،
والكلب : جماعة الكلاب : يجه ناقة في شدة عدوها عقب سيرها بلا يقرة وحشية تحذر قتيلاً
تولوى بشجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلاً وكلاباً فرماها بهما فسبقتها ولم يدركاها
(٣) أعمل الناقة : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصران : ضلعان ، والوجب : الحفطان
(٤) القروب : اسم الناقة (٥) الوجيف : نوع من سير الإبل ، والمستبهات : الطرق النامضة ،
ومهب : حباب الناس اجتماعه (٦) اللاب : الطريق الواضح ، وأصواء اللتان : ما قلظ على
مق الأرض ، واللوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيلة (٧) أفضت : انتهت ،
وأماي : طاعني ، والريوب كالأرياب (٨) ريبها : هو المنذر (٩) فارس الجون : هو الحارث
الغنائق ، والجون فرسه ، وضمير منهم راجع إلى انسانين ، يقول : لولا لثلبت كتاب التندر جنود
العلم (١٠) تهدمه : الضمير راجع إلى القرس (الجون) (١١) ظامر بين درعين ، أي لبس
لحمهما فوق الأخرى ، والسربال : الفرج ، وعقيل كل شيء : أكرمه ، ومخدم ورسوب : سيفان.

فَجَالَدَتْهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ يَكْبِتُهُمْ
وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانٍ أَهْلَ حِفَافِهَا
تَحْشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ
رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَاحِضُ
كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً يُلْجَأُهَا
وَالَا كَمَى ذُو حِفَافٍ كَأَنَّهُ
وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ
وَفِي كُلِّ حَىٍّ قَدْ خَبِطَتْ بِنِعْمَةٍ
فَلَا يَحْرُمُنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ
وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
وَهَنْبٌ وَفَأْسٌ جَالَدَتْ وَشَيْبٌ (١)
كَأَخْشَخَشَتْ يُبْسَ الْحَصَادِ جُنُوبُ (٢)
وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْفَقَاءِ خَصِيبُ (٣)
وَمَا جَمَعَتْ جُلُومًا مَعًا وَعَتِيبُ (٤)
بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ (٥)
صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ رَيْبُ (٦)
وَالَا طَيْرٌ كَالْقِنَاءِ نَجِيبُ (٧)
بِمَا ابْتَلَى مِنْ حَدِّ الطُّبَاةِ خَضِيبُ (٨)
مِنْ الْبُؤْسِ وَالنَّمَى لَهْنٌ نُدُوبُ (٩)
فَحَقُّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ (١٠)
فَأَنَّى أَمْرُوهُ وَسَطُ الْقِيَابِ غَرِيبُ (١١)

(١) هنب وفأس وشيب: أحياء في العرب (٢) الحشخشة: صوت الثوب الجديد إذا تحرك ،
والأبدان: الدروع ، والجبوب: ريع (٣) خصيب: كريم لا يرضن بنفسه (٤) لبانه: أى
لبان فرسه ، والأوس وجل وعتيب: قبائل (٥) رغا فوقهم سقب السماء: يعنى أنهم قد استوصلوا
وحلّكوا كما هلكت عمود حين عقروا الناقة فرغا سقبا ، والسف ولد الناقة ، والداحض الذى يحرك
رجليه عند الموت ، والشكة جملة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فنهزم من سلب ومنهم
من لم يسلب (٦) صابت: من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق: النار التى تسقط من السماء
مع الرعد ، ولطيرهن: يريد لما تطاير منها (٧) الشطبة: القرس السبطة اللحم ، والطير:
القرس المستمد للوئب ، والنجيب: الكريم من الحيل (٨) خضيب: مخضوب بحمرة
(٩) الندوب: آثار الجرح (١٠) الذنوب: النصيب (١١) يريد بالنائل: إطلاق لشأس ،
والجناية: البعد والغربة ، ومناه: لا تحرمنى بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحقّ لشأس من نذاك ذُنُوب » قال الملك : أى والله وأذنبه ، ثم أطلق شأسا وقال له : إن شئت الحياء ، وإن شئت أسراء قومك . وقال جلسائه : إن اختار الحياء على قومه فلا خير فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختار على قومي شيئا ، فأطلق له الأسرى من تميم وكساء وحَبَاه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيراً ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا له : أنت كنتَ السبب في إطلاقنا ، فاستعينَ بهنا على دهرِكَ ، فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

٥. يوم الحامي

كان المارثُ بن جَبَلَة السَّامِي قد أسلح بين قبائل طَيِّ، فلما هلك طعت إلى حميرِها، فالتقتْ جَدِيلَةُ والنَّوْثُ بموضع في حرب، قُتِلَ قائِدُ بني جَدِيلَة وهو أسبع ابن عمرو بن لأم، وأخذ رجلٌ من سِنَيْس أذنيه فنخَصَفَ بهما نَمْلِيه. وفي ذلك قال أبو سروة السَّنَيْسِي :

نَخَصِفُ بِالْأَنانِ مِنْكُمْ نِمَالَنَا وَنَشْرِبُ كُرْهًا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِمِ
وَتَنَاقِلُ الْحَيَاتَانِ فِي ذَلِكَ أَشْمَلًا كَثِيرَةً .

وعظم ما صنعت النَّوْثُ على أوس بن خالد بن لأم، وعزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب للتقدمة، هو ولا أحد من رؤساء طَيِّ، كحاتم بن عبد الله، وزيد الخليل، وغيرهم من الرؤساء؛ فلما تجهز أوس للحرب، وأخذ في جمع جديده ولقها قال أبو جابر :

أَقِيمُوا عَلَيْنَا الْقَصْدَ يَا آلَ طَيِّ وَإِلَّا فَلَنْ أَلِمَّ عِنْدَ التَّحَايِ
فَنِمْثَلْنَا يَوْمًا إِذَا الْحَرْبُ شَعَرَتْ وَمِنْ مِثْلَنَا يَوْمًا إِذَا لَمْ تُحَايِ
وَلِيَحْثُ النَّوْثُ جَمْعُ أَوْسٍ لَهَا، وَأَوْقَعَتِ النَّارُ عَلَى زِيْرَةِ أَجَا^(١) - وذلك أول يوم تَوَقَّدَ عليه النار - فأقبلت قبائل النَّوْثِ، كل قبيلة وعليها رئيسها؛ ومنهم زيد الخليل، وحاتم .

* ثبوت طي جدية (كلام من طي) ويرى أيضاً بقرائن حقوق . واليعليم ماء طي طريق مكة .

ابن الأثير من ٣٨٨ ج ١ ، مذهب الأغانى صفحة ٧٨ ج ١
(١) أجبا ولسي : جيلان لطي .

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألا يرجع من
طبي حتى ينزل معها جليلها أجا وسلمى ، وتُجبي له أهلها ، وتراحقوا ، فاقبلوا
قتالا شديداً .

قال عدى بن حاتم : إني لواقف يوم اليعاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى
زيد الخليل قد أحضر ابنه مكثفا وحُرِيْثًا في شُعب لا منفذ له وهو يقول : أَيْ بَنِي ؛
أُخِيَا عَلَى قَوْمِكَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ التَّفَانِي ، فَإِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ أَعْمَامًا فَهَؤُلَاءِ أَخْوَال ؛
قُلْتُ : كَأَنَّكَ قَدْ كَرِهْتَ قَاتِلَ أَخْوَالِكَ ؛ فَاحْرَرْتُ عَيْنَاهُ غَضِبًا ، وَتَطَاوَلُ إِلَيَّ ، حَتَّى
نَظَرْتُ إِلَى مَا تَحْتَهُ مِنْ مَرَجَةٍ فَخَفَّتْهُ ؛ فَضَرَبْتُ فَرْسِي ، وَتَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، وَاشْتَتَلُ
بِنَظَرِهِ إِلَيَّ عَنْ ابْنِهِ ، فَخَرَجَا كَالْمُفْرَيْنِ ، ثُمَّ انْهَزَمَتْ جَدِيلَةٌ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَقُتِلَ فِيهَا
قَتْلٌ فَدِيحٌ .

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بمد يوم اليعاميم ، فدخلوا بلاد كلب ، فحالفوهم
وأقاموا معهم .

٦ - ٦- حروب الأوس والخزرج مرج*

«١» حرب سمير

لما كان سيل العرم خرجت الأزد^(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة ، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نعم وشاء وخييل وأموال ، وإنما كان ذلك كله لليهود ، فماشوا بين اليهود بالضواحي والقرى في شطَف من العيش ، وهوان وإذلال من اليهود ؛ إذ حكموهم وتحكّموا فيهم ، وألزموهم أداء الخراج .

وظلّوا على هذه الحال مدة حتى وفد وفد منهم ؛ هو مالك بن المجلان الخزرجي إلى النسائيين بالشام ، ونزل على أحد أشرافهم واسمه أوجييلة ، واستجاره على اليهود ؛ فأجاره ، وجاء إلى المدينة ، وقتل عطاء اليهود ، ثم عاد إلى الشام بمد أن مكّن للأوس والخزرج بالمدينة .

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزينا بن طمر ماء السماء بن حارثة النطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد ثبت بينهم تلك الحروب في الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب سمير : للأوس على الخزرج .

(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس .

(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس .

(٤) يوم بسات : للأوس على الخزرج .

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القديم ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغاني ص ١٨ ج ٣ (طبعة البار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسي ، جبهة أشرار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مذهب الأغاني ص ١٢٢ ج ١ ، للفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢ .
(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيان على اتفاق ووثام، حتى وفد على المدينة وافد من ذبيان اسمه كعب الثعلبي، ونزل على مالك بن المجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يومًا إلى سوق بني قينقاع^(١)، فرأى رجلًا من غطفان معه فرس وهو يقول: لِيَأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهلِ يَثْرِبِ^(٢)، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أحيحة بن الجلاح الأوسي، وقال غيرها: فلان ابن فلان اليهودي أفضل أهلها.

وقال كعب الثعلبي: مالك بن مجلان أعزُّ أهل يَثْرِبِ، وكثر الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب الثعلبي، ودفع الفرس إلى مالك بن المجلان الخزرجي. فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليقي مالكا أفضلكم! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له: مُسمِر بن يزيد، وشتمه واقترا، وبقي كعب ما شاء الله.

ثم قصد سوقًا لهم بقباء، فقصده مُسمِر، ولازمه حتى قتله، وأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منا قتيلًا، فأرسلوا إلينا بقاتله، فمجاهم رسول مالك تَرَامَوْا به: فقال بنو زيد: إنما قتلته بنو جَحْجَجَبي وقالت بنو جَحْجَجَبي: إنما قتلته بنو زيد^(٣)؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن مُسمِرًا هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله مُسمِر، فأرسلوا به إلى مالك، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل مُسمِرًا من غير يثنة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه مُسمِرًا أو يابون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشَبُوا بينهم وبين مالك حربًا،

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بشه هو عبد ياليل الثقفي

(٣) بنو جحجي وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف ، وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية . فنضب مالك وأبى إلا أن يأخذ الدية كاملة أو يقتل مُسميراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، فمهدوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس^(١) ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن المجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصره قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خذلان بن الحارث ، وحدب بن عمرو على مُسمير ، وبحرّض بن النجار على نصرته :

إن مُسميراً أرى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا
 إن يكن الظن صادقاً بيني النجار لا يطعموا القدى علفوا^(٢)
 لا يُسلمرنا لمشر أبداً مادام منا يبطنها شرف^(٣)
 لكن موالى قد بدا لهم رأى سوى ما لدى أو ضمفوا
 بين بني جحججى وبين بني زيد فأتى لجارى التلف
 يمشون في البيض والدروع كما تمشى جمال مصاعب قطف^(٤)
 كما تمشى الأسود في رهج^(٥) السموت إليه وكلهم لهف

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصاري (٢) قال صاحب الأغاني: يقال علقوا الضم إذا أقر وابهى
 أى ظنى بهم أنهم لا يقبلون الضم (٣) الشرف: الشريف (٤) البيض: جمع بيضة، وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب، والمصاعب: جمع مصعب، وهو التحل
 القى لم يركب ولم يمه حبل حتى صار صعباً، والتطف: البطيئة الخطو (٥) الرهج: التلهل.

وقال درهم بن زيد أخو سمير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سُمَيْراً فَإِنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
إِنْ تَقْتُلُوهُ تَرِنُ نَسْوَتَكُمْ عَلَى كَرِيمٍ وَيَفْزَعُ السَّلَفُ^(١)
إِنِّي لَمَعْرُؤٌ الذی یُحْجِّجُ لَهُ النَّاسَ وَمِنْ دُونِ بَيْتِهِ سَرَفٌ
يَعِينُ بَرّاً بِاللهِ جَنَهِدْ بِحَلْفٍ إِنْ كَانَ يَنْفَعُ الحَلْفُ
لَا تَرْفَعُ العبدَ فوقَ سَنَّتِهِ مَا دَامَ مَنَّا يَظْلِمُهَا شَرَفُ
إِنَّكَ لَأَقْرَبُ غَدَا غَوَاةِ بَنِي عَمِي فَأَنْظِرْ مَا أَنْتَ مُزْدَهِفُ^(٢)
فَأَبْدِرْ سِيَمَاكَ يَتَرَفُّوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيَاهَ فَمَتَرَفُ^(٣)

ثم أرسل مالك إلى بني عمرو يُؤذَنهم بالحرب ، ويمدُّهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر
قومه فتهيئوا للحرب ، وتحمشد الحيان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن
معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير ، والتقوا
بفضاء قريب من قُبَاء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم
التقوا مرةً أخرى عند أطم بني قَيْنَعَة ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر
للاوس على الخزرج ، وفي ذلك قال أبو قيس بن الأسلت :

لقد رأيت بني عمرو فاهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب
ألا فدى لهم أُمى وما ولى غداة يمشون إِرْقَالَ المصاعيب^(٤)

(١) ترن نوسنكم : يرفن أصواتهن بالبكاء (٢) مزدحف : مقتحم (٣) قال صاحب
الأغانى : معنى قوله : فأبد سياه : أن مالك كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف
فيقصد (٤) الإرقال : الإسراع في السير .

بكل سَلَهْبَةٍ كَالْأَيْمِ ماضِيَةٍ وكل أبيض ماضٍ الحَدَّ غشوب^(١)
ولبثت الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر مُهمير يتعاودون القتال في
قلك السنين ، وكثرت أيامهم ومواطنهم .

ولما رأيت الأوس طول الشر ، وأن مالكا لا ينزع^(٢) ، قال لهم سويد بن صامت
الأوسى^(٣) : يا قوم ، أرضوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوانكم ؛
فيقتل بعضهم بعضاً ، ويطمع فيكم غيركم ، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحبل .

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم وبينه ثابت^(٤) بن النضر بن
حرام ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن النضر ، فقالوا : إنا حكمناك
بيننا ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردوا حكمي كما
وعدتم حكمهم وبن امرئ القيس فقالوا : فإنا لا نرد حكمك ، فاحكم بيننا ، قال : لا أحكم
بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيتُ به ، ولتسلمنَّ له .
فأعطوه على ذلك عهودهم وموائيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالك ديةَ الصريح ،
ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على دية والحليف على دية ،
وأن تعدَّ القتل الذي أصاب بعضهم من بعض في حربهم ، ثم يكون بعض يعض ،
ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضل في القتل من الفريقين .

فرضي بذلك مالك ، وسلمت الأوس ، وتفرقوا ، على أن يكون على بني النجار
نصف دية جار مالك معونةً لإخوانهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو عمرو

(١) السَّهْبَةُ : الطويلة من الخيل ، والأيم : الحية ، والغشوب : اللصقول (٢) ينزع : يتكف
(٣) كان يقال له في الجاهلية الكامل ، وكان الرجل ضدَّ أقرب إذا كان شامراً كاتباً رامياً
صحوه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت .

أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم ، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووَدِيَ جَارُهُ دَبَّةَ الصَّرِيح .

وفي تلك الحرب قال قيس^(١) بن الخطيم الأوسى ، ولم يدرك هذه الحرب ، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدُّ اخْلِيْطُ الْجَمَالِ فَانصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٢)
لَوْ عَرَجُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثُ يُضْحَى جِوَالَهُ السَّلَفِ^(٣)
فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسَةُ السَّدَلِ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا الْخُلْفُ^(٤)
يَنْ شُكُولِ النِّسَاءِ خِلْقَتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبِلَةٌ وَلَا قَضَفُ^(٥)
تَنَامٌ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رَوِيداً تَكَادُ تَنْفَرِفُ^(٦)
تَقْتَرِقُ الطَّرْفِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفُ^(٧)
حَوْرَاهُ جَيْدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّمَا خُوطُ بَانَةِ قَصِيفُ^(٨)
قَصَى اللَّهُ لَهَا حِينَ صَوَّرَهَا لَمْ يَخْلُقْ أَلَا يُكِنُّهَا سَدَفُ^(٩)

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلي أوسى ، جيد الشعر ، حسن الدباجة ، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إني لأسمع كلاماً عجباً ، فدعنى أنظر في أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فأتى قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحي : من الضحاء وهو أن يرعى الأبل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظن في السير (٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو ، والعروب : الحسنة للتحية إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجبلة : الفليضة ، والقصف : القليلة اللحم (٦) تنفر : تنقص من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها ففرقت طرفه وبصره وشفته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دما منزوف (٨) الحوراء : الواسمة العين ، والجيداء : الطويلة الجيد ، والحوط : الفصن ، والقصف : الناعم الثنى (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضية لا تسترها ظلمة

خَوْذُ يَفِثُ الحديث ما صَمَتَتْ وهو يَفِثُ ذُو لَذَّةٍ طَرَفُ^(١)
تَخَزْنُهُ وهو مُشْتَهَى حَسَن وهو إِذَا مَا نَكَلَمْتُ أَنْفُ^(٢)
أَبْلَغُ بَنِي جَجَجِي وَإِخْوَتَهُمْ زَيْدًا بَانًا وَرَاهِمُ أَنْفُ^(٣)
إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَيْجَفُ^(٤)
لَا بَدْتُ نَحْوَنَا حَيَاهُمُ حَنْتُ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ^(٥)
نَقَلَى بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامِهِمْ وَفَانِيَا هَامِهِمْ بِهَا جَنْفُ^(٦)
يَقِيعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ سُخْنُ عَيْبِطُ عُرُوقُهُ نَكِيفُ^(٧)
إِنْ بَنِي عَمْنَا طَفَّوْا وَبَقَوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفُ^(٨)
فَرَدَ عَلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ النَّجَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ^(٩) ، وَلَمْ يَدْرِكْ هَذِهِ الْحَرْبَ أَيْضًا :
مَا وَالْ عَيْنِيكَ دَمْعَهَا يَكِيفُ مِنْ ذِكْرِ خَوْذٍ شَطَّتْ بِهَا قَدَفُ^(١٠)
بَانَتْ بِهَا قَرْبَةٌ تَوْمٌ بِهَا أَرْضًا سَوَانًا وَالشَّكْلُ مُخْتَلِفُ^(١١)
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوَاشِكُ يَنْهَمُ حَتَّى رَأَيْتُ الْهَدُوجَ تَنْقَدِفُ^(١٢)
يَعْ ذَا وَعْدَةِ الْقَرِيضِ فِي نَقِيرِ يَرْجُونَ مَدْحِي وَمَدْحَى الشَّرَفِ^(١٣)
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تُلْفُهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا^(١٤)
إِنْ سَمِيرًا عَبْدٌ طَفَى سَفَهَا سَاعِدُهُ أَغْبَدَ لَهُمْ نَطَفُ^(١٥)

(١) الخوذ : الشابة الناعمة ، والطرف : المستطرف المبوب (٢) الأنف : المتأنف الجديد
(٣) أنف : ذوو أنفة ، ندفع الضيم عنهم وتنصرم (٤) الصحف : اليهود (٥) يقال فلاه
بالسيف ؛ إذا علاه ، والصفيح : جمع صفيحة ، وهي السيف العريض . والجنف : انحراف وميل
عما توجهه القربى والرحم . قال شارح ديوانه : يريد أن قتلنا لإمام علف منا ؛ لأنهم قومنا وبنو
عمننا (٦) اختلجت : انتزعت . وسخن عيط : دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت : فعل
من غول الشعراء ، وأحد المعمرين المخضرمين ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي
صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر المؤمنين في الإسلام ، توفي سنة ٥٤ هـ (٨) فلف : بيعة
(٩) النطف : القرط .

«٢» حَرْبُ كَعْب

تَزَوَّجَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَازِي الْخَزَرَجِيُّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَالِمٍ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، فَقَعِدَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَحْجَجٍ مِنَ الْأَوْسِ بِمَرْصَدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ أَوْ كَادُوا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو خَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ بَنُو النَّجَّارِ^(٢) وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي جَحْجَجٍ يُؤْذِنُهُمْ بِحَرْبٍ، فَتَلَقَّوْا بِالرُّحَابَةِ^(٣)، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا شَدِيدًا، وَانْهَزَمَتْ بَنُو جَحْجَجٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ أُحَيْحَةَ بْنُ الْجُلَّاحِ الْأَوْسِيُّ، فَطَلَبَهُ عَاصِمٌ فَأَذْرَكَهُ وَقَدْ دَخَلَ حِصْنَهُ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي بَابِ الْحِصْنِ، وَرَجَعَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَكَّنُوا أَيَّامًا. ثُمَّ إِنَّ عَاصِمًا طَلَبَ أُحَيْحَةَ لَيْلًا لِيَقْتُلَهُ فِي دَارِهِ، وَبَلَغَ أُحَيْحَةَ ذَلِكَ فَقَالَ:

نَبَيْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَسْرِى بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ^(٤)
فَلَقَدْ وَجَدْتِ بِجَانِبِ الضَّحْيَانِ^(٥) شَبَانًا مُهَابَةً
فَتَيَّانَ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأُسْدٍ غَابَهُ
هَمْ نَكْبُوكَ عَنِ الطَّرِيقِ فَبِتَ تَرْكِبُ كُلِّ لَابَةٍ^(٦)
أَعَصِمَ لَا تَجْزِعُ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بِاللُّعَابَةِ
فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرُّحَابَةَ
وَقَتَلْتُ كَعْبًا قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الدُّؤَابَةَ

(١) بنو سالم : قبيلة في الخزرج (الأنصار) (٢) بنو النجار : قبيلة في الخزرج (الأنصار) (٣) الرحابة : حصن بالمدينة (٤) القبابة : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أحيحة في أرض القبابة (٦) اللابة : الحرة من الأرض .

وبلغ عاصم قوله فأجابه :

أَبْلَغُ أُحِيحَةَ إِنَّ عَرْضْتَ بداره عَنِّي جوابه
وأنا الذي أَعْجَبْتُكَ عَنْ مَقْعِدِ الْهُيِّ كَلَابَهُ
ورميتُهُ مَهْمَا فَأَخْطَاهُ وَأَغْلَقَ ثُمَّ بَابَهُ

وكان أُحِيحَةُ إِذَا أَمْسَى جَلَسَ بِحِذَاءِ حِصْنِهِ الْفَضْحِيَّانِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ كَلَابًا لَهُ تَنْبِيعُ
دُونَهُ عَلَى مَنْ يَأْتِيهِ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ ، حَذَرَ أَنْ يَأْتِيَهُ عَدُوٌّ يَصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، فَأَقْبَلَ
عَاصِمُ بْنُ عَمْرِوٍ يَرْبِدُهُ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ لِيَقْتُلَهُ بِأَخِيهِ ، وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ تَمْرًا ، فَلَمَّا نَبَحَتْهُ
الْكَلَابُ حِينَ دَنَا مِنْهُ أَتَتْ لَهَا التَّمَرُ فَوَقَفَتْ ؛ فَلَمَّا رَأَتْهَا أُحِيحَةُ قَدْ سَكَتَ حَذِرٌ ،
فَقَامَ فَدَخَلَ حِصْنَهُ ، وَرَمَاهُ عَاصِمُ بِسَهْمٍ فَأَحْرَزَهُ^(١) الْبَابُ ؛ فَوَقَعَ السَّهْمُ بِالْبَابِ ،
فَلَمَّا سَمِعَ أُحِيحَةُ وَقَعَ السَّهْمِ صَرَخَ فِي قَوْمِهِ ، فَجَرَى عَاصِمٌ وَأَعْجَزَهُمْ حَتَّى
أَتَى قَوْمَهُ .

ثُمَّ إِنَّ أُحِيحَةَ جَمَعَ لِبَنِي النَّجَّارِ وَأَرَادَ أَنْ يَفْتَرَّهُمْ ، فَوَاعَدَهُ قَوْمُهُ لَذَلِكَ -
وَكَانَتْ عِنْدَ أُحِيحَةَ سُلْمَى^(٢) بِنْتُ عَمْرِوٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي النَّجَّارِ - وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَةٌ
عَمْرِو بْنُ أُحِيحَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فَطِيمٌ أَوْدُونَ الْفَطِيمِ ، فَلَمَّا رَأَتْ عَزَمَ أُحِيحَةُ عَلَى غَزْوِ
قَوْمِهَا عَمِدَتْ إِلَى ابْنِهَا فَزَيَّنَتْهُ بِخَيْطٍ حَتَّى إِذَا أَوْجَعَتِ الصَّبِيَّ تَرَكَتْهُ فَبَاتَ يَبْكِي وَهُوَ
تَحْمِلُهُ ، وَبَاتَ أُحِيحَةُ مَعَهَا سَاهِرًا يَقُولُ : وَيْحَكَ ! مَا لَإِبْنِي ؟ فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَالَهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ أَطْلَقْتَ الْخَيْطَ عَنِ الصَّبِيِّ فَنَامَ . وَلَمَّا هَذَا الصَّبِيُّ قَالَتْ :

(١) أَحْرَزَهُ الْمَكَانَ : أَلْجَأَهُ (٢) هِيَ أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، خَلْفَ عَلَيْهَا هِشَامٌ بَعْدَ أَنْ
طَلَقَهَا أُحِيحَةُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً شَرِيفَةً لَا تَتَزَوَّجُ الرِّجَالُ إِلَّا وَأَمْرُهَا يَبْدُو ، إِذَا كَرِهَتْ مِنْ رَجُلٍ
شَيْئًا تَرَكَتْهُ .

وارأساه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يمصب لها
رأسها ويقول : ليس بك بأس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقله قالت له : قم فإني
أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده - وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ،
وليشتد نومه على طول السهر - فلما نام قامت وأخذت حبلاً^(١) وأوثقته برأس الحصن
ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه
من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر
قد استعدوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ، ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن
لحذر القوم ، وعلم أن سلى قد خدعته .

(١) سميت المتدلية لذلك .

«٣» حَرْبُ حَاطِبٍ

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلاً شريفاً سيّداً ، فأتاه رجل من ذُبْيَان ، ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنُقَاعَ ، فرآه رجل من بني الحارث ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردائي إن كَسَمْتُ (١) هذا الذُّبْيَانِي . فأخذ رداءه وكَسَمَهُ كَسْمَةً سَمِعَهَا مَنْ بالسوق ؛ فنَادَى الذُّبْيَانِي : يَا حَاطِبُ ؛ كَسِيعَ ضَيْفُكَ وَفُضِّحْ !

وأخْبَرَ حاطبَ بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كَسَمَهُ ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا إليه وضربه بالسيف ضربةً فلقَ بها هامته ، وأخبر يزيد بذلك ، فأمرع خَلْفَ حاطبٍ وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدرك رجلاً من الأوس قَتَلَهُ .

وَنَارَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، واحتشدوا واجتمعوا على جسر بني الحارث ابن الخزرج ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَيَاضِي ، وعلى الأوس حُضَيْرُ بْنُ سَمَّاكٍ الْأَثْمَلِي . وعلم عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وخيار بن مالك الْفَزَارِيَّانِ بِالْأَمْرِ فَقَدَمَا الْمَدِينَةَ ، وتحدَّثَا مع الأوس والخزرج في الصلح ، وضمنا أن يتحملا كلَّ مَا يَدَّعَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأَبَوْا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانت الدائرةُ على الأوس .

(١) كَسَمَهُ : ضربه برجله في دبره .

«٤» حَرْبُ يَوْمِ بَعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ^(١) في حروبهم التي كانت بينهم ، وبلغ ذلك الْخَزْرَجَ ، فبعثت إليهم : إن الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعْجِزَنَا أَنْ نَسْتَمِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرِ مَنْكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ ظَفِرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ظَفِرْتُمْ لَمْ تَنْمَ عَنْ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصْبِرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَتَسْتَغْلِبُكُمْ مِنْ شَأْنِنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعُونَا وَتَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا .

فلما سمعوا ذلك علموا أَنَّهُ الْحَقُّ ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَى الْخَزْرَجِ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ وَالتَّمَسَّتِ الْأَوْسُ نَصْرَنَا ، وَمَا كُنَّا لَنَنْصُرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَبَدًا ؛ فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَزْرَجُ : فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَاذْبَحُوا إِلَيْنَا بَرَهَاتَيْنِ تَكُونُ فِي أَيْدِينَا ؛ فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ بَارِعَيْنِ غَلَامًا مِنْهُمْ ؛ فَفَرَّقَهُمُ الْخَزْرَجُ فِي دُورِهِمْ ، وَمَكَّثُوا بِذَلِكَ مَدَّةً .

ثم إن عمرو بن النعمان الْبَيَّاضِيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ بَيَّاضَةً^(٢) : إِنْ أَبَاكُمْ أَنْزَلَكُمْ مَنْزِلَ سُوءٍ بَيْنَ سَبَخَةٍ^(٣) وَمَقَاةٍ^(٤) ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَمَسُّ رَأْسِي غِسْلٌ حَتَّى أَنْزَلَكُمْ مَنَازِلَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَلَى عَذَابِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ ؛ ثُمَّ رَاسَلَهُمْ إِمَّا أَنْ تَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيَارِكُمْ نَسْكُنُهَا ، وَإِمَّا أَنْ نَقْتُلَ رُءُوسَكُمْ ؛ فَهَمُّوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ كَعْبُ ابْنِ أَسَدِ الْقُرَظِيِّ : يَا قَوْمُ ؛ ائْتَمُّوا دِيَارَكُمْ وَخَلُّوهُ يَقْتُلِ الرُّهُنَ ، وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ يُصِيبُ فِيهَا أَحَدُكُمْ أَمْرًا هَئِذَا هُوَ يُولَدُ لَهُ غَلَامٌ مِثْلُ أَحَدِ الرُّهُنِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْسُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛

(١) قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ : حَيَّانٌ فِي الْيَهُودِ (٢) قَبِيلَةٌ فِي الْخَزْرَجِ (٣) السَّبَخَةُ : أَرْضٌ ذَاتُ تَرَمْلٍ وَبَلْعٍ (٤) الْمَقَاةُ : الْقَلَاةُ لَا مَاءَ بِهَا .

فأرسلوا إلى عمرو بالآ نُسَلَمَ لَكُمْ دُورَنَا ، وانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رُهِينَا
 قَومُوا لنا به ؛ فعدّا عمرو بن النعمان البياضى على رُهِينِهِم هو ومن أَطَاعَهُ من الخزرج
 قَتَلُوهم ، وأبى عبد الله بن أبى - وكان سَيِّدًا حَلِيمًا - وقال : هذا عقوق ومَأْتَمٌ
 وبَنَى ، فليست مُعِينًا عليه ، ولا أحد من قَوْمِي ^(١) أَطَاعَنِى ، وخالى عَمَنُ عنده
 من الرُّهْنِ .

فناوشت الأوس الخزرج يوم قَتَلَ الرُّهْنُ شَيْئًا من قتال غير كبير ، واجتمعت
 قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ إلى كعب بن أسد القرظى ، ثم تأمروا أَنْ يُعِينُوا الأوس على الخزرج ،
 فبعثت إلى الأوس بذلك ، ثم أَجْمَعُوا عليه ، على أَنْ ينزل كلُّ أهل بيت من النَبِيتِ ^(٢)
 على بيت من بنى قُرَيْظَةَ ؛ فنزلوا معهم فى دورهم . ثم أرسلوا إلى سَائِرِ الأوس فى
 الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع الملا منهم ، واستحكم أمرهم ، وجدّوا فى حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج
 اجتمعوا حتى جاءوا عبد الله بن أبى ، وقالوا له : قد كان الذى بَلَغَكَ من أمر الأوس
 وأمر قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ واجتماعهم على حَرْبِنَا ، فلما نرى أَنْ تقاتلهم ، فإن هزمنام
 لم يُحْزِرْ أَحَدٌ منهم مَقْعَلَهُ ولا مَلْجَأَهُ حتى لا يبق منهم أحد .

فلما فرغوا من مقاتلتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بنى مُنَكَمَ على قومكم وعقوق ،
 والله ما أَحَبُّ أَنْ رَجَلًا ^(٣) من جَرَادٍ أَلْفَيْنَاهُمْ ، وقد بلغنى أَنهم يقولون هؤلاء قومنا
 مَنَعُونَا الحياة أَمِينَمُونَا الموت ؟ والله إني أرى قومًا لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ،
 وإني لأخاف إِنْ قَاتَلُوكُمْ أَنْ يُنْصَرُّوا عَلَيْكُمْ لِنَبِيِّكُمْ عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

(١) م بنو سالم الحبلى (٢) البيت: حى فى الأوس ، أطلق عليهم لقب أبيهم ، واسمه عمرو
 ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تقاتلونهم ، فإذا ولّوا فخلّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلّوا عنكم . فقال له عمرو بن النعمان البياضي : انتفخ والله سحرُك^(١) يا أبا الحارث حين بلغت حلف الأوس وقرينة والنضير . فقال عبد الله : والله لاحضرتكم أبداً ، ولا أحد أطاعني أبداً ، ولكاني أنظر إليك قليلاً تحملك أربعة في عباء^(٢) .

وتابع عبد الله رجاله من الخزرج ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي ، وولّوه أمر حربهم ، ولبت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنّمون^(٣) للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع ، وأرسلت الأوس إلى مزينة ، وذهب حضير الكتائب الأشملى إلى أبي قيس الأسلت^(٤) ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حضير ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نمرة^(٥) تشفّ عن عورته ، فحرضهم ، وأمرهم بالجِدِّ في حربهم ، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبت ، وإذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير ؛ وجمل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج يستشيط ويحى ، فأجابته أوس الله بالذي يحبُّ من النصره والمؤازرة والجدِّ في الحرب .

ثم اجتمعت الأوس مرة أخرى ، فأجالوا الرأي ؛ فقالوا : إن ظفّرنا بالخروج لم ننبئ منهم أحداً ، ولم تقاتلهم كما كنّا تقاتلهم . فقال حضير : يا معشر الأوس ؛ ما مُمَيِّتُ الأوس إلا لأنكم تُؤسُون^(٦) الأمور الواسعة ؛

(١) أصل السحر : ما التزق بالخلق والمريء ، ويقال للجبان : انتفخ سحره ، أى ملا الخوف قلبه (٢) العباء : كساء (٣) يتصنّمون : يتجهزون ويتأهبون (٤) حضير وأبو الأسلت : كلاهما من الأوس (٥) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أى تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتم دواراً لمَشرٍ قد قتلوا الخيَّاراً

يوشِكُ أن يستأصلوا الدِّياراً

ثم طرحوا بين أيديهم تمرّاً ، وجعلوا يأكلون وحُضِرَ الكتابُ جالسٌ وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصَّماءُ^(١) ، وما يأكل معهم ولا يدنو إلى التمر غصباً وحنقاً ، فقال : يا قوم ؛ اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس : لا أقبلُ ذلك ، فإنِّي لم أرُ أس على قوم في حرب قطّ إلا هُزِموا وتشاءموا برياستي .

ثم جاءتهم أوس مناة ، وقَدِمَت مُزينة ، فانطلق حُضير وأبو عامر الرَّاهب إلى أبي قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مُزينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قبيل للخزرج به ، فما الرأي إن نحنُ ظهَرنا عليهم : الإنجاز أم البَقية ؟ فقال أبو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزاز^(٢) . ثم اختلفوا في ذلك ؛ فأقسم حُضير ألا يشرب الخمر ، أو يظهر ويهدم مُزاحماً : أطم عبد الله بن أبي . ثم لبثوا شهرين يعدُّون ويستعدون .

وكان اللقاء بُبُعاً ، وحشد الحَيَّان فلم يتخلَّف عنهم إلا من لا ذِكْرَ^(٣) له ، ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التَّقوا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم وقالوا لحُضير : يا أبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبمئت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة ؟ فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت إليهم ! الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوسُ حين وجدوا من

(١) اشتال الصَّاء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فينطهما جيماً (٢) بزاز : كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا (٣) تخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبشوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبشوا إليهم أن ابشوا إلينا برهائن منكم يكونون في أيدينا ، فبشوا إليهم اثني عشر رجلاً .

السَّلاح ، فولّوا مصعدين في حرّة قَوْزَى^(١) ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الغزرج :
 أين الفرار ، فلما سمع حضير طعن بسنان رُمَحِه فَنَحَذِه ، ونزل وصاح وعَفَّراه^(٢) ،
 والله لا أريم حتى أقتل ، فإن شتُم يا معشر الأوس أن تُسَلِّموني فافعلوا ؛ فتعطفت
 عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ مُعْرِسان^(٣)
 ذوا بَطْنٍ ، فجعللا يرتجزان ويقولان :

أى غلامى ملك ترانا في الحرب إذ دارت بنا رحانا
 وعدد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البَيَاضى رأس
 الغزرج فقتله ، لا يدري من رمى^(٤) به . ثم انهزمت الغزرج ، ووضعت الأوس فيهم
 السلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أسجِّحوا^(٥) ولا تُهلِكوا إخوانكم ؛
 فتناهت الأوس ، وكفَّت عن سلبهم بعد إِنْخَان فيهم^(٦) ، وسلبتهم قُرَيْظَةَ والنضير ،

(١) موضع في نواحي المدينة (٢) المقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) يقال :
 أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) روي : أنه بينما كان عبد الله بن أبي بَرْدٍ على بطة له قريباً من
 بسات ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه عمرو بن النعمان ميتاً في عباء يحمله أربعة إلى داره ،
 فلما رآه قال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال العقوق (٥) أسجِّحوا :
 أحسنوا العفو (٦) روى في الأغاني أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذ في أطعم من أطاعمهم
 فقال لابنة له : أشرقي على الأطعم فانظري ما فعل القوم ، فأشرقت فقالت : أسمع الصوت قد ارفع
 في أعلى قوري وأسمع قائل يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذا على الأوس ، لا خير
 في البقاء . ثم قال : ما ذا تسمين ؟ فقالت : أسمع رجالا يقولون : يا آل الأوس ، ورجالا يقولون :
 يا آل الخزرج ، قال : الآن حمى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرقي فاسمعي ، فأشرقت فقالت :
 أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب الرعل » . قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت
 والله الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطعم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط
 ومات .

وحملت الأوس حفيراً من الجراح التي به ، وهم يرجزون حوله ويقولون :

كثيبة زيتها مولاهما لا كهلها هذ ولا فتاهما

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . ثم خرج سعد بن معاذ الأشهلي^(١) ، حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم يوم الرغل^(٢) .

وأقسم كعب بن أسد القرظي^(٣) لئذ لن عبد الله بن أبي ، وليحلقن رأسه تحت حصنه مزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما خذلت^(٤) عنكم . فسأل عما قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأُسَلت بعد المزيمة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصر أقصر ، وداراً داراً ، تقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سميت الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت الخزرج بمثلها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .
وتقل على حضير الجرح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده أياماً ، ثم مات . فقال خُفَاف بن نُدْبة^(٥) يرثيه :

(١) من بني عبد الأشهل ، وم قيلة في الأوس (٢) الرغل : مال لعبد الأشهل ، وبنو سلمة قيلة في الخزرج ، وكانوا يوم الرغل أغاروا على مال لبني عبد الأشهل وقتلوه ، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة ، فاحتمله بنو - سلمة إلى عمرو بن الجوح الخزرجي فأجاره وأخاه وأجار الرغل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعث حازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥ جزء ١) (٣) من بني قريظة حلفاء الأوس (٤) أي ما تركت نصرته ، وهو يشير إلى ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بني قريظة والنضير (٥) كان خفاف قديمه وصديقه .

أَتَانِي حَدِيثُ فَكَّنَتْهُ وَقِيلَ خُلَيْكَ فِي الرَّمَسِ^(١)
 فَيَا عَيْنُ بَكِّي حُضَيْرَ النَّدَى حُضَيْرَ الْكِتَابِ وَالْمَجْلِسِ
 وَيَوْمَ شَدِيدِ أَوَارِ الْحَدِيدِ تَقَطَّعُ مِنْهُ عُرَى الْأَنْفُسِ
 صَلَيْتُ بِهِ وَعَلَيْكَ الْحَدِيدِ دُ مَا يَنْ سَلَعُ^(٢) إِلَى الْأَعْرَسِ
 فَأَوْدَى بِنَفْسِكَ يَوْمَ الْوَعَى وَتَقَى ثِيَابَكَ لَمْ تَدْنَسِ

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيُّ^(٣) :
 أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةٍ وَحُشَاغِيرٍ مَوْقِفِ رَاكِبِ^(٤)
 دِيَارَ الَّتِي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى نَحَلَّ بِهَا لَوْلَا نَجَاءُ النَّجَابِ^(٥)
 تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
 وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى وَعَمَدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتَ ذَوَائِبِ
 وَمِثْلُكَ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكُنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ وَلَا حَلِيلَةٍ سَاحِبِ

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) في الأغاني : جلس النبي صلى الله عليه وسلم
 في مجلس ليس فيه إلا خزرجمي ، ثم امتشدهم قصيدة قيس بن الخطيم :
 أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةٍ وَحُشَاغِيرٍ مَوْقِفِ رَاكِبِ
 فَأَتَدَّهُ بِضَمِّهِمْ لِيَا هَا ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

أَجَادِمُ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَن بَدَى بِالسِّيفِ مَخْرَاقَ لَاعِبِ
 فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « هَلْ كَانَ كَمَا ذَكَرَ » ؟ فَفَعِدَ لَهُ ثَابِتُ بْنُ
 قَيْسٍ وَقَالَ لَهُ : وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَوْمَ سَابِعِ عَرَسِهِ ، عَلَيْهِ غِلَافَةٌ
 وَمَلْحَفَةٌ مَوْرَسَةٌ ، فَجَالَسَنَا كَمَا ذَكَرَ . هُنَا وَقَدْ أُورِدَ صَاحِبُ الْجَهْرَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَعَمَدَا مِنْ
 الْمَذَاهِبِ (٤) الْأَطْرَادِ : التَّابِعِ . الْمَذَاهِبِ : جُلُودُ كَانَتْ تَذْهَبُ وَاحِدُهَا مَذْهَبٌ (بِضَمِّ الْمِيمِ) :
 يَجْعَلُ فِيهَا خُطُوطَ مَذْهَبَةٍ بِضْهَا فِي لُغَةِ بَعْضٍ . وَوَحْشًا : قَرَأَ ، وَغَيْرُ مَوْقِفِ رَاكِبٍ : لَا يَصْلُحُ
 لِقَوْلِهِ . وَقَدْ رَوَى فِي الْمُفْضَلِيَّاتِ : كَالطَّرَازِ الْمَذْهَبِ (٥) النَّجَاءُ : السَّرْعَةُ ، وَالنَّجَابُ : الْأَيْلُ
 الْكَرِيمَةُ ، وَفِي مَهَذَبِ الْأَغَانِي : لَوْلَا نَجَاءُ الرَّاكِبِ

دعوتُ بني عوف لحِقْنِ دماهم
 وكنتُ امرأً لا أبثُ الحربَ ظالماً
 أربتُ بدفعِ الحربِ لَأُ رَأَيْتُهَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ غَايَةِ الْمَوْتِ مَدْفَعٌ
 فلما رأيتُ الحربَ حرباً مجرّدتُ
 مُضَاعَفَةً يَفْشَى الْأَنَامِلَ فَضْلُهَا
 وسامح فيها ملكاهنين ومالكُ
 رجالٌ متى يُدْعَوْنَ إِلَى الْمَوْتِ يُرْقِلُوا
 ترى قَصْدَ الْمَرْءِ أَنْ تَهْوَى كَانَتْهَا
 صَبَحْنَا بِهَا الْأَطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ
 لو أَنَّكَ تَلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا
 إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَأَ فِرَارِنَا
 صدود الخدود والفتنَا مُتَشَارِجَةٌ
 فلما أَبَوَا سَاعَتَ فِي حَرْبٍ حَاطِبٌ (١)
 فلما أَبَوَا أَشْعَلَتْهَا كُلٌّ جَانِبٍ
 عَنْ الدَّفْعِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارُبٍ (٢)
 فَأَهْلًا بِهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ فِي الْمَرَّاحِ
 لَيْسَتْ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْحَارِبِ
 كَانَ فَتِيرِهَا عِيونُ الْجَنَادِ (٣)
 وَتَعْلِبَةُ الْأَخْيَارِ رَهْطُ ابْنِ غَالِبٍ (٤)
 إِلَيْهِ كَارِ قَالَ الْجَمَالُ الْمَصَاحِبِ (٥)
 تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (٦)
 قَوَانِسُ أُولَى بَيْضِنَا كَالسَّكَاكِبِ (٧)
 تَدَحْرَجُ عَنْ ذِي سَامِرِ الْمُتَقَارِبِ (٨)
 صُدُودُ الْخُدُودِ وَأَزْوَارُ النَّاكِبِ
 وَلَا تَبْرَحُ الْأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

- (١) ساحت : ثابت . حاطب : حليف لهم قتل فكانت بينهم حرب في قتله (٢) كانت لي لربة : أي حاجة ، وفي رواية ابن الأثير : أذنت ، وفي مذهب الأغانى : حتى رأيتها (٣) المضاعفة : التدرج التي ضوعف حلقها ، والتعبير ودهوس السامير (٤) قال صاحب مذهب الأغانى : ملكاهنين : قريظة والتفسير ، ورواية الجمهرة : السكاهنان في الجمهرة . رهط القباقيب ، قال : القباقيب : الشجمان وجماعات الكريهة (٥) يقال : أرقل القوم إلى الحرب أسرعوا ؛ قال النابغة :
 إِذَا اسْتَزَلُّوا لِلطَّمَنِ ضَهْنُ أَرْقَلُوا
 لِلْمَوْتِ لِمَا قَالَ الْجَمَالُ الْمَصَاحِبِ
 (٦) القصد : القطع ، والمران : الرماح . والتذرع : قال صاحب اللسان عن الأسمى : تذرع فلان الجريد إذا وضعه في ذراعه فتشطه ، ومنه قول قيس : ترى قصد . . . الخ ، والخِرْصَان : القضبان ، والشواطب : النساء يشققن القضبان (اللسان - مادة ذرع) (٧) مزاحم : حصن بجلدينة ، وقونس اليضة من السلاح : أعلاها (٨) السام : عروق الذهب ، وأراد به خطوط ذهب على البيض تحفه بها .

إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ
 أَجَالُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ مَخْرَاقَ لَاعِبٍ ^(١)
 وَيَوْمَ بُعَاثَ أَسْلَمَتْنَا سَيُوفُنَا إِلَى حَصْبٍ فِي جَذَمٍ غَسَّانٍ ثَاقِبٍ ^(٢)
 يُعْرَيْنَ بِيضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَيُعْمِدْنَ حِمْرًا نَاحِلَاتِ الْمَضَارِبِ ^(٣)
 أَطَاعَتْ بَنُو هَوَيْهِ أَمِيرًا نَهَاهُمْ عَنِ السَّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ وَاجِبٍ ^(٤)
 رَضِيَتْ لِمَعُوفٍ أَنْ يَقُولَ نَسَاؤُهُمْ - وَيَهْزَأُنَّ مِنْهُمْ - لَيْتِنَا لَمْ نُحَارِبْ
 صَبَحْنَاكُمْ بِيضَاءَ يَبْرُقُ بَيْنَهُمَا تُبِينُ خَلَائِلَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ ^(٥)
 أَصَابَ صَرِيحَ الْقَوْمِ غَرْبُ سَيُوفِنَا وَغُودِرَ أَوْلَادُ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ ^(٦)
 وَمَنَا ^(٧) أَلَدَى آلِي ثَلَاثِينَ لَيْلَةً عَنِ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكَتَائِبِ
 رَضِيَتْ لَهُمْ إِذْ لَا يَرِيعُونَ قَعْرَهَا إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
 فَلَوْلَا ذَرَا الْأَطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَتَرَكُوا الْفَضَا شُورَكُمْ فِي الْكَوَاعِبِ ^(٨)
 فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَانًا نَزِيدُهُ لَكُمْ مُحَرَّزًا إِلَّا ظُهُورَ الْمَشَارِبِ ^(٩)

(١) الحديقة : قرية من أعراض المدينة ، والمخراق : خرقه مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفي الجمهرة :
 يوم الحنادق (٢) يريد أنهم حققوا غفر انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ،
 ورواية اللسان : . . . إلى لثب في حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت
 كما يأتي :

يجرذن ييضاً كل يوم كريمة ويفمدن حمراً خاضبات المضارب
 (٤) واجب : ميت (٥) صبحناكم : أى دهنناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها
 لون السيوف ، والحوارب : النساء المهاريات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ،
 وغرب السيف : حده ، والإماء : الجواري ، وأبناء الحواطب : أبناء حمالات الخطب من النساء
 (٧) أبو قيس بن الأسلت (٨) يريد : إنكم لولا أنكم هربتم في أمالي المضارب لكنتم في
 عداد السبايا (٩) المشارب : الفرف .

فَهَلَا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَافِ صَبْرُكُمْ لَوْ قَعْتُنَا وَالْيَأْسُ صَعَبُ الرَّاكِبِ
ظَارَ مَا كَمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لَا تُنْثَمَ أَذْلُ مِنَ الشُّقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَاثِبِ^(١)
وَلَا هَبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخُرُ مَا لَمْ نُضَارِبْ
فَسَامِعِهِ مِنَّا رَجَالٌ أَعَزَّةٌ فَا بَرَحُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لَشَارِبِ
فَلَبِثَ سَوِيدَ آرَاءٍ مِنْ جَرٍّ مِنْكُمْ وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَحْدُوهُمْ كَالْحَلَاثِبِ
فَأَبْنَا إِلَى أَبْنَانِنَا وَنَسَائِنَا وَمَا مَن تَرَكْنَا فِي بُعَاثٍ بِأَتَبِ
وَعُيِّتَ عَنْ يَوْمٍ كَسَنَتْنِي عَشِيرَتِي وَيَوْمَ بُعَاثٍ كَانَ يَوْمَ التَّنَالِيبِ
وَعَادَ أَبُو قَيْسٍ بِنَ الْأَسْلَتِ^(٢) إِلَى امْرَأَتِهِ ، بَدَأَ أَنْ مَكَثَ فِي الْحَرْبِ أَشْهُرًا آتَرَهَا
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى شَحِبَ لَوْنُهُ وَتَغَيَّرَ ، فَدَقَّ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لَهُ ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا يَتَدَهَدَهُ
فَدَفَعَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو قَيْسٍ ، قَالَتْ : وَاقِهِ مَا عَرَفْتُكَ حَتَّى تَكَلِّمْتَ ،
فَقَالَ^(٣) :

قَالَتْ - وَلَمْ تَقْصِدْ لِقَائِي الْخَنَا - مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاءِي^(٤)
أَنْكَرْتَنِي حِينَ نَوَسَمْتَنِي وَالْحَرْبُ غَوْلُ^(٥) ذَاتِ أَوْجَاعِ
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَحْبِسُهُ بَعْجَتُجَاعِ^(٦)
قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ^(٧)

(١) ظَارَ مَا كَمْ : عَظَمْنَا كَمْ عَلَى مَا نَرِيدُ . الْيَأْسُ : الْخَفْ . الذِّكْرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ (٢) قَالَ صَاحِبُ
الْأَغَانِي : لَمْ يَقَعْ لِي اسْمُهُ ، وَالْأَسْلَتُ لَقَبُ أَبِيهِ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَتْ الْأَوْسُ
قَدْ أَسْنَدَتْ إِلَيْهِ حَرْبَهَا يَوْمَ بَهَاتٍ ، وَحِجْلَتُهُ رَئِيسًا عَلَيْهَا ، فَكُنِيَ وَسَادَ ، وَأَسْلَمَ ابْنُهُ عَقْبَةَ ، وَاسْتَقْبَلَ
يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ (٣) وَفَدَّرَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ صَاحِبُ الْجُمُحَرَةِ ، وَصَاحِبُ الْقَضَايَا ، وَالْمُرْسَنِيُّ فِي
رَغْبَةِ الْأَمَلِ (٤) الْخَنَا : الْعَارُ ، وَالْمَعْنَى آتَمَنِي خَيْرَكَ حَتَّى لَا أُرِيدَ سَمَاعَهُ (٥) غَوْلُ : مُقَاتَلَةٌ .
(٦) الْجَمْعُ : الْمَكَانُ الْغَلِيظُ (٧) حَصَّتْ : أَذْهَبَتْ شَعْرَهُ ، وَالْبَيْضَةُ : مَا تَلْبَسُ فِي الرَّأْسِ
عِنْدَ الْحَرْبِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ مِنْ طَوْلٍ لَبَسَهَا أَذْهَبَتْ شَعْرَ رَأْسِهِ ، وَالتَّهْجَاعُ : التَّوَمَةُ الْحَقِيقَةُ .

أسمى على جُلٍّ^(١) بنى مالك كلُّ امرئٍ في شأنه سَاعَ
أعدتْ للأعداءِ مَوْضُونََةً فَضْفَاضَةً كالنَّهْيِ^(٢) بالقاع
أَحْفِزُهَا عَنِي بَذَى رَوْتَقٍ مَهْتَدٍ كَالْمَلْحِ^(٣) قَطَاعٍ
صَدَقَ حُسَامٍ وَادِقٍ حَدُّهُ وَمُجَنَّلٍ أَسْمَرَ قِرَاعٍ^(٤)
بِزٍّ امرئٍ مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ لِلدَّهْرِ جَلْدٍ غَيْرِ عِجْزَاعٍ^(٥)
الحِزْمِ والقُوَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْإِذْهَانِ وَالْفَسْكَةِ وَالْهَاعِ^(٦)
لَيْسَ قَطَا مِثْلَ قُطَى وَلَا الْـ مَرِئِ فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِي^(٧)
لَا نَأْلُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الْأَعْدَاءَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ^(٨)
نَذُوذُهُمْ عَنَّا بِمُسْتَنْتَةٍ ذَاتِ عَرَانِينَ وَدُقَّاعٍ^(٩)
كَأَنَّا أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنَ فِي غِيلٍ وَأَجْزَاعٍ^(١٠)
حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ مِنْ بَيْنِ جَمْعٍ غَيْرِ مُجْجَاعٍ^(١١)

(١) الجُلُّ : ما يوضع على الدابة (٢) الموضونة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقاتها مداخل في بعض ، والتهى : الفدير ، والقاع : المكان المستوي ؛ شبه نسجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء بذلك القاع (٣) الحفز في الأصل : دفعك الشيء من خلقه ؛ يريد أدفع ثقلها بفم سيف ذي روتق والروتق : ماء السيف وصفاءه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛ وادق حده : ماض في ضربته ؛ والمجنأ : الترس سمي به لأعنائه ، وقراع : صلب ؛ سمي به لصبره على القراع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : التأهب الشاكي السلاح (٦) الإذهان : اللين ، والفسكة : ضعف الرأي ، والهاع : سوء الحرس مع الضعف (٧) ورد هذا البيت مورداً للـ وليس قطا مثل قطى : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعى : ليس السائس كالمسوس (٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكنية تستق في عددها من استن القرس ؛ مضى على وجهه ، والعرايين : جمع عرينين وهو الأف ، وأراد به رؤساءهم ، والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يدفعون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والغيل : الأجمة والأجزاء : الوديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والمجاع : أخلاط الناس ؛ يريد لم نستعن بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلعت ما كان إبطاً وإسراعاً^(١)
هل أبذل المال على حبة فيهم وآبى دعوة الداعي
وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصُر به باع^(٢)
وأقطع الحرق يُخاف الرد فيه على أدماء هِلْوَاع^(٣)
ذات أساميج مجاليّة حششتها كورى وأنساع^(٤)
تمطى على الأين وتنجوم الضّ رب أمون غير مِظْلَاع^(٥)
كان أطراف وليّاتها في شمال حصاء زَعَزَاع^(٦)
أزبنُ الرّحل بمقومة حارية أو ذات أقطاع^(٧)
أقضى بها الحاجات إن الفتى رهن بذى لوّنيه خَدَاع^(٨)

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم
منها يوم السراة ، ويوم الربيع ، ويوم فارح ، ويوم البقيع ، ويوم معبس ومضرس ،
وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة .

(١) قلعت : شمرت ؟ من قلعت الإبل في سيرها ؟ إذا استمرت في مضيتها (٢) القونس :
مقدم يضة السلاح أو أعلاها (٣) الحرق : القفر ، ويريد بالأدماء الناقة ، من الأدمة وهي فالإبل
البياض الواضح ، والهلّواع مثل الهلّواعة : الناقة الشبهة التي تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب
الفضليات والمرصني في رغبة الأمل ، ورواية صاحب الجهرة :

فلك أفضالى وقد أقطع الحرق على أدماء هلّواع
(٤) الأساميج : فنون في السير مختلفة ، لا واحد لها ، وجمالية : تشبه الجمل في خلقته ،
وحششتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرحل ، والأنساع : جبال من جلد مضفورة تشد عليها
الرحال (٥) تمطى على الأين : يريد تمطى سيراً سريعاً ، والأمون : المأمونة النثار ، وغير
مِظْلَاع : من الظلّ ، وهو العرج والفض في المعى (٦) الوليات : جمع ولبة ، وهي الكساء
يوضع تحت الرحل ، جعل كل جزء ولبة فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعزاع : ترزعزع
كل ما نعر به ؟ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ربح الضال من شدة سرعتها في السير
(٧) المقومة : الموشة ، وحارية منسوبة إلى الحيرة : على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس الموشاة
توضع تحت الرحل على كتف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

٧ - حَرْبُ يَوْمِ سَحْبِل

كان جعفر^(١) بن عُلْبَةَ يزور نساء من بني عَقِيل^(٢) بن كَعْب ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث^(٣) بن كعب ، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عَوْرَتَهُ ، وربطوه إلى جُجْتِهِ ، وضربوه بالسيّاط وكَتَّفُوهُ ، ثم أقبلوا به وأدبرُوا ، على النَّسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليفيطوهن ، وَيَفْضَحُوهُنَّ عِنْدَهُنَّ ، فقال لهم : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ مُثَلَّةٌ ، وأنا أحلف لكم بما يُبْلِغُ صدوركم ؛ ألاّ أزورَ بيوتكم أبداً ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا منه . قال : فإن لم تفعلوا ذلك فَحَسْبُكُمْ مَا قَدْ مَضَى ، وَمُنُوا عَلَى الْكَفِّ عَنِّي ؛ فَإِنِّي أَعِدُّهُ نِعْمَةً لَكُمْ ، وبدلاً لا أَكْفُرُها أبداً ؛ أو فاقتلوني وأَرِيحُونِي فَأَكُونَ رَجُلًا آذَى قَوْمًا فِي دَارِهِمْ فَقْتُلُوهُ .

فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عَوْرَتَهُ بَيْنَ أَيْدِي النِّسَاءِ وَيَضْرِبُونَهُ ، وَيَفْرُونُ بِهِ سَفَهَاءَهُمْ ، حَتَّى شَفَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ ، ثُمَّ خَلَّوْا سَبِيلَهُ .

وبلغ ذلك إِيَّاسَ بْنَ زَيْدٍ ، فقال يتوجّع لجعفر :

* لَبِى الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ (بطن في كهلان) على بنى عقيل بن كعب (بطن في قيس) وسجبل موضع في ديار بنى الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضعناه هنا ؛ لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصلّة ، ولذلك وضع في مجمع الأمثال في الأيام الجاهلية .
معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغاني ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح الحماسة للتبريزي ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبه بن ربيعة من بنى الحارث بن كعب ، انتهى نسبه إلى عبد يفيث الشاعر ، أسير يوم الكلاب الثاني ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر غزل فارس مذكور في قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس (٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أَبَا عَدَمٍ كَيْفَ اغْتَرَرْتَ وَلَمْ تَكُنْ تُفَرِّ إِذَا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَاذِرُهُ (١)
فَلَا صَلَحَ حَتَّى يَخْفِقَ السِّيفُ خَفَقَةً بَكَفٍّ فَنَى جَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَارُؤُهُ
ثُمَّ مَضَتْ أَيَّامٌ ، وَأَخَذَ جَعْفَرُ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَرَصَدَ الْمُقِيلِينَ حَتَّى ظَفَرَ
بِرَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَفَعَلُوا بِهِ شَرًّا مِمَّا فَعَلَ بِجَعْفَرٍ ، ثُمَّ
أَطْلَقُوهُ ، فَرَجَعَ إِلَى الْحَيِّ ، فَأَنْذَرَهُمْ ، فَتَمِيمَهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ فَارِسًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ حَتَّى
لَحِقُوا بِهِمْ بِوَادِي سَحْبَلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ جَعْفَرُ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَقِيلِيِّينَ إِلَّا
ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ ، وَعَمِدَ إِلَى الْقَتْلِ فَشَدَّهُمْ عَلَى الْجَمَالِ وَأَنْفَذَهُمْ مَعَ الثَّلَاثَةِ إِلَى قَوْمِهِمْ . وَقَالَ
جَعْفَرُ فِي ذَلِكَ :

وَسَائِلِي عَنَّا بَنِي بَرٍّ وَسَائِلِ بِمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيْفَ تُقَاتِلُ
أَلْهَفَى بِقُرَى سَحْبَلٍ حِينَ أُحْلِبْتُ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوُّ الْمُبَاسِلُ (٢)
فَقَالُوا لَنَا نِثْنَانٍ لَا بُدَّ مِنْهُمَا : صَدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سِلَاسِلُ (٣)
فَقُلْنَا لَهُمْ : تِلْكَمُ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُفَادِرُ صَرَعَى نَوْهَهَا مُتَخَاذِلُ (٤)
وَلَمْ نَذَرِ إِنْ جِضْنَا مِنَ الْمَوْتِ جِيضَةً كَمِ الْمَرِّ بَاقٍ وَاللَّذَى مُتَطَاوِلُ (٥)
إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَا زِقًا فَرَجَّتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا يَبِضُّ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ (٦)

(١) اغتررت: أتيت على غفلة (٢) ألْهَفَى : أصله ألْهَفَى ، والتلفظ: التوجع ، وفري : موضع
بوادي سحبل ، وأحلبت : أغانت ، والولايَا يريد بها العشاير والقبائل ، والمباسة : المصاولة في
الحرب (٣) يقول : إنهم قالوا لنا : إما أن تصبروا على القتال فنلقاكم بالرماح ، وإما أن تستأسروا
فناخذكم في السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير ، والكرة : المرة من الكر ، وتفادر : ترك
والمفعول محذوف تقديره تفادركم ، والنوء التهوض ، يقول : فأجبنام بأن ذلك الحار بين هاتين
لا يكون إلا بعد كرة عليكم ترككم مصروعين عاجزين عن التهوض (٥) . يقال : جاض أى
انغرف وعدل (٦) المأزق : مضيق الحرب ، يقول : إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وسعته
لنا سيوف مصولة بأيماننا .

لهم صدرُ سِنِيّ يومٍ بطحاءِ سَحَابِلٍ ولى منه ما ضُمَّتْ عليه الأَنَامِلُ (١)
 واستمدتْ بنو عُقَيْلٍ عليهم السرىّ بن عبد الله الهاشمي عاملَ مَكَّةَ لِأبي جعفر
 النصور ، فأرسل إلى عُلبَةَ بن ربيعة ، والد جعفر ، وأخذ بهم ثم حبسه ، حتى
 دفنهم وسائرَ من كان معهم إليه .

وكان ممن حبس مع جعفر في بني عُقَيْلٍ علي بن جُنْدَب - وكان صديقه - والنضر
 ابن مضارب ؛ أما علي فإنه أفلتَ من الحبس وهرب ، أما النضر فإنه استُقيِدَ منه
 بِجِرَاحَةٍ ، ولكن بقي جعفر في حبسه يقول الشعر ، وكان مما قال :

هَوَايَ مع الرَّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُصْعِدُ جَنِبُ وَجُمَانِي بِمَكَّةَ مُوتِقُ (٢)
 عَجِبْتُ لَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُفَاقُ
 أَلَمْتُ (٣) فَحَيْثُ نِمَ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ
 فَلَا تَخَسِّي أَنِّي تَخَشَّعْتُ (٤) بِمَدِّكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
 وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيَا وَعَيْدُهُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ (٥)
 وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكَ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ
 ثُمَّ إِنْ جَعَفَرًا أَخْبِرَ بِأَنَّهُ مَقْتُولٌ ؛ فَقَالَ :

أَلَا لَا أَبَالِي بِمَدِّ يَوْمٍ بِسَحَابِلٍ إِذَا لَمْ أَعْذَبْ أَنْ يَجِيءَ حَامِيَا
 تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحَابِلٍ وَمَضِيْقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

-
- (١) يريد : أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم ، وفي يده مقبضه ، ورواية اللسان : يوم صحراء
 سحبل . قال : وصحراء سحبل : موضع (٢) هواي : مهوى ، والركب : ركباني الإبل خاصة ،
 واليماون : جمع يمان ، وهو النسب إلى اليمن ، والمصد : المجد من الإصايد وهو الإبعاد ،
 وجنب بمعنى مجنوب : مستعجب ، والجمان : البدن (٣) أَلَمْتُ من الإلحاح بمعنى الزيارة
 (٤) تخشعت : تكلفت الخشوع (٥) يزدهيها : يستغفها . والأخرق : القليل الرق بالقيء .

شفيتُ به غَيظي وحرب مواطني وكان شفاه آخرَ الدهرِ باقيا
أرادوا لِيَتَنُونِي فقلت تَجَنَّبُوا طريق فسالى حاجة من ورأيا
فدى لبني عمِّ أجابوا لدَعَوَتِي شَفَوْا من بني القَذَاءِ عَمِي وخاليا
كَانَ المَقِيلِينَ يومَ لَقِيَتَهُم فِرَاحُ قَطَا لَاقَيْنَ صَقْرًا يَمَانِيَا
تَرَكْنَاهُمْ صَرَغِي كَانَ ضَجِيجُهُم ضَجِيجُ دُبَارِي النَّيْبِ لَاقَتْ مُدَاوِيَا
أقول - وقد أجلت من القوم عرَكَه - لييك المَقِيلِينَ من كان با كِيَا
فإن يَقْرَى سَحْبِلَ لَأَمَارَةٍ ونصح دماء منهم وعَحَايَا^(١)
ولم أَتْرِكْ لِي رِيَّةً غيرَ أَنِّي وددت معاذًا كان فيمن أَنَا نِيَا^(٢)
شفيت غلبي من خَشِينَةٍ بعدما كسوت الهذيلَ المشرقيَ اليَمَانِيَا^(٣)
أحقًا عبادَ الله أن لستُ ناظرًا صحارى نَجْدٍ والرياح الدَّوَارِيَا
ولا زائراً شم العَرَائِينَ تنتمى إلى بامرٍ يحلن رَمَلًا مُعَالِيَا
إذا مَا أَتَيْتَ الحَارِثِيَّاتِ فائتني لهنَّ وخبرهنَّ أَن لَّا تَلَاقِيَا
وقود قُلُوصِي يَنْهِنَنَّ فَانْهَيا ستبرد أ كِبَادًا وتُبْكِي بَوَاكِيا
أوصيكم إن متَّ يوماً بِعَارِمٍ^(٤) لينغي شيئًا أو يكون مَكَانِيَا

ولما أخرج جعفر للقوق قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؛
فقال له : اسكت ؛ لا أم لك ؛ إني إذا لِمَهْيَاف^(٥) ، وانقطع شِسْع نَعْلِهِ ، فوقف
فأصلحه ، فقال له رجل : أَمَا يَشْعُوكَ عن هذا ما إئت فيه ؟ فقال :

(١) الحباب : آثار جبوهم من الضعف (٢) أي وددت أن معاذًا كان أثنائي معهم فأقتله
(٣) خَشِينَةٍ والهذيل : اثنان من بني عقيل قتلها جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل هيوف
ومهياف : لا يصبر على العطش .

أشدَّ قَبالَ نَملي أَن يَرائي عَدُوِّي لِلهِوَاثِ مِستَكِينا
ثَم ضُربَتِ عَنه .

ولما قُتلَ قامَ نِساءُ الحى يَبْكِينَ عَليه ، وقامَ أبوه^(١) إلى كُلِّ نَاقَةٍ وشاةٍ فَنَحَرَ
أولادَها ، وألقاها بَينَ يَديها ، وقال : أبكِينَ مَعنا عَلى جِعفر ، فما زالتِ النوقُ تَنفُو ،
والنِساءُ يَصِحْنَ وَيَبْكِينَ ؛ وَهو يَبكى مَعَهُنَّ فَمَرا رُئي يَومَ كانَ أوجِعَ ، ولا مَأمَنا
أَ كثرَ حَزنا في العَربِ مِن يَومِئذٍ^(٢) .

* * *

وهناكَ رِوايةٌ أُخرى أوردَها التَبرِيزى في شَرحِ الحَاسَةِ هَنا نِصها :
كانت بَنو عَقيلَ بَن كَعبٍ وبَنو الحارثِ بَن كَعبٍ حالِينَ بِصَيدٍ^(٣) ، وَفي عَشيَةِ
جاءَ فَتَيانَهُم يَلعبون ، وَبرَزَت لَهم فَتياتُ يَنظُرُنَ إِلَهِم . فَبَصَرَ رَجُلٌ مِن بَنى الحارثِ
بِرَجُلٍ مِن بَنى عَقيلَ يُومِضُ بِامِراةٍ مِن قَومِهِ ؛ فَأَخَذَ رُمُحا وَطَمَنَ بِهِ العَقيلَ في
فَهِهِ ، فَدَقَّ نَابه ، وَشقَّ لَتَتَهُ ، وَحَسِبَ أَنَّ الرُمحَ قَدِ بَلَغَ مَنه فَوَلَّى . وَاسْتَنارَ رَجُلٌ
مِن العَقيلِينَ أَخا العَقيلِ - واسمُهُ عَباسُ - وَلَكنَّهُ وَثَبَ وَوَلَّى هارِباً^(٤) . وَوثَبَ رَجُلٌ
مِن بَنى عَقيلَ فَرى الحارثى بِسَهمٍ ؛ فَجَذَمَ^(٥) صُلْبَهُ ومات .

(١) كانَ مَما قالَهُ أبُوهُ في حَبسِ ابْنِهِ :

لَمَركَ إِنْ اللَّيلُ يَأُمُّ خالِدَ	عَلى وَلَدِ عَليٍّ لَطِويلَ
أَحاذِرُ أَبناءَ مِن القَومِ قَدِ دَنَتِ	وأَوْبَةُ أَعْراضَ لَهم دَليلاً
لَمَركَ إِنْ ابْنى هِداةَ تَهودِهِ	عَقيلَ لَنائى التَاصِرِينَ ذَليلاً

(٢) هَذهِ الرِوايةُ مَأخُودَةٌ عَنِ الأَغانى ، وَمَعجَمِ البَلَدانِ ، وَمَعاوِدِ التَنصيصِ (٣) صَبيد : فَلاةٌ
لا يَزالُ مَأوًىها ، وَمَوضعٌ بَينَ البَينِ وَحَضرمَوتِ (٤) وَفي هَربِهِ يَقولُ امِراةٌ مِن بَنى الحارثِ :
أَشْهَدُ أَنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَباساً جَبانَ
(٥) جَذَمَ : قَطَعَ .

وعَقِل^(١) بنو عقيل لبني الحارث ، وبرى^{*} العقيل^{*} من طَمَنَتَه ، ومَفَى زمان ، ونمى الناس ذلك .

ثم نشأ نَسْ^{*} فى بنى الحارث عُبْرُوا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفى بنى الحارث شابان مُرَفَّان متخالآن : على بن جُنْدُب ، وجعفر بن عُلبَة . ثم لقي بنو الحارث نفرًا من بنى عقيل ، فقتل جعفر وعلى رجلا من بنى عقيل اسمه خشينة ، وضربا عُرْقُوبى آخر ، وضربا ثالثًا بين الشارب والأنف .

ولما فعلوا ذلك أتيا عُلبَة أبا جعفر ، فأخبراه الخبر ، وقالاه : ما ترى لنا ؟ أَهْرَبْ ؟ فقالا : لا تهربا ، ولكن اتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن يَضِيرَ كما من هذا شئ .

وأُبرِدَ^(٢) إلى ابن هشام بالكتاب أن على بن جندب وجعفر بن عُلبَة قد أهدنا حدثًا ، فما رأيك ؟ فكتب إليه : إني لهما جار فليأتيانى .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستعدوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم إلى أمير نجران : أن خذ الحارثيين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأقدهما من قتلاه ، وخذْ لَهم بمَحَقِّهم .

فلما لقوا التقي قال : لقد لحقا بصِهرهما ابن هشام بِمَكَّة ، ولا أقدر عليهما ، وقد لحقا بن هو على ؟ فرجموا حتى أتوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين حقنا أن نأخذه من القوم وهم أصهاره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط القومَ حَقِّهم ، واتَّقِ الله .

· (١) عقل القتل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أُبرده : أرسله يريدًا .

فلما جاء العقيليون طُلابُ الدم أخذ ابنُ هشام جعفرًا وعليًا وقيدَهما ، وقال
للعقيلين : اثبتوني بالبيئة ، فقالوا : قسامة^(١) ! كيف نأتى بالبيئة ؟ وكيف نقيم من يشهد
لنا ، وقد استودى^(٢) بدمائنا ، وتغنّى بها واعترف ؟ فقال : أما قتلاً فلستُ قاتلاً ،
ولكني عاقلٌ لكم وموفٍ نذر دمائكم وخيلكم .

فراجع القومُ الثلاثة هشامًا ، فكتب إليه : ألا تطيلُ دماء القوم ، وقد نطقت
الأشعار واعترفوا على أنفسهم .

فكتب ابنُ هشام إلى هشام : أن ردّهم إليّ إذا أتوك ، فإن بنى الحارث أسهماًرى
أفضلُ دماءٍ منهم ؛ وإني أخبئهم ، أرجو أن يأخذوا العقْلَ^(٣) .

فرجع العقيليون الرابعة حتى أتوا هشامًا ، فلما أراد ردّهم إليه قالوا : ليس
ينصفنا ابنُ هشام ، ولا نُجاوزك أبداً ، فخذْ لنا أثماً رثاً^(٤) ؛ فقال لهم هشام : اكتب
إليه بمطيقكم العقْلَ ؛ وبرضيتكم فقد تمحّز به سيّره ، فقال العقيليون : لا ، إلا أن يبرز
لنا جعفر بنُ علبة فيرى الناس أنّا قدرنا على حقّنا ، وأننا نترك عن قُدرة ؛ ثم نأخذ حينئذٍ
منه العقْلَ .

فكتب لهم إلى ابنِ هشام بذلك ، وأخذ عليهم العهد أنكم تُقوّنُ بداً ، وإني
أعطيتكم العهد ، ففعل .

وقال العقيليون لرجلٍ منهم لم يكن يعرف ، يقال له رَحْمَة : ميرٌ قريباً منا ،
وادخلْ إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث نزل ، ولا تنسب عقيليّاً ، فإذا ما برز الرجل
فاضربْ عنقه ، وانخسِ^(٥) بين الناس .

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء . ويأخذونه ، أو يشهدون (٢) استودى : أقر واعترف
(٣) العقْل : الدية (٤) جمع ثأر (٥) انخس : تأخر .

وأبرز ابن هشام جعفر بن عُلبة، عليه حُلته أحسن الناس ، وقد وضع على المقيلين
حَرَساً أن تبدر منهم بادرة، وخاف غَدَرَهُم .

فلما برز أهدى إليه رَحْمَةً فقتله . فأخذه ابن هشام فحبسه وأبسه^(١) وعذبه ،
وحبس المقيلين وقال : لأغيظنكم، وكان يمدُّ بَرَحَةً ولا يُطعمه . فأت يوم الجمعة ؛
ولم تأت الجمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد بن يزيد ؛ فبحث يوسف
ابن عمر الثقفي ؛ فأخذ ابني هشام ؛ وعذبَ بهما حتى ماتا في عذابه وسِجْنِهِ .

(١) أبس الرجل : حقره وصغره به .

٣ - أيام القحطانيّين والعدنانيّين

- ١ - يوم طخفة
- ٢ - يوم أواره الأول
- ٣ - ، ، الثاني
- ٤ - ، السلان
- ٥ - ، خزاز
- ٦ - ، حجد
- ٧ - ، الكلاب الثاني
- ٨ - ، فيف الرياح
- ٩ - ، ظهر الدهناء

١ - يَوْمُ طَخْفَةِ

كانت الرِّدَافَةُ بمنزلة الوزارة ، وكان الرِّدِيفُ يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردِّفُهُ وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرفُ إليه كأسُ الملك إذا شرب ، وله رُبْعُ غنيمة الملك من كل غَزْوَةٍ يغزو ، وله إناوة على كل مَنْ في طاعة الملك .

وكانت رِدَافَةُ ملوك الحيرة في بني يربوع^(١) ، وفي عهد الملك المنذر^(٢) بن ماء السماء كانت الرِّدَافَةُ لعتَّاب بن هَرَمِي بن زَبَّاح بن يربوع ، ولما مات نشأ له ابنٌ يقال له عَوْف بن عتَّاب ، فقال حاجبُ بن زُرَّارة^(٣) للمنذر : إن الرِّدَافَةَ لا تصلحُ لهذا الغلام لحداثة سنِّه ، فاجعلها لرجل كهول ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن يَتْبَنَةَ الجُشَاشِي .

فدعا الملك بني يربوع ، وقال لهم : إن الردافة كانت لعتَّاب وقد هلك ، وابنه هذا لم يبلغ ؛ فأعقبوا إخوتكم من بني مجاشع^(٤) ؛ وإني أريد أن أجعلها للحارث بن يَتْبَنَةَ . فقالت بنو يربوع : إنه لا حاجة لإخوتنا فيها ؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك ؛ وعوف بن عتَّاب -

* لى يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، النقاظ ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥
٦٦ ، الأغاني ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن في تميم ، وقيل : إن بني يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ، ويكنموا الفارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، حاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الإمبراطور جستنيان ، ومن الفاسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات هو صاحب يوم النعم والبؤس ، مات سنة ٥٦٣ هـ (٣) حاجب بن زرارة بن عبد الله بن دارم التميمي ، أحد الذين أوفدم النعمان على كسرى ، وهو الذي دهن قوسه عند كسرى ووفى برهته ، وبها ضرب الثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن في تميم .

على حدائنه سنة - أخرى بالردافة من الحارث بن يثبة ، ولن نفعل ولن ندعها . قال :
فإن لم تدعوها فأذنوا بحرب ؛ قالوا : دعنا نمر عنك ثلاثاً ، ثم آذناً بحرب
وسارت بنو يربوع ذاهبة عن الملك ، ومعها برجة من البراجم^(١) حتى نزلوا
شعباً بطخفة ؛ ودخلوا فيه هم وعيالهم ؛ فجعلوا العيال في أعلاه ؛ والمال في أسفله ،
وهو شمس حصين له مدخل كالباب ؛ ولما مضى ثلاث أرسل الملك قابوس ابنه وحسانا
أخاه ، في جيش كثير من أفناء^(٢) الناس ، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس
اليربوعي وحاجب بن زرارة ، فلما مضى للجيش ثلاث دعاها الملك - وكانت الملوك
تمطى العرب على حسن ظنونهم ، والكلام الحسن تستقبل به الملوك - فقال لحاجب :
يا حاجب ؛ قد سهرت الليلة فأرسلت إليك لتحدثني أنت وشهاب ، ثم قال له : ما ظنك
بالجيش يا حاجب ؟ فقال حاجب : ظني أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقة لبني يربوع به ،
وسياتونك بهم وبأموالهم ظافرين .

ثم التفت المنذر إلى شهاب وقال : وما ظنك أنت يا شهاب ؟ فقال : أرسلت جيشاً مختلف
الأنواء - وإن كثروا - إلى قوم عند نسائهم وأموالهم ، يدُهم واحدة ، وهوام واحد ،
يفاتلون فيصدقون ، وظني أن سوف يظفرون بجيشك ، وبأسرون ابنك وأخاك ؛
فقال حاجب : كذبت ؛ أنت قد أهرت^(٣) . فقال شهاب : أنت أكذب ،
ثم تراهن هو وحاجب على مائة مائة من الإبل ، وكان لشهاب ربي^(٤) من الجن ،
فقام مضجاً وأتى مضجعه ، وانتبه من الليل وهو يقول :

(١) البراجم : خمسة رجال من بني تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فلب عليهم ، وهم
قيس وعمرو وغالب وكلفة والظلم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد
فؤ (٣) أهرت : خرف (٤) الرئي : الجنى في زعم العرب .

أنا بشير نفسيه نفرت حاجباً ميه^(١)

ورددها مراراً ، فسمعها الملك فقال لحاجب : ما يقول هذا ؟ قال : بهجير^(٢) ، قال : لا والله ما أهجر ، ولكن جيشك قد هُزم ، وأسر ابنك وأخوك ، وآية ذلك أن يُصبحك راكبُ بعير ، جاعلاً أعلى راحته أسفله يخبرك بذلك .

أما جيشُ قابوس فإنه كان قد انطلق حتى أتى الشعب فدخل الجيش فيه ، حتى إذا كانوا في مصايفه حملت عليهم بنو يربوع النعم ، وخرجت الفرسان من شِماريه ، فقمقموا بالسلح للنعم فدعروها ذلك ، وحمل على الجيش فردوا وجوههم ، وأتبعهم خيل بنو يربوع تقتل وقطعن . ثم انهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارقُ بن ديشق فرسَ قابوس فمقره وأسره ، وأراد أن يجرّ ناصيته ، فقال : إن اللوك لا تجزّ نواصيا ، فأرسله ؛ وأما حسان فأسرهم عمرو بن جوين ، وهُزم الجيش ، وأخذت الأنهاب .

ثم صبح الملك - تلك النداءة التي قال في ليلتها شهاب ما قال - رجلٌ انهزم من أول الجيش على بعير ، فأخبره ما قال شهاب له لم يخرم منه شيئاً .

فدعا المنذرُ شهاباً فقال له : يا شهاب ؛ أدرك ابني وأخي ، فإن أدركتهما حيّين فلبني يربوع حكمهم ، وأردُّ عليهم رداقتهم ، وأهدرُ عنهم ما قتلوا ، وأهنتهم ما غنموا ، وأحمل^(٣) لهم من قتل منهم فأعطيهم بها ألفى بعير .

فخرج شهاب فوجد الرجلين حيّين ، فضمن لهم ما قال المنذر فرضوا ، وعادت الردافة إلى ابن عتاب ، ولم تزل لهم حتى مات المنذر .

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التي تراهنا عليها (٢) أهجر في منطقه : أتى بالقيح من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفي تلك الموقعة قال شريح بن حارث اليربوعي :

وكنت إذا ما بابُ ملك قرعته قرعت بآباه أولى شرفٍ ضخم
بأبناء يربوع وكان أبوم إلى الشرف الأعلى بآبائه ينمي
هم ملكوا أملاك آل مُحَرِّق وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغم
وقادوا بكره من شهابٍ وحاجبٍ رهوسَ مَعَدٍ بالأزمنة والخطم
علاً جدُّهم جدُّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحكم
وكنّا إذا قوم رميّنا صفاتهم تركنا صدوعاً بالصفاة التي نرعى
وزعى حنى الأقوام غير محرم علينا ولا يُرعى رحمانا الذي نخمي

وقال متمم بن نويرة :

وبحن عقرنا مُهرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيّل تلحب^(١)
عليه دِلاص^(٢) ذات نسجٍ وسيقه جُراز^(٣) من الهندي^(٤) أبيض مقضب

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرمى بن رباح :

قسطننا يوم طخفة غير شك على قابوس إذ كره الصباح
معرُ أيلك والأنباء تنمى لنعم الحى فى الجلى رباح
أبوا دينَ الملوك فهم لقاح^(٥) إذا هيجوا إلى حربٍ أشاحوا
فا قوم كقومى حين يعلو شهاب الحرب تسمره الرماح

(١) تلحب : تلهت (٢) الدلاص : من الدروع : البنية (٣) الجراز من السيوف :

الماضى النافذ (٤) فى القائض : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد
(٥) يقال : قوم لقاح وحى لقاح ؛ وهم الذين لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجمالية ساء .

فما قوم كفومى حين يُجَنِّى على الخلود الخـدرة الفصاح
أذبُ عن الحفائظ فى معدرٍ إذا ما جدَّ بالقوم النطاح^(١)
كانهم لو قع البيض بزل^(٢) تفضُّ الطرف واردة قحاح^(٣)
صبرنا نكسرُ الأسلات^(٤) فيهم فرحنا قاهرينَ لهم وراحوا
ورحنا نحفقُ الرابات فينا وأبنا والملوكُ لهم أحاح^(٥)

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق ثابه فهو يازل ذكرأ كان أو أتى وذلك فى السنة الخامسة ، وربما فى السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العز (٣) القامح من الإبل : الذى اشتد عطشه حتى قتر تلك خوراً شديداً (٤) الأسلّة : طرف السنان ، وأسلة التصل : مستدقه ، أو هى الرماح هدد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :

قد مات فى أسلاتنا أو عضه غضب يروقه الملوك يهتل
أى فى رماحنا (٥) فى صدره أحاح وأحيعة من الضغن والفيظ .

٢- يوم أُوارَة الأول *

أُخرجت تغلب سلمة بن الحارث^(١) من بينها بعد يوم السلاب الأول ، فالتجأ إلى بكر بن وائل ، ولحقت تغلب بالنذر بن ماء السماء ، فلما صار سلمة عند بكر أذعنت له وحشدت عليه ، وقالوا : لا يملكنا غيرك ؛ فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسير^٢ إليهم ، فإن ظفر بهم فليذبحهم على قلة جبل أوارَة . حتى يبلغ الدّم الحضيض .

وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأوارَة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت بكر ، وأسر يزيد بن شُرَحْبِيل الكندي ، فأمر المنذر به فقتل ، وقُتِل في المعركة بشرٌ كثير .

وأسر المنذر من بكر أنرى كثيرة ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارَة . فجعل الدم يجمد ؛ فقيل له : أيتَ اللمن ! لو ذبحتَ كلَّ بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض^(٢) ، ولكن لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار . وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر ، فحكاه في سبي بكر بن وائل ، فأطلقهم^٣ المنذر ؛ فقال الأعشى يفتخر بشفاعه القيسى إلى المنذر في بكر :

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه على فاقةٍ وللملوك هبائها
سبأيا بنى شيبان يوم أوارَة على النار إذ تجلى به فتياها

* المنذر بن ماء السماء على بكر . وأوارَة : اسم جبل لبنى تميم .

ابن الأثير ج ١ ص ٣٣٤ ، العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان ص ٢٠٦

(١) هوسلة بن الحارث بن عمرو ، وكان أبوه الحارث ملكاً من ملوك كندة ، ملك أربعين سنة ، ولما مات فرق بينه في قبائل معد ، فكان سلمة وهو أصغرهم على بني تغلب والتمر بن قاسط وبني سعد ابن زيد مناة بن تميم (٢) الحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل : هو في أسفله .

٣- يومِ أواره الثاني

— ١ —

كان عمرو بن المنذر^(١) قد عاهد طيئاً ألا ينزعوا ولا ينزوا ولا يفاخروا، ثم غزا عمرو اليمامة، فرجع مُنْقَضاً؛ فرَّ بطيئاً، فقال له زُرارة بن عُدُس: أيت اللعن، أصب من هذا الحى شيئاً. قال: ويحك! إن لهم عقداً. قال: وإن كان؛ فإنك لم تكتب العقد لهم كلهم. فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً. فقال في ذلك قيس بن جرّوة الطائي:

ألا حتى قبلَ البينِ من أنتَ عاشقُهُ ومن أنتَ مُشتاقٌ إليه وشائقُهُ
ومن لا تُؤاتي دارَهُ غيرَ فينّةٍ^(٢) ومن أنتَ تبكي كلَّ يومٍ تفارقةً
وتمدُّو بصحراءِ الثَّوِيَّةِ^(٣) ناقي كمدُّو النّحوصِ قدأُخِثَّ نواهِقُهُ^(٤)
إلى الملكِ الخيرِ ابنِ هندٍ تزورُهُ وليس من الفوتِ الذي هو سابقُهُ^(٥)
وإن نساءً غيرَ ما قالَ قائلٌ غنيمَةُ سَوءٍ ينهنّ مهارةً^(٦)

• لعمرو بن هند على بني تميم. وأواره: اسم جبل لبني تميم.

معجم البلدان ص ٣٦٤ ج ١، ابن الأثير ص ٣٣٤ ج ١، النقاظ ص ٦٥٢، ١٠٨١،
أشبال المبداء ص ٢٦٦ ج ١

(١) عمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء، مات مقتولاً بسيف عمرو ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أي لا تأتي داره إلا ساعة (٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة (٤) النحوص: الأتان الوحشية، وأخِثَّ: صار لها مخ، والنواهيق: عظام في الساق والمراد أنها صميّة (٥) أي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارفاً وبسببه (٦) المهارق: الصحائف، وهو حرير يسق صفاً، ويصقل ثم يكتب فيه.

ولو زِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لِحْمٍ أَرْزَبِ رَدَدْنَا وَهَذَا الْمَهْدُ أَنْتَ مُعَاثُكَ^(١)
فَهَبَكَ ابْنَ هَنْدٍ لَمْ تَعْقُكَ مَلَامَةٌ وَمَا الرُّهْ إِلَّا عَهْدُهُ وَمَوَارِثُهُ
وَكُنَّا أَنَاسًا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ الْمَلَا وَأَبَارِقُهُ^(٢)
فَاقْسَمْتُ لَا أَحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْنَا رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ^(٣)
أَكَلْتُ خَمِيسٍ أَخْطَأُ النُّنْمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَانِنًا فَهُوَ سَائِقُهُ^(٤)
فَاقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا خَبٌّ فِي بَطْحَائِيْنِ دَرَادِقُهُ^(٥)
لَنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ لِأَنْتَجِيْنِ الْعَظْمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ^(٦)
فبلغ عمرو بن هند هذا الشمر ، فقال له زُرارة بن عدس : أيت اللن ! إنه
بتوعدك . فقال عمرو بن شعاع الطائي : أيهجوني ابن عمك^(٧) ويتوعدني ؟ قال :
لا ، والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جاركم ما ان كما كم غُصَّةً وَهَوَانًا
وسلاسلاً يَبْرُقُنْ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطْعَ تَلْكُمُ الْأَقْرَانَا^(٨)
ولكان عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَبِطًا رَادِعًا^(٩) وَجِفَانًا
وإنما أراد أن تذهب سَخِيمَتُهُ ، فقال : والله لأقتلنَّه ؛ فبلغ ذلك عارفا فقال :

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلمة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من
الأسناد) ، والأبارق : جمع أبرق وهي أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شيء : أعلاه ،
والنقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدها شقيقة (٤) دانتا : مطبعا ، والخميس : الجيش
(٥) الدراقد : صغار الإبل ، ومنى : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذى وهى لفة طيه ، وعرق
العظم : انتزع منه اللحم ، وسمي الشاعر عارفا لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة
(٨) الأقران : الجبال (٩) يقال قيس رادع إذا كان مصبوغا بالزعفران .

من مُبلغٌ عمرو بن هندٍ رسالةً إذا استحقَّبتها العيسُ تَنفَعِي من البُعْدِ^(١)
أُيُوعِدُنِي والرمل يَبْنِي وَيُنْهِي تَأْمَلُ رويداً ما أَمَامَةَ من هند
ومن أجابَ حولي رِعالٌ كأنها قنابلُ خيلٍ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدٍ^(٢)
فدُرتَ بأمرٍ كنتَ أنتَ دُعوتنا إليه ، وبئسَ الشِيعَةُ الفَدْرُ بالعهدِ^(٣)
فبلغ عمرو شمره ، ففزا طليئاً ، وأمر من بني عدي^(٤) سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن
جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة ، فلما قدم جمعت المرأة تأتية
بالصبي ، فتقول : يا حاتمُ أَسِرَ أبو هذا ؟ فلم يَلْبَثْ إلا ليلة حتى سار إلى عمرو بن
هند - وكذلك كان يصنع - فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رَهْطِ
عارقٍ ؛ فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من إسارها فأنعم وشَفَعْنِي بَقَيْسٍ بن جَحْدَر
أبوه أبي ، والأُمّهاتُ أُمّهاتُنَا فأنعم فدَتَكَ اليومَ نَفْسِي ومَعشَرِي
فقال : هولك يا حاتم .

— ٢ —

وقد كان المنذر بن ماء السماء - أبو عمرو بن هند - وضع ابناً^(٥) له يقال له مالك عند
زُرَّارة بن عُدس - وكان أصغر بني المنذر - فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم
بتصيد ، فأخفق فرّاً بِأَبْلِ لِسُوَيْد بن ربيعة الدارمي - وهو زوج بنت زُرَّارة قد ولدت
له سبعة غِلْمَةٍ ، فأمر مالك بِبِكْرَةٍ منها فنحراها ، ثم اشتوى ، وسُوَيْدُ نائم ،

(١) أي إذا حملها الإبل هزلت لبعدها السافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل
والقنابل : الجماعات من الخيل ، وأجاً : جبل طيء (٣) يروي : كنت احتديتنا ، واحتدى من
الحمد وهو السوق (٤) رهط حاتم الطائي (٥) في رواية : أخاً له .

فلما انتبه سُوَيْدٌ شَدَّ عَلَى مَالِكٍ بِمَصًّا - وَلَمْ يَعْرِفْهُ فَأَتَمَّهُ^(١) وَمَاتَ ؛ فَخَرَجَ سُوَيْدٌ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِمَكَّةَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ ، فَحَالَفَ بَنِي نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَاخْتَطَّ بِمَكَّةَ^(٢) .
ثُمَّ مَلَكَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ - وَعَلِمَ بِذَلِكَ - فَنَزَاهُمْ ، وَكَانَتْ طَبِئٌ تَطْلُبُ عَثْرَاتِ زُرَّارَةَ وَبَنِي أُبَيٍّ ، حَتَّى بَلَغَهُمْ مَا صَنَعُوا بِأَخِي الْمَلِكِ^(٣) ، فَأَنْشَأَ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطٍ الطَّائِي يَقُولُ :

مَنْ مَبْلَغٌ عَمْرًا بَأْسَ الرِّءَالِ يُخَلِّقُ صُبَارَةً^(٤)
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَّا الْحِجَارَةُ
هَا إِنْ عَجَزَةَ أُمُّهُ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارِهِ^(٥)
تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَشِّ حَيْثُ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَهُ
فَاقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةٍ^(٦)

فَلَمَّا بَلَغَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ هَذَا الشَّعْرَ بَنَى وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ؛ وَبَلَغَ زُرَّارَةُ الْخَبَرَ ، فَهَرَبَ ، وَرَكِبَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ فِي طَلْبِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ امْرَأَتَهُ ، وَهِيَ حُبْلَى - فَقَالَ : أَذْكَرُ فِي بَطْنِكَ أَمْ أَنْثَى ؟ قَالَتْ : لَا عَلِمَ لِي بِذَلِكَ ، قَالَ : مَا فَعَلَ زُرَّارَةُ الْفَاجِرُ ؟ قَالَتْ : إِنْ كَانَ مَا عَمْتُ لَطِيبُ الْمَرْقِ ، سَمِعَ الْمَرْقَ ، لَا يَنَامُ لَيْلَةً يَخَافُ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ؛ فَيَقْرُ بَطْنَهَا وَانْصَرَفَ .

فَقَالَ قَوْمُ زُرَّارَةَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ قَتَلْتَ أَخَاهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَاصْدُقْهُ ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَنْفَعُ عِنْدَهُ ؛ فَأَتَاهُ زُرَّارَةُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : فَجِئْتَنِي بِسُوَيْدٍ . قَالَ : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ . قَالَ : فَعَلَيْكَ بَيْنِيهِ . فَأُتِيَ بَيْنِيهِ السَّبْعَةُ مِنْ ابْنَةِ زُرَّارَةَ ، وَهِيَ غُلَمَةٌ بِمَضْمَنِهِمْ فَوْقَ بَعْضٍ ،

(١) أَمَهُ : قَصَدَهُ (٢) اخْتَطَّ بِمَكَّةَ : اسْتَمَلَكَ فِيهَا (٣) سَبَقَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ ابْنُهُ

(٤) الصُّبَارَةُ : الْحِجَارَةُ الْمَلْسُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَيْسَ الْإِنْسَانُ بِمَجْرٍ فَيَصْبِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا

(٥) أَوَّلُ وَلَدِ الْمَرْأَةِ يُقَالُ لَهُ زَكَاةٌ ، وَالْآخِرُ عَجَزَةٌ (٦) الْأَيَّاتُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ صَبْرٍ .

فَأَمْرًا بِقَتْلِهِمْ، فَتَنَالُوا أَحَدَهُمْ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَتَمَلَّقَ الْآخَرُونَ بَزْرَارَةً، فَقَالَ زُرَّارَةُ :
يَا بَعْضِي سَرَّحْ بَعْضًا^(١)، ثُمَّ قَتَلُوا، وَآلَى عَمْرُو بِأَلْيَسَةٍ لِيُخْرِقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ^(٢)
مِائَةَ رَجُلٍ .

وَخَرَجَ يَرِيدُهُمْ، وَبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي، فَوَجَدَ الْقَوْمَ قَدْ
نَذَرُوا بِهِ، فَاخَذَ ثَمَانِيَةً وَتَسْعِينَ مِنْهُمْ بِأَسْفَلِ أُوَارَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ . وَلَحِقَهُ عَمْرُو
ابْنُ هِنْدٍ فِي النَّاسِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُوَارَةٍ؛ فَضَرَبَ بِهِ قُبَّتَهُ، وَأَمْرًا لَهُمْ بِأَخْذِ دُودٍ،
فَخَذَهُ لَهُمْ، ثُمَّ أَضْرَمَ نَارًا؛ فَلَمَّا تَلَطَّاتِ وَاحْتَدَمَتْ قَذَفَ بِهِمْ فِيهَا فَاحْتَرَقُوا^(٣) .

وَأَقْبَلَ رَاكِبٌ عِنْدَ الْمَسَاءِ مِنْ بَنِي كُفَّةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ مِنَ الْبَرَاكِمِ^(٤)، لَا يَعْلَمُ
بَشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، يُوضِعُ^(٥) بِعِيرِهِ، فَأَنَاحَ، وَأَقْبَلَ يَمْدُودُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : مَا جَاءَ بِكَ؟
قَالَ : حُبُّ الطَّعَامِ؛ قَدْ أَقْوَيْتُ^(٦) ثَلَاثًا، لَمْ أَذُقْ طَعَامًا؛ فَلَمَّا سَطَعَ الدِّخَانُ ظَنَنْتُ
أَنَّهُ دَخَانُ طَعَامٍ . فَقَالَ عَمْرُو : مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ : مِنَ الْبَرَاكِمِ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ
الشَّقِيُّ وَافَدْتُ الْبَرَاكِمِ^(٧)، وَرَمَى بِهِ فِي النَّارِ^(٨) .

(١) ذهب مثلاً (٢) دارم : بطن في تميم (٣) ومن هذا سمت العرب عمرو بن هند محرقاً
(٤) البراجم : خمسة رجال من بني تميم : قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم بنو حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم . اجتمعوا وقالوا : نعمن كبراجم الكف فقلب عليهم ، والبراجم : رهوس
السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه برزت وارتفعت ؛ الواحدة : برجة
(٥) أوضع المرء بعيره : إذا جملة يسرع في سيره (٦) أقوى الرجل : شد طعامه
(٧) ذهبت مثلاً (٨) هجت العرب بذلك تيمناً فقال ابن الصمق :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَآيَةَ مَا يَعْجُونَ الطَّعَامَا
وَقَالَ أَبُو مَهْشُوحٍ الْقُفَيْسِيُّ :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَمِيشَ فُجَيْءُ بَزَادٍ
يُغْبِزُ أَوْ يُلْحِمُ؛ أَوْ يَسْرُ أَوْ الشَّيْءُ الْمُلَقَفُ فِي الْبَجَادِ
تَرَاهُ يَنْقُبُ الْأَفَاقَ حَوْلَا لِأَكْلِ رَأْسِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ

وأقام عمرو لا يرى أحداً ، فقبل له : أبيت اللعن ! لو تحللتَ بامرأةٍ منهم ،
 فقد أحرقتَ تسعة وتسعين ؛ فدعا بامرأةٍ من بنى نهشل بن دارم ، قال : من أنتِ ؟
 قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر . قال : إني لأظنك أعجمية . قالت : ما أنا
 بأعجمية ، ولا ولدني الأعاجم :

إني لبنتُ ضمرة بن جابرُ ساد معداً كبيراً عن كبيرٍ
 إني لأختُ ضمرة بن ضمرة إذا البلادُ لقيمتُ بجمرة .

قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جرول . قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين
 مكانه ؟ قالت : هذه كلمةٌ أحمق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال :
 وأى رجل هو ؟ قالت : هذه أحمق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو :
 أما والله لو لا مخافةُ أن تلدى مثلك لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذي أسألهُ أن
 يضع وسادك ، ويخفيض عمادك ، ويصغر حصانك ، ويسلب بلادك ، ما قتلت إلا
 نسيّاً^(١) أعلاها ندي ، وأسفلها حلي . والله ما أدركت ناراً ولا محوت عاراً ، وليس
 من فعلت هذا به بنافل عنك .

قال : اقذفوا بها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتى مكان العجوز^(٢) ! فلما
 أبطأوا عليها قالت : كأن الفتیان حمماً^(٣) ، وقد قُذِفَ بها في النار فاحترقت ،
 فقال لقيط بن زُرارة يُميرُ بني مالك بن حنظلة بإحراق عمرو بإيم :

أَمِنْ دِمْنَةٍ أَقْفَرْتُ بِالْجِنَابِ إِلَى السُّفْحِ بَيْنَ الْمَلَا فَالْهَضَابِ^(٤)
 بَكَيْتَ لِمِرْفَانٍ آيَاهَا وَهَاجَ لَكَ الشَّوْقَ نَعْبُ الْغُرَابِ

(١) تفسير لسوة : لسة أو هي بالفتح وهو الذي لا يمد في القوم لأنه منسى (٢) في أمثال
 البدياني : مكان عجوز ، فذهبت مثلاً (٣) يروي : هيبات سارت الفتیان حمماً ، وقد ذهبت مثلاً
 (٤) الجناب والملا والهضاب : مواضع .

فَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُنَافِلَةٌ^(١) وَسَرَاةَ الرَّبَابِ
فَإِنْ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقِيَابِ
يُهَيِّئْ مَرَاتِكُمْ عَامِدًا وَيَقْتُلْكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِبِلًا أُمِلَّحَتْ^(٢) لَقَدْ زَعَتْ لِلْيَاءِ الْمِذَابِ
وَلَكِنَّكُمْ غَمٌّ تُصْطَفَى وَيُتْرَكُ سَائِرُهَا لِلذَّنَابِ
لَعَمْرُ أَيْكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أُرِدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةً إِنْ خَيْرَ اللَّوْ كُ أَفْضَلُهُمْ نِعْمَةً فِي الرَّقَابِ^(٣)
وَلَا ظَهَرَتْ بَرَاءَةُ زُرَّارَةٍ عِنْدَ ابْنِ الْمُنْذَرِ ، وَجَنٌّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَجْلُودٌ^(٤) ، فَلَحِقَ
بِقَوْمِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَضَ .

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : يَا حَاجِبُ ؛ إِلَيْكَ غِلْمَتِي فِي بَنِي تَهَشَلْ ، وَيَا عَمْرُو بْنَ
عَمْرٍو ؛ إِلَيْكَ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي ؛ فَإِنَّهُ حَرَضَ عَلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ عَمْرُو : لَقَدْ
أَسْنَدْتَ إِلَيَّ يَا عَمَّاهُ أَمَدَهُمَا شَقَّةٌ وَأَشَدُّهُمَا شَوْكَةٌ .

فَلَمَّا مَاتَ زُرَّارَةُ تَهَيَّأَ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو فِي جَمْعٍ ، ثُمَّ غَزَا طَيْبَتًا^(٥) فَأَصَابَ الطَّرِيفَيْنِ
طَرِيفَ بَنِي مَالِكٍ ، وَطَرِيفَ بَنِي عَمْرٍو ، وَأَفْلَتَهُ الْمَلَّاقُطُ ، فَقَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِدَةَ فِي ذَلِكَ :
وَنَحْنُ جَلَبَتْنَا مِنْ ضَرِيَّةٍ خَيْلِنَا نَجْنِبُهَا حَدَّ الْإِكَامِ قَطَا طَعَا^(٦)
أَصْنَتِ الطَّرِيفَ وَالطَّرِيفَ بَنِي مَالِكٍ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ أَصْبَحَ الْمَلَّاقُطُ
إِذَا عَلِمُوا مَا قَدَّمُوا لِنَفْسِهِمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَإِنْ الشَّرُّ مَرُورٌ أَرَاهِطًا

(١) المنعطف : الرسالة المحمودة من بلد إلى بلد (٢) أُمِلَّحَتْ : وردت ماء ملحاً (٣) وإنما أراد
بذلك بني مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخدمون عمرو بن هند والملك (٤) أجلود : أسرع
(٥) هذا هو يوم طيء ، راجع النقائض ص ٤٥ (٦) في اللسان : تكلفها حد الإكام . قال
أبو عمرو : أي تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بمخايرها ، قال : ووحد القطائط قطوط .
وقال غيره : قطائطاً : رعلا وجماعات في تفرقة .

٤- يوم السلان

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً مُحَسَّناً^(١) لِقَاحاً^(٢) ، فلما ملك النعمان^(٣) بن المنذر كان يجهز كل عام لطيمة^(٤) لتباع بُعْكَاط ، فتمرّض لها بنو عامر يوماً ؛ فغضب لذلك النعمان ، وبعث إلى وبرة الكلبى ، أخيه لأمه ، وبعث إلى صَنَائِمه^(٥) وَوَصَائِمه^(٦) ، وأرسل إلى بنى ضَبَّة بن أد وغيرهم من الرّباب وتيم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلّهم فوارس ، ومعه حبش بن دلف - وكان فارساً شجاعاً - واجتمعوا فى جيش عظيم ، وجهز النعمان معهم عيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عُكَاط ، وانسلخت الأشهر الحُرُم^(٧) ، فاقصِدوا بنى عامر ؛ فإنهم قريبٌ مِنَوَاجِي السِّلَان .

فخرجوا وكنتموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لثلاث يعرض أحدٌ للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عُكَاط علمت قريش بحالهم ، فأرسل عبد الله^(٨) بن جُدعان

* لبنى عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان فى الأصل بطون من الأرض فامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥

(١) المحس : المتشددون فى دينهم التحمسون (٢) اللقاح : الذين لا يدينون للولوك

(٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهماً شجاعاً مبالاً الى الماهرة سرياً كريماً . قصده الشراء من بلاد بعيدة فبالغ فى اكرامهم ، وبلغت الحيرة فى عهده درجة عظيمة من الرقى . مات فى سجن كسرى لإبروز بخاقين (٤) اللطيمة : غير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بنى ثعلبة خاصة كالحرس لا يرحون باب الملك (٦) الوضائع : ألف رجل من القرس كانوا يستخدمون فى نصرة العرب ، ويستبدلون بثمنهم كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (٨) عبد الله بن جُدعان التيمى ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحاسى الذهب لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره فى الكرم كثيرة .

فأصداً إلى بني عامر يُعلمهم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيؤوا للحرب ، ونحروا ووضعوا العيون ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد^(١) الصمق إلى وبرة الكلبي أخى النعمان ، فأعجبته هيئته ، فحمل عليه وأسرّه ، فلما صار في أيديهم همّ الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالا شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه - وكان أبو براء رجلاً شديداً الساعد - فلما حمل على ضرار اقتتلا ؛ فسقط ضرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه^(٢) .

ثم جعل أبو براء يلجّ على ضرار طمعاً في فدايته ، وجعل بنوه يحمونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتنّ أو لأموتنّ دونك ، فأحلى على رجل له فداء ، فأوما ضرار إلى حبيش بن دلف - وكان سيّداً - فحمل عليه أبو براء فأسرّه ، وكان حبيش أسود نحيفاً دميماً ، فلما رآه كذلك ظنه عبداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا في الشؤم وقمت ! فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللبن^(٣) فقد أصبتّه ، واقتدى نفسه بأربمئة بغير . وهزم جيش النعمان ، ولما رجع الفل^(٤) إليه أخبروه بأسر أخيه وقيام ضرار بأمر الناس ، وما جرى له مع أبي براء ، واقتدى وبرة الكلبي نفسه بألف بغير وفرس من يزيد بن الصمق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصمق ، قال ابن الكلبي : سمى بهذا الاسم ، لأنه حمل طعماً لقومه بمكاظ ، فجاءت ريح فبشار فسيها ولغها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقت (٢) ذهب مثلاً (٣) اللبن : الإبل (٤) الفل : القوم التهمزون .

٥- يَوْمَ خَزَازٍ

كان من حديثه أن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَرٍ وريبعة وقُضَاعَة ، فوفد عليه وفد من وجوه بني معدة ؛ ومنهم سدوس بن شيان ، وعوف ابن محلم ، وعوف بن عمرو ، وجُشَم بن ذهل ، فاحتبس الملكُ عنده بعضَ الوفد رهينة ، وقال للباقيين : اثنوني برؤساء قومكم لآخذَ عليهم الموائيق بالطاعة لي ؛ وإلا قُلتُ أصحابكم .

فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فاجتمعت معدة على كليب وائل ، وسار بهم - وعلى مقدمته سلمة بن خالد المعروف بالسفاح التغلبي - وأمرهم أن يوقدوا على خَزَازٍ نارا ليهتدوا بها ، فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعة وسيرها ، فأقبلوا بجمعهم ، واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن ، وساروا إليهم ، فلما سمع أهلُ تهامة بمسير مذحج انفضوا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خَزَازٍ ليلاً ، وكان كليب قال لسلمة : إن غَشِيكَ العدو فأوقد نارين ؛ فلما رأى جموعَ مذحج أوقد نارين ، فأقبل كليب بالجموع ، وصبح مذحجاً بخَزَازٍ ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، أكثروا فيه القتل ، وانهزمت مذحج .



هذه رواية ابن الأثير ، وفي معجم البلدان^(١) رواية أخرى هذا نصها :
اجتمعت مضر وريبعة على أن يجمعوا منهم ملكاً يقضى بينهم ، فكلُّ أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مضر ملك ، ثم أراد كل

* لمد على مذحج ، وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة ، وكان هذا اليوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وكانت معد لا تستنصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها حتى كان هذا اليوم فانصهرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الإسلام .

ابن الأثير ص ٣١٠ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

يطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا ملكا من
اليمين ، فطلبوا ذلك إلى بني آكل المرار من كندة ، فملك بنو عامر شراحيل بن
الحارث من بني آكل المرار ، وملك بنو تميم وضبة محرقي بن الحارث ، وملك
وائل شرحبيل بن الحارث ، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث ، وملك
بقية قيس معد يكرب بن الحارث ، وملك بنو أسد وكفانة حُجر بن الحارث ، أبا
امرى القيس ، فقتلت بنو أسد حُجرآ ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتلت
بنو تميم محرقا ، وقتلت وائل شرحبيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من
بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمين ، وسار ليقول نزارآ ، وبلغ ذلك نزارآ ،
فاجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل ، تغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ،
فجمع ربيعة وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يملو خزازآ ، فيوقد بها
لهتدى الجيش بناره ، وقال : **إِنْ غَشِيكَ المدو فَاوقد نَارِينَ .**

وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وكلا مرّ بقبيلة
استنقرها ، وهجمت مذحج على خزاز فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع
ربيعة إليهم فصبّحهم ، والتفوا بخزاز ؛ فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانهمزت جموع
اليمين .



وفي ذلك اليوم قال السفاح التغلبي :

وليل بت أوقد في خَزَازِي^(١) هديت كتابًا متحجراتِ
ضللن من الشهاد وكنّ لولا سهادُ القوم أحسبُ هاديَاتِ
فكنّ مع الصباح على جُذَام ولخم بالسيوف مشهراتِ

(١) خزازى : لغة فى خزاز .



وقال ابن الحائك :

كانت لنا بحزّ أذى وقمة عجب لما التقينا وحادي الموت يحديها
ملنا على وائل في وسط بلدتها وذو الفخار كليبُ المَرْ يُحميها
قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معدّة من أقاصيها
وحير قومنا صارت مقاولها ومذبح الفرّ صارت في ثعانيها

كان الحارث^(١) بن عمرو ملكاً على الحيرة ، ثم تفاسدت القبائل من نزار ، فأتاه
أشراقتهم فقالوا : إنا في دينك ، ونخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا
بنيك يثزلون فينا ، فيكفون بمضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فللك ابنه حُجْرٌ على بني أسد وغطفان ، وملك
ابنه شُرْحَيْبِيل على بكر بأسرها وبني حنظلة بن مالك ، والرَّباب . وملك ابنه
معد يكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة ، وطوائف من بني دَارِم
والصَّنَّاع^(٢) ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس ،

• لبني أسد على حجر . وحجر ملك من ملوك كندة .

الأعاني ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا
صيته زماناً ، ولكنه لم يلبث أن ولي ملك الفرس كسرى آتوشروان ، فولى على الحيرة المنذر بن
ماء السماء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر في حرب الحيرة ولكنه نجح وأقام بأرض كلب حتى مات
سنة ٥٤٩ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نقاشاً من بني آكل المرار ، قومه ، وفيهم عمرو ومالك
ابنا الحارث ، وأمر بضرب رقابهم في ديار بني مرينا ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقونا العشي يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بفسل ولكن في الدماء مرملينا

الفصل : ما يغسل به الرأس

تغسل الطير ما كفة عليهم وتنزغ الحواحب والميونا

(٢) الصنَّاع : قوم من شذاذ العرب ، يصحبون الملوك .

وكانت لحجر على بنى أسد إناوة في كل سنة مؤقّنة ، وغبر^(١) على ذلك دهرآ ،
ثم أرسل جأيه الذى كان يجيبهم ، فنعوه ذلك - وحُجِرَ يومئذٍ بهامة - وضربوا
رُسْلَهُ وضَرَجُوهم^(٢) ضَرْجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حُجْرًا ، فسار إليهم بجُنْدٍ من
ربيعة ، وجنْدٍ من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأناهم وأخذ سرائهم ؛ وجعل
مقتلهم بالمصا^(٣) ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم
في بلد أبدآ ، وحبس جماعة من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثاً ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عبيد بن الأبرص
فقام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

يا عينُ فابكى ما بنى أسد فهم أهلُ الذّامة
أهلَ القَبَابِ الحِرِّ والنَّعمِ المؤبِّلِ^(٤) والمُدَامَةِ
وذوى الجيادِ الجُرْدِ والنَّاسِلِ المُتَقَفِّ المَقَامَةِ
حِلًّا أَيْتَ اللّٰمِ حِلًّا إِنَّ فِيمَا قُلْتَ آمَةٍ^(٥)
في كلِّ وَادٍ بينَ يَثْرِبَ فالقُصُورِ إلى اليَمَامَةِ
تطريبُ عابِرٍ أو صياحُ مُحَرِّقٍ أو صوتُ هامَةٍ
ومنعهم نَجْدًا فقد حلُّوا على وَجَلٍ بهَامَةٍ
بَرِمَتْ بنو أسدٍ كما بَرِمَتْ يَبِضَتِهَا الحَامَةِ
جعلت لها عُودِيْنَ من نَشَمٍ وآخرَ من نُمَامَةٍ^(٦)

(١) ضرب : لبث (٢) ضربه : أدامه (٣) لذلك سموا : عبيد المصا
(٤) المؤبِّل : اللّغنى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك ، والآمة السب (٦) النعم : شجر
جبل تتخذ منه القس ، والثامة : نبت بالبادية .

إِذَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوَاً أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مِثْلَهَا ذَلَّ الْأَشْقَرُ ذُو الْحِزَامَةِ^(١)

فرقاً لهم جُحْرٌ حين سمع قوله ، وأرسل مَنْ يردُّهم .

ثم إن حجرًا وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسدٍ ، وكان يُقَدِّمُ بِمَضٍ ثَقْلَهُ^(٢) أمامه ، ويُهَيِّئُ نَزْلَهُ ثم يجيئُ وقد هَيَّئَ له من ذلك ما يُعْجِبُهُ فينزل ، ويُقَدِّمُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ فَيُضْرَبُ له فِي الْمَنَزَلَةِ الْآخَرَى ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَنِي أُسْدٍ - وَقَدْ بَلَغَهُمْ مَوْتُ أَبِيهِ - طَمِعُوا فِيهِ ، فَلَمَّا أَظْلَمَ، وَضُرِبَتْ رِقَابُهُ اجْتَمَعَتْ بَنُو أُسْدٍ إِلَى نُوْفَلِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا بَنِي أُسْدٍ ؛ مَنْ يَتَلَقَى هَذَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقْتُلْهُ ؟ فَإِنِّي قَدْ أَجَمْتُ عَلَى الْفَتَاكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا لِذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرِكَ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي خَيْلِهِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الثَّقَلِ ، فَقَتَلَ مَنْ وَجَدَ فِيهِ ، وَسَاقَ الثَّقَلَ ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ قَيْنَتَيْنِ لِحَجْرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ .

وَبَلَغَ حَجْرًا أَمْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ . فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَاهَضُوهُ الْقَتَالَ ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ هَزَمُوا أَصْحَابَ حَجْرٍ وَأَمْرُوهُ فَجَسَوْهُ .

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لَيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ لَا تَعْجَلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَزْجُرَ لَكُمْ ؛ وَانصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ .

(١) الْأَشْقَرُ : تَصْغِيرُ الْأَشْفَرِ ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ مِنَ الدُّوَابِّ . وَالْحِزَامَةُ : حَلَقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَحْمِلُ فِي وَتَرَةِ أَنْفِ الْعَمِيرِ بِشَدِّهَا (٣) الثَّقَلُ : مَتَاعُ الْمَاسِفِرِ .

فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل^(١) - وكان حُجر قتلَ أباه - وقال له : يا بني ؛ أعندك خيرٌ فتشأَرُ بأبيك ، وتنالَ شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ولم يزل بالغلام حتى حربَ به^(٢) ، ودفع إليه حديدَةً قد شحذها وقال : ادخلْ عليه مع قومك ، ثم اطمئنْ في مَقْتله . فعمد الغلام إلى الحديدِ فَخَبَأَهَا ، ثم دخل على حجر في قُبَّتِه التي حُبِسَ فيها . فلما رأى الغلامُ منه غَفْلَةً طمِئِنه طَمَئِنَةً أَصَابَتْ مَقْتَلًا .

ولما علم حجر أنه ميّت أوصى ودفع كتابه إلى رجل ، وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبرَ ولده - فإن بكى وجزع فإلهُ عنه ، وأُسْتَقَرَّهم واحداً واحداً ، حتى تأتى امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأتهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخيلِي وفُدُورِي وَوَصِيَّتِي . وكان قد بينَ في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره . ولم يلبث حُجر أن مات ، فوثب القوم على الغلام قَاتِلَه ، فقال الغلام : إنما ثارتُ بأبي ، فخلّوا عنه . وأقبل كاهنهم الزدجر ، فقال : أى قوم ! قتلتموه ! مُلْكُ شهر ، وذلٌ دهر . أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً .

— ٢ —

وانطلق الرجلُ بوصيَّةِ حجر إلى نافع ابنه ، وأخبره ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استَقَرَّاهم واحداً واحداً ، فكلُّهم فعل ذلك . وكان حجرٌ في حياته قد طرد ابنه امرأ القيس ، وآلى ألا يقيم معه أُنْفَةً من قوله الشعر - وكانتِ الملوك تأنف من ذلك - فكان يسيرُ في أحياء العرب ، ومعه

(١) بنو كاهل : بطن في بني أسد (٢) حرب : حرشه .

أَخْلَاطٌ مِنْ شَذَازٍ طَيِّبٍ وَكَلْبٍ وَبَكْرٍ ، فَإِذَا صَادَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَذَبَّحَ لِنَ مَعَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَتَصِيدُ ، ثُمَّ عَادَ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَسَقَامَ ، وَغَنَّهُمْ قِيَانُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَا ذَلِكَ الْغَدِيرُ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَلَاعِبُهُ بِالتَّرْدِ ، فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حَجْرٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمُهُ ، فَقَالَ لَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ ، فَضَرَبَ حَتَّى إِذَا فَرَّخَ ، قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ لَأُفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتَكَ . ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ كُلِّهِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : ضَيَعَنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَةَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَاً ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَاً أَمْرٌ .

ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، فَلَمَّا صَحَا آلَى آلًا بِأَكْلِ لَحْمٍ ، وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا ، وَلَا يَدْهُنُ بَدْهُنٍ ، وَلَا يَصِيبُ امْرَأَةً ، وَلَا يَفْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ .
وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ لِبَرَقٍ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَنَا حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمِيرٍ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلُ
بَقْتُلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ نَسَبٍ سِوَاهُ جَلَلٍ^(١)
فَأَيْنَ رِيْعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَيْمٌ وَأَيْنَ الْخُلُولُ
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أُكِّلَ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرَاءٍ وَتَغَلَّبَ ، وَسَلَّاهُمُ النَّصْرُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو أَسَدٍ

(١) جلال : حبيب ، وهو من الأضداد .

بما عَزَمَ عليه امرؤ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كهول وشبان ، وفيهم قبيلة ابن نعيم ، وكان في بني أسدٍ مقيماً ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وصدرًا ، ولما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدّم بإكرامهم ، والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا مَنْ حضر من رجال كندة ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السلاح والعدّة . فقالوا : اللهم غفراً ، إنا قدّمنا في أمر نَنفَاسِي به ذِكْر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا .

فخرج عليهم في قباء وخُفٍّ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعْمُ بالسوداء إلا في التّرات . فلما نظروا إليه قاموا له ، وبَدَرَ إليه قَبِيصَة وقال : « إنك في المحلِّ والقَدْرِ والمعرفة بتصرّف الدهر ، وما تحدّثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ؛ بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكّر مجرّب . ولك من سُوِّدَ مَنْصَبُكَ وشَرَفَ أَعْرَاقُكَ ، وكرم أصلِكَ في العرب مُحْتَمَلٌ مُحْتَمَلٌ ما مُحْمَلٌ عليه من إقالة التّرة ورجوع عن الهفوة . ولا تتجاوز المهم إلى غابة إلا رَجَعْتَ إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصّفح ، في الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمت رزقيته زراداً واليمن . ولم تُخصّصْ به كندة دوننا ، للشرف البارِع . كلن للحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإغااء الحمد ، وطيب الشّيم ؛ ولو كان يُفدَى هالكٌ بالأنفُس الباقية بعده ، لما بَخِلْتَ كرامتنا على مثله ببذل ذلك ، ولقد بَنَاهُ منه ؛ ولكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاهُ على أخراه ، ولا يُلْحَقُ أَقصاهُ أدناه . فأحمَدُ الحالات في ذلك أن تَعْرِفَ الواجب عليك في إحدى خلال : إما أن اخترتَ من بني أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء الكرمات صوتاً ، فقد نَاهُ إليك بِنِسْعةٍ^(١)

(١) النسخة : سير مضمون يجعل زمناً للبعير .

تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ قَصَرَته^(١) ، فيقول : رجل أمتحن بهلك عزيز ، فلم تستل سخيمته إلا يتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يروح من بنى أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القُضْبُ إلى أجفانها ، لم يرُدْده تسليط الإحْن على البرءاء ؛ وإما أن توادعنا ، حتى تضع الحوامل فتسدل الأذُر ونفقد الخمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العربُ أنه لا كُفْ ، لحجر في دم ، وإنى لن أعتاض به جلا أو ناقة ، فاكتسبَ بذلك سبة الأبد ، وفَتِ المَعْنُد . وأما النظرة^(٢) فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لَطَبِهَا سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ بعد ذلك ، تحمل في القلوب حَنَقاً ، وفوق الأسنان عَلَقاً^(٣) .

إذا جالت الخيلُ في مَأْزِقٍ تصافحُ فيه المنايا النفوسا
أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرفُ بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار
بمكروه وأذية ، وحرب وبلية ، ثم نهضوا عنه ، وقبيصةُ يقول متمثلاً :
لعلك أن تستوخمَ الموت إن غَدَتْ كَتَائِبُنَا في مَأْزِقِ الموتِ تَمْطُرُ
فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويداً ينكشف لك دُجَاهَا عن فُرْسَانِ
كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كان ذكرُ غيرِ هذا أولى بي ؛ إذ كنتَ نازلاً برَبْعِي ؛
ولسكنك قلتَ فَأَجَبْتُ . فقال قبيصة : ما تتوقع فوق قدر الماتبة والإعتاب . قال
امرؤ القيس : فهوَ ذاك .

(١) القصرة : العنق (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

وعزم امرؤ القيس على أخذ الثأر ، وسار يقصد بني أسد فنذروا به ، ولجئوا إلى بني كنانة^(١) ، فلما كان الليل قال علباء بن الحارث لبني أسد : والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فاحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة . ففعلوا ؛ وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة - وهو يحسبهم بني أسد - ووضع السلاح فيهم وقال : يا ثارات الملك ! يا ثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أيت اللعن ! لسنا لك بشأر ، نحن من كنانة ، فدونك تارك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بني أسد ولكنهم فاتوه ليلتهم ، فقال فيهم :

أَلَا يَأْلَفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنَ أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢)
وَأَفْلَتْنِ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرُ الْوِطَابِ^(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون^(٤) على الماء ، فنهَد إليهم وقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم . وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم

(١) كنانة وأسد ابنا خزاعة : أخوان (٢) جدم : حظم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بني أسد حظمه ، إذ وقع العقاب بكنانة بني أبيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضبر فى أفلتن الخيل ، وجريضاً ، أى جمد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسده صفرأ من دمه كما يصفر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أَصَبْتَ ثَأْرَكَ . قال : والله ما فعلتُ ولا أَصَبْتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أُسدٍ أَحَدًا . فقالوا : بلى ؛ ولكنك رجل مشنوم ، وكريهوا قتال بني أُسدٍ وانصرفوا عنه .

ومضى لوجهه هاربًا حتى لحق باليمن ، واستنصر أَزْدَ شَنْوَةَ ، فأبوا أَنْ يَنْصُرُوهُ ، وقالوا : إخواننا وجيراننا . فاستنصر مرثد الخير بن ذى جَدَنَ الحِمْيَرِيَّ - وكانت بينهما قرابة - فأمدّه بمخمّسة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملك بعده رجل يُقال له قَرْمَلُ بن الحميم ، فأَنفَذَ له الجيش ، وتبعه سُذَّاذُ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بني أُسد .

ومرّ في طريقه بَبَّالَةَ^(١) ، وبها صنم^(٢) تمظّمه العرب ، فاستقسم^(٣) عنده بقِدَاحه ، وهى الآمر والنّاهى والمتربّص ، فأجالها فخرج النّاهى ، ثم أجالها فخرج النّاهى ، ثم أجالها فخرج النّاهى ، فجمعها وكسرها وضرب بها وَجْهَ الصنم ، وسبّه وقال له : لو أبوك قتل ما عُقَّتَنِي ، ثم خرج فظفر ببني أُسد .

وعلم بمكانه النذُرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجّه الجيوشَ في طلبه ، فنفرت عنه عُصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حَنْظَلَةَ ، ومعه أذرأعه الخمسة :

الفَضَافِضة ، والصفافية ، والمحصنة ، والخربق ، وأم الديول ؛ كُنَّ لبني مراد

(١) ببالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان مروءة يضاء منقوش عليها كهيئة النّاج ، وكان سدتها من بني أمية من ببالة ، وكانت تمظّمها وتهدى لها خنم وبجيلة وأزد المرأة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بحدح حتى جاء الإسلام ، وهلمه جرير من عبد الله البجلي (٣) الاستقسام : طلب معرفة ما لسم للمرء .

يَتَوَارَثُونَهَا مِلْكًا عَنْ مَلِكٍ ، فَقَلَمًا لَيْثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَمَثَ إِلَيْهِ الْمَنْدَرُ
مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ بَنِي آكَلَ الْمَرَارَ فَأَسْلَمَهُمْ ، وَنَجَا
امْرَأُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ الْحَارِثِ^(١) وَبَنَتُهُ هُنْدُ ، وَالْأَدْرَعُ وَالسَّلَاحُ ،
وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، وَمَضَى إِلَى أَرْضِ طَيْيٍّ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْمَلِكِ بْنِ تَيْمٍ^(٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ،
وَاتَّخَذَ إِبْلًا ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَنَزَلَ بِمَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ ، وَاتَّخَذَ عِنْدَهُ إِبْلًا ، ثُمَّ هَمَّ عَامِرٌ أَنْ يَنْقَلِبَ
امْرَأَ الْقَيْسِ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ ، فَفَطِنَ امْرَأُ الْقَيْسِ لِمَا أَرَادَ ، وَخَافَ مِنْهُ ، وَاتَّقَلَ إِلَى رَجُلٍ
مِنْ بَنِي ثَمَلٍ^(٣) ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَامِرٍ وَبَنِي ثَمَلٍ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ
عِنْدِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَارِ حَتَّى يَرَى ذَاتَ قَيْبِهِ^(٤) ،
فَقَالَ لَهُ الْفَزَارِيُّ : يَا بَنَ حُجْرٍ ؛ إِنْ أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ ، وَأَنَا أَنْفَسُ^(٥) بِمَثَلِكَ
مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَقَدْ كِدْتَ بِالْأَمْسِ تَوَكَّلُ فِي دَارِ طَيْيٍّ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَهْلُ بَرٍّ
لَا أَهْلُ حُصُونٍ تَمْنَعُهُمْ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْيَمَنِ ذُؤَبَانٌ مِنْ قَيْسٍ ، أَفَلَا أَدْلَكَ عَلَى
بِلَدٍ ؛ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ ، وَجِئْتُ النَّمَانَ ، فَلَمْ أَرِ لَضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمَجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ
صَاحِبِهِ .

فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ ؟ فَقَالَ : السَّمُودُ بَنِي تَيْمَاءَ ، وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ ؛
هُوَ يَمْنَعُ ضَمْعَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْبِكَ ، وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ ، وَحَسَبٌ كَبِيرٌ .

(١) ابْنُ مَهْمٍ (٢) مَدَحَهُ امْرَأُ الْقَيْسِ فَقَالَ :

كَأَنِّي إِذَا تَرَكْتُ عَلَى الْمَلِكِ نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شِمَامٍ

شِمَامٌ : اسْمُ جَبَلٍ

فَمَا مَلِكُ الْأَرَاكِ عَلَى الْمَلِكِ بِمَقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الْفَتَامِ

أَفْرَحُ حَتَّى امْرَأَةِ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

(٣) ثَمَلٌ : مِنْ طَيْيٍّ اشتهروا بِالرَّمَايَةِ (٤) يَرِيدُ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَيَصْلُحُ مِنْ شَأْنِهِ

(٥) أَنَفَسُ : أَضْنُ .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه
فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضَميع الفَزَارِيُّ من يأتي السَّمَوَل فيحصله
ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفَزَارِيُّ : إن السموول يعجبه الشعر ، فتعال نَتَنَاشِدُ
له أشعاراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموول ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛
وأُنزل المرأة في قُبَّة آدم ، وأُنزل القوم في مجلس خاص ، فكان عنده ما شاء الله .
ثم إنه طَلَبَ إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الفَسَّانِي بالشَّام ، ليوصله
إلى قيصر ، فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها
يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبله وأكرمه ،
وكانت له عنده منزلة .

ثم اندس رجل من بني أسد - يقال له الطَّمَّاح - وكان امرؤ القيس قد قَتَلَ
أَخَاهُ من بني أسد ، حتى أتى بلادَ الروم ، فأقام مُسْتَخْفِياً - وبعد مدة ضمَّ
قيصرُ إليه جيشاً كثيفاً ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلما فصل قال الطَّمَّاح
لقيصر : إن امرأ القيس غَوَى عَاهِر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه
كان يُرَاسِل ابنتك ويواصلها ، وأنه يقول فيها أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها
ويفضحك .

فبعث إليه بحُلَّة وثِي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرسلت إليك
بجملتي التي كنت ألبسها تكرمَةً لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة ،
واكتب إلى بخبرك من منزلٍ منزل .

فلما وصلت إليه ، لبسها واشتدَّ سروره بها ؛ فأسرع إليه السم وسقط جلده ،
فقطن لما أريد به وقال :

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مَا يَلْبَسُ أَبُو سَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنِّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا
وَلَمَّا صَارَ إِلَى أَنْقَرَةَ اخْتُصِرَ بِهَا ، وَرَأَى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَتْ هُنَاكَ ،
فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِقَصَّتِهَا ، فَقَالَ :
أَجَارَتَنَا إِنْ الزَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيانَ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

٧- يوم الكلاب الثاني

لما أوقع كسرى بيني تميم يوم الصفقة^(١) أداروا أمرهم، وقال ذوو الحجا منهم: إنكم قد أغضبتم الملك، وقد أوقع بكم حتى وهنهم، وتسامعت بما لقيتم القبائل، فلا تأمنون دوران العرب

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاورهم في أمرهم: أكنم بن صيفي الأسدي، والأعتمر بن يزيد المازني، وقيس بن عاصم المنقري، وأبير بن عصمة التيمي، والنعمان ابن الحسحاس التيمي، وأبين بن عمرو السعدي، والزبرقان بن بدر السعدي؛ وقالوا لهم: ماذا ترون؟ فقال أكنم: «إن الناس قد بلغهم ما قد لقينا، ونحن نخاف أن يطعموا فينا». ثم مسح يده على قلبه وقال: «إني قد نيفت على التسعين، وإنما قلبي بضعة^(٢) من جسmy، وقد نحل كما نحل جسmy، وإني أخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم، وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعسيفاً^(٣)، وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم. فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره، فإني متى أسمع الحزم أعرفه».

فقال كل رجل منهم ما رأى، وأكنم ساكت لا يتكلم، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال: «يا قوم؛ انظروا ماء يجمعكم، ولا يعلم الناس بأى ماء أنتم

(*) تميم على مذبح، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

العقد العريد من ٣٥٤ ج ٣، ابن الأثير من ٣٧٩ ج ١، الثقات من ١٣٧ ج ١ (طبع مصر)، خزانة الأدب من ٣٧٠ ج ١، من ١٧٠ ج ٢، شوارع العرب من ٩٥ شعراء النصرانية من ٧٥ ج ١، الأغاني من ٧٢ ج ١٥، مهذب الأغاني من ٥٠ ج ١، ذيل الأمالي صفحة ١٣٢

(١) سبق يوم الصفقة من ٢ (٢) البضعة في الأصل (وتكسر): القطعة من اللحم. (٣) الأسيف: العبد، والعسيف: الأجير.

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدَّ أزرُكم ، وقد حممْتُ^(١) وصلحت أحوالكم ، وانجبرَ كبيرُكم ، وقوى ضميضُكم ، ولا أعلم ماءً يجمعكم إلا قِدة^(٢) .

فلما سمِعَ أكنم بن صيفي كلامَ النعمان قال : هذا هو الرأي . وارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، ونزلت الرِّباب^(٣) وسعد بأعلى الوادي ، ونزلت حَنْظَلَة بأسفله^(٤)

وكانوا لا يخافون أن يُفَزَّوا في القيظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لُبَعدٍ مسافتها ، وشدة حرِّها ، وأقاموا بقيةَ القيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهوَّروا^(٥) القيظ ، مرَّ بهم رجل من أهل مدينة هَجْر ، فرأى ما عندهم من النعم ، فانطلق إلى مدحج وقال : هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوها^(٦) ، وبكرة^(٧) حراء ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تَلَكُم تميم ألقاء^(٨) مطروحوون بقِدة . فقالوا : إى والله !

ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموها من بني تميم ، وبمئوا الرُّسل في قبائل اليمن وأجلافها من قُضاعة ، واستشاروا كاهنهم المأمور^(٩) الحارثي ، فأشار عليهم بالكف .

ولكنهم عَصَوْه . وخرجوا لِقَز وتيم ، وجعلوا عليهم أربعة رؤساء كلُّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الحزَّم ، ويزيد بن اليكَّم ،

(١) التحميم : المتعة ، وفي اللسان كان مسلمة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول في خطبه : لاذ أقل الناس في الدنيا هم أقلهم حمًا ، أي مالا ومتاعاً ، وهو من التحميم : المتعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرباب : للنسائين أقوال كثيرة في تفسير الرباب ، ويقول صاحب القاموس : لانهم أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (٤) سعد وحظلة : من تميم (٥) تهوور : ذهب (٦) المهرة : الفرس ، والشوها : الخيل : الطويلة الرائعة (٧) البكرة : الفتية (٨) ألقاء : جمع لق ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين القروسية والكهانة ، وكانت مدحج في أمره تتقدم وتتأخر .

ويزيد بن هوير ، ومعه عبد يفيث بن صلالة الحارثي ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف (١) .

ولما بلغ نعيم أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فزعوا إلى أكنم بن صيفي - وله يومئذ مائة وتسعون سنة - فقالوا له : حقق لنا هذا الأمر ، فإننا قد رضيناك رئيساً . فقال لهم : « لا حاجة لي في الرئاسة ، ولكني أشير عليكم : لتنزل حنظلة الدهناء ، وتنزل سعد والرباب بالكلاب ، فأى الطريقين أخذ القوم كفى أحدُهما صاحبه . ثم قال لهم : « احفظوا وصيتي ؛ أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الغسل ، والمرة يمجز لا محالة ؛ يا قوم تثبتوا فإن أحرَمَ الفريقين الركبن (٢) ، ورب عجلة تهب ريثاً ، وأتزرؤا للحرب ، وأدعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عز أخوك فهن ، البسوا جلود الثمور ، والنبات أفضل من القوة ، وأهنا الظفر كثرة الأمرى ، وخير النعمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ؛ فإن الموت من ورائكم ، وحُب الحياة لدى الحرب زلل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »

فقبلوا مشورته ، ونزلت حنظلة الدهناء وسعد والرباب الكلاب .

ولما وردت مذحج وأحلافها رآهم رجلٌ كان يرعى الإبل ، فذهب إلى سعد وأنذرهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهبت النعم وراجزهم يقول :

في كل عام نَمَّ نَنَّا بْه على الكلاب غِيَّب أصحابه

قسمه غلامٌ من سعد فأجابه :

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذي قار ومن يوم شعب جيلة (٢) الركبن : الرزين .

في كل عام نَمَّ يَحْوُونَهُ^(١) يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَيَنْتَجُونَهُ^(٢)
أَرْيَابَهُ نَوَكِي فَلَا يَحْمُونَهُ^(٣) وَلَا يَلْقَوْنَ طَمَانًا دُونَهُ
أَنْعَمَ الْأَنْبَاءُ^(٤) تَحْسِبُونَهُ هِيَاهُ هِيَاهُ لَمَّا تَرَجُونَهُ

ولما اقترب جَمَعُهُمَا قال ضمرة بن لبيد الحماسي لقومه من مَذْحِج : « انظروا ،
إنكم ستستاقون النعم ، فإن أتت الخيلُ عُصْبًا عُصْبًا ، وثبتت الأولى للأخرى حتى
تلتحق بها فإن أمرَ القوم هين ، وإن لحق بكم القومُ فلم ينظروا إليكم حتى يردوا
النعم ، ولا ينتظر بعضهم بعضاً فإن أمرَ القوم شديد . »

وتقدمت سعد والرباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا
النعم من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ،
حتى إذا كان آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جساس^(٥) ، وظنَّ أهلُ اليمن أن بني عيم

(١) « في كل عام نَمَّ يَحْوُونَهُ » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نعم)
ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيويه على أن جملة تحوونه صفة لنعم ،
واستشهد به صاحب الكشف على جواز تذكير الأنعام (٢) يقال : ألقح الفحل الناقة إذا
أحبلها ، وتنج الناقة أهلها إذا استولدوها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حلت
أغرم أتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف
التدبير والعمل (٤) الأبناء كل بني سعد بن مزيد إلا بني كعب بن سعد (٥) رماه رجل من
أهل اليمن ، كانت أمه من بني حنظلة ، فقال حين رمى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان :
مكلك أمك ! رب حنظلية قد غاطتني (فذهبت مثلاً) .

وفي قتل النعمان قالت صفية بنت الحرث (ولعلها زوجه) :

قد غاب عنه فلم تصمد فوارسه ولم يكونوا غداة الروح يحذونه

يقال : أحمده إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله

فطاه هندوانى وجته فضفاضة كأضائة التهي موضوعه

النطاق : منطقة السيف ، والجنة الفضفاضة : الدرع السائفة ، والأضائة والنهي : الغدير ، وتشبه
يهما الدرع في الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قلنا شفاء النفس لو قمت وما قلنا به إلا امرأ دونه

ترديد بذلك قتل عبد يفرث سيد بني الحارث — من شعاع العرب ص ٩٥

صهزمهم قتلُ النمان ، ولكن ذلك لم يزدحم إلا جرأة عليهم ، وما زالوا على قتالهم حتى حجزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بعضهم بعضاً .

ولما أضحوا تولى قيس بن عاصم المنقري امرأةً بنى تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملةً صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم منهم وعلة بن عبد الله الجرهمي صاحب اللواء ، ثم تنابت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادى : يا تميم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرجال^(١) لكم ، ثم يقول :

لما تولوا عُصباً شوازيباً^(٢) أقسمت لا أطمئن إلا راكبا

إني وجدت الطمئنَ فيهم صائبا

وما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون^(٣) حتى أسير عبد ينفوث^(٤) بن صلاءة سيد بني الحارث ، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس ، وانطلق به إلى أهله ، وكان العبشي أهوج ، فقالت له أمه - ورأت عبد ينفوث عظيماً جميلاً - من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم ، فضحكت وقالت : قبّحك الله من سيد قوم حيف أسرك هذا الأهوج^(٥) !

ثم قال لها : أيتها المرأة ؛ هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ابنك مائة من الإبل ، وينطلق بي إلى الأهم^(٦) ، فإني أخاف أن تنزعني سعد والرباب منه ،

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شوازب : ضواصر (٣) قاتلوا : كان ليس إذا أخذ أسيراً سأل : من أنت ؟ فيقول : من بني رعل (وم أنزال) يريدون بذلك رخص القداء ، فجعل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول : أسلك حتى أصطاد لك رعبلة أخرى (فذهبت مثلاً) (٤) كان عبد ينفوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال :

وفضحك مني شبيخة عبشية

(٦) هو عمرو بن سنان والأهم لقبه ، كان من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام .

ثم ضمن لها مائة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث^(١) فوجهوا بها إليه ، وقبضها
المبشيمى وانطلق به إلى الأهم ، وأنشأ عبد يفيوث يقول :

أَأَهْمُ يَاحْيَرَ الْبَرِيَّةِ وَالْأَدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَدَارَكَ أُسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقُنِي التَّيْمَ الْقَتَى الدَّوَاهِيَا

فشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد ؛ قُتِلَ فَارِسُنَا ، وَلَمْ يَقْتُلْ
لَكُمْ فَارِسَ مَذْكَورٌ ، فَدَفَعَهُ الْأَهْمُ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَهُ عَصْمَةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِ ، وَانْطَلَقَ
بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ يَفِيوْثَ : يَا بَنِي تَيْمَ ؛ اقْتُلُونِي قِتْلَةً كَرِيمَةً ، فَقَالَ لَهُ عَصْمَةُ :
وَمَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ ؟ فَقَالَ : اسْقُونِي خَمْرًا ، وَدَعُونِي أَنْعُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَ عَصْمَةُ : نَعَمْ ،
وَسَقَاهُ الْخَمْرَ ، ثُمَّ قَطَعَ لَهُ عِرْقًا يَقَالُ لَهُ الْأَكْحَلُ ، وَتَرَكَ يَنْزِفَ ، وَمَضَى عَنْهُ عَصْمَةُ
وَتَرَكَ مَعَهُ ابْنَيْنِ : فَقَالَا لَهُ : جَمَعَ أَهْلُ الْبَيْنِ ، وَجِئْتَ تَصْطَلِمُنَا ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ
صَنَعَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ يَفِيوْثَ :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا يِيَا فَالْكَفَى اللَّوْمَ خَيْرٌ وَلَا يِيَا^(٢)
أَلَمْ نَمْلِكْ أَنْ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(٣)
فِيَارَا كَبَا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانِ آلَا تَلَاقِيَا^(٤)
أَبَا كَرْبِ وَالْأَيُّهَمَيْنِ كُلَيْهِمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ^(٥) الْبَحَايِيَا

(١) يريد بنى الحارث قومه (٢) الخطاب لاثنتين حبيبة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل
مؤخر ، أي كفى ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومي مع ما تريان من إساءتي وجهدي
(٣) اللعل : الخلق ، وهو يأتي جماعاً ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب
الإبل ، ولا تسمى الرب راكباً على الإطلاق إلا الراكب البعير والساقة . وهرضت أي أنبت
البروش وهي مكة والمدينة . والتدائى : جمع ندمان ، وهو الشارب . ونهيران مدينة بالحجاز
(٥) أبو كرب . والأيهان : الأسود بن علفة وعبد المسيح بن الأبيض وليس بن معدي كرب
هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحن إليهم . يروي أن قيساً لما بلغه هذا البيت
قال : « ليك وإن كنت قد أخرجني » .

جزي الله قومي بالكُلابِ مَلَامَةً صريحهمُ والآخِرِينَ المَوَالِيَا^(١)
لو شئتُ نَجَّنتُ من الخيلِ نَهْدَةً ترى خلفها الحوَّ الجيَادَ^(٢) تَوَالِيَا
ولكنني أحمي ذِمَارَ أَيْسَكُمُ^(٣) وكان الرِّمَاحُ يَخْتِطِفُنَ المُحَامِيَا
أقول وقد شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ^(٤) : أَمَشَرَ تَيْمَرُ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا
أَمَشَرَ تَيْمَرُ قَدَمَلِكُكُمْ فَاسْجِحُوا^(٥) : فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا
فإن تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي^(٦) بِمَالِيَا
أحقُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعَا نَشِيدَ الرَّعَاءِ^(٧) الْمُزِينِ التَّلَالِيَا
وتضحك مني شَيْخَةٌ عَبْشِمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرَا^(٨) يَمَانِيَا
وظلَّ نَسَاهُ الحَيُّ حَوْلِي رُكْدَا يُرَاوِدُنِي مَنِي مَا تَرِيدُ نِسَائِيَا
وقد عَلِمْتُ عِرْصِي مُلْكِكُ أَتْنِي أَنَا اللَّيْتُ مَعْدِيَا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وقد كنتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلَا مَطَى وَأَمْنِي حَيْثُ لَا حَيَّ مَاضِيَا

- (١) الصريح : الخالص ، والموالي : الحقاء النضجين إليهم ، والكلاب : اسم موضع الوقعة
(٢) النهدة : للرهمة ، والحو من الخيل : التي تضرب للى خضرة ، وهي أصبر الخيل . وتواليا :
جمع تالية ، أي تاجعة ؛ والمعنى : إن فرسي لحقتها تسبق الحو ؟ فهي تلو فرسي (٣) القمار :
ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسعة : سير منسوج ، وفي شرح هذا البيت قولان : الأول
أن هنا مثل وذهب إليه القائل وابن الأنباري ؛ لأنَّ اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد : افلوا بي
خيراً ليطلق لسانى بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم ، والثاني
أنهم شدوه بنسعة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ في البيان والبيان والأسفها في الأغاني ؛ قبل لأنهم
ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوم ، وكانوا يسمونه يشد شراً ، قال : أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي
وأنوح على نفسي ، قالوا : إنك شاعر ، ونحن أن تهجوننا ، فاهدم ألا يهجوم ، فأطلقوا له عن
لسانه (٥) أسحبوا : سهلوا ويسروا ، والبواء : السواء ؛ أي لم يكن أخوكم نظيراً لي
فأكون بواء له ، ويريد به النعان (٦) تحربوني : تسلبوني وتطلبوني (٧) الرعاء :
جمع راع ، والمزبب : المنحى بإبله ، والتالي : التي تتج بضها ويق بضى ؛ جمع متلبة
(٨) قوله : كأن لم ترى ، رجوع إلى من الإخبار إلى الخطاب ، وكان مخففة واسمها مضمر فيها
وروى في ذيل الأمالي : لم ترن بالهمن ، وارجع إلى ذيل الأمالي والمعنى في مبحث (لم) .

وَأَمَحُّهُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيتِي وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ^(١) رِدَائِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَسَاءِ^(٢) بَنَائِيَا
وَعَادِيَةِ سَوَمَ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا بَكْفَى وَقَدْ آمَحُوا إِلَى الْعَوَالِيَا^(٣)
كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْل لَخَلِيلِي كُرِّي نَفْسِي^(٤) عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَشْبَاهِ الرُّقَى الرَّوَّى وَلَمْ أَقْل لِأَيْسَارِ صَدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا^(٥)
وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدٌ يَفُوتُ أَنْ مَاتَ^(٦) .

-
- (١) الشرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والقينة : الأمة مفضية كانت - كما هنا - أم لا
(٢) شمسها : نخسها لتحرك ، ويروي شمسها بالسين ، والليق من اللبابة .
(٣) العادية : القوم يسدون من المدو وهو الركض ، وسوم الجراد أي كسومه وهو انتشاره .
وزعتها : كفتتها ، والوازع : الكاف والمائع ، وآمحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحو
وهو القصد ، والعالية من الزمخ : أعلاه (٤) نفسى : وسى (٥) السباء : اشتراء
الحر للعرب لا لبيع ، والأيسار : الذين يضربون الفداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ في
البيان والتبيين : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يفوت ؟ فإن قسنا جودة أشعارهما
في وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية .

٨ - يوم فيف الريح

كانت بنو عامر^(١) تطلبُ بنى الحارث بن كعب بأوثان كثيرة ، فجمع لهم الحسين بن يزيد الحارثي - وكان يغزو بمن تبعه من قبائل مذحج - وأقبل في بنى الحارث وجمعني ، وزُبيد ، وقبائل سعد المشيرة ، ومرادٍ وصُدَاءَ ونَهْدٍ ، واستمانوا بقبائل خثعم^(٢)؛ فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنسُ بن مُدْرِك ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنتَجِمون مكاناً يقال له «فَيْفُ الرِّيح» ، ومع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرُّوا ؛ إما ظفروا وإما ماتوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر^(٣) بن الطفيل ، فقال لهم عامر - حين بلغه عجب القوم : أغبروا بنا عليهم ، فإنني أرجو أن نأخذ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ، ولا تدعوا يدخلون عليكم داركم .

فتابعوه على ذلك ، وقد جعلت مذحجُ ولُفْها^(٤) رُقباء ، فلما دنت بنو عامر من القوم صاح رُقباءُهم : أناكم الجيشُ ؛ فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مسالحهم^(٥)

(*) لمذحج على عامر ، وفيف الريح : موضع بأعلى نجد

التقائش ٤٦٩ ، ذيل الأمل ١٤٦ ، المقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، أمثال الميداني ص ٣٠٨ ج ٢ ،

ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغاني ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦

(١) بنو عامر في قيس عيلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسعد المشيرة وجمعي وزيد في مذحج ، ومراد بطن في كهلان . وصدا ونهد بطنان في قضاة وخثعم بطن في كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغبومها

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذوو سلاح .

تَوَكَّفُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكٍ لِقَوْمِهِ (١) : انصرفوا بنا ، وَدَعُوا هَؤُلَاءَ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا أَظُنُّ عَامِرًا تَرِيدُنَا ؛ فَقَالَ لَهُمُ الْحَصِينُ بْنُ زَيْدٍ : افعلوا مَا شِئْتُمْ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرَادُ دُونَكُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِشَرِّ بَلَاءٍ عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانصرفوا إِن شِئْتُمْ ، فَإِنَّا نَرْجُو آلَا نَعِجَزَ عَنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَرُبَّ يَوْمٍ لَنَا وَلَهُمْ قَدْ غَابَتْ سُودُهُ ، وَظَهَرَتْ نَحْوُهُ .

فَقَالَتْ خَتْمَةُ لَأَنَسٍ : إِنَّا كُنَّا وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى مِيَاهٍ وَاحِدَةٍ فِي مِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُمْ لَنَا سِلَاحٌ وَهَذَا عَدُوُّ لَنَا وَلَهُمْ ، فَتَرِيدُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلِمُوا وَغَنِمُوا لَنَنْدَمَنَّ أَلَّا نَكُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ ظَفِرَ بِهِمْ لَتَقُولَنَّ الْعَرَبُ : خَذَلْتُمْ جِيرَانَكُمْ ؛ فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا مَعَهُمْ .

وَجَمَلَ حُصَيْنٌ لَخَتْمَةَ ثَلَاثَ الْمِثَالِ (٢) ، وَمَنَّا مِ الْزِيَادَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّغِيلِ بَسَتْ إِلَى بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رُمْحًا وَأَرْبَعِينَ سِكِّينَةً فَكَسَمَهَا فِي أَفْئَادِ بَنِي عَامِرٍ .

وَالْتَقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُفَادُّونَهُمُ الْقِتَالَ بِقَيْفٍ (٣) الرِّيحِ ؛ فَالْتَمَسَ الصَّمِئِيلُ بْنُ الْأَعُورِ (٤) الْكَلَابِيَّ ، وَغَمَرُوهُ بِسُبُحِ الْهَدْيِ (٥) ، فَطَلَنَهُ وَغَمَرُوهُ ، فَسَبَّ الصَّمِئِيلُ بِطَمَنَّتِهِ مُعَانِقًا فَرَسَهُ ، حَتَّى أَلْقَاهُ فَرَسُهُ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي ، فَاعْتَنَقَ صَخْرَةً وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ خَتْمِهِ ، فَأَخَذَ دِرْعَهُ وَفَرَسَهُ ؛ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وَشَهِدَتْ بَنُو نَعِيرٍ يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ، فَسَمَوْا حُرَيْجَةَ (٦) الطَّلَعَانَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي عَامِرٍ

(١) أَيُّ قِبَائِلِ خَتْمِ (٢) الْمِثَالُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّيْسُ وَهُوَ رِبْعُ الْفَنِيَّةِ (٣) قَالَ أَبُو عَمِيَّةٍ : كَانَتْ وَقْفَةً فِيهِ الرِّيحُ وَقَدْ بَسَتْ إِلَيْهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ (٤) مِنْ بَنِي كَلَابٍ ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ عَامِرٍ (٥) مِنْ نَهْدٍ وَهُمْ أَهْلُافُ بَنِي الْحَارِثِ (٦) أَيُّ اجْتَمَعُوا بِقَبَائِلِهِمْ ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ الْحَرْجَةِ ، وَهِيَ شَجَرٌ يَجْتَمِعُ ، وَهِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَزْبَةُ الطَّلَعَانِ .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرْقُوبُ ، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نَمِيرَ ، فوجدهم قد تخلفوا في قتال القوم ، فرجع عامرٌ يصيح : يا صباحاه ! يا نَمِيرَاهُ ! ولا نَمِيرَ لي بعد اليوم ، حتى أَقْحَمَ فرسه وسطَ القوم ، فطعن يومئذ بين ثُغْرَةٍ نَحْرِهِ إلى سُرَّتِهِ عشرين طَمَعَةً .

وبرز يومئذ حُسَيْلُ بن عمرو الكلبي ، فبرز له صَخْرُ بن أُعْيَى التَّهْدِي ؛ فقال عامر بن الطفيل لحسيل : ويلك يا حُسَيْل ! لا تَبْرُزْ له ، فإن صَخْرًا صَخْرَةٌ ^(١) ، وإن أُعْيَى يمينا عليك ، ولكن حسيلا لم يستمع لقوله ، وبرز للقتال ؛ فقتله صخر .

وقتل خُلَيْفُ بن عبدالمزى التَّهْدِي كعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء ؛ فبرز بعد ذلك خُلَيْفُ على بني جَمْدَةَ ^(٢) ، فمرفوا بزَّةَ كعبٍ وفرسه ، فشدَّ عليه مالك بن عبد الله بن جَمْدَةَ فقتله ، وأخذ الفرس والبزَّةَ فردَّهما إلى بني البكاء ^(٣) .

وكان عامرُ بن الطفيل يسمِّدُ الناسَ فيقول : يا فلان ؛ ما رأيتك فعلتَ شيئاً ؛ فيقول الرجل الذي قد أبلى : انظرُ إلى سيفي وما فيه ، وإلى رعي وسِناني . فأقبل مُسْهِرُ بن يزيد الحارثي ^(٤) في تلك الهبئة - لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل - فقال : يا أبا علي ؛ انظر ما صنعتُ بالقوم ، انظر إلى رعي ! حتى إذا أقبل عليه عامرٌ وجاءه بالرمح في وجنته ، ففلقَ وجنته ، وأصاب عينه ، وخرَّ الرمح فيها ، وضرب فرسه ، فلحق بقومه .

(١) كأنه تطير من اسمه (٢) جمدة : بطن في عامر (٣) هذه رواية النقائض في مقتل كعب الفوارس ، وفي الأغاني : إن كعب الفوارس مر على بني نهد وعليه سلاحه ، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جمدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جمدة ، وعليه جبة كعب ، وفيها أثر الطمعة ، وكان محرمًا فلم يقدر على قتله ، فقال : يا هذا ، ألا رقت هذا الحرق الذي في جبتك ! وجعل يترصده بعد ذلك ؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جمدة ، فركب مالك بن عبد الله بن جمدة فرسا له وأدركه فقتله ، ثم قال : يؤبكيب (٤) كان مسهر فارساً شريفاً ، وكان قد جنى جناية في قومه ، فلحق ببني عامر ، فمهد معهم فيف الربح .

وفي طعنة عامر يقول مسهر :

وَهَضْتُ بِخُرْصٍ^(١) الرمح مُقَلَّةً عامر
وغادر فينا رُمُحَه وسِلَاحَه
فَأَضْحَى بِخَيْصَا في الفوارس أعورا
وَأَذْبَرَ يَدْعُو في الهَوَالِكِ جَعْفَرَا
وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ بَرَقَتْ لَنَا
جَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنِهَا فَتَحَدَّرَا
مَخَافَةَ مَا لَاقَتْ حَلِيلَةً^(٢) عامر

ويقول عامر :

لمعري ، وما عمرى علىَّ بهيِّن
فبئس الفتى إِنْ كُنْتَ أعور عاقراً
جَبَانًا وَمَا أُغْنِي لَدَى كُلِّ مُحَضَّرٍ
وقد علموا أَنِّي أَكْرُءُ عَلَيْهِمُ
عَشِيَّةً فَيَفِ الرِّيحُ كَرَّ الدَّوَرِ
فلو كَانَ جَمْعٌ مِثْلُنَا لَمْ نَبَالِهِمْ
ولكن أَتَنَّا أَسْرَةً ذَاتَ مَفْخَرٍ
فَجَاءُوا بِشَهْرَانٍ^(٣) المريضة كَلَمَا
وَأَكْلَبَ طَرَا فِي لِيَاسِ السَّنَوَرِ^(٤)

وقال في هذا اليوم أبو دؤاد الرُّؤَاسِي :

ونحن أَهْلُ بَضِيعٍ^(٥) يومَ وَاجِهِنَا
جَيْشُ الْحَصِينِ طِلَاعَ الْخَائِفِ الْكَرِيمِ^(٦)
سَاقُوا شُعُوبًا وَعَنْسًا فِي دِيَارِهِمْ
وَرَجُلٌ^(٧) خَتَمَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ عِلْمٍ^(٨)
مَنَّاهُمْ مُنِيَّةً كَانَتْ لَهُمْ كَذِبًا
إِنْ الْمُسَى لِنَعْمَا يَوْجِدُنْ كَالْحُلُمِ
وَلَتْ رِجَالُ بَنِي شَهْرَانَ تَتَبِعُهَا
خَضْرَاءُ يَرْمُونَهَا بِالنَّبْلِ عَنْ شَعَمٍ
وَالزَّاعِيَّةُ تَكْفِيهِمْ وَقَدْ جَمَلَتْ
فِيهِمْ نَوَافِدَ لَا يُرْقَعْنَ بِالدُّسَمِ^(٩)

(١) خرس الرمح : سنامه ، ونحس عنه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل

(٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الخثمي (٤) السنور : لبوس بلبس

في الحرب كالدرع ، أو هو جلة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكرم : كرم الرجل :

هاب التقدم على الشيء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع هند

سيوبه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) الزاعية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو

بلد ، والدسم : ما سدوا به الجراحات .

ظَلَّتْ يُجَاهِرُ تُدَقَّى وَسَطَ أَرْحُلِنَا وَالسَّيِّئُونَ مِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ^(١)
 حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا عَرِضًا غَيْرَ مُقْتَنَمٍ
 وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ^(٢) :

أَتَوْنَا بِشَهْرَاتِ الْمَرِيضَةِ كُلَّهَا وَأَكْلُبَهَا فِي مِثْلِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَبِتْنَا وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا يَبْتَ عَنْ قِرَى أَضْيَافِهِ غَافِلٍ
 أَعَاذِلُ لَوْ كَانَ الْبَدَادُ^(٣) لَقُوتِلُوا وَلَكِنْ أَتَانَا كُلُّ جَنٍّْ وَخَائِلٍ^(٤)
 وَخَنَمٌ حَتَّى يُعْدَلُوفٌ بِمَذْحَجٍ وَهَلْ نُحْنُ إِلَّا مِثْلُ إِحْدَى الْقَبَائِلِ
 وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فَافْتَرَقُوا ، وَلَمْ يَسْتَقِلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ
 غَنِيمَةً ، وَكَانَ الصَّبْرُ وَالشَّرَفُ لِابْنِ عَامِرٍ .

(١) يجاهر : مراد . وحاء : بطن من حكم
 جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :
 كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَهْلًا
 أي متبددين (٤) الخائل : ضرب من الجن .
 (٢) في رواية لبيد بن ربيعة (٣) يقال :
 لجأ فتلوا بالرماح بداد

٩ - يوم ظهّر الدهناء

كان أوسُ بن حارثة بن لأم الطائي سيِّداً مُطاعاً في قومه ، وجواداً مقدّاماً ، فوفد هو وحاتمُ الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوساً ، فقال له : أنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إن حاتمًا أوحدُها وأنا أحدُها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولُحمتي ^(١) لو هَبْنَا في غداةٍ واحدة ؛ ثم دعا عمرو حاتمًا ، فقال له : أنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إنما ذكرت أوساً ، ولأحدُ ولده أفضلُ مني . فاستحسنَ ذلك منهما ، وحبَّاهما ، وأكرَمَهُمَا .

ثم إن وفودَ العرب من كلِّ حيٍّ اجتمعت بعد ذلك عند النعمان بن المنذر ، وفيهم أوس ، فدعا بمحلَّةٍ من حُللِ الملوك ، وقال للوفود : اخضروا في غدٍ فإني مُلبِسٌ هذه الحلَّةَ أكرمكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، ف قيل له : لِمَ تتخلفُ ؟ فقال : إن كان المرادُ غيري فأجملُ الأشياءِ لي ألا أكونَ حاضراً ، وإن كنتُ المرادُ فسأُطلبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم ير أوساً ، قال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : اجضر آمناً مما خفتَ ، فحضر فألبسَ الحلَّةَ .

فحسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهْجُوهْ ولك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أهْجُو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا منه ؟ ثم قال :

● لطيفٌ على أسد . والدهناء : واد يشتمل على سبعة أجبل وعمر يبلاد بني أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١
الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نواذر الأخبار (مخطوط)

(١) لحمه بالنسب بالفتح : الشايك منه ، واللحمة بالضم : القرابة .

كَيْفَ الهِجَاءِ وَمَا تَنْفُكَ صَالِحُهُ مِنْ أَهْلِ لَأْمٍ بَظَهَرِ النَّيْبِ تَأْتِينِي
نَقَالَ لَهُمْ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ^(١) : أَنَا أَهْجُوهُ لَكُمْ ، فَأَعْطَوْهُ النَّوْقَ ، وَهَجَاهُ
فَأَنْحَشَ فِي هِجَائِهِ ، وَذَكَرَ أُمَّهُ سُمْدَى ، فَلَمَّا عَرَفَ أَوْسُ ذَلِكَ أَغَارَ عَلَى النَّوْقِ
فَاكْتَسَحَهَا ، وَطَلَبَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالتَّجَا إِلَى بَنِي أَسَدٍ عَشِيرَتِهِ ، فَنَمَوْهُ مِنْهُ وَرَأَوْا
تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِ عَارًا .

فَجَمَعَ أَوْسُ قَوْمَهُ مِنْ طَيْيٍ ^(٢) ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَسَدٍ ^(٣) ، فَالْتَقَوْا بَظَهَرِ الدَّهْنَاءِ ،
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَاهْزَمَتْ بَنُو أَسَدٍ وَقُتِلُوا قِتَالًا ذَرِيمًا ، وَهَرَبَ بَشْرُ ، فَجَمَلَ
لَا يَأْتِي حَبِيًّا يَطْلُبُ جَوَارِمَ إِلَّا امْتَنَعَ مِنْ إِجَارَتِهِ عَلَى أَوْسٍ .

ثُمَّ نَزَلَ عَلَى جَنْدُبِ بْنِ حَصْنِ السَّكَلَابِيِّ بِأَعْلَى الصَّمَّانِ ^(٤) ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَوْسُ
يَطْلُبُ مِنْهُ بَشْرًا ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى أَوْسٍ أَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ
سَمْدَى وَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِالشَّاعِرِ الَّذِي هَجَاكَ ، وَقَدْ آلَيْتُ لَأَقْتُلَنَّه قِتْلَةً تَحْيِيْنُ بِهَا !
قَالَتْ : يَا بَنِيَّ ؟ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ نَاصِرًا مِنْكُمْ ،
وَلَا مُجِيرًا عَلَيْكَ ، وَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَرَى فِي اصْطِنَاعِ الْمَرْوُوفِ مِنْ بَأْسٍ ؛ فَيَحْقُقْ عَلَيْكَ
إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، وَرَدَدْتَهُ عَلَيْهِ إِبْلَهَ ، وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ مَالِكَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ مَالِي مِثْلَهُ ،
وَأَرْجَمَهُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِكًا ، فَأَبْهَمُوا أَيْسَوا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَفْسَلُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَدْحُهُ .

فَقَبِلَ مَا أَشَارَتْ بِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بَشْرُ ؛ مَا تَقُولُ أَنِي فَاعِلٌ بِكَ ؟
فَقَالَ :

إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ يَا أَوْسُ نِعْمَةً وَإِنِّي لِأُخْرِى مِنْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ
وَإِنِّي لَأَمْنُحُو بِالَّذِي أَنَا صَادِقٌ بِهِ كُلُّ مَا قَدْ قُلْتُ إِذْ أَنَا كَاذِبٌ

(١) شاعر جاهلي من بني أسد (٢) طي: من كهلان (٣) أسد: بطن في كنانة

(٤) الصمان: جبل في بلاد بني تميم .

فهل نأفي في اليوم عندك أننى سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سمدي اليوم كل عشرينى بنى أسد أقصام والأقارب
تداركنى أوس بن سمدي ينعم وقد أمكنته من يدى المواقب
فقال أوس : إن سمدي التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل
كتافه ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذ منه ؛ وأعطاه من ماله مائة
من الإبل ، ورفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على آلا أعود إلى
شعر إلا أن يكون مدحا في أوس بن حارثة^(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفي بلوغ الأرب ص ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بشراً غزاً طيباً
ثم بنى نهبان لجرح وأخذ أسيراً في بنى نهبان ، فخبثوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه
عندهم فقال : والله لا يكون بيني وبينهم خير أبداً أو يدفموه ، ثم أعطاهم مائتي بعر وأخذه منهم ،
فجاء به وأدخله في جلد كيش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كانه المصفور ، فبلغ ذلك أمه
سمدي بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا
الذي شئتنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لكأنا أخذت به ،
أما تعلم منزلته في قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يضل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ،
وداوى جرحه ، وكنسه ما يريد أن يصنع به ، وقال : اهت إلى قومك يقدونك ، فإنه قد
اشترتك بمائتي بعر . فأرسل بعر إلى قومه ، فبيتوا له القداء ، وبأدره أوس فأحسن كسوته ،
وحمله على نجييه الذي كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بعر يمدح أوساً بمكان
كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، وكان قد هجاء بنحس .

المشاع
عفا الله عنه

٤- أَيَّامَ رَبِيعَةٍ «فِيَا بَيْنَهَا»
١- حَرْبِ لِبْسُوسِ

حَرْبُ الْبُسُوسِ

- ١ -

لَمَّا فَضَّ كُلَيْبٌ^(١) بَنَ رِيْمَةَ جُوعِ الْيَمَنِ فِي خَزَازِي وَهَزَمَهُمْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ مَعْدٌ^(٢) كُلُّهَا ، وَجَبَلُوا لَهُ قِسْمَ الْمَلِكِ وَتَاجَهُ وَنَجِيَّتَهُ وَطَاعَتَهُ ، وَغَبَرَ بِذَلِكَ حِينًا مِنْ دَهْرِهِ ، ثُمَّ دَخَلَهُ زَهْوٌ شَدِيدٌ ، وَبَنَى عَلَى قَوْمِهِ لَأَ هُوَ فِيهِ مِنْ عِزَّةٍ وَاتِّقَادٍ مَعْدٌ لَهُ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ بَغْيِهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَحْمِي مَوَاقِعَ السَّحَابِ فَلَا يُرْمَى رَحْمَاءُ ، وَإِذَا جَلَسَ

• وَفَتَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبِ ابْنِي وَائِلَ ، وَقَدْ مَكَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَفَتَتْ فِيهَا هَذِهِ الْأَيَّامُ :

يَوْمُ التَّهِي (وَالتَّهِي : مَا لَبِيَ شِيَان) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرٍ .

يَوْمُ الدَّنَائِبِ (وَالدَّنَائِبُ : مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرٍ

يَوْمُ وَارِدَاتٍ (وَوَارِدَاتٌ : مَوْضِعٌ عَنْ يَسَارِ طَرِيقِ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرٍ

يَوْمُ عَيْنِزَةٍ (وَعَيْنِزَةُ : مَوْضِعٌ فِي الْيَمَامَةِ) تَكَلَّاتَا .

يَوْمُ الْقَصَبِيَّاتِ (وَالْقَصَبِيَّاتُ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرٍ

يَوْمُ تَحْلَاقِ اللَّحْمِ : (سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ بَنِي بَكْرٍ حَلَقُوا فِيهِ جِيَاءَ رَهْ وَوَسْمِهِمْ) لَبَكْرٍ عَلَى تَغْلِبَ

النَّفَائِضُ ص ٧٧٣ (طَبِيعُ أَوْرَبَا) ، الْأَغَانِيُّ ص ٣٢ ج ٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ١٨٣ ج ١ ، مَجْمَعُ

الْأَمْثَالِ ص ٣٤٢ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٤٨ ج ٣ ، مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ ص ١٣٩ ج ١ ، سَرَحُ

الْمَبُيُونِ ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شَعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خَزَانَةُ

الْأَدَبِ ص ٤٢٥ ج ١

(١) كُلَيْبُ بْنُ رِيْمَةَ : اسْمُهُ وَائِلٌ وَكُلَيْبُ لِقَبِّهِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٤٤٠ م وَنَشَأَ فِي حَجَرٍ أَيْهِ وَدَرَبَ

عَلَى الْحَرْبِ ، ثُمَّ تَوَلَّى رِيسَةَ الْجَيْشِ : بَكْرٌ وَتَغْلِبُ زَمَنًا حَتَّى قَتَلَهُ جَسَاسُ بْنُ مَرَّةَ سَنَةَ ٤٩٤

(شَعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ) (٢) قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ السَّبَّابِ : لَمْ تَجْتَمِعْ مَعْدُ كُلُّهَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ

وَهْطٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ ، وَفِي عَامِ بْنِ الظَّرْبِ يَوْمَ الْيَدَاءِ حِينَ تَعَذَّبَتْ مِنْحُجٌ وَسَارَتْ إِلَى تَهَامَةِ

وَوَيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ يَوْمَ السَّلَانِ ، وَكُلَيْبُ حِينَ قَادَ جُوعٌ مَعْدُ يَوْمَ خَزَازِي .

لا يمر أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَسِبُ أحدٌ في مجلسه غيره ، ولا يُنْفِرُ إلاَّ بإِذنه ، ولا توردُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقدُ نارٌ مع ناره ، ولم يكن بكُرى ولا تغلبُ بُجيرٌ رجلاً ولا بئراً أو يحمي حمى إلا بأمره ، وكان يجبر على الدَّهر فلا تُخَفَّرُ ذِمَّتُهُ ، وكان يقول : وخشُ أرض كذا في جوارى ، فلا يُهاج ، وكان هو الذي يُنزلُ القومَ منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزِّته وبغْيِهِ أَنه اتخذ جرَّو كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلَّا قَدَفَ ذلك الحِرَّو فيه فيتموى ، فلا يرى أحدٌ ذلك الكَلَّا إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بمحياض الماء فلا يردُّها أحدٌ إلا بإِذنه أو من آذَنَ بحرب ؛ فَضُرِبَ به المثلُ في المزمَّ قُفيل : أعزَّ من كليب وائل ، وكان يحمي الصيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى فلا يصيدُ أحدٌ منه شيئاً^(١) .

— ٢ —

وتزوَّجَ كليبٌ جليلاً^(٢) بنتَ مُرَّةَ بنِ ذهل بنِ شيبان ، وكان لمرَّة عشرة بنين :

(١) قيل : إنه مر يوماً يمرعى فيه قبرة وقد باشت ، فلما رأته صرصرت وخلفت بمناحيها ، قال : من ردعك؟ أنت في ذمى ، ثم أنشد :

ياك من قبرة بمصرى لا ترمي خوفاً ولا تستكرى
معمر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبصرى ورفع القح فاذا تمحدرى ؟
خلاك الجو فيضى واصفرى وعمرى ما شئت أنت تتفرى
فأنت جارى من صروف الحذر لل بلوغ يومك القدر

(٢) كانت جليلاً بنتَ مُرَّةَ من فتيات النساء في عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بهم أخيها جساس ، كان خطبها حسياً ، وحيرتها عظيمة ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتله أقامت في نزل أخيها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٢٨ م

جَسَّاسٌ^(١) أَسْغَرَمَ ، وكانت بنو جُشَمٍ^(٢) وبنو شيبان تقيم في دار واحدة إرادة الجماعة وغافة الفرقة .

وحدث أن كليباً دخل على امرأته جَلِيلَةَ يوماً فقال لها : هل تعلمين على الأرض أَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّةً ؟ فسكتت ، ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم أعاد عليها الثالثة فقالت : نعم ، أخى جَسَّاسٌ وَنَدَمَانُهُ^(٣) ابن عمه عمرو المزدلف^(٤) بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان .

فسكت كَلَيْبٌ ومضت مدة ، وبينما هي تفسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها : مَنْ أَعَزُّ وائِلٌ ؟ قالت : أخوأي جَسَّاسٌ وهَمَامٌ^(٥) . فنزع رأسه من يدها وخرج . وكانت لجَسَّاسٍ خالة اسمها البسوس بنت مُنْقِذٍ^(٦) ، جاءت وزلت على ابن أختها جَسَّاسٌ ، فكانت جَارَةً لبني مرّة ، ولها ناقة^(٧) خَوَّارَةٌ^(٨) ، وممها فَصِيلٌ لها^(٩) ، فلما خرج كَلَيْبٌ غاضباً من قول زَوْجِهِ جَلِيلَةَ رأى فَصِيلَ الناقة فرماه بقَوْسِهِ فقتله . وعلمت بنو مرّة بذلك ، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا ؛ ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له : ما فعلَ فَصِيلُ نَاقَتِكُمْ ؟ فقال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ؛ وأغمضت بنو مرّة على هذا أيضاً .

(١) كان جساس بن مرة فارساً شهماً أياً ، وكان يلقب الحامى الجار ، المانع الدمار ، وهو الذى قتل كليباً كما هو مفصل في تلك الحرب ، ولما نشبت الحرب سيره أبوه إلى الشام ، ولما علم به أعداؤه لحقوه في سفره فالتقى بهم في حرب أسفرت عن قتل أبي نورة زعيم القوم الذين لحقوه ، وجرح جساس جرماً مات في إثره سنة ٥٣٤ م (٢) جشم : بطن في قنبل وهم قوم كليب ، وشيبان بطن في بكر وهم قوم جساس (٣) الندمان : الذى يرافقتك على القرباب وقد يكون جما (٤) لقب بالمزدلف لأنه أتى يرمحه في حرب فقال : ازدلفوا إليه (٥) كان هام أكبر أخوات أولاد مرة (٦) كانت من بني تميم ، وضرب بها المثل فقالوا : « أشأم من البسوس » (٧) كانت اسمها سراب (٨) ناقة خوار : رقيقة حسنة (٩) وفي بعض الروايات أن هذه الناقة كانت لرجل من بني جرم اسمه سعد بن شميم ، وأنه نزل بناتته على جساس .

ثم إن كليياً أعاد القول على امرأته فقال : مَنْ أَعَزُّ وائِل ؟ فقالت : أخوأي ! فأضمَرَهَا في نفسه وأسرَّهَا وسكت، حتى مرَّت به إبل جسَّاس وفيها ناقة البسوس، فأنكر الناقة، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا: لخالَةَ جسَّاس . فقال : أُوْبَلِّغَ مِنْ أَمْرِ ابن السَّعْدِيَّةِ ^(١) أن يُجِيرَ عليَّ بغير إذني ؟ اِرْمِ ضَرْعَهَا بِأَغْلَامٍ ، فأخذ القَوْسَ ورمى ضَرَعَ الناقة، فاختلط دَمُهَا بلبنها .

وراحت الرُّعَاة على جسَّاس فأخبروه بالأمر ، وواتَّ الناقة ولها عَجِيج حتى برَكَت بفناء البسوس ؛ فلما رَأَتْهَا صاحَت: وأذْلَاهُ ! فقال لها جسَّاس : اسكتي فلك بناقتك ناقةٌ أعظمُ منها ، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت تقول - مخاطبةً سعداً أخا جسَّاس وترفع صوتها تُسمع جسَّاساً :

أيا سعدُ لا تقرر بنفسك وارتحل فإني في قوم عن الجار أمواتٍ
ودونك أذوادى إليك فإني محاذرةٌ أن يندروا بينياني
لممرك لو أصبحت في دارٍ مُنْقِذٍ ^(٢) لما ضيم سعدٌ وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دارٍ معسرٍ متى يمدُّ فيه الذئبُ يمدُّو علي شاتي ^(٣)

فلما سمعها جسَّاس قال لها : اسكتي لا تُراعي : إني سأقتل جَمَلًا أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غَلَّالًا ^(٤) !

— ٣ —

ثم ظنَّ ابنا وائِل بعد ذلك ؛ فمرت بكرٌ على يَهْشَى ^(٥) يقال له شُبَيْثٌ، فنظام

(١) يريد جسَّاساً (٢) منقذ : أبو البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه الأبيات الموثبات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فحل إبل كليب ، لم ير في زمانه مثله ، ولأنما أراد جسَّاس بمقالته كليياً ، وفي رواية كان اسمه : عليان ، وفي اللسان : بغير عليان : ضخم (٥) يَهْشَى : القدير .

كَلَيْبٍ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى زَيْنَى آخِرَ يَقَالَ لَهُ الْأَحْصَى ،
فَنَفَاهُمْ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى بَطْنِ الْجَرِيبِ ^(١) فَمِنْهُمْ إِيَّاهُ ،
فَمَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا الدَّنَائِبَ ^(٢) ، وَاتَّبَعَهُمْ كَلَيْبٌ وَحَيْثُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ
وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ ذُهَلٍ ^(٣) ، وَهُوَ وَقَفُ عَلَى غَدِيرِ الدَّنَائِبِ ، فَقَالَ لَهُ :
طَرَدْتُ أَهْلَنَا عَنْ الْمَاءِ حَتَّى كَدَتَ تَقْتُلُهُمْ عَطْشًا ! فَقَالَ كَلَيْبٌ : مَا مَنَعْنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ إِلَّا
وَنَحْنُ لَهُ شَاغِلُونَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَيْفَ لَكَ بِنَاقَةِ خَالَتِي ، فَقَالَ لَهُ : أَوْقَدَ ذِكْرَهَا ! أَمَا إِنِّي
لَوْ وَجَدْتُهَا فِي غَيْرِ إِبِلٍ مُرَّةً ^(٤) لَاسْتَحَلَلْتُ تِلْكَ الْإِبِلَ بِهَا ! أَتُرَاكَ مَا نَعَى أَنْ أُذَبَّ
عَنْ حِمَايَ ! فَعُطِفَ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ فَرَسَهُ فَطَمَنَهُ بِرُمُحٍ فَأَنْفَذَ حِضْنَيْهِ ^(٥) .

فَلَمَّا تَدَاءَمَ ^(٦) الْمَوْتُ قَالَ : يَا جَسَّاسُ ، اسْقِنِي مِنَ الْمَاءِ . فَقَالَ : مَا عَقَلْتُ اسْتِسْقَاءَكَ
الْمَاءَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ إِلَّا سَاعَتَكَ هَذِهِ . فَالْتَفَتَ إِلَى عَمْرُو وَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ أَغْنَى
بَشْرَبَةُ مَاءٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَأَمَّا جَسَّاسٌ يَدَّاهُ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ عَلَى فَرَسِهِ بِرُكْنِهِ ، وَقَدْ بَدَتْ
رُكْبَتَاهُ ؛ وَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ قَالَتْ لِأَخِيهَا : إِنْ ذَا لَجَسَّاسٍ أَتَى كَاشِفًا رُكْبَتَاهُ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمِيرٍ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا جَاءَ جَسَّاسٌ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ : وَرَأَيْتُ أَنِّي قَدْ طَمَعْتُ طَمَعَةً
لَتَشْفَلَنِّي بِهَا شَيْوُخٌ وَآثِلٌ زَمَنًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ لِأَمْرِكَ الْوَيْلُ ! أَقْتَلْتَ كَلْبِيَا ؟ فَقَالَ :
نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : إِذْنُ نُسَلِّمُكَ بِمَجْرِيرَتِكَ ، وَنَرِيقُ دَمَكَ فِي صِلَاحِ الْعَشِيرَةِ ! وَاللَّهِ

(١) الجريب : واد عظيم تحمي أعاليه من قبل الين (٢) الدنائب : موضع بنجد
(٣) في الأغاني صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فطفت عليه المزدلف عمرو بن أبي ريمة فاحترز
رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طعن فقصم صلبه (٤) مرة بن
ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداءم : تراكم عليه
(٧) ضرب بهذا الثل قتل :

المتجبر يعمرو عند كركته كالستبر من الرمضاء بالنار

لبئس ما فعلت ! فرقتَ جماعتك ، وأطلت حربها ، وقتلت سيدها في شأري^(١) من الأبل
والله لا تجتمع وائل بعدها ، ولا يقوم لها عماد في العرب ، ولقد وددت أنك وإخوتك
كنتم متم قبل هذا ، ما بي إلا أن تشاءم بي أبناء وائل ؛ فأقبل قوم مرة عليه وقالوا :
لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك ، فأمسك مرة ؛ فقال جساس :

تأهب مثل أهبة ذي كِفَاح فإنَّ الأمرَ جلَّ عن التَّلَاحي^(٢)
وإني قد جنيتُ عليك حربًا تُنصُّ الشَّيخَ بالماء القَرَّاح
مذكَّرة^(٣) متى ما يصح منها فتى نشبتَ بآخر غير صَاح



تمدتْ تَغْلِب ظُلُمًا علينا بلا جُرمٍ يمدُّ ولا جُنَاح
فلما أن رأينا واستبنا عَقَابَ البني رافِعةَ الجَنَاح
صرفت إليه نَحْسًا يوم سُوهِ له كأسٌ من الموت المُتَاح
فلما سمع أبوه قال يحميه^(٤) :

فإن نكُ قد جنيتَ على حربًا تُنصُّ الشَّيخَ بالماء القَرَّاح
جمعتُ بها يدبك على كليب فلا وَكِلَ^(٥) ولا رَثُ السَّلاح
ونسكني إلى العَلَّاتِ^(٦) أجرى إلى الموتِ الحَيط مع الصَّبَّاح
وإني حين تَشْتَجِر^(٧) العوَالى أعيد الرمح في إثر الجَوَّاح
شديد البأس ليس بذى عِياء ولكني أبوءُ إلى الفَلاح

(١) الشارف من النوق : السنة المرمية (٢) التلاحى : المحاصرة والمقاولة (٣) مذكرة :
شديدة (٤) قيل أخوه فضلة هو الذي قال ذلك (٥) وكل : عاجز (٦) بنو العلات :
بنو رجل واحد من أمهات شتى (٧) تشتجر : تتداخل ، والموالى : الرماح .

سألبس ثوبها وأذُبُّ عنها بأطرافِ المَوَالِ والصَّفَاحِ^(١)
 فما يبقِ لمزنته ذيلٌ فيمنعه من القَدَرِ المُتَاحِ
 فإني قد طربت وهاجَ شوقي طرادُ الخيلِ عارضةَ الرِّمَاحِ
 وأجلُّ من حياةِ الدَّلِّ موتٌ وبعضُ المارِ لا يحويه مَنَاحِ

— ٤ —

ولا تقتل كليب اجتمع نساء الحى^١ للماتم ، قفلن لأخت كليب : رحلى جليلة عن
 ماتمك ، فإن قيامها فيه شمانة^٢ وطار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛ اخرجى عن
 ماتمنا ، فأنت أختُ وإِترنا وشقيقةُ قاتلنا ، فخرجت وهي بجرأ أعطافها ؛ فقالت لها
 أخت كليب : رحلةُ المتدى وِفراقُ الشامت ، ويل غدأ لآل مرّة ، من الكرّة بعد
 الكرّة ؛ فبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمتُ الحرّةُ بهتكِ سترها ، وترقب
 وترها ؛ أسعد الله جدّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ؛ ثم
 أنشأت تقول :

يا بنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا تنجلى باللّومِ حتى تسألِ
 فإذا أنت تبينّتِ الذى يوجبُ اللّومَ فلورى واعذلى
 إن تكن أخت امرئٍ لميتٍ على شفقٍ منها عليه فافلى
 جلّ عندى فسلُ جساس فيا حمرنى عما انجلت أو تنجلى
 فسلُ جساسٍ على وجدى به قاطعٌ ظهري ومُذنّ أجلى
 لو بمينٍ فقتت عيني سوى أختها فانفقات لم أخفى

(١) الصفاح : السيوف العرض .

تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْمَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتُلُ^(١)
 بِاقْتِيْلَا قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلٍّ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَاشْنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبِ رَمِيَّةِ الصُّمِيِّ^(٢) بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ
 يَأْنِسَانِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْهِ مُعْضِلِ
 خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَطَى مِنْ وَرَائِي وَلَطَى مُسْتَقْبِلِ
 لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 يَشْتَفِي الْمَدْرُكَ بِالشَّارِ وَفِي دَرَكِي نَأْرَى مُسْكِلَ الشَّكْلِ^(٣)
 لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا بِدَلَا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي^(٤)
 إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَمَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَحَّ لِي

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها : ما وراءك يا جلييلة ؟ فقالت : تُسْكِلُ المَدَدَ ،
 وَحُزْنَ الأَبَدِ ، وَقَفْدُ حَلِيلٍ ، وَقَتْلُ أُخْرٍ عَنْ قَلِيلٍ ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسُ الْأَحْقَادِ ،
 وَقَفَّتِ الْأَكْبَادُ ، فَقَالَ لَهَا : أَوَيْكَفُ ذَلِكَ كَرُمُ الصَّفْعِ وَإِغْلَاةِ الدِّيَاتِ ؟ فقالت :
 أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الْكُمْبَةِ ! أَمَا لَبْدُنْ تَدْعُ لَكَ . تَغْلِبُ دَمَ رَبِّهَا !

— ٥ —

وكان همام بن مرة يُنَادِمُ المَهْلَهْلَ أَخَا كُلَيْبٍ وَعَاقِدَهُ أَلَا يَكْتُمُهُ شَيْئًا . فلما ظن
 مرةً بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسه مع جارية ، وأمره أَنْ يَظْمَنَ وَيَلْحَقَ بِقَوْمِهِ .
 وكأنا جالسٍ ، فرَّ جَسَاسٌ يَرَكُضُ بِهِ فَرَسُهُ مُعْرِجًا فَخَذِيهِ ، فقال همام : إِنَّ لَهُ
 لَأَمْرًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخَذِيهِ قَطُّ فِي رَكْضٍ ؛ وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى انْتَهَتْ

(١) تَقْتُلُ : تَرَبِّي (٢) مَنْ كَثَبَ : مَنْ قَرَّبَ ، وَأَصْبَاهُ : قَتْلُهُ فِي مَكَانِهِ (٣) الشَّكْلُ : النَّحْوُ
 لَازِمُهَا الْحَزْنُ (٤) الْأَكْحَلُ : عَرَقُ فِي النَّزَاعِ يَفْصَدُ .

الجارية إليهما ، وهما مُعْتَزِلَانِ في جانب الحى . فَوَثَبَ هَامُ إِلَيْهَا ، فَسَارَتْهُ أَنْ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ، وَأَنْ أَبَاهُ قَدْ ظَنَمَ مَعَ قَوْمِهِ ؛ فَأَخَذَ هَامُ الْفَرَسَ وَرَبَطَهُ إِلَى خِيَمَتِهِ وَرَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهْلِلُ : مَا شَأْنُ الْجَارِيَةِ وَالْفَرَسِ ؟ وَمَا بِأُلكَ ؟ فَقَالَ : اشْرَبْ وَدَعْ عَنْكَ الْبَاطِلَ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ : زَعَمْتُ أَنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ؛ فَضَحَكَ الْمُهْلِلُ وَقَالَ : هِمَّةُ أَخِيكَ أضعفُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَكَتَ .

ثم أَقْبَلَا عَلَى شَرَابِهِمَا ، فَجَعَلَ الْمُهْلِلُ يَشْرَبُ شُرْبَ الْآمَنِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
دَعْنِي فَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لِشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
دَعْنِي ، فَإِنِ فِي سَمَادِيرٍ ^(١) سَكْرَةٌ بِهَا جُلٌّ هَمِي ، وَاسْتَبَانَ تَجَلْدِي
فَإِنِ يَطْلُعُ الصَّبْحُ النَّيْرُ فَإِنِّي سَأَعْدُو الْهَوْبِيَّ غَيْرَ وَإِنْ ، مَفْرَدٍ
وَأَصْبَحُ بِكَرٍّ غَارَةً صِيلِيَّةً ^(٢) يَنَالُ لَطَاها كُلُّ شَيْخٍ وَأَمْرَدٍ

وَهُمَا يَشْرَبُ شُرْبَ الْخَائِفِ ، وَلَمْ تَلْبِثِ الْخَمْرُ أَنْ صَرَعَتْ مَهْلِلًا ، فَانْسَلَّ هَامُ وَأَتَى قَوْمَهُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَقَدْ قَوَّضُوا الْخِيَامَ ، وَجَمَعُوا الْخَيْلَ وَالنَّعَمَ ، وَرَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بَمَاءَ يُقَالُ لَهُ التَّهَى .

وَرَجَعَ الْمُهْلِلُ إِلَى الْحَى سَكْرَانًا ، فَرَأَاهُمْ يَمْقَرُونَ خِيُولَهُمْ ، وَيَكْسِرُونَ رِجْلَهُمْ وَسِيوفَهُمْ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! مَا الَّذِي دَهَاكُمْ ؟ فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ شَرًّا مَذْهَبًا ، أَنْتُمْ قَوْمٌ خِيُولَكُمْ حِينَ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهَا ؟ وَتَكْسِرُونَ سِلَاحَكُمْ حِينَ افْتَقَرْتُمْ إِلَيْهِ !

فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى النِّسَاءِ فَنَهَاهُنَّ عَنِ الْبُكَاءِ وَقَالَ : اسْتَبِقِينَ لِلْبُكَاءِ عِيُونًا تَبْكِي إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ .

(١) السبادير : شئ يترأى للإنسان من ضعف جصره من السكر ، وغشى الدوار (٢) الصيلبية : نسبة إلى الصيلم وهو السيف ، أى فارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أهاجَ قذاةَ عيني الاديكار هُدوءاً فالدموعُ لها انحدارُ^(١)
 وصار الليلُ مشتعلًا علينا كأنَّ الليلَ ليسَ له نهارُ
 وبثُّ أراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من أوائلها انحدارُ^(٢)
 أصرفُ مقلتي في إثر قومٍ تباينت البلادُ بهم فنارُوا^(٣)
 وأبكي والنجومُ مطلّعاتُ كأنَّ لم يحوها عني البُخارُ^(٤)
 على من لو نَمِيتُ وكان حيًّا لقاد الخيلُ يحجبها الغبارُ
 دعوتُك يا كليبُ فلم تُجِبي وكيفُ يُجيبني البلدُ الفقارُ
 أجِبي يا كليبُ خلاكَ ذمُّ لقد فحمتُ بفارسها نزارُ
 سفاكُ النيثُ إنك كنتَ غيثًا ويُسرًا حينُ يُلتمَسُ اليسارُ
 أبَتُ عيناى بمدك أن تكفأ كأنَّ غصا الفتادِ لها شِفَارُ^(٥)
 وإنك كنتَ تحلمُ عن رجال وتمفو عنهم ، ولك افتدَارُ
 وتمنعُ أن يمسه لسانُ مخافةً من يُجِيرُ ولا يُجارُ
 وكنتُ أعدُّ قُرْبى منك ربحا إذا ما عدتِ الرّيحُ التجارُ
 فلا تبعدُ ، فكلُّ سوف يلقى شموّبًا يستديرُ بها المَدَارُ^(٦)
 يمشي المرءُ عند بني أبيه ويوشكُ أن يصيرَ بحيثُ صاروا
 أرى طولَ الحياةِ وقد تولّى كما قد يُسَلَبُ الشيءُ المَآرُ

(١) الاديكار : التذكر ، وهُدوءاً : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا في آخر الليل (٣) غاروا : غربوا عن العين واختفوا (٤) في رواية : * كأنَّ لم يحوها عني البخار * (٥) غصا الفتاد : شوكة ، والشفار : أصول منبت شمر الأجفان (٦) شموّب : النية ، ومدار الدهر : ما يجري عليه ، وهنا بمعنى الدهر التي يهوى بالشموّب .

كَأَنِّي إِذْ نَمَى النَّاعِي كَلْبِيًّا تَطَّايَرُ بَيْنَ جَنبِي الشَّرَارُ
 فَدُرْتُ وَقَدْ عَشَا^(١) بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ^(٢)
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ فَقَالُوا لِي بِسْفَحِ الْحَيِّ دَارُ
 فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
 وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ ثَوَى فِيهِ الْمَكَارُ وَالْفَخَارُ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعٍ^(٣) لَمْ يَشْنُهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانَ الْقَوْمُ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ^(٤)
 أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ بِشَحْدِهَا الشَّفَارُ^(٥)
 أَقُولُ لَتَنْقَلِبَ وَالْمَرْءُ فِيهَا : أَتُيْرُوهَا ! لَذِكْكُمْ انْتِصَارُ
 تَتَابَعَ إِخْوَتِي وَمَضَوْا لِأَمْرِ عَلَيْهِ تَتَابَعَ الْقَوْمُ الْخِلَارُ^(٦)
 خُذِ الْمَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَى عَمْرِي بَنِي كُلِّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
 وَهَجَرِي النَّأْنِيَاتِ وَشُرْبِ كَأْسِ وَلَبَسِي جَبَّةً لَا تُسْتَمَارُ
 وَاسْتَ بَخَالَعِ دِرْعِي وَسِيفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ مَرَأَةٌ بَكْرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَنْارُ

وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتري بالوعيد لبني
 مرة ، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير^(٧) نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت
 بنو مرة بالرجوع إلى الحمي ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبّه للحرب ، وشمر زراعيه

(١) عشا : من باب رضى ودعا (٢) العقار : الحر (٣) الأروع : الشجاع القوى
 (٤) أى فى الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهى السكين والنصل (٦) فى رواية
 الحار ، والحاسر : من لا مقر له ولا درع ولا جنة (٧) زير نساء : يجب محادثة النساء
 أو بحالتهن بغير شر أو به .

وجمع أطرافَ قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهؤ ، ولا يشتم طيباً ، ولا يشرب خمرآ ، ولا يدَّهن بدن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل .

— ٦ —

وحتّ بني تغلب على الأخذ بالذَّار ؛ فقال له أكابر قومه : إنا نرى ألا تمجّل بالحرب حتى تُعزّر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدعُ بحربِ قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال : جدعه الله أنفأ ، وقطمها كفأ ، والله لا تحدّثت نساء تغلب أنى أكلتُ لكليب ثمناً ، ولا أخذتُ له ديةً ، فقالوا : لا بد أن تفضّ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم ؛ ففكره المهلهل أن يخالفهم فينفضّوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رَهْطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مُرّةً بن ذهل فعضّوا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أتيتُم أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بنأبٍ من الإبل ، وقطمتم الرّحِم ، ونحن نكره المَجلة عليكم دون الإغذار ، وإنا نعرض عليكم إحدى ثلاث ، لكم فيها مخرج ولنا مرّضة :

إما أن تدفعوا إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يظلم من قتل قاتله ؛ وإما أن تدفعوا إلينا هماً فإنه نَدّ لكليب ، وإما أن تقيّدنا من نفسك يامرّة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت - وقد حضّرتهُ وجوه بني بكر بن وائل - فقالوا : تسكّم غير مغذول ، فقال : أتا جساس ففلامُ حديثُ السنّ ركب رأسه ، فهرّب حين خاف ، فوالله ما أدرى أىّ البلاد انطوت عليه . وأما همام فأبُو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لصيح^(١) بنوّه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجزيرة غيره . وأما أنا

(١) صيح الرجل : بالغ في الصياح .

فلا أتمجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنى فدو نكم أحدهم فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمّنها لكم بكر بن وائل .

ففضبوا وقالوا : إنا لم نأتك لترذل^(١) لنا بنيك ، ولا لتسومنا الأبن . ورجعوا فأخبروا المهلهل ، فقال : والله ما كان كليب يجزور نأكل له غنما

واعترلت قبائل من بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوانهم، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل ، فطعنّت عجل عنهم ، وكفّت يشكر عن نصرتهم ، ودعت ثعلب النمر^(٢) بين قاسط فانضمت إليها ، وصاروا يبدأ معهم على بكر، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط .

وكان الحارث^(٣) بن عبّاد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المدودين ، فما علم بمقتل كليب أعظمه ، واعتزل بأهله وولدي إخوانه وأقاربه ، وحل وتر قوسه ، وزرع سنان رُمحه ، فقال سعد^(٤) بن مالك يمرّض به :

يأبؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا^(٥)
والحرب لا يبقى لها حمها التخييل والمراح^(٦)
إلا الفتى الصبار في الله جدات والفرس الوقاح^(٧)

(١) ترذل : تعطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط : بطن في ربيعة (٣) انتهت ليرة بني ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠ هـ (٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر (٥) وضعت : حطت وأسقطت ، وأراهم : جمع أراهم وهو جمع رهط ، والرهط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جامها : مثيرها ، والتخييل : التكبر ، والمراح : النشاط ، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشط ، وهو تعريض بالحارث (٧) الصبار : مبالغة صابر ، والتجدة : الشدة ، والوقاح : الفرس الذي حافره صلب شديد .

بئسَ الخَلَّافُ بِمَدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَالْقَاحُ^(١)
 مِنْ صَدٍّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحَ^(٢)
 الْمَوْتُ غَابَتْكَ فَلَا قَصْرَ^(٣) وَلَا عَنَّا جِحَاحَ^(٤)
 وَكُنَّا وَرَدُّ النِّيبَةِ عِنْدَنَا مَاءَ وَرَاحُ

— V —

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقعات مُراحفات يتخللها مُفاورات^(٥) ،
 وكان الرجلُ يلقي الرجلَ والرجلان الرجلين وهكذا ، وأَوَّلُ وقعة كانت على ماء لهم
 يُقالُ له التَّهْيُ^(٦) كان بنو شيبان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان
 الحارث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكةُ في شيبان ، واستحرق^(٧)
 القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة .

ثم التقوا بالذئاب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات
 فظفرت بنو تغلب ، وكان جَسَّاسُ بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نيرة التغلبي
 طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بمض الليالي فقال له أبو نيرة : اختر إما الصراع أو
 الطمان ، أو المُسَايَفة^(٨) ، فاختر جَسَّاسُ الصراع فاضطرَّعا ، وأبطأ كلُّ واحد منهما
 على أصحاب حيَّه ، وطلبوها فأصابوها وهما يضطرعان ، وقد كادَ جَسَّاسُ يَصْرَعُهُ ،
 ففرَّ قوا بينهما .

(١) أى إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة ، فبئس الخلائف هم منا ، لا يحسون حرماً ، ولا بأبون
 ضيا ، وكانت بنو حنيفة تلعب بالقاح ؛ لأنهم لم يدينوا ملك ، وهو يتم الحيين ما
 (٢) لا برّاح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الجحاح : الحرب (٥) يقال
 فاور القوم إذا أثار بعضهم على بعض (٦) في ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا
 رواية نرجحها (٧) استمر القتال : اشتد (٨) تسايغوا : تضاربوا بالسيف .

ثم التقوا بُمَنِيْزَةٍ فَسَكَفَا الْحَيَانَ ، ثم التقوا بالقُصَبِيَّاتِ وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى بَكَرٍ
وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هَمَامٌ بِنَ مَرَّةٍ أَخُو جَسَاسٍ ، فَرَّ بِهِ مُهْلَهْلٌ مَقْتُولًا فَقَالَ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا قُتِلَ بَعْدَ كَلِيبٍ قَتِيلٌ أَعَزُّ عَلَى فَقْدَاكَ مِنْكَ ^(١)

٨ -

ثم كانت بينهم مُعَاوَدَةٌ وَوَقَائِعٌ كَثِيرَةٌ . كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب ،
وفي ذلك يقول المهلهل - يصفُ الأيامَ وينعماها على بكر :

أَلَيْتَنَا بَذَى حُسْمٍ أَنْ يَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي ^(٢)
فَإِنْ يَكُ بِاللَّهِ نَائِبٌ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٣)
وَأَنْقَذَنِي بِيَاضُ الصَّبْحِ مِنْهَا لَقَدْ أَتَقَذْتُ مِنْ شَرِّ كَبِيرٍ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُوذُ مُعْطَفَةٌ عَلَى رُبْعٍ كَبِيرٍ ^(٤)
كَأَنَّ الْجَدْيَ فِي مَثْنَاءِ رَبْقٍ أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ ^(٥)
كَأَنَّ النِّجْمَ إِذْ وَلَّى سَحِيرًا فَصَالَ جُلْنَ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ^(٦)

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لقيطاً ، فلما شب تبين أنه من بني تغلب ، فلما التقوا بالقصبيات
جعل همام يقاتل ، فلما عاين رجوع إلى قرية فصرّب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من
همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بقومه وفي ذلك يقول بكر همام :

لقد عبل الأقوام طمعة ناشره أناشر زالت يمينك آشره

ثم قتل ناشرة رجلاً من بني يشكر (لسان مادة تشر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ،
وتحورى : ترجى (٣) الذنائب : الموضع الذي دفن فيه كليب ، قال أبو علي الغالي في شرح

هذا البيت : يقول : إن كان طال ليلى بهذا الموضع لقتل أخى ، فقد كنت أستقصّر الليل وهو حى
(٤) العوذ : الحديثات التاج واحدتها عائذ ، والربيع : ما تنج في الربيع . يقول : كأن كواكب

الجوزاء نوق حديثات التاج عطف على ربيع مكسور فهي لا تترك (٥) المثانة : الحبل المتني ،
والربق : الحبل ، والجدى : نجم في السماء ، يقول : كأن الجدى قد شد بحبل متني فهو أحكم لشده

(٦) شبه النجم بالفصال في يوم مطير لبطنها ، وذلك أن الفصيل يخاف الزلق فلا يسرع .

كَوَاكِبُهَا زَوَاحِفُ لَاغِبَاتُ^(١) كَأَنَّ سَمَاءَهَا يَدِي مُدِيرِ^(٢)
 فَلَوْ نَبَشَ الْقَابِرُ عَنْ كَلِيبِ^(٣) فَيُخَيِّرَ بِالذَّنَابِ أَيْ زِيرِ^(٤)
 يَوْمَ الشَّعْمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا^(٥) وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ^(٦)
 وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتِ^(٧) يُجِيرُ فِي دَمٍ مِثْلَ الْعَبِيرِ^(٨)
 هَتَكَتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُمَادِ^(٩) وَبِمَضِ الْقَتْلِ أَشْنَى لِلصَّدُورِ
 وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا^(١٠) عَلَيْهِ الْقَشَمَيْنِ مِنَ النَّسُورِ^(١١)
 قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرُو^(١٢) وَجَسَّاسُ بْنُ مَرَّةٍ ذُو ضَرِيرِ^(١٣)
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(١٤) إِذَا رَجَفَ الْعِضَاءُ مِنَ الدُّبُورِ^(١٥)
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(١٦) إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ^(١٧)
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(١٨) إِذَا مَا ضَيَّعَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(١٩) إِذَا خِيفَ الْمَخُوفُ مِنَ الثُّغُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(٢٠) غَدَاةَ بَلَابِلِ الْأَمْرِ الْكَبِيرِ^(٢١)
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(٢٢) إِذَا هَبَّتْ رِيحُ الزَّمْهِرِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيبِ^(٢٣) إِذَا وَثَبَ الْمَشَارُ عَلَى الْمُنِيرِ.

(١) الزواحف : المييات ، وكذلك اللاغيات ، يقول : كأن سماءها أثقل من أن يديرها مدير
 (٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهلهل (٣) الشعمان : موضع . وقال بعضهم :
 هما شعمن وعبد شمس قتلها مهلهل يوم واردات (٤) مجير هو ابن أخي الحارث ، وهنا يدل
 على أن مجيراً قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغاني (٥) القشع : الهرم من النسور
 ويروى : عليه القشعان من النسور ، فن رفع جملة حالا ، كأنه قال : وعليه القشعان من النسور
 وجاز حذف الواو لأن الهاء التي في « عليه » تكتفي لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذي عاون
 جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ،
 والعشاء : كل شجر له شوك (٨) البلابل : الاضطراب .

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُغَبَّاةُ الخلدور
 على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت نِجِيَّاتُ الأمور
 وتسألني بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميري
 فلا وأبي بديلة ما أفأنا من النعم المؤبل من بيمير^(١)
 ولكنا طمنا القوم طمنا على الأنباج منهم والنحور^(٢)
 نكب القوم للأذقان صرعى وتأخذ بالترائب والصدور
 فدنى لبني شقيقة يوم جاءوا كأسد الغاب لجت في الزئير
 تركنا الخيل ما كفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير^(٣)
 كأننا غدوة وبني أيننا بجانب عُنيزة رَحِيًا مُدير
 ولولا الرّيح أسمع أهل حجر صليل البينض تفرع بالذكور^(٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جعلت تطلب جساسا أشدّ الطلب، فقال له أبوه مرة : الحق
 بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألح عليه أبوه فسيّره سرا في خمسة نفر ، وبلغ الخبر
 مهلهل ، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شُجَّمان أصحابه ، فساروا مُجَدِّين ،
 فأدركوا جساسا فقاتلهم ، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين ،
 وجرح جساس جرحا شديدا مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلّم غير رجلين أيضا ،
 فعاد كل واحد من السالين إلى أصحابه .

(١) أفأنا : رجنا : والنعم : الإبل ، والمؤيلة : الكثيرة ، وفي رواية : جلبة
 (٢) الأنباج : الأوساط (٣) ما كفة : مقبلة ، تدحض : تزلق (٤) حجر :
 قصة اليمامة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت . قال أبو علي الغالي : هذا أول كغيب
 سم في الشعر .

فلما سمع مرّة يقتل ابنه جساس قال : إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً ،
فقل له : إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم ، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه
أحد منّا في قتلهم ، وقتلنا نحن الباقيين ، فقال : ذلك مما يسكن قلبي عن جساس (١) .
فلما قتل جساس أرسل أبوه مرّة إلى مهمل : إنك قد أدركت ثارك وقتلت
جساساً فاكف عن الحرب ، ودع اللجاج والإصراف ، فهو أصلح للحيّين
وأنا لمدوّهم ، فلم يجب إلى ذلك .

ثم إن بني بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عبّاد ، وقالوا له : قد قتل قومك !
فأرسل يُبجراً ابن أخيه إلى مهمل وقال له : قل له : إني قد اعزلت قوى لأنهم
ظلموك ، وخليّتك وإياهم ، وقد أدركت ثارك وقتلت قومك . فأتاه بجبر فهم

(١) وروى صاحب الأغاني وابن الأثير رواية أخرى في قتل جساس : « لما رجعت جليّة
أقامت عند أخيها جساس ، ثم ولدت غلاماً - من كليب - سمته الهجرس ، فرباه جساس وكان
لا يعرف أباه غيره وزوجه ابنته ، فوقع بين الهجرس ورجل من بكر كلام ، فقال البكرى :
ما أنت متته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه حزينا ، ولما أوى إلى فراشه ونام
إلى جنب امرأته وضع أنفه بين يديها ، فتنفس تنفساً تنفط ما بين يديها من حرارتها ، فقامت
الجارية فزعة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس : ثائر ورب الكعبة !
وبات جساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومني بالمكان
الذي علقت ، وقد زوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفاز ، وقد
اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تتطلق حتى تأخذ
عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا
بلائته وفرسه ، فحمله جساس على فرس ، وأعطاه لائمة ودرعاً ، فخرج حتى أتيا جماعة من قومهما
قص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أخي
قد جاء ليبدل فيما دخلتم ، ويعقد ما عقدتم ، فلما قربوا الدم وقاموا إلى المقعد أخذ الهجرس بوسط
رعبه ، ثم قال : وفرسي وأذنيه ، ورعبي وخصلي وسنني وغلزالي لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو
ينظر إليه ، ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه ، فكان جساس آخر قتيل في بكر بن وائل »

الأغاني ص ٦١ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٣٢١ ج ١

المهلل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان - وكان من أشرف بني تَغْلِبَ وكان على مقدمتهم زَمَنًا : لا تفعلْ ، فوالله لئن قتلته ليقتلنَّ به منكم كبش ، لا يُسأل عن خاله مَنْ هو؟ وإياك أن تحقر البَنَى ، فإنَّ عاقبتَه وخيمه ، وقد اعتزلنا عمه وأبوم وأهل بيته . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطمنه بالرمح وقلته وقال له : « بُوْ بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب » ! فلما بلغ قتله الحارث - وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأسًا - قال : نعم القتل قتلٌ أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلتَ بُحَيْرا بكليب ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلته بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامه - فجزأ ناصيتها وهَلَبَ^(١) ذَنبها ، ثم قال :

كلُّ شيءٍ مصيره للزوال	غيرَ ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً	ليس فيهم لذاك بعضُ اختيالٍ
قل لأم الأفرَّ تبكى بُحَيْرا	ما أتى الماءُ من رءوس الجبال
لَهَفَ نفسى على بُحَيْرٍ إذا ما	جالت الخيلُ يومَ حَرَبٍ عُضالٍ
وتساق الكُماةُ ^(٢) سُمًّا تقيما	وبدأ البيضُ من قبابِ الحجالِ
وسمَّتْ كلُّ حُرَّةٍ الوجْهَ تدعو	يا لَبْكَرُ ! غَرَّاءَ كالتمثالِ
يا بحير الخيرات لا صلح حتى	نملاً ألبيد من رءوس الرجال
وتقرَّ الميون بَعْدَ بُكاها	حين تَسْقَى الدُّمَّ صدورَ الموالِ

(١) هَلَبَ الفرس : تف هلبه ، والهلب : الشعر كله ، وقيل في الذنب وحده .

(٢) الكُماة : جم كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحْتَ وَائِلٌ نَمِجٌ مِنَ الْحَرِّ بِرِ عَجِيجِ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ
لَا يَجِيرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطُ كَلِيبٍ تَزَاجِرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِمَحْرَمِهَا الْيَوْمَ صَالِدِ
قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلًا كَيْ يُفِيقُوا فَأَبَتْ تَغْلِبُ عَلَيَّ اعْتِزَالِي
وَأَشَابُوا ذَوَابِقِي بِبُجَيْرٍ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ
قَتَلُوهُ بِشَنَعٍ قَتَلَ كُلَّيْبٍ إِنَّ قَتْلَ الْكَرِيمِ بِالشَّنَعِ غَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبْ خَذُوا الْحَذَرَ إِنَّا قَدْ شَرِبْنَا بِكَاسِ مَوْتٍ زُلَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا مَا سَمْنَا بِمِثْلِهِ فِي الْخَوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ^(١) مِنِّي لَقَعَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ^(٢)
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يَرَادُ لَكُنْ فَعَالِي
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي جَدُّ نَوْحِ النِّسَاءِ بِالْإِعْوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي شَابَ رَأْسِي وَأُنْكَرْتَنِي الْعَوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِلشَّرَى وَالْفُدُوءِ وَالْأَصَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي طَالَ لَيْلِي عَنِ اللَّيَالِي الطَّوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِإِعْتِنَاقِ الْأَبْطَالِ بِالْأَبْطَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي وَاعْدَلَا عَنْ مَقَالَةِ الْجُمَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَلْبِي عَنِ الْقِتَالِ بِسَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي كُلُّهَا هَبْ رِيحَ ذَيْلِ الشَّمَالِ

(١) النِّعَامَةُ : فرس الحارث ، وأمل اللقاح : الجمل ، وعن بمعنى بعد ، وحبال : مصدر حلت
الأنثى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لُبَجِيرٍ مُفَكِّكِ الْأَغْلَالِ
قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لَكْرِيمٍ مُتَوَجِّعٍ بِالْجَلَالِ
قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لَا نَبِيْعُ الرِّجَالِ يَبِيْعُ النَّعَالِ
قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لُبَجِيرٍ فِدَاهُ سَعْيِي وَخَالِي
قرباً لِحَيٍّ تَطْلُبُ شُوسًا^(١) لَا غَتِنَاقَ الْكُمَاةِ يَوْمَ الْقِتَالِ
قرباً لَهَا وَقرباً لِأُمِّي دُرٍّ عَا دِلَاصًا^(٢) تَرُدُّ حَدَّ النَّبَالِ
قرباً لَهَا بِمُرْهَفَاتٍ حِدَادٍ لِقِرَاعِ الْأَبْطَالِ يَوْمَ النَّزَالِ
سَائِلُوا كُنْدَةَ الْكِرَامِ وَبِكْرًا وَاسْأَلُوا مَذْحِجًا وَحَيَّ هَلَالِ
لِذِ أَتُونَا بِمُسْكَرٍ ذِي زُهَامٍ^(٣) مَكْفَهْرٍ الْأَذَى شَدِيدِ الْمَصَالِ
قَرَرَيْنَا حِينَ رَامَ قِرَانَا كُلَّ مَاضِي الذَّبَابِ^(٤) عَضْبُ الصَّقَالِ

— ١٠ —

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرِ بْنِ وائِل ، وعليهم يومئذ الحارثُ بن هَمَام ، فقال الحارث بن عَبَّادَ لَهُ : إِنْ الْقَوْمُ مُسْتَقْلَوْنَ قَوْمَكَ ، وَذَلِكَ زَادَهُمْ جُرْأَةً عَلَيْكُمْ ، فَقَاتِلْهُمْ بِالنِّسَاءِ ، قَالَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامَ : وَكَيْفَ قِتَالُ النِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : قَلْدُ كُلِّ امْرَأَةٍ إِدَاوَةٌ^(٥) مِنْ مَاءٍ ، وَأَعْطِهَا هِرَاوَةً ، وَاجْعَلْ جَمْعَهُنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ يَزِيدُكُمْ اجْتِهَادًا ، وَعَلِّمُوا قَوْمَكُمْ بِعَلَامَاتٍ يَعْرِفْنَهَا ، فَإِذَا

(١) الشُّوسُ : جَمْعُ الْأَشُّوسِ وَهُوَ الْجُرَى
(٢) الدَّلَاصُ : مِنَ الدَّرُوعِ اللَّيْنَةِ ، وَدَرَعٌ دَلَاصٌ : بِرَاقَةٍ مَلْسَاءٍ لَيِّنَةٍ بَيْنَةَ الدَّلَسِ
(٣) ذِي زُهَامٍ : ذِي عِدَدٍ كَثِيرٍ
(٤) الذَّبَابُ : السَّيْفُ : حَدَّ طَرَفِهِ الَّتِي يَنْ شَفْرَتَيْهِ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ حَدِيدِهِ ظَاهٍ ، وَقِيلَ حَدُّهُ .
(٥) الْإِدَاوَةُ : لَأَمَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَتَخَذُ لِلْمَاءِ .

مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونمشته ، وإذا مرث على رجله من غيركم ضربته بالمرأوة فقتلته ، وأنت عليه .

فأطاعوه ، وحلفت بنو بكر يومئذ رهومها ، استبسالا للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسايم ؟ وقال جحدر بن ضبيعة - وإنما سمي جحدراً لقصره : لا تخلقوا رأسى ؟ فإنى رجل قصير ، لا تشينونى ، ولكن أشتريه منكم بأول فارس . يطلع عليكم من القوم ؟ فطلع ابن عناق فشده عليه فقتله ، فقال رجل من بكر بن وائل فى ذلك :

ومنا الذى قلدنى من القوم رأسه بمسئلهم^(١) من جهم غير أعز لا
قادى إلينا بزه^(٢) وسلاحه ومنفصلا من عنقه قد تزيلا
وكان جحدر يرتجز ويقول :

ردوا على الخليل إن ألدت إن لم أقاتلهم فجزوا لى
واقتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهزمت بنو ثعلب ، ولحقت بالظن بقية يومها وليتها ، واتبعهم سرطان^(٣) بكر بن وائل ، وتخلّف الحارث بن عبادة ، فقال لسعد بن مالك : أترانى ممن وضعت^(٤) الحرب ؟ فقال : لا ، ولكن لا غباً لمطر بعد هروس^(٥) .

وأسر الحارث مهلهلاً بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ، قال له : دلى على المهلهل . قال : ولى دى ؟ فقال : ولك دمك ، قال : ولى ذمتك وذمة أهلك ؟

(١) مستلم : لابس اللأمة . وهى السلاح (٢) البز : نوع من الجباب (٣) سرطان الناس : أوائلهم السابقون إلى الأمر (٤) يشير إلى قوله :

يا بؤس للحرب التى وضعت أرايحط فاستراحوا

(٥) معناه : إن لم تصر قومك الآن ظنن تدخر نصرك ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل . - وكان ذا رأى ومَكِينَة - فأنا مُهْلِل !
 خدعتك عن نفسى ، والحربُ خُدعة . فقال : كاشفى بما صنعتُ لك بعد جُرمك ،
 ودُلّنى على كفاءِ بُجَيْر . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَاكَ عَلمه .
 فجَزَّ ناصيته ^(١) وأطلقه ، وقصد قصد امرئ القيس فشَدَّ عليه قَتْلَه ، فقال
 الحارث فى ذلك :

لَهَفَ نفسى على عدىٍّ ولم أغرف عديًّا إِذْ أَسْكَنْتَنِ الْيَدَانِ
 طُلٌّ ^(٢) مِنْ طُلٍّ فى الحروب ولم أُوْترْ بُجَيْرًا أَبَا تُه ^(٣) ابْنِ أَبَانَ
 فارس يضرب الكتيبة بالسَّيف وتَسْمُو أُمَامَه الْعَمِينَاتِ
 فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأمر إلى أهله جمل النساء والولدان يستخبرونه :
 تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والعلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

ليس مثلى ينجبر الناس عن آ بائهم قتلوا وبئس القِتَالَا
 لم أَرِم ^(٤) عَرَصَةَ الْكَتِيْبَةِ حَتَّى انْتَمَل الْوَرْدُ ^(٥) مِنْ دِمَاءِ نَعَالَا
 هرفته رِمَاحُ بَكْرِه فَا يَأْ خُذْنَ إِلَّا لَبَانَه ^(٦) وَالْقَذَالَا
 غَلَبُونَا ، ولا محالة يوما يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالَا
 ثم إن مهلهلا قال لقومه : قد رأيت أن تُبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ،
 وقد أنت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم يوم نزلكم ،
 فلو مررت هذه السنون فى دِغَامِيَةِ عَيْشٍ لَكَانَتْ تَمَلُّ مِنْ طَوْلِهَا ، فكيف وقد فنى
 الْحَيَاتَانِ ، وَشَكَلَتِ الْأَمْهَاتُ ، وَبُيِّمَ الْأَوْلَادُ ، وَرَبَّ نَائِحَة لَا تَزَالُ تَصْرُخُ فى النَّوَاحِي ،

(١) الناصية : فى مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أَسَمُوا على الرجل العريف
 جد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فَسَكُونِ الناصية عند من جزها (٢) طل دم القتل :
 ذهب هدرًا (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به (٤) لم أَرِم : لم أبرح (٥) الورد
 من الخيل : بين الكعبين والأشفر (٦) اللبان : الصدر ، ويروى : لبانه .

ودموع لا تَرَفًا ، وأجساد لا تُدْفَن ، وسُيُوف مشهورة ، ورماح مُشْرِعة ؛ وإن القوم سيرجمون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتمطف الأرحام حتى تتواصوا ؛ أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب ، وأخاف أن أحلكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحدكم ابنته فأبى أن يفعل ، فأكرهوه وساقوا إليه أداماً في صداقها فأنكحها إياه ، فقال في ذلك :

أنكحها فقد لها الأراقم^(١) في جنب^(٢) وكان الحباء^(٣) من آدم
لو بأبائين^(٤) جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب يدم
أصبحت لا منفساً^(٥) أصبت ولا أبت كريماً خراً من الندم
هان على تغلب بما لقيت أخت بني المالكين من جشم^(٦)
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يفتنون من عيلة ولا عدَم

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى في مذحج ، وكان بين القومين منافسة ونفور ؛ ففضبوا ، وأرنفوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجموها إلى أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكرأ ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ، ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجأت عليه ابنته سُليمى بالنسبة إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرُب من قبر أخيه كليب ، وكانت عليه قبة رفيعة ؛ فلما رآه خنقته المبرة ، وكان تحته بقل نجيب ؛ فلما رأى البفلُ القبرَ في غلس الصبح نفر منه هارباً ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عرقوبيه بالسيف ، وقال^(٧) :

(١) الأراقم : أحياء في تغلب (٢) حي باليمن هو الذي كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به المهر (٤) أبائان : جيلان (٥) النفس : المال الكثير الذي له خطر (٦) جهم : قبيلة في تغلب ، وم قوم المهلهل (٧) أوردنا هنا الشعر - على ما فيه من سهولة تعلمنا على التفكير في صحة نسبه إليه - لطرافته .

دماك الله من بقلٍ بمشعورٍ من النبلِ
 أما تبلغي أهلك أو تبلغي أهلي
 ألا أبلغ بى بكرٍ رجلا من بى ذهلٍ
 بدأتُ قومكم بالندِّ ر ، والمدوان والقتلِ
 قتلتم سيدَ الناس ومن ليس بذي مثلٍ
 وقتلتم : كفؤهُ رجلٌ وليس الرأس كالرجلِ
 وليس الرجل الماجد مثل الرجل النذلِ
 ففى كان كالفِ من ذوى الإِنعام والفضلِ
 لقد جثم بها دَهْمًا كالخِيفِ فى الجذلِ
 وقد جثم بها شَمْعًا أَشَابَتْ مفرقَ الطفلِ
 وقد كنتُ أخا لموٍ فأصبحتُ أخا شغلِ
 ألا يا عذلى ، أقصر لحاك الله من عذلى
 سأجزى رَهطَ جَسَّاس كحذو النمل بالنملِ

وسار بعد ذلك حتى نزل فى قومه زمانًا ، وما وكده^(١) إلا الحرب ، لا يهيم بصلحٍ ،
 ولا يشرب خمرًا ، ولا يلهو بَلَهْوٍ ، ولا يحمل لأمتِه ، ولا يفتسل بماء ، حتى كان
 جليسه يتأذى منه من رائحة صدأ الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تنلب - اسمه ربيعة بن الطفيل ، وكان له
 نديماً ، فلما رأى مابه قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتفتسلن^٢ بالماء البارد ، ولتبلن^٣ فوائبك بالطيب ! فقال
 المهلهل : هيهات ! هيهات ! يا بن الطفيل ! هيلتنى إذا يميى ، وكيف باليمين التى
 آليتُ أكلاً أو أقضى من بكر أربى ، ثم تأوّه وزفر ، وقال :

(١) وكده : قصده .

إن في الصدر من كليب سُجُونَا هاجساتٍ نَكَّانَ منه الجراحا
 أنكرتني حلياني مُذْ رَأَتْنِي كاسفَ اللونِ لأَطِيقَ المِزَاحا
 يا خليلي" ناديا لي كليبيا ثم قولاً له : نعمتَ صباحا
 يا خليلي" ، ناديا لي كليبيا قبل أن تبصر العيون الصباحا

وتقضى الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأسره وأحسن إيساره ، فرّ عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع شُبَّان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أُفِرِدَ له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعرٍ ناح فيه على أخيه :

طَفَلَةٌ^(١) ما ابْنَةُ المَحَلَّلِ بِيضًا لَمُوبٌ^(٢) لَدِيدَةٌ فِي العِنَاقِ
 فاذْهَبِي ما إِلَيْكَ غَيْرَ بِمِيدٍ لا يُؤَوِّقِي العِنَاقَ مَنْ فِي الوِثَاقِ
 ضربت نحرَها إلى" وقالت : يا عَدِيًّا ، لقد وَقَتَكَ الأَوَاقِ^(٣)
 ما أَرْجِي فِي المَيْسِ بَعْدَ نَدَامَا ي! أَرَأَيْتُمْ سَقُوا بِكَاسِ حَلَاقِ^(٤)
 بَعْدَ عَمْرِو وَطامِرٍ وَحُبَيِّ^(٥) وَرَبِيعِ الصَّدُوفِ^(٦) وابْنِي عَنَاقِ
 وامرئ القيس مَيّتَ يَوْمَ أَوْدَى ثم خَلَى عَلَى ذَاتِ الرِّاقِ^(٧)
 وَكَلِيبِ سُمِّ الفَوَارِسِ إِذْ حُمَ مَ رَمَاهُ الكَأَةُ بِالإِيفَاقِ^(٨)
 إِنَّ تَحْتَ الأحْجارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلَدًّا ذَا مِغْلَاقِ^(٩)
 حَيَّةٌ فِي الوِجَارِ أَرْبَدُ لا تَنْفَعُ مِنْهُ السَّليْمُ نَفْثَةُ رَاقِ^(١٠)

(١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواقي : جمع واقية (٣) الحلاق : النية ممدولة عن الحالقة ، أي تقشر (٤) الصدوف : اسم فرس الزبيم المذكور (٥) ذات الرق : الداهية (٦) الإيفاق : وضع السهم للرعى (٧) الملاق : اللسان البليغ (٨) الوجار : الجعر ، والإربد : الذي يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرّم ! إنَّ لله علىّ نذرآ ، إن شرب عندي قطرة ماء ولا نخر حتى يورد الخضير^(١) ، فقال له أناس من قومه : بشئ ما حلفت ! فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات عطشاً^(٢) .

(١) الخضير : بئر لموف لا يرد الماء إلا في اليوم السابع . وفي رواية : حتى يرد ربيب الهضاب وريب اسم جمل له كانت أقل وروده في الصيف الحس ، أى مرة كل خمسة أيام (٢) وفي حوت المهلهل رواية أخرى أوردتها صاحب الخزنة وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يخدمانه فلاه ، وخرج بهما إلى سفر فبينما هما في بعض القلوات عزم على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله : من مبلغ الحين أن مهلهلا لله دركما ودر أيكما ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لا يقول هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحين أن مهلهلا أمسى قتيلًا في القلاة مجدلا
 لله دركما ودر أيكما لا يبرح البدان حتى يقتلا
 ففصبوا البعدين حتى أفرأ بقتله .

٥- أيام ربيعة وقيم

المرفع هم
عفا الله عنه

- ١- يوم الوقيط
- ٢- شيتل
- ٣- جدود
- ٤- زرود
- ٥- ذى طلوح
- ٦- الإباد
- ٧- الغبيط
- ٨- قشاوة
- ٩- زبالة
- ١٠- مبايض
- ١١- الزورين
- ١٢- عاقل
- ١٣- الشيطين
- ١٤- الوقبي
- ١٥- الشباك

١ - يَوْمُ الْوَقِيطِ

تَجَمَّعَتِ اللَّهَازِمُ^(١) لِتُنْفِرَ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، وَهُمْ غَارُثُونَ^(٢) ، فَرَأَى ذَلِكَ نَاشِبٌ بِنَ شَامَةَ الْعَنْبَرِ^(٣) الْأَعُورَ - وَهُوَ أَسِيرٌ فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ نَاشِبٌ : أَعْطُونِي رَجُلًا أُرْسِلُهُ إِلَى أَهْلِ بَنِي الْعَنْبَرِ وَأَوْصِيهِ بِبَعْضِ حَاجَتِي ، فَقَالَتْ لَهُ قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : تَرْسُلُهُ وَنَحْنُ حُضُورٌ - وَذَلِكَ مَخَافَةً أَنْ يُنْذَرَ^(٤) عَلَيْهِمْ - قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَوْهُ بِفِصْلٍ مُؤَلَّدٍ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ تَمُونِي بِأَحْمَقٍ ! قَالَ الْفِصْلُ : وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَحْمَقٍ ، فَقَالَ الْأَعُورُ : إِنِّي أُرَاكَ تَجْنُونَا ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ . قَالَ : فَالْأَسِيرَانِ أَكْثَرُ أَمْ الْكُوكَبُ ؟ قَالَ : الْكُوكَبُ ، وَكُلُّهُ كَثِيرٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَغَيِّ أَحْمَقٍ ، وَمَا أُرَاكَ مُبَلِّغًا عَنِّي . قَالَ : بَلَى ، لِعَمْرِي لَا بَلِّغَنَّ عَنْكَ .

فَلَا الْأَعُورُ كَفَّهُ مِنَ الرَّمْلِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ فِي كَفِّي ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ مَا أُخْصِيهِ ، فَأَوْصَا إِلَى الشَّمْسِ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تِلْكَ ؟ قَالَ : هِيَ الشَّمْسُ . قَالَ : مَا أُرَاكَ إِلَّا عَاقِلًا ظَرِيفًا ؛ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي ، فَأُبَايِعُهُمْ عَنِّي التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيُحْسِنُوا إِلَى أَسِيرِهِمْ وَيَكْرُمُوهُ ، فَإِنِّي عِنْدَ قَوْمٍ يَحْسِنُونَ إِلَيَّ وَيَكْرُمُونَنِي - وَكَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ طَفِيلٍ الْمُرْتَدَّى أَسِيرًا فِي أَيْدِي بَنِي الْعَنْبَرِ - وَقُلْ لَهُمْ : فَلْيَمْرُؤُوا جَمَلِي

* لَبَكْرَ (مِنْ رِيْعَةٍ) عَلَى تَيْمٍ ، وَالْوَقِيطُ : الْمَكَانُ الصَّلْبُ الَّذِي يَسْتَقْعُ فِيهِ الْمَاءُ . أَطْلَقَ عَلَى مَوْضِعٍ .

الْأَمْثَالُ ص ٦ ج ١ ، النَّقَائِصُ ص ٣٠٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٨٥ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٣٠ ج ٣ ، بُلُوغُ الْأَرْبِ ص ٣٨٥ ج ١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ص ١٥٤ ج ٣ ، قِصَصُ الْعَرَبِ ص ٣٣٧ ج ١ الزَّهْرُ جُزْءُ أَوَّلِ طَبْعَةِ الْحَلَبِيِّ (بَابُ الْمَلَاخِنِ)

(١) الْهَازِمُ : مِمْزَلَةُ بْنُ أَسَدٍ بْنُ رِيْعَةٍ وَعَجَلُ بْنُ لَاجِمٍ ، وَتَيْمٌ ابْنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا حِلَافَةً (٢) الْفَارُ : الْغَافِلُ (٣) مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ (٤) يُنْذِرُ : يُبَلِّغُ .

الأحمر، ويركبوا ناقى العيساء^(١)، بآية ما أكلت معهم حيساً^(٢)، وليرعوا حاجتي في أيتني مالك^(٣)، وأخبرهم أن الموسج^(٤) قد أورق، وأن النساء قد شكّت^(٥)، وایمنصوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود^(٦)، وليطيعوا هذيل بن الأخنس، فإنه حازم ميمون .

فقال له بنو قيس : من أيتنو مالك ؟ قال : بنو أخى .

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تذر عمرو بن تميم ما الذى أرسل به إليهم الأعور، وقالوا : ما نعرف هذا الكلام ، ولقد جنّ الأعور بعدنا ! ما نعرف له ناقة يختصّها ولا جملاً ، وإن إبله عندنا لبأج^(٧) واحد فيما نرى .

فقال هذيل بن الأخنس للرسول : اقتصّ علىّ أول قصّته ، فقصّ عليه أول ما كله به الأعور ، وما رجه إليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل : أبلفه التحية إذا أتيتّه ، وأخبره أنا سنوصى بما أوصى به ، فشخص الرسول .

ثم نادى هذيل باللمنبر : قد بين لكم صاحبكم؛ أما الرمل الذى جمل في يده فإنه يُخبركم أنه قد أتانا كم عدد لا يحصى، وأما الشمس التى أوما إليها، فإنه يقول : إن ذلك أوضح من الشمس ، وأما جله الأحمر فالصمان^(٨) يأمركم أن تُعروه ، يعنى ترّجّلوا منه، وأما ناقته العيساء فإنها الدهناء^(٩) يأمركم أن تتجرّزوا فيها، وأما أيتنو مالك فإنه يأمركم أن تُنذروهم ما حذركم ، وأن تمسكوا بحلف بينكم وبينهم ، وأما إيراقي

(١) العيساء : الناقة يخالط يابضها شقرة (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط

(٣) يرموا : يحفظوا ، وأيتنى : تصغير بنين كما فى اللسان مادة بنى (٤) الموسج : شوك

(٥) شكّت النساء : اتخذت الشكاء ، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من آدم يبرد فيه اللاء

(٦) المحدود : النوع من الخير (٧) بأج واحد - يهز ولا يهز : شئ واحد

(٨) الصمان : جبل أحمر فى أرض بنى تميم (٩) الدهناء : سبعة أجيل من الرمل ، وهى

ديار لامة بنى تميم .

المَوْسَجِ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ اكْتَسَوْا سِلَاحًا ، وَأَمَّا اسْتِكَاءُ النِّسَاءِ فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّهُنَّ قَدْ عَمِلْنَ الشِّكَاةَ ، يُرِيدُ خَرْزَنَ لَهُمْ شِكَاةٌ يَمْزُونُ بِهَا ؛ وَقَوْلُهُ : بَابَةُ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْثَا ، يَرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزَوْكُمْ ؛ لِأَنَّ الْحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالْأَقِطَ ^(١) .

فَخَذِرْتُ بَنُو عَمْرِو ^(٢) بَنِي تَيْمٍ ، فَرَكِبْتُ الدَّهْنَاءَ ، وَأَنْذَرُوا بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقْدِرُ بَنُو الْجَمْرَاءِ ^(٣) ، وَلَسْنَا مُتَحَوِّلِينَ لِمَا قَالَ سَاحِبُهُمْ .

فَصَبَّحْتُ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَوَجَدُوا بَنِي عَمْرِو قَدْ أَجَلَتْ وَارْتَحَلَتْ ، وَإِنَّمَا أَرَادُوهُمْ عَلَى الْوَقِيطِ ، وَعَلَى الْجَيْشِ أَبِي جَرِّ بْنِ جَابِرِ الْمِجْلِيِّ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَطَمِنَ بَشَرُ بْنُ الْمَوْرَاءِ - مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ - ضَرَارَ بْنَ الْقَمَقَمَاقِ وَأَخَذَهُ ، ثُمَّ جَزَّتْ بَنُو تَيْمِ اللَّاتِ نَاصِيَتَهُ وَخَلَّوْا بِسَرِّبِهِ ^(٤) تَحْتَ اللَّيْلِ .

وَبَارِزُ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ مِمَّنْ بِبَنِي رَيْبَعَةَ - عَجَّجِلَ بْنِ الْمَأْمُومِ - مِنْ بَنِي شَيْبَانَ - فَأَسْرَهُ عَمْرِو ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ .

(١) وَهناك رواية أخرى أوردتها صاحب النقايس وهي : أَنَّ نَاشِبَ بْنَ بَشَامَةَ رَأَى رَاكِبًا قَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مَوْسَجَ كَذَا ، فَقَالَ لِبَنِي سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ : إِنَّ طَرِيقَ هَذَا عَلَى أَهْلِي ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَلْرُكُوهُ فَأَحْمِلُهُ حَاجَةً إِلَيْهِمْ ، وَأَوْصِيهِمْ بِحَنْظَلَةَ ؟ فَقَالُوا : لَا ، لَا وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، قَالَ : وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ، فَتَرْكُوهُ وَهُوَ مَعَهُمْ ، فَقَالَ لِلرَّاكِبِ : إِذَا أَتَيْتَ أُمَّ قَدَامَةَ فَقُلْ لَهَا : إِنَّكُمْ قَدْ أَسَأَلْتُمْنِي لِي جَلِي الْأَحْمَرِ وَنَهَيْتُمْنِي أَنْ يَكُونُوا رُكُوبًا فَأَعْفُوهُ ، وَعَلَيْكُمْ نَاقِقِي الصَّهْبَاءِ فَاتَّعَمِدُوها ، فَلَمَّا أَبْلَغَهَا مَا قَالَ ، قَالَتْ لِابْنَتِهَا : إِنَّ الْأَعْمُورَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْكَبُوا الدَّهْنَاءَ وَتَمْرُوا الصَّامَانَ . . . الخ (٢) مِنْ تَيْمٍ (٣) الْجَمْرَاءُ : لَقَبُ بَنِي عَمْرِو وَأَصْلُهُ الضَّبْعُ ، يَرِيدُونَ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو النَّبَرِ . (٤) سَبِيلُهُ .

وأسر طليسة بن زياد المجلي حنظلة بن المأموم^(١) ، وأسر حنظلة بن عمار
جُوَيْرِيَّة بن بدر - من بني عبد الله بن دارم^(٢) - وأسر أيضاً نعيم وعوف ابنا القعقاع
وغيرهما من سادات بني تميم ، ثم هرب عوف عن أخويه ففات ، وهرب مالك بن
قيس^(٣) .

(١) اشتراه الوراق بن الوراق بمائة بغير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليفاديه ،
وبها على بن أبي طالب ، فأتاه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : إيسار في الإسلام؟
فقال : لا ، وبمت فانتزع من الوراق ، ولم يكن الوراق وفي بني عجل فداه حنظلة ، فلما كانت
فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراق مائة بغير ، فقال يزيد بن الجداء المجلي في المأموم :
وهم صبغوا أخرى ضراراً ورهطه وهم تركوا المأموم وهو أميم

(٢) لم يزل في الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قدوا شرباً ، فأنشأ يتننى رافضاً عقيرته :
وقائلة ما غاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيادة في شغل
وقد أدركتني والحوادث جمة غالب قوم لا ضماف ولا عزل
سراع عن المجلي بطاء عن الحنا وزان لدى الباذين في هيم ما جهل
الباذون : أصحاب البناء

للمهم أت يطرؤني بنعمة كما صاب ماء الزن في البلد المحلل
فقد ينش الله الفقى بعد عثرة وقد تبني الحسى سراقه بني عجل
فلما سمعوا ما أطلقوه

(٣) وفي ذلك يقول عمار بن عماره النبسي :

وأفلتنا ابن قعقاع عوف حيث الركنض واحصلوا ضراراً
فإن تك يا عوف نجوت منها قدماً كنت متخباً مطاراً
وكم غادرنا منكم من قبيل وآخر قد شدته إصاراً
كذلك الله يجزي من تميم ويرزقها الساءة والشاراً
ونجى مالكا منا ابن قيس أخو ثقة يؤم به القفلاً
وصادف عجل من داك مرأ مع المأموم إذ جدنا غاراً
وغادرنا حكياً في مجال صرباً قد سلبناه الإزاراً

حكيم بن جذيمة بن الأصيلع

مددنا غارة ما بين فلج وبين لصاب نوطتها الفياراً
فما شمروا بنا حتى رأونا على الرايات تدرع الفياراً

ولحق^(١) وراز التيمي حَكِيماً^(٢) النشلي وهو يرتجز :

ماوى لن تُراعى رحيمة ذِراعى

بالكر والإيزاع

ويقول :

كل امرئ مُصَيِّحٌ في أَهْلِهِ والموتُ أدنى من شرائكِ نَعْلِهِ
فشد عليه ورازُ قَتَلَهُ^(٣) .

ومرت اللهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بني عديّ بن جُنْدَب بن العنبر .
لم يكونوا بِرَحْوا مع قومهم فلحقوا بالدهناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بني دارم ،
فكانوا بِرَعُون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها ، وجمل ورازُ
يُقاتلهم ويرتجز ويقول :

محنَ حَمِيناً يوم لا يحمى بَشَرٌ يوم الوقيط والنساءُ بُتَقِرَ^(٤)
قوسٌ تُنَقَّأها من النَّبْعِ وَزَرٌ تُرْنُ إنْ تُنَازِعَ الكفَّ الوَتَرُ
حَجَرِيَّةٌ^(٥) فيها المنايا تَسْتَمِرُّ تحفِزُها الأوتارُ والأيدى الشُّعْرُ

(١) في معجم البلدان اسمه لراز ، وهو أحد بني تيم الله بن ثعلبة (٢) في معجم البلدان أيضاً
أن اسمه الحكم (٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقيط ط إذا حضر الموت خالي وعم
تمودت خير فعال الرجا ل فك العناة وقتل البهم
وما إن أتى من بني دارم فميك أشمط إلا وجه
وفقاً عيني تبكاهما وأورث في السمع منى صم
فما شاء فليفعل الثؤيبا ت والدهر بمد فتانا حكم

أى حكيم

فتى ما أضلت به أمه من القوم ليلة لا مدعم
يجوب الظلام ويهدى الخيس ويصبح كالصقر فوق العلم

(٤) ناقة بقير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وانبقر (٥) يعنى قوساً
مفسوبة إلى حجر - قصبة الإمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض ثمود - الحجر .

٢- يَوْمُ ثَيْتَل

خرج قيسُ بنُ عاصمِ المِثْقَرِي بِمِقَاعِيسٍ^(١) وهو رئيسٌ عليها ، ومعه سَلَامَةُ بنُ ظَرِبٍ في الأَجَارِبِ^(٢) ، ففَزَوْا بِكَرِّ بنِ وائِلٍ ؛ فوجدوا اللَّهَازِمَ^(٣) ، وبنى ذُهَلِ بنِ ثَمَلَةَ وعِجْلِ بنِ لُجَيْمٍ ، وَعِزَّةَ^(٤) بنِ أَسَدِ النَّبَاجِ وَثَيْتَلَ^(٥) ، فتنَازَعَ قيسٌ وسَلَامَةُ في الإِغَارَةِ ، ثم اتَّفَقَا على أن يُغِيرَ قيسٌ على أهلِ النَّبَاجِ ، ويُغِيرَ سَلَامَةُ على أهلِ ثَيْتَلَ ؛ فبعث قيسُ سِنَانِ بنَ سَمَى الأَهِمَّ شَيْفَةَ^(٦) له ، فَلَقِيَ رجلاً من بني بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، فتماقدا على ألا يَتَسَكَّنا ؛ فقال الأَهِمُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ، ونحن بجوف الماء حضور ، فن أَنْتَ ؟ قال الأَهِمُّ : أنا سنان بن سَمَى ، وهو لا يُعرفُ إلا بالأَهِمِّ ، ففَقَلَ نفسه له ، فرجع البَكْرِيُّ فأخبر قومه عنه ، ورجع الأَهِمُّ فأخبر قيساً الخبرَ ، وقال : يا أبا عليٍّ ؛ هل بالوادي طَرَفَاءُ^(٧) ؟ فقال قيسٌ : بل به نَعَمْ . وعرفَ أَنهم بَكْرٌ ، فكنتمهم أَصْحَابَهُ .

فلما أصبح سَقَى خَيْلَهُ ، ثم أطلق أفْوَاهَ الرِّوَايا ، وقال لأَصْحَابِهِ : قَاتِلُوا قَالِوتُ

* لقيم على بكر (من ربيعة) . ثيتل: ماء على عشر مراحل من البصرة ، ويسمى يوم النباج ، وهو موضع قريب من ثيتل

التقااض ١٠٢٣ (طبع أوروبا) ، العقد الفريد ٣٣٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

(١) مقاعس : بطون في تميم تتألف من : صريم وريم وعبيد بنو الحسارث بن عمرو
(٢) الأجارب : بطون في تميم أيضاً تتألف من : جاوربيعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد
(٣) الهازم : لقب تميم الله بن ثعلبة ، وهم بطن في بكر ، وكذلك ذهل بن ثعلبة وعجل بن لُجيم
(٤) عزة من ربيعة بن تزار (٥) النباج : موضع على عشر مراحل من البصرة ، وثيتل قريب منه (٦) الشيفة : الطليعة (٧) الطرفاء : شجر وهو أصناف من الأثل ، وهو يكتنى بالنعم عن القوم

عن أبيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبْحًا سمعوا سافياً من بكر
يقول لصاحب له : يا قيس ؛ أورد ؛ فتفاءلوا به الظفر ، ثم أغاروا على أهل النَبَاج من
بكر قُبَيْل الصُّبَح ، فقاتلهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكرًا انهزمت ، وأسر الأهمم حُزَّان بن عبد عمرو ، وأمرَ قَدَ كَي بن
أَقْبَد جُثَامَةَ الدُّهْلِي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيس لأصحابه : لا تَقِيل
دون إخواننا بَقَيْتَل .

وعاد مُسرِعاً إلى سلامة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُفِرْ بَعْدُ سَلَامَةً وأصحابه
على مَنْ بَقَيْتَل ، فأغار قيس عليهم فقاتلهم ، ثم هزمهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء
سلامة فقال : أغرُّم على ما كان إلى ! فتلاجوا حتى كاد الأمر يَقُوم ، ثم انفقوا على
أَنْب سَلَمُوا لسلامة غنائم بَقَيْتَل . وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن نعيم حيث
رَوَى قَيْساً :

فَإِنَّ لَنَا عِزًّا عَزِيزًا وَمَقِيلًا	فَلَا يُبْعِدُنَاكَ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وَقَدْ عَضَّتْ ^(٢) مِنْهَا النَّبَاجُ وَبَقَيْتَلُ	وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتَ ^(١) بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ
كَرَادِيسٍ ^(٣) يَهْدِيهِمْ وَرَدُّ مُجَجَّلُ	غَدَاةً دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ
وَشَمْتُ النُّوَاصِي لُجْمُهُنَّ تُصَلِّصِلُ	وِظَلَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ تَهْفُو عَلَيْهِمْ
لِفَارِتِهِ إِلَّا رَكُوبٌ مُذَلَّلُ	فَمَا مِنْكُمْ أَفْئَاءَ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أَنَا الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ^(٤) وَقَدْ رَأَى بَقَيْتَلَ أَحْيَاءَ اللَّهَازِمِ حُضْرًا

(١) حربته : سلب ماله (٢) عضت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم

(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الحيل العظيمة ، وقيل التظمة من الحيل العظيمة

(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصبتهم بالجيش فيسُ بن عاصم فلم يَجِدُوا إِلَّا الْأُسْنَةَ مصدرا
سقامهم بها الذيفان^(١) قيسُ بن عاصم وكان إذا ما أوردَ الأمرُ أُصدَرَ
على الجُرْدِ^(٢) يملُكن الشكيم^(٣) عوابسا إذا المساء من أعطافهنَّ تحدَّرا
فلم يَرها الرءوفُ إلا فجاءة نثرن عجاجا بالسنايك أكدرا
ومُحمرانُ أدته إلينا رماحنا فتازع غلا في ذراعيه أسمرا
وجثامة الذهلي قدناه عنوة إلى الحى مصفودَ اليدين مفكرا

(١) الذيفان ، والذيفان (يفتح الدال وكسرهما) : السم النافع ، وقيل القاتل (٢) فرس
أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذى رق شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم فى
الليجاء : الحديدة الممتزعة فى فم القرس التى فيها القأس .

٣- يَوْمُ جَدُود

كانت بين الحارث بن شريك وبين بني سليط بن يربوع مُوَادعة ، فهم بِالْعَدْرِ بهم ، وجمع بني شيان وذَهْلًا ، واللَّهَازِم ، وعليهم مُخْرَان بن عبد عَمْرُو ، ثم غزا وهو يَرْجُو أن يُصِيب غِرَّةً من بني يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَذَرَ به عُتْبِيَّة^(١) بن الحارث ابن شهاب ، فنادى في بني جعفر بن ثعلبة ، فحالوا بين الحارث وبين الماء ، والحارث في جماعة من أَفْنَاء بكر بن وائل ، فقال الحارث لعتيبة : إني لا أرى مملك إلا بني جعفر ، وأنا في طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلَّ عددكم ، وطمع فيكم عدوكم ، ولئن أنتم ظفرتُم بي ما تقتلون إلا أَقاصى عَشِيرَتِي ، والله ما إياكم أردت ، ولا لكم سَمَوْتُ ، وقد عرفتم المُوَادعةَ التي بيننا وبين إخوانكم بني سليط ، فهل لكم أن تُسألونا ، وتأخذوا ما معنا من التمر ، وتُخلُّوا سبيلنا ؟ فوالله لا نرُوع يربوعياً أبداً .

فأخذ عتيبة ما معهم من التمر ، وخلَّى سبيلهم ، فسار الحارث في بكر بن وائل حتى أغار على بني رُبَيْع بن الحارث بمَجْدُود ، فأصاب سبيًا ونَعَمًا وهم خلوف ، فبمَثَ بنو ربيع صَرِيحهم^(٢) إلى بني كَلَيْب بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يجيبوهم ، فقال قيس بن مقلد الكلبي لصريخ بن رُبَيْع :

❖ لبني منقر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سميت اليمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح الفضليات ص ٧٤٠ لابن الأثير ، النقائض ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١
(١) رئيس بني يربوع إذ ذاك (٢) الصريح : المتنيث .

أَمْنَكُمْ عَلَيْنَا مُنْذِرٌ لِمَدُونَا وداعِ بنا يوم الهياج مُنْذِرٌ
فقلتُ ولم أَمْرَزْ بِذَآكَ ولم أَسَأُ أَسْعُدُ بْنُ زَيْدٍ؛ كَيْفَ هَذَا التَّوَدُّدُ

فَأَتَى صَرِيحُ بَنِي رُبَيْعِ بْنِ مَنقرِ بْنِ عُبَيْدٍ ، فَرَكِبُوا فِي الطَّلَبِ ، فَلَحَقُوا بِكَرِ بْنِ وائِلٍ وَهُمْ قَاتِلُونَ ، فَمَا شَرَّ الْحَارِثِ بْنِ شَرِيكٍ - وَهُوَ قَاتِلٌ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ - إِلَّا بِالْأَهَمِ^(١) بَنِي مُسَيِّ بْنِ سِنَانِ بْنِ مَنقرِ ، وَهُوَ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَثَبَ الْحَارِثُ إِلَى فَرَسِهِ فَرَكِبَهُ ، وَقَالَ لِلْأَهَمِ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْأَهَمِ ، وَهَذِهِ مَنقرٌ قَدْ أَتَيْتَكَ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : فَأَنَا الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكٍ ، وَهَذِهِ بَنُو رُبَيْعٍ قَدْ حَوَيْتَهَا ، فَنَادَى الْأَهَمِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ سَعْدِ^(٢) ، وَنَادَى الْحَارِثُ : يَا آلَ وائِلٍ^(٣) ، وَشَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَلَحِقَ بَنُو مَنقرٍ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَنَادَتْ نِسَاءُ بَنِي رُبَيْعٍ : يَا آلَ سَعْدِ ، فَاشْتَدَّ قِتَالُ بَنِي مَنقرٍ لَمَّا نَادَى النِّسَاءُ ؛ فَهَزَمَتْ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ ، وَخَلَّوْا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ وَالْأَمْوَالِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ وَتَبِعْتَهُمْ مَنقرٌ فَمِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ .

وَأَسْرَ الْأَهَمِ مُعْزَانَ بْنَ عَبْدِ عَمْرِو ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

تَمَطَّتْ بِمُعْزَانَ النِّيَّةُ بَعْدَ مَا حَشَاءَ سِنَانٌ مِنْ شِرَاعَةٍ أَزْرَقُ
دَعَا يَالَ قَيْسٍ وَاعْتَزَّتْ لِنَقِيرٍ وَقَدْ كُنْتُ إِذْ لَاقَيْتُ فِي الْخَيْلِ أَصْدُقَ

وَاتَّبَعَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْحَارِثَ بْنَ شَرِيكٍ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُدْعَى الزَّيْبَدُ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى الزُّعْفَرَانِ بْنِ الزُّبَيْدِ فَرَسَ الْخَوْفَزَانِ^(٤) ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِمَا الْأَرْضُ لَحَقَهُ قَيْسُ ، وَإِذَا وَقَعَ فِي هَبْوَطٍ وَصَعُودٍ سَبَقَهُ الْخَوْفَزَانُ بِقُوَّةِ فَرَسِهِ وَسَنَةِ ، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يَفُوتَهُ قَالَ : اسْتَأَسِرْ يَا حَارِثُ خَيْرَ أَسِيرٍ . فَقَالَ الْحَارِثُ : لَا ، بَلْ شَرَّ أَسِيرٍ ، ثُمَّ جَزَرَ فَرَسَهُ ، فَسَبَقَ مُهْرَ

(١) فِي رِوَايَةٍ : هُوَ سِنَانُ بْنُ مَسِيٍّ النَّفَرِيُّ (٢) إِمَارَةٌ إِلَى جَدِّهِمُ الْأَكْبَرِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ

(٣) يُشِيرُ إِلَى جَدِّهِمُ الْأَعْلَى وَائِلٍ (٤) الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكٍ .

قيس لقوته، ونحوه فقيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح في استه، وبهذه الحفرة سمي الحوفزان، ونجا .

ورجع بنو منقر بسني بني ربيع وبأسارى بكر بن وائل وأسلاهم .

وقال قيس بن عاصم في ذلك اليوم :

جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بِأَسْوَأِ سَمِيهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا
وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُ أَبَاكُمْ وَسَالَسْتُمُ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نَحْوُهَا
سَتَخِطُمُ سَعْدٌ وَالرَّبَابُ أَنْوَفَكُمْ كَمَا غَاطَ^(١) فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا
فَأَصْبَحْتُ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَهْنُوءٍ^(٢) جَرِيَاءُ أُبْرِزَ كُورُهَا
فَأَصْبَحْتُ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَهْنُوءَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفِيرُهَا
أَفْخَرَا عَلَى الْمَوْتِ إِذَا مَا يَطْنُ^(٣) وَلَوْ مَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَمِيرُهَا
أَتَانِي وَعَيْدُ الْحَوْفِزَانِ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ صَخْرَاوَاتٍ فَلَجَّ وَقُورُهَا
أَرَمَ بِسَبِيلِ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا إِذَا حَشَدَتْ سَعْدٌ وَجَاشَ نَصِيرُهَا^(٤)
عَصَمْنَا نِيْمًا فِي الْحُرُوبِ فَأَصْبَحْتُ يَلُودُ بَنَّا ذُو وَفْرِهَا^(٥) وَفَقِيرُهَا
وَأَصْبَحْتُ وَغَلًّا^(٦) فِي تَيْمٍ وَأَصْبَحْتُ مَعَاذِنُهَا تُجَبِّي سِوَاكَ وَخَيْرُهَا^(٧)

وقال سوار بن حيان المنقري :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفِزَانِ بَطْمَنَةً سَقَتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا^(٨)

- (١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التي لم ترض ، والجريير : الجبل (٢) هنأت البعير : إذا طلبته بالهناء وهو القطران ، والأيل مهنوءة (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ، وهي الأشتر من كثرة المال أيضاً ، والقفل كفرح (٤) في رواية : إذا غضبت سعد (٥) الوفر : المال (٦) الوغل : الدعي نسباً ليس منه ، والوغل : النذل الضعيف المقصر في الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، وروى : وأصبحت معاذتها (بتشديد الدال) ويقال : عادته اللسعة : إذا أته لعداد (٨) أحر .

وَمُحْرَمَانَ قَسَرًا أَنْزَلَتْهُ رِيحًا حُنَا فَعَالَجَ غُلًّا فِي ذُرَاعِيهِ مُقْفَلًا^(١)
فَمَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ تَمَدُّهَا كَيَوْمِ جُؤَائِي وَالنَّبَاجِ وَتَيْتَلَا
قَضَى اللَّهُ أَنَا - يَوْمَ تُقْتَسَمُ الْمَلَا - أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ فَأَعْطَى وَأَجْزَلَا
فَلَسْتُ بِمُسْطَيعِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَجِدْ لِعَزِيٍّ بَنَاهُ اللَّهُ فَوْقَكَ سَفَلَا
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ السَّمْعَدِيُّ :

فَسَائِلُ بِسَمْعَدِيٍّ فِي خَنْدَفٍ وَقَيْسٍ وَعِنْدَكَ تَبْيَانُهَا
وَإِنْ تَسْأَلُ الْخَيَّ مِنْ وَائِلٍ تُنَبِّئُكَ عَجَلُ وَشِبْيَانُهَا
بَوَادِي جَدُودٍ وَقَدْ غَوِثَتْ بِضَيْقِ السَّنَابِكِ أَعْطَانُهَا
بَارِزِينَ كَالطَّوْدِ مِنْ وَائِلٍ يَوْمَ الثَّغْوَرِ وَيَمْتَانُهَا^(٢)
تَطَاوَلَهُ الْأَرْضُ مِنْ رِزَّةٍ^(٣) إِذَا سَارَ تَرْجَفُ أَرْكَانُهَا^(٤)

وَالْحَقُّ قَيْسٌ عَلَى الْخَوْفَزَانِ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءَ^(٥) ، فَسَأَلَهُ مِنْ هُوَ ، فَقَالَ : لَأَنْكَأَنَّ
الْيَوْمَ ! أَنَا الْخَوْفَزَانُ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ ، وَمَضَى .
وَرَجَعَ الْخَوْفَزَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقِيتُ رَجُلًا أَزْرَقَ كَأَنَّ لِحْيَتَهُ ضَرِييَّةُ^(٦)
صُوفٍ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ وَمَضَى ، فَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنَ السَّبْيِ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! وَمَنْ لَنَا
بِأَبِي عَلِيٍّ ! فَقَالَ لَهَا : وَمَنْ أَبُو عَلِيٍّ ؟ قَالَتْ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
النَّجَادُ ! وَأَرْدَفَ الزَّرْقَاءَ خَلْفَهُ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا إِلَى صَدْرِهِ وَنَجَا بِهَا .

(١) يروى : مقفلا (٢) يمتانها من الربيثة وهو عين القوم (٣) الرز : هدير الفحل
أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من
النقائض إن أردت (٥) كان قد سبها من بني ربيع بن الحارث (٦) قطعة .

٤- يَوْمَ زُرُودَ

أغار حَزِيمَةُ بن طارق التغلبيّ على بني يَرْبُوع وهم بَزْرُودَ ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصَّرِيحُ ^(١) بى يَرْبُوع ، فركبوا فى إثره ، وهزموه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، وأسرُوا حَزِيمَةَ بن طارق ، واختصم فى أسره اثنان : أنيف بن جبلة الضَّبِّي - وكان قَتِيلًا ^(٢) فى بني يَرْبُوع ، وليس معه من قومه أحد - وأسيد بن حِثَاء السليطي ؛ فاختمهما إلى الحارث ^(٣) بن قراد فحكم : أن جزّ ناصيته لأُنَيْف ، وأن لأسيدي عنده مائة من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أنيف :

أخذتك قسراً يا حَزِيمَ بن طارق ولاقيت منى الموت يومَ زُرود
وعاقته والخيل تدمى نحرها فأنزلته بالقاع غير حميد
وكان للكَلْبَةِ ^(٤) اليربوعى فرس اسمها « عَرَادَة » ؛ فلما جاء النذير كانت فرسه

* ليربوع (من تميم) : على قلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة

المقد القريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الأمل من كتاب الأمل ص ١٧ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، الفضليات ص ٣

(١) الصريح : المستعيب (٢) النقيب : الغريب (٣) من بني رياح بن يربوع
(٤) الكلبة اليربوعى : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، على ما فى المؤلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كلاًساً :

يا كَأْسُ وبلك إن غالى خلقى	على الساحة صعلوكا وذما مال
تخبرى ابن راع حافظ برم	عبد الرشاء عليك الدهر محال
وين أروع مشمول خلاقه	مستغرق المال للذات مكال
فأى ذنبك إن نابك نائبة	والقوم ليسوا وإن سواوا بأمثال

قد سقيت ملء الحوض ماء^(١) ، فلما أجمها وركب ظلمت فرسه ، فقال يمتدّر :
 فإن تنج منها^(٢) يا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ فقد تركت ما خَلَفَ ظَهْرَكَ بَلَقَمًا^(٣)
 ونادى منادى الحى : أن قد أُتِيتُم وقد شربت ماء المَزَادَةِ أَجْمًا^(٤)
 وقلت لكأس : أَلْجِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكُتَيْبَ مِنْ زُرُودَ لَنَفْرَعَا^(٥)
 فأدرك إبقاء العَرَادَةِ ظَلَمَهَا وقد جعلتني من حَزِيمَةٍ إصْبَمَا^(٦)
 أمرتكم أصرى بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى ولا أَمَرَ لِمُعْصَى إِلَّا مُضِيْعًا
 إذا المرء لم يَفْشَ الكَرِيهَةَ أَوْشَكَتْ جبالُ الْهُوَيْنَى بالفتى أن تَقْطَعَا^(٧)

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يبار عليها - وكانت عطاشا - فنها من يضرب بعض العرب ولا يروى ، وبعضها لا يضرب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التي تلقى إذا شربت وحورب عليها
 (٢) من فرسه (٣) البلع : الأرض القفر لا نبات بها ، والعرب كثيرا ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها قد خلقت وراءك ما جمعت يداك ؛ وكأن فرسه حينما فاتها نفسه ، لم تفتها غنائمه
 (٤) المَزَادَةُ : القربة التي زيد فيها جلد بين جلدين ، وضئير شربت للفرس ، وجلة قد شربت حال ؛ كأن الكلجة يمتدّر من اخلات حزيمة ، محتجا بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكُتَيْب : ما اجتمع من الرمل واحد ودب . ونفزا : نفث ؛ يقول : ما نزلنا هذا الموضع إلا لنفث من استغاث بنا ، وأورد هذا البيت المبرد في الكامل شاهداً على أن الفزع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما تبقى الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تصلى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئا إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتي بجمري عند انقطاع جريها ، والطلع : العرج ؛ يقول شربت الماء قطعها عن إبقائها ففاته حزيمة وما بينهما إلا مقدار أصبع (٧) الفُثَيان : الإتيان ، والكُريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والهوينى : الرفق والراحة .

٥- يَوْمَ ذِي طُلُوح

تَزُوجُ عَمِيرَةَ بْنِ طَارِقِ الْيَرْبُوعِيِّ مَرْيَةَ بِنْتَ جَابِرٍ ، وَأَقَامَ مَعَهَا فِي قَوْمِهَا مِنْ بَنِي عَجَلٍ^(١) بْنِ لُجَيْمٍ ، وَكَانَ مَتَزَوِّجًا قَبْلَهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ تُدْعَى بِنْتُ النَّطْفِ تَرَكَهَا فِي قَوْمِهَا . وَكَانَ لِمَرْيَةَ أَخٌ اسْمُهُ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرٍ فَأَتَاهَا يَوْمًا يَزُورُهَا ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِيرَةَ كَلَامٌ قَالَ بَعْدَهُ لِعَمِيرَةَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَغْزَوْ قَوْمَكَ وَأَتَيْكَ بَابِنَةَ النَّطْفِ ! فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةُ : مَا أَرَاكَ تَبْقَى عَلَيَّ حَتَّى تَسْلُبَنِي أَهْلِي !

وَنَدِمَ أَبِجْرُ عَلَى مَا قَالَ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ لَأَغْزَوْ قَوْمَكَ ، وَلَكِنِّي مُتَيَّاسِرٌ^(٢) فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ تَيْمٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا كُنْتَ لَتَفْعَلُ .

وَلَكِنْ لَمْ تَمْضِ مَدَّةٌ حَتَّى خَرَجَ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرٍ فَيَمُنُ تَيْمَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ^(٣) وَالْحَارِثِ ابْنِ شَرِيكِ فِي بَنِي شَيْبَانَ وَمَعَهُمُ عَمِيرَةُ بْنُ طَارِقٍ ، وَوَكَّلَ أَبِجْرُ بِعَمِيرَةَ أَخَاهُ حُرْقُصَةَ ابْنَ جَابِرٍ . فَقَالَ حُرْقُصَةُ : هَلْ تَأْذِنُ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمِلَهُمْ ؟ فَقَالَ حُرْقُصَةُ : مَا أَبَالِي أَنْ تَفْعَلَ ، فَكَّرَ عَمِيرَةُ عَلَى نَاقَتِهِ وَمَضَى . وَافْتَقَدَ النَّاسُ عَمِيرَةَ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَعَلِمَ أَبِجْرُ بِمَا وَقَعَ ، فَأَتَى أُخْتَهُ مَرْيَةَ فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : لَأَقَانَا مُضَيَّ فَوَافَقْنَا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى دَارِنَا فَلَمْ نَرَهُ بَعْدَ .

وَاسْتَحْيَا حُرْقُصَةُ أَنْ يَذْكَرَ أَمْرَهُ لِأَحَدٍ حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ الرِّجَالُ

* لَبْنِي يَرْبُوعٍ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَكْرٍ (مِنْ رَيْمَةٍ) ، وَذُو طُلُوحٍ : مَوْضِعٌ فِي حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعٍ بَيْنَ السُّكُوفَةِ وَفَيْدٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الصَّدِّ ، وَيَوْمُ أَوْدٍ - وَادٍ .

الْعَدَدُ الْقَرِيدُ ص ٤٣٣ ج ٣ ، النَّقَائِصُ ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٨٩ ج ١

(١) عَجَلُ بْنُ لُجَيْمٍ : حَيٌّ مِنْ بَكْرٍ (٢) التَّيَّاسِرُ : الْأَخْذُ فِي جِهَةِ الْيَسَارِ ، وَيَرْبُوعُ قَوْمُ عَمِيرَةَ : حَيٌّ فِي تَيْمٍ (٣) اللَّهَازِمُ : قَيْسُ وَتَيْمُ اللَّاتِ ابْنَا ثَعْلَبَةَ ، وَهَذِهِ بَنُ الْأَسَدِ ، وَعَجَلُ بْنُ لُجَيْمٍ .

من قَبَل النَّسَاء ، وأقبلوا إلى حُرْقُصَة فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال :
ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن في شك فإننا مستيقنون .
وسار عميرة يومه وليلته والغد حتى إذا لقي الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته
وعَصَبَ يديها ، ثم نام حتى إذا علاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

قال عميرة : فسمعتُ يميناً وشمالاً فإذا أنا بسواد من الليل عظيم فحسبته الجيش ،
فبتُّ أرسده أخافُ أن يأخذوني ، حتى أضاء الصبح ، فإذا خمسون ومائة نعام ، وإذا
ناقتي تَحْطِرُ قائمة قريبة مني ، فأنا غَضَبَان على نفسي . فأجدت السير يومى ذاك
حتى أَرَدَ سَفَارٌ^(١) ، فأجد منازل القوم في نِسْعَةٍ^(٢) ، فسقيتُ راحلتي ، وطعمت
من تمرٍ كان معي وشربت ، ثم ركبْتُ مُسْنَى الثائمة ، فأصبحت فإذا أنا بناس
يَملُقُونُ^(٣) السَّدر ، فتحرَّفتُ عنهم مخافة أن يأخذوني ، فناداني بعضهم : إنما نحن
صُدَّارٌ^(٤) البيت فلا تخَفْ ، فنفذتُ حتى أَصْبَحَ طَاحٌ^(٥) ، وبها جماعة بنى يربوع ،
فقلت : قد غزاكم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكُرَاعٍ وَعَدَدٍ^(٦) .

فبعث بنو رِيَّاح بن يربوع فارسين طليعة ، وبعث بنو ثعلبة^(٧) فارسين رَبيثةً^(٨)
في وَجْهِ آخر ، ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمَدٍ^(٩) طَلَح ، فكانوا كذلك
ثلاثاً ؛ ثم إنَّ فارسَ بنى ثعلبة جاء ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئاً . قال عميرة :
ما تمنيتُ الموتَ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً ، مخافة أن يكونوا
أرادوا غيرهم ؛ فيكون ما حدثتهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتي ، مخافة أن أؤخذ فيقال :
نام فأخذ .

(١) سفار : ماء لبنى تميم (٢) موضع (٣) يرعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجا
(٥) موضع (٦) الكراع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة :
بطن في يربوع (٨) الربيثة والطلبة : المياف (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما تَعَالَى النّهارُ من اليوم الثالث طلع فارساً بنى رباح ، فقالا: تركنا القومَ حين
نزلوا القَيْسُومِيَّةَ .

قال: فتَلَبَّيْنَا^(١) ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُخْتَلِفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَ^(٢) حين
غابت الشمس ، فوجدنا القومَ حين استقوا ونثروا التمر ونخففوا للغارة ، ثم
أخذوا في السير ، فاتبعناهم حتى وازى أثرهم عنا الليلُ ، واستقبلوا أسفل
ذِي طُلُوحٍ^(٣) .

قال عَمِيرَةُ : وكانت تحمى فرس ذَرِيمةَ المَنْقِ^(٤) ، فضت بي ، ففقدني عَثْوَةُ بن
أرقم ، فقال: يا بنى يربوع ! إن عَمِيرَةَ قد مضى لِيُنْذِرَ أخواله ، فقال عَتِيبَةُ^(٥) بن
الحارث : كَذَبْتَ ، ما يَنْفَسُ عَمِيرَةَ علينا النُّعْمَ وَالظُّفَرَ .

قال : فسمعتُ ما قال الرجلان ، فوقفت حتى أدركوني ، وقد خَشِيتُ لَفَطَ القومِ ،
مُخَافَةً أَنْ يُنْثَرُوا بأنفسهم ، حتى إذا كُنَّا حيث اطلَعَ الطريقُ من ذِي طُلُوحٍ وقفنا
وأمسكنا بِحِكَمَاتٍ^(٦) الخليل ؛ ثم بعثنا طليعةً أُخْرَى ، فَأَتَانَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُمْ زَوَّلُوا
بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكُنَّا حَتَّى إِذَا بَرَقَ الصُّبْحُ رَكَبْنَا ، وركب القومَ واستعدُّوا
لِلْغَارَةِ .

وقد كان أبحر حين مرّوا بِسَفَارٍ ، قال للحوفزان : تعلمُ أنّي لأُظنُّ عَمِيرَةَ قد
دَهَانَا ، وإني لأُعرفُ هذا الذَّوْى ، قال الحوفزان : ما كان لِيَفْعَلَ .

قال عَمِيرَةُ : فدفعنا الخليلَ عليهم ، وهم يريدون أَنْ يُغَيِّرُوا ، فكنتُ أَوَّلَ فارس
طلع ، فنَادَيْتُ : يَا أَبِجْر ! هَلُمَّ إِلَى ! قال : من أَنْتَ ؟ قلت : عَمِيرَةُ . قال : كَذَبْتَ !

(١) يقال للذي لبس السلاح وتشر للقتال متلب (٢) اليَنْسُوعُ : موضع في طريق البصرة
(٣) ذُو طُلُوحٍ : موضع في حزن بنى يربوع (٤) المَنْقِ : ضرب من سير الدابة والإبل ،
وفرس ذريع : سريع ببسب الخطأ (٥) كان عَتِيبَةُ رَأْسَ بنى يربوع حينئذ
(٦) الحِكَمَاتُ : جمع حِكْمَةٍ ، وهى ما أحاط بمنكى الفرس من لجأه .

فصَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ فَرَسِي ، فنزل عن فرسٍ كان مركَّباً عليها^(١) ، وعلى مُلَاءَةٍ لى
 همراء فطرحتها ، ثم جلس عليها ، وقد قال لى قبل أن يَجِيَّ : إني مركَّب . قلت :
 ففعل على ذلك ، ونحى فرسى لأبى مُلَيْل . قال : فأقبل وما يُنْظَرُ إلى ذاك .

قال : وأخذ الجيش كلهم فلم يُفَلتْ منهم أحد غير شيخ من بنى شيبان ، ثم
 أحد بنى سعد بن همام ؛ نَجَا على فرسٍ له ، وقد كان أخوه معه فأخذ ، فلما أتى الحى
 سأله بنتُ أخيه عن أبيها ، فقال الشيخ :

تسألنى هُنَيْدَةَ عَنْ أَبِيهَا وما أدري ، وما عبدت نعيم
 غداةَ عهدِهنَّ مُنْطَلَمَاتٍ^(٢) لهن بكلِّ مَحْنِيَةٍ نعيم^(٣)
 فما أدري أَجُبُّنَا كان طِبِّي أم الكُوسَى^(٤) إذ أَعَدَّ الحَزِيمَ^(٥)

وأخذ الحارث بن شريك يومئذ ؛ أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثَقِيلًا^(٦) فى
 بنى بشر ، ولم يشهدا من بنى مالك غيره ؛ فاقتصم عبد الله بن الحارث ، وعبد عمرو
 ابن سنان فى الحارث ، فقال : حكموني فى نفسى ، والله لا أخيب ذا حقٍ . فحكموه ،
 فأعطى عبد الله بن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجعل ناصيته
 لحنظلة بن بشر . فقال عبد عمرو للحارث : إن بين بنى جارية بن سليط وبين بنى
 مُرَّةَ^(٧) مُوَادَعَةٌ ، وإنه لا يحمل لى أن أرزأك شيئاً ؛ وردّها ، وأما عبد الله بن الحارث
 فكان يُسمى المائة التى أخذها منه الحُبَّاسَةُ^(٨) ، وأخذ سواده بن يزيد ، أخذه عَتَوَةٌ
 ابن أرقم ، فانتزعه حميرة بن طارق ، وأخذ عبد الله بن عَنَمَةَ الضبي ، وكان فى
 بنى شيبان ، فافتكّه متمم بن نويرة :

(١) المركب : الذى يركب فرس غيره وينزو عليه ، فأصاب على ظهره فله نصف الفئمة
 (٢) منطلمات : معددة الأعناق (٣) نعيم : شبه الزفير (٤) الكوسى : من
 الكيس (٥) الحزيم : من الحزم (٦) الثقليل : الغرب (٧) بنو جارية بن
 سليط : بطن فى يربوع ، ولهم قوم عبد عمرو ، ومرة : بطن فى شيبان قوم الحارث
 (٨) الحباسة : الفئمة .

فقال ابن عَنَمَةَ يمدح متمدماً ، ويتأفف على عميرة بن طارق بإنذاره قومه على أخواله

بني عجل :

عميرة فاق السهمُ بيني وبينه فلا يطمعن الخمر إن هو أصدداً^(١)
 فلم أرَ جاراً وابنَ أُختٍ وصاحباً تكيد منا قبيله ما تكيداً
 رأيت رجالاً لم نكن لنبيهم يباعون بالبُعْران مثنى وموحداً
 طعامهم اللحم حرامٌ عليهم ويسقون بعد الرّى شرباً مُصرّداً^(٢)
 فإن ليوبوع على الجيش منةً بحجارة نالت سويداً وأسعداً
 جزى الله ربُّ الناس عنى مُتمماً بخير الجزاء ؛ ما أعف وأمجداً
 كافي غداة الصمد حين دعوته تفرّعت حصناً لا يرّامُ مُهرّداً
 أُجبرت به أبتاؤنا ودماؤنا وشارك في إطلاقتنا وتفرّداً
 أبانهشل إني لكم غيرُ كافر ولا جاعل من دونك المال مُوصداً^(٣)

وأسر سويد بن الحوفزان ، وسعد بن فلحس الشيباني ، فقال عميرة بن طارق :

أقلّي على اللوم يأمّ خثرمّا يكنّ ذاك أدنى للصواب وأكرّمّا
 ولا تعذّليني إن رأيت معاشراً لهم نعمٌ دثّر وإن كنت مُصّرّما^(٤)
 متى ما نكنّ في الناس نحن وهمّ معاً نكن منهم أكمى جنوباً وأطمعاً
 منك الإله إن كرهت جماعتنا^(٥) بمثل أبي قرط إذا الليل أظلمّا

(١) يريد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهذا مثل ضربه لأنّ السهم لا يصلح إلا بقوفه ، وفاق السهم إذا انكسر فوقه يقول : لا يطمعن الخمر إن هو أثلّك وليكن على حذر (٢) الشرب : التصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسرام شرباً قليلاً (٣) في رواية : سرمد (٤) الدثر : الكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهي القطعة من الإبل (٥) منك الإله : مثل بلاك الله به ، وأبو قرط هنا رجل بخيل كثير المال .

إِذَا مَا رَأَى ذَوْدًا ضَيِّقًا^(١) لَمَاجِزُهُ
 يَسُوقُ الْفِرَاءَ^(٢) لَا يُحَسِّنُ غَيْرَهُ
 فَدَعَا ذَا وَلَكِنْ غَيْرُهُ قَدْ أَهَمَّنِي
 فَلَا تَأْمُرْنِي يَا بَنَ أَسْمَاءَ بِأَلِي
 بَأَنْ تَمْتَرُوا قَوْمِي وَأَجْلِسَ فِيكُمْ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَدَّ نَفِيرُهُمْ
 وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبُ وَكَأَنَّمَا
 فَكَأَفْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْهَمِّ نَاقَتِي
 فَفَرَّتْ بِجَنْبِ الزُّورِ ثَمَّتْ أَصْبَحَتْ
 كَأَنْ يَدَيْهَا إِنْ أَجَدَتْ نَجَاؤَهَا
 تَرَانِي الَّذِينَ^(٣) حَوْلَهَا وَهِيَ لُبَّهَا^(٤)
 وَمَرَّتْ عَلَى وَخْشِيهَا وَتَذَكَّرْتُ
 فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا
 لَتِيمٌ تَصَدَّى وَجْهَهُ حَيْثُ يَمَّمَا
 كَفِيحًا وَلَا جَارًا كَرِيمًا وَلَا أَبْنَمَا
 أَمِيرُهُ أَرَادَ أَنْ أَلَامَ وَأَشْنَمَا
 تُجِرُّ^(٥) الْفَتَى ذَا الطَّلَمِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 وَأَجْمَلَ عَلَيَّ ظَنًّا غَيْبٍ مُرَجَّمَا
 دَعَوْتُ نَجْبِي مُخْرِزًا وَالثَّلَمَا^(٦)
 بَرَى أَهْلَ أَوْدٍ مِنْ صُدَاءٍ وَسَلَمَمَا^(٧)
 مَخَافَةَ يَوْمِ أَنْ أَلَامَ وَأَنْدَمَا
 وَقَدْ جَاوَزَتْ بِالْأَقْحَوَانِيَاتِ مَخْرِمَا
 يَدَا مُؤُولٍ خَرَقَاءَ تُسَمِّدُ مَا تَمَامَا
 رَخِيَّ، وَلَا تَبْكِي لَشَجْوِ فِتْنَلَمَا^(٨)
 نَصِيًّا وَمَاءٍ مِنْ عُبْيَّةٍ أَسْحَمَا^(٩)
 مِنَ الْإَيْنِ وَالنَّكَرَاءِ فِي آلِ أَرْنَمَا^(١٠)

(١) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، وضيق : أنسلن ، والضنء : النسل (٢) الفراء :
 إبل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أي لا يحسن ضيقاً من ألبانها أي لا يشرب منها غيره .
 والكفيع : الذي يأتيك فجأة (٣) الإجراء : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا نظامه
 ثلثا يرضع . وذو الطلم : ذو الحزم والمقل (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا في بني
 عجل ، فلما أراد أبحر الفوز شاورهما يستعين برأيهما (٥) قناب : رجل من البراجم ،
 وكان من شاوره فلم يشرب عليه بخير ، وأهل أود : بنو يربوع ، وصداة في بلعارت بن كعب ،
 وهم لأخوتهم وعددهم فيهم ، وسلمهم من خشم ، وسلمهم في مذبح أيضاً (٦) في رواية :
 تراني اللواتي (٧) يروي : بالها (٨) أراد تألم من الألم ، وهي لفته (٩) عيبة :
 ماء لبني قيس يطن فلج ، والنصي : نبت (١٠) قرورها وقرارها واحد ، وأزمن : ابن
 هيب بن ثعلبة بن يربوع .

سَاجِسِيْهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَمَزَّهُمْ عَدُو مِنْ التَّوَمَاتِ وَالْأَمْرِ مُعْظِمًا
 حَلَفْتُ فَلَمْ تَأْتُمْ يَمِينِي لِأَتَأَرَّنُ عَدِيًّا وَنُعْمَانُ بْنُ قَيْلٍ وَأَيْهَمًا^(١)
 وَبَرَّتْ يَمِينِي إِنْ رَأَيْتَ ابْنَ فَلَحَسَ يُجَرُّ كَجَرِّ وَهْدِي^(٢) ابْنُ أَمْرَمَا
 فَأَقَلْتُ بِسَطَامٍ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وَغَادِرُنْ فِي كَرَشَاءَ لَدُنَّا مُقَوَّمًا^(٣)
 أَسْمٌ أَخَذَتْ بِمَدِّ ذَاكَ تَلُوْمَنِي مَسَائِلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا^(٤)

(١) هؤلاء قوم من بني يربوع قتلهم بنو شيبان يوم مليحة . (٢) الهدي : الجار هونا ،
 والهدي : المروس ، والهدي : الشيء يهدي (٣) جرض يريقه : غرس به وذلك إذا كان بآخر
 رمق - كرشاء : رجل (٤) ارجع إلى القائض ، فلميرة فيها قصيدة أخرى .

٦- يَوْمُ الْإِسَادِ

كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يُجبرونهم ويُجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عَيْن^(١) التمر في ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقعون انحدار بني يربوع^(٢) في الحزن^(٣) ، وكان يتشتون خفافاً^(٤) ، فإذا كان انقطاع الشتاء انحدروا إلى الحزن ، فاحتل بنو عتيبة وبنو عبید وبنو زبيد من بني سليط أول الحى حتى أسهلوا بطن مليحة^(٥) ، فطالت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديفة^(٦) بالأفاقة ، وحلت بنو عتيبة وبنو عبید روضة التمد^(٧) ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا المضبة هضبة الخصى^(٨) .

ثم بحثوا ربيبتهم فأشرف الخصى وهو في قلة الحزن ، فرأى السواد في الحديفة ، وتعرَّ إبلاً فيها غلام شاب من بني عبید بالجيش ، فعرفه بسطام بن قيس^(٩) - وكان

* لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبني يربوع ، بين الكوفة وفيد . وسى أيضاً يوم المطال ويوم الإفافة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، ولما سى يوم المطال لأنه تماثل على الرئاسة بسطام وهاني بن قيس ومفروق بن عمرو في هذا اليوم (انظر التعليق آخر اليوم)

شراء النصرانية من ٢٥٩ ، النقائض ص ٥٨٠ (طبع أوربا) ، المقد القريد ص ٣٣٧ ج ٣ ابن الأثير ص ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار هرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويلقبون الأحمال ، وأمه السقاء بنت غنم (٣) الحزن : موضع لبني يربوع كانت تربع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب (٤) في النقائض جفافاً وعبارة معجم ما استعجم : يتشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديفة من الأفاقة وبروضة التمد

(٥) مليحة : موضع في بلاد بني تميم (٦) الحيفة : موضع في قلة الحزن ، والإفافة ماء لبني يربوع (٧) روضة التمد : في بطن مليحة (٨) الخصى : موضع لبني يربوع (٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده الله ان على كسرى .

قد عرف عامة غلمان بني ثعلبة حين أمره عتيبة بن الحارث بن شهاب^(١)، فقال له
يسطام : إيه، أخبرني خبر حيك ؟ أين هم من السواد الذي بالحديقة ؟ قال : هم
بنو زيد . قال : أفهم أسيد بن حنأة قال : نعم . قال : كم هم من بيت ؟ قال :
خمسون بيتا . قال : فأين بنو عتيبة ؟ قال : نزلوا روضة التمد . قال : فأين سائر الناس
قال : مُحْتَجِزُونَ بِجُفَافٍ^(٢) .

فقال يسطام لقومه : أنطيعوني ؟ أرى لكم أن تملوا على هذا الحى الحر يد^(٣)
من بني زبيد ؟ فتصبحوا غداً غائمين سالمين . فقالوا : وما يعني بنو زبيد عنا ؟
لا يردون رحلتنا ! قال : إن السلامة إحدى النسمتين . قالوا : إن عتيبة بن الحارث بن
شهاب^(٤) قد مات . وقال مفروق بن عمرو : قد انتفع سحر^(٥) يا أبا الصباء !
وقال هاني بن قبيصة : أجبتنا !

فقال لهم : إن أسيد بن حنأة لم يكن يُظله بيت شاتياً ولا قاططاً ، بيت القفر
لا يفارق فرسه الشقراء^(٦) ، فإذا أحسّ بكم علاها فركض ، حتى يشرف مليحة ،
فينادي يال يربوع ! فيركب فيتلقأكم طعن يُنسيكم النيمة ، ولم يُبصر أحد
مصرع صاحبه ، وقد جبنتموني ، فأناتابكم ، ثم قال لهم : وستملون ما أنتم
ملاقون غداً . قالوا نُقِيلُ فَنَتَلَقُّ بني زيد ، ثم بني هبید وبني عتيبة كما تُتَلَقُّ
الكمأة ، ونبت فارسين ، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع .

فبعثوا فارسين ، فوقفا في ليلة أضحيان^(٧) ، حيث أمرا ، فلما أحست الشقراء
بوئيد الخليل^(٨) ، وقد أغاروا ثم أقبلوا ، بحثت بيدها ، فقال^(٩) أسيد في منبها ،

(١) كان عتيبة قد أسر بسطاماً يوم الفيض ، ثم فدى نفسه منه (٢) جفاف ، وتسمى جفاف
الطير : أرض لأسد وحنظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير (٣) التنحي
(٤) هو الذي كان أسر بسطاماً ، وقال هنا سخرية يسطام (٥) انتفع سحر : أى
رثك ، يقال ذلك للبيان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الهزة وضها : مقبرة (٨) بوقع حوافرها
(٩) حال في ظهر داجه حولا وأحال : وثب واستوى على ظهره ، قال في اللسان : وكلام الرب
حال على ظهره ، وأحال في ظهره

فابتدّره الفارسان ، فطمته أحدهما ، فألقى نفسه في شِقْرٍ فأخطاه ، ثم كرّ راجعا ،
حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : يا سوء صَباحك ، يا آل يربوع !
قال وديعة بن أوس : فكأنني أنظر إلى ضوء الفجر بين منسج^(١) الشقراء
واسيته ، فلم يتودّع^(٢) من أهل مُليحة أحد .

فلم يرتفع الضحا حتى تلاحقوا بقبيط الفردوس ، فقال أسيد : « لَبَثَ قَلِيلًا
تلحق الحلابُ » فقال : بسطام : « صباحُ سوءٍ لكمُ النواصبُ » .

وبعدت على ممدان وأخيه قمنب ابني عصمة ، والأحيمر ، ونهيك ، وعفان ،
ووديعة ، ودراج ، وعُمارة ، والحليس ، خيولهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا
مأخذ مالك بن نُيرة ، وصرد بن ججرة ، وقمنب بن سمير ، وجزء بن سعد ، على
الأفاقة ؛ فلما طلّموا على الثنية رأوا أم درداء السليطية عُريانة تَمْدُو ، فألقى قمنب بن
عصمة عصاة كانت فوق بيضته^(٣) عليها ، وهو على فرسه البيضاء^(٤) وقال :
ارفعوا خيولكم ؛ فالتقى الدين أخذوا بطن الأفاقة والحديقة ، والذين جاؤا من
الثنية ، فعرف بسطام الأحيمر ؛ فقال لأحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتُك
بطلاً محدوداً^(٥) ، وإنّي لأتفكك^(٦) على الموت ؛ فأعطى يديك لا تُقتل . فقال :
أبمدُ بجيّر ومالك بن حِطّان تُؤبّسني^(٧) على الحياة ، وكان الأحيمر لم يطمئن برمح
قط إلا اسكسر ؛ فلما أهوى ليطمّنه ولّى بسطام فانهزم ، وقتلت تميم جماعة من
فرسان بكر ، وأسر جماعة^(٨) ، منهم هاني بن قبيصة فقدّى نفسه ونجا .

(١) منسج العابة : ما بين العرف وموضع البد (٢) تودّع القوم : ودّع بعضهم بعضاً
(٣) البيضة : الحديد (٤) في القاموس : فرس قمنب بن عتاب (٥) رجل محدود
عن الخير : مصروف ، قال الأزهري : المحدود : المحروم (٦) همت عليه الشيء أهّمه
نفاة : إذا ضننت به ولم تحب أن يصل إليه (٧) تعرّضني (٨) راجع أسماء بعض
القتلى والأسرى نقائش ص ٨٣

وَأَلَحَّ عَلَى بَسْطَامَ فَرَسَانٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَ دَارِعًا^(١) ، وَهُوَ عَلَى ذَاتِ النَّسُوعِ^(٢) ، فَكَانَتْ إِذَا أُجِدَّتْ^(٣) لَمْ يَتَمَلَّقْ بِهَا شَيْءٌ مِنْ خِيْلِهِمْ ، فَإِذَا أَوْعَتْ^(٤) كَادُوا يُلْحَقُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَسْطَامُ نَثَلَ دِرْعَهُ^(٥) ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَرَبُوسٍ^(٦) السَّرِجِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَى بِهَا ، وَخَافَ أَنْ يُلْحَقَ فِي الْوَعْتِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَدَيْدَنَ الْقَوْمِ حَتَّى حَمَيْتَ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ وَخَافَ اللَّحَاقَ ، فَرَبَّوْا جَارَ^(٧) ضَبْعٍ فَرَمَى بِالْدَّرْعِ فِيهِ ، فَدَثَّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتَّى غَابَتْ فِي الْوَجَارِ ، فَلَمَّا خَفَّ عَنِ الْفَرَسِ امْتَنَطَتْ^(٨) فَنَاقَتِ الْطَلَبَ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَتَى قَوْمَهُ بَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ .

فَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي أَسِيدِ بْنِ حِنَاءَةَ :

لِعَمْرِي لِنِمْمَ الْحَيِّ أَسْمَعَ غُدُوَّةَ أَسِيدٍ وَقَدْ جَدَّ الصَّرَاخُ الْمُسَدِّقُ
فَأَسْمَعَ فِتْيَانًا كَيْجَنَةً عَبْقَرٍ^(٩) لَهُمْ رَيْقٌ عِنْدَ الطَّمَانِ وَمَصَدَّقِ
أَخَذَنَ بِهِ جَنْبِي أَفَاقَ وَبَطْنَهَا فَارْجَمُوا حَتَّى أَرْقَوْا^(١٠) وَأَعْتَقُوا

وَقَالَ الْمَوَّامُ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَسْطَامَ وَأَصْحَابِهِ :

إِنْ يَكُ فِي يَوْمِ النَّبِيطِ مَلَامَةٌ^(١١) فَيَوْمُ الْمُطَالَى كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا^(١٢)
أَنَاخُوا يَرِيدُونَ الصَّبَاحَ فَصَبَّحُوا وَكَانُوا عَلَى الْفَازِيزِ دَعْوَةَ أَشْأَمَا

-
- (١) يُقَالُ : رَجُلٌ دَارِعٌ ، إِذَا كَانَ عَلَيْهِ دَرْعٌ (٢) ذَاتُ النَّسُوعِ : فَرَسٌ بِسْطَامٍ
(٣) أُجِدَّتْ : سَلَكَتِ الطَّرِيقَ الْوَعْرَ (٤) أَوْعَتْ : صَارَتْ فِي الطَّرِيقِ السَّهْلَ
(٥) نَثَلَ دِرْعَهُ : أَلْقَاهَا عَنْهُ (٦) قَرَبُوسُ السَّرِجِ : حَنْوَةٌ (٧) الْوَجَارُ : جَعَرَ
مِنْ جَعَرَةٍ الضَّبِّ (٨) امْتَنَطَتْ وَأَسْرَعَتْ لَا تَلَوَّى عَلَى شَيْءٍ (٩) عَبْقَرٌ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ
كَبِيرُ الْجَنِّ يُقَالُ فِي الثَّلِّ : كَانَتْهُمْ جَنُّ عَبْقَرٍ (١٠) اسْتَرْقَ وَأَرْقَى : تَهَيَّضَ اعْتَنَاهُ .
(١١) رَوَايَةُ اللِّسَانِ - مَادَّةُ غَبَطَ وَعَظَلَ :
فَإِنْ تَكَ فِي يَوْمِ الْمُطَالَى مَلَامَةٌ فَيَوْمُ النَّبِيطِ كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا

فردتم ولم تلؤوا على مجحريك^(١) لو الحارث الحراب^(٢) يدعى لأقدما
وما يجمع الفوز السريع نفي^(٣) وإن نحرموا يوم اللقاء القنا الدما
ولو أن بسطاماً أطيع بأمره لأدى إلى الأحياء بالنحو مغمنا
ولكن مفروق القنا وابن خاله ألا ما فليما يوم ذاك وشوما
فقر أبو الصهباء إذ حمس الوعى وأتى بأبدان^(٤) السلاح وسلما
وأيقن أن الخيل إن تلتيس به تيم عرسه أو يعلل البيت مأتما
ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيداً وأزوما
أبي لك قيده بالغيظ لقاءهم ويوم المظالي إذ نجوت مكلما
فأفلت بسطام جريضا بنفسه وغادرن في كرشاء لذننا مقوما^(٥)

(١) المحبر : المضطر اللبأ (٢) جاء في تعليق على المختص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ ؟
سمي هذا اليوم يوم المظالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قيسمة وتفرق بن عمرو الشيبانيين حين
خرجوا غازين بن تميم تماطلوا على الرئاسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدي إذ عد مع هؤلاء
الثلاثة رابعا قال إنه الحوفزان ، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الغزوة بزمان ،
ومصادق ذلك قول العوام بن شاذب الشيباني يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم المظالي
لأنه فر قوم عنه :

فردتم ولم تلؤوا على مرهفكم لو الحارث المقدم فيها لأقدما
والحارث المقدم هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً في تهوله على الزخمرى في أساسه : إن تيمها هزت
بكر بن وائل ، والحق أن تيمها مغزون لا غازون ، والحق في الأساس : يوم تميم على بكر بن وائل ،
وأخطأ أيضاً كخطأ الميداني في رواية بيت العوام المذكور :

إن تك في يوم الفيظ ملامة فيوم المظالي كان أخزى وألوما
قدما التأخر وأخرا التقدم ، (وقد روى هذا البيت في اللسان كما تقدم في صفحة ١٩٤ حاشية
رقم ٢) وأخطأ السيوطي في شرح شواهد الغني فنسب شعر العوام المذكور إلى جرير .

هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من التماطلين - راجع
اللسان مادة عطل ، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدن : الفرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا
البيت لميرة بن طارق .

وقاطَ أسيراً هانيءً وكأننما مَفَارِقُ مفروقٍ تَفشِين عِنْدَما^(١)
وقال :

فَبَحَّ الإلهَ عَصَابَةً مِنْ وائلِ يَوْمِ الأُفَاقَةِ أَسْلَمُوا بِسْطَما
ورأى أبو الصَّهْبَاءِ دُونَ سَوَامِهِمْ عَرَّكَ كَأَيْسَلَى نَفْسِهِ وَزَحَامًا
كُنْتُمْ أَسْوَدًا فِي الرَّخَا فَوُجِدْتُمْ يَوْمَ الأُفَاقَةِ بِالْقَبِيضِ نَعَامًا
فلما ألحَّ المَوَامُّ فِي ذَلِكَ أَخَذَ بِسْطَامَ إِبِلَهُ فَقَالَتْ أُمُّهُ :

أَرَى كُلَّ ذِي شَعِيرٍ أَصَابَ بِشَعْرِهِ سَوَى أَنْ عَوَامًا بَمَا قَالَ عَيْلًا^(٢)
فَلَا تَنْطِقَنَّ شَعْرًا بِكُونِ حِوَارِهِ كَمَا شَعَرَ عَوَامُ أَعَامٍ^(٣) وَأَرْجُلَا

(١) الندم : شجر أحر ، وقال الأصمعي : هو صبيح ، زعم أهل البحرين أن جوارهم يختصن به
(٢) عيل : صيرهم عيالا : فقراء (٣) أعام القوم : هلكت لإبلهم فلم يجدوا لبناً .

٧- يَوْمُ الْغَبِيطِ

غزا بسطام بن قيس الشيباني والحارث بن شريك- الحوفزان، ومفروق بن عمرو، في جمع من بني شيبان بلاد بني تميم، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضبة، وثعلبة بن عدى بن فزارة، وثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فلج^(١)، فاقتتلوا؛ فهزمت الثعالب، وأصابوا فيهم، واستاقوا إبلا من نعمهم، ثم امتروا^(٢) على بني مالك^(٣)، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة، فاكتمسحوا إبلهم، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعي، وفرسان بني يربوع تأفف^(٤) الشيبانيين، ومعه من رؤساء تميم: الأحمير بن عبد الله، وأسيد بن حنادة، وأبو مرحب، وجزء بن سعد الرياحي، وربيعة والحليسي ومحمارة بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نيرة وغيرهم، فأدركوهم بغبيط المدرة؛ فقاتلهم حتى هزموهم، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم^(٥) وأنهمزموا، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث، وألح عتيبة بن الحارث، وأسيد بن حنادة، والأحمير ابن عبد الله على بسطام بن قيس، وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين، فوقعت يد فرسه في ثبرة^(٦)، وتقدم بسطام وجمل يلتفت هل يرى عتيبة؟ وقد صار في

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم)، والنبيط، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، ويسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

النقائض ص ٧٥، ١١٣٢ طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١، المقصد الفريد ص ٣٣٨ ج ٢

(١) واد لبني العنبر بن عمرو بن تميم، يقع أول الدهناء (٢) اقتتلوا من الروا

(٣) ثم بنو مالك بن زيد مناة من تميم (٤) تأفف: يريد تلعبهم وتحوطهم مثل تأفف

الأنافي الرماد (٥) آبال ولابل بمعنى واحد (٦) هي الوحدة تكون في الأرض كالخفرة.

أَفْوَاهُ^(١) الْغُبُط ، فَلَحِقَ عَتِيبَةُ بِسَطَامًا ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَأْذِنْ يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ . فَقَالَ لَهُ :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَتِيبَةُ ، وَأَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْمَطَشِ ؛ فَاسْتَأْذَرَ .
أَمَّا الْأَحْمِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ كَانَ مَحْدُودًا^(٢) ، فَكَانَ فَارِسًا ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَلَا
حِفْظَ لَهُ فِي ظَفَرٍ .

وَلَمَّا أَسْرَ عَتِيبَةُ بِسَطَامًا نَادَى بَنُو شَيْبَانَ بِجَادَا - أَخَا بِسَطَامٍ - كُرًّا عَلَى أَخِيكَ ،
وَهُمْ يَرْجُونَ إِذَا أَبْصَوْهُ^(٣) أَنْ يَكُرُّ فَيَأْخُذُوا بِهِ ؛ فَتَنَادَى بِسَطَامُ أَخَاهُ إِنَّ كُرْرًا يَجْجِدُ
فَأَنَا حَنِيفٌ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَلَحِقَ بِجَادَا بِقَوْمِهِ .

فَقَالَتِ بَنُو ثَمَلَةَ : يَا أَبَا حَرْزَةَ - عَتِيبَةُ - إِنَّ أَبَا مَرْحَبٍ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ أَسْرَتْ
بِسَطَامًا ، وَهُوَ قَاتِلُ بَلِيلٍ وَبَجِيرُ ابْنِ أَبِي مَلِيلٍ ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانٍ يَوْمَ قُشَاوَةِ فَاقْتُلْهُ .
قَالَ : إِنِّي مُعِيلٌ ، وَأَنَا أَحِبُّ اللَّيْنَ^(٤) . قَالُوا : إِنَّكَ لَتُفَادِيهِ وَتَحْلَى عَنْهُ فَيَمُودُ
فَيَحْرُبُنَا^(٥) ، فَأَبَى . فَقَالَ بِسَطَامُ : بِاعْتِيبَةَ ؛ إِنَّ بَنِي عُبَيْدٍ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ وَأَعَزُّ ،
وَقَدْ قَتَلَ أَبُو مَرْحَبٍ ، وَلَهُ فِي بَنِي عُبَيْدٍ أَثَرُ بَيْتِيسَ^(٦) ، وَهُمْ آخِذُونَ بِكَ ، وَلَنْ تَقْدِرَ
بَنُو جَعْفَرٍ عَلَى أَنْ يَنْمُونِي مِنْهُمْ ، وَأَنَا مَعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةً عَيْنَيْنِ^(٧) ؛ فَقَالَ : لَا جَرَمَ !
وَاللَّهِ لَأَضَعَنَّكَ فِي أَعَزِّ بَيْتَيْنِ مِنْ مُضَرَ : فِي بَنِي جَعْفَرٍ بَنِي كَلَابٍ ، أَوْ فِي بَنِي عَمْرِو
ابْنِ جَنْدَبٍ ؛ فَاخْتَارَ بِسَطَامُ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَتَحَمَّلَ عَتِيبَةُ بِأَهْلِهِ وَبِهِ قَاصِدًا بَنِي عَامِرٍ بَنِ
صَمْعَةَ ، لَثَلَا يُوْخِذُ فَيُقْتَلُ^(٨) حَتَّى لَحِقَ بِالشَّرْبَةِ^(٩) بَيْنَ جَعْفَرٍ فَتَزَلَّ بِهِ .

(١) هِيَ مَسَائِلُ الْبِيَاهِ (٢) الْمَحْدُودُ : الْمَنْعُ مِنَ الْخَيْرِ (٣) الْأَبْسُ وَالنَّائِبِسُ :
أَنْ يَمِيرَهُ حَتَّى يَضْطَرَّ فَيَأْتِي مِنَ التَّصِيرِ فَيَرْجِعُ فَيُؤْسِرُ (٤) اللَّيْنُ : جَمْعُ لَوْنَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ ذَاتُ
الْبَيْنِ (٥) يَحْرُبُنَا : مِثْلُ يَطْلُبُنَا يَأْخُذُ أَمْوَالَنَا وَيَتْرَكُنَا بِلَا شَيْءٍ (٦) بَيْتِيسَ : شَدِيدُ
(٧) يُقَالُ أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةً عَيْنَيْنِ : أَيُّ مَا يَذْهَبُ فِيهِ الْبَصَرُ مَرَّةً هُنَا وَمَرَّةً هُنَا ، فَتَافِرُ
الْعَيْنِ : مَا يَمْلَأُهَا مِنَ الْمَالِ حَتَّى كَادَ يَمُورُهَا (٨) لَمَّا قَصَدَ بَنِي عَامِرٍ لِأَنَّ عَمَّتَهُ خَوْلَةَ بِنْتِ شِهَابٍ
كَانَتْ مَتْرُوجَةً فِيهِمْ (٩) يُقَالُ لِكُلِّ نَحْيَةٍ مِنَ الشَّجَرِ شَرْبَةٍ ، وَجَعْفَرُ بَطْنٌ فِي عَامِرٍ .

فلما توسَّط بسطام بيوت بني جعفر قال : واشيئانه ! ولا شيئانه لي ! فبحث إليه عامرُ بن الطفيل إن استطعت أن تلجأَ إلى قُبَّتِي فافعل ، فإنِّي سأمنعُك ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرَّكِيَّةِ^(١) التي خلف بيوتنا .

فأتت أمَّ حمَل^(٢) عتيبة ، فخبَّرتَه بما كان من أمر عامر ، فأمر عتيبة بيته فقوَّض وركب فرسه ، وأخذ سِلَاحَه ، ثم أتى مجلس بني جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، غيَّاهم ، ثم قال : يا عامر ؛ إنه قد بلغني الذي أرسلتَ به إلى بسطام ، فأنا نُخَيِّرُكَ فيه خِصَالاً ؛ فاخترْ أتيهنَّ شئتَ . قال عامر : ماهنَّ يا أبا حَرْزَةَ ؟ قال : إن شئتَ فأعطيني خِلْمَتَكَ^(٣) وخِلْمَةَ أهل بيتك حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلْمَتُكَ وخِلْمَةُ أهل بيتك بشرٍّ من خِلْمَةِ أهل بيته ، فقال عامر : هذا ما لا سبيلَ إليه . فقال عتيبة : فضغ رِجْلَكَ مكان رجله فليستَ عندي بشرٍّ منه . فقال عامر : ما كنتُ لأفعل . فقال عتيبة : فأخرى هي أهونهن . فقال عامر : ما هي ؟ قال عتيبة : تبغني إذا جاوزتُ هذه الراية فتقارِعي عن الموت ، فأما لي وإِمامي عليٌّ . فقال عامر : تيك أُنفضهنَّ إلىَّ .

فانصرف عتيبة إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لقي بعض الطريق إذ فطر بسطام إلى مركب أم عتيبة فقال : يا عَتِيبَةَ ؛ أهذا مركبُ أمك ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قطَّ مركبَ أمِّ سيِّدٍ مثل هذا ! إن حِدَجَ^(٤) أمك لَرَثَ ! قال عتيبة : ألك إرث ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أما والللات والعُزَّى ؛ لا أطلقك حتى تأتيني أمُّك بكل شيءٍ ورثك قيس^(٥) بن مسمود ويحمِّلها وحِذْجها^(٦) .

(١) الركي : جمع ركية ، وهي البئر (٢) أم حمَل : هي نابعة كانت له من الجن (٣) خِلْمَتُهُ : ماله ينخلع عنه (٤) الحِدَج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام (٦) كان حِدَج أم بسطام كبيراً فآثمن كثير ، وهذا الذي أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله .

فأنته أمٌ بسطام على جلها وحِجها وبِلا ثَمَّة بغير^(١) ، وفدى نفسه بها على أن
يجزّ ناصيته ويأهده ألا يفزو بنى شهاب^(٢) ، فقال عتيبة في أسره :
أبلغ سراة بنى شيبان مألُكَةً أنى أبأتُ^(٣) بعبدِ اللهِ بسطاما
إن تُحرِّزوه بذي قارٍ فذاقنهُ^(٤) فقد هبطتُ به يدياً وأعلاما
قَاطَ^(٥) الشَّرْبَةَ في قيْدٍ وسلسلَةٍ صوتُ الحديدِ يُغْنِيهِ إذا قاما

(١) لم يكن عرب أغلى من بسطام فداء
لاخلص بسطام من الأسر أذكي الميون على عتيبة وإبله فغادت إليه عيونته فأخبروه أنها على أراب ،
فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، ومالهم معها (٣) أبأته من البواء : وهو أن يقتل الرجل
بين قتل (٤) ذو قار وذات قنة : موضحان (٥) قاط بموضع كذا : أقام زمن القبط فيه .

٨- يَوْمُ قِشَاوَةِ

خرج بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ غَازِيًا لِبَنِي يَرْبُوعَ، حَتَّى اطْرَدَ نَعْمًا لِرَجَائِنَ مِنْ بَنِي سَلَيْطَ^(١)،
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَعِيرٌ وَلِلْآخَرِ حُجَيْرٌ، وَهَما مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ، فَأَتَى الصَّرِيخُ^(٢) بَنِي
عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَمَلَةَ - وَكَانُوا أَدْنَى النَّاسِ مِنْهُمْ .
فَرَكِبَ سَبْعَةً فَوَارِسَ مِنْ بَنِي عَاصِمٍ فِيهِمْ يُجَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَالْأَحْمِرُ - حَرِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ؛ وَخَرَجَ مَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ
بَنِي سَلَيْطَ، حَتَّى أَدْرَكُوا الْقَوْمَ .

فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى جَيْشِ بِسْطَامٍ هَابُوا أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ:
يَا بَنِي يَرْبُوعَ؛ إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهَذَا الْجَيْشِ إِلَّا بِمِثْلِهِ، فَأَرْسِلُوا بِجِيرًا يَسْتَصْرِخُ
لَكُمْ - وَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ بِذَلِكَ غَافَةٌ عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ؛ فَقَالَ بِجِيرٌ: لَا وَاللَّهِ لَا ذَهَبُ
صَرِيحًا بَعْدَ أَنْ عَايَنْتُ الْقَوْمَ . فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لابْنِ عَمِّهِ: اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَحْمِرُ! فَقَالَ:
لَا، وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، فَقَالَ لِمَالِكِ بْنِ حِطَّانَ: فَادْهَبْ أَنْتَ صَرِيحًا. فَقَالَ: وَأَنَا لَا أَذْهَبُ.
فَقَالَ لَهُمْ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ: فَأَعْطُونِي قَوْلًا أَتَقْبَلُ بِهِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ؛ لَتَضْمِيطُنَّ لِي أَنْفُسَكُمْ،
وَلَا تُقَدِّمُوا عَلَى الْجَيْشِ حَتَّى آتِيَكُمْ؛ ففعلوا .

وَذَهَبَ مُلَيْلُ صَرِيحًا، فَلَمَّا سَارَ نَظَرَ إِلَيْهِ بِسْطَامُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: ذَلِكَ الَّذِي يَرْكُضُ
سَيَجْلِبُ عَلَيْكُمْ شَرًّا، فَانْظُرُوا أَنْ تَفَرَّغُوا مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ النَّاسُ؛

* لِثِيَّانَ (مِنْ بَكْرٍ) عَلَى يَرْبُوعَ (مِنْ تَيْمٍ) وَقِشَاوَةُ : مَوْضِعٌ قَالَ عَنْهُ يَاقُوتُ : كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ
لِبَنِي شَيْبَانَ عَلَى يَرْبُوعَ، وَهُوَ يَوْمُ نَفَقِ قِشَاوَةِ .

معجم البلدان ص ٩٢ ج ٧، النفاث ص ١٩ طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٤ ج ١

(١) سَلَيْطَ : فِي يَرْبُوعَ (٢) الصَّرِيخُ : الْمُسْتَفِيتُ .

فبرز بسطام في فرسانٍ من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فكلّمه بجبر ، فقال له بسطام : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا بجير بن عبد الله بن الحارث . فقال : يا بجير ؛ ألم تكن تزعم أنك فتى يربوع وفارسها ؟ قال : بلى ! وأنا الآن أزعّمه ، فابزّز لي ؛ فأبى أن يبرز له بسطام ، وقال : ما أظنّ نسوة بني يربوع يظنّ بك هذا الظن وأنّ تُخجِم عن الكتّبة حين رأيتها ، ثم قال لصاحبيه أحيمر ومالك مثل ذلك .

فلم يزل يشحذهم ويحفّضهم كيداً منه وخديمة حتى حملوا على أفراسهم وسط القوم ؛ فأما بجير فلقبه الملبّد بن مسعود - عم بسطام - فاعتنق كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، فوقما إلى الأرض عِكمى^(١) عير ؛ فاعتلاه بجير . فلما خشي الملبّد أن يظهر عليه بجير نادى رجلاً من بني شيان يقال له لُقَيْم بن أوس : يا لُقَيْم ؛ أغثنى ، فقد قتلني اليربوعي ؛ قال إليه لُقَيْم فضربه على رأسه فقتله . وخرّق أحيمر بالقنا ، وترك مطروحاً ، فظنّوا أنهم قد قتلوه . وضرب مالك بن حِطّان فأّم فماش مأموماً^(٢) سنة ، ثم مات من آتته ، وانهزمت بنو سليط .

فلما انهزموا قال بسطام : يا بني شيان ؛ أيسرّكم أن تأمروا أباميل ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أول فارس يطلّع عليكم الساعة ؛ أتاه مليل فأخبره خبرنا ، وخبر ابنه ، فلم ينتظر الناس ؛ فليتحلف مئى منكم فوارسٌ فإنكم ستجدونه مكباً على بجير حين عابَ جيفته .

فكمن له بسطام في عشرة فوارس قريباً من مصرع أصحابه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى طلع عليهم على فرسه بأماء .

فلما عابَ بجير أنزل فأكبّ على جيفته يُقبّله ويحتضنه ؛ وأقبل بسطام ومن

(١) يقال : وقع المصطرعان عكى عير ، وككى عير ، وقامالم بصرع أحدهما صاحبه

(٢) المأموم : الذى أصيب في أم رأسه ، وأم الرأس : الصمغ ، أو الجلدة الرقيقة التى عليها .

كان معه يركضون ، حتى أتوه ، فوجدوه مكباً عليه ، وبلغاً يملك لجأته واقفاً ،
فأسروه وأخذوا فرسه .

فلما صار في يدي بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك . قال : قد
قتلت ابني ، ووددت أني مكانه ، أما إن طعامك عليّ حرام ما دمت في يدك ،
فكان أبو مليل يؤتى بالطعام فيبيت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ،
فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جهد ؛ فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لأخيه بسطام :
إني لا آمن أن يموت أسيرك . هذا في يدك هزلاً^(١) ، فتسبك به العرب ،
فيمه نفسه .

فأنابه ، وهو مجهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أشتري مني نفسك ؛ قال أبو مليل :
نعم . قال : بكم ؛ قال أبو مليل : بمائة من الإبل ، فإن لك مائة بدم بجير ، قال :
تلاذي أحب من تلاذك والدم لك . فخانني أذهب ، فخلأه بسطام بغير فداء ،
وأخلفه إلا يقب^(٢) ، وألاً يتبمه بدم ابنه بجير ، ولا يفيقه عائلة ، ولا يدل له
على عورة ، ولا ينير عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جز ناصيته ، فرجع
إلى قومه ، وأراد الغدر ببسطام ، ولما علم بسطام خذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متمم^(٣) بن نويرة :

أبلغ أبا قيس إذا ما لقيته نامة أدنى داره فظلم
بأننا ذوو جد وأن قبيلكم بني خالد لو تملون كريم
وأن الذي آلى لكم في بيوتكم بمقسمة لو تملون أنيم^(٤)

(١) المزمل : المزمل (٢) أي لا يزوم ثانية (٣) مالك بن نويرة في رواية مسجم
الجهان (٤) إن الذي حلف ألا يقب عليكم سيحنت ، ولا بد أن يزومك ثانية .

هو الفاجع النسي سراً صديقه وذو طلب يوم اللقاء غشوم
فَهَجُمُ أَيْمَانًا وَنُبْكَى نُسِيَّةً يَفْسُوتَنَا يَوْمًا لَهْنٌ نَجِيمٌ^(١)
كَأَنَّ بُجَيْرًا لَمْ يَقُلْ لِي مَا تَرَى مِنْ الْأَمْزَأَوْ يَنْظُرُ بَوَجْهِ قَسِيمٍ^(٢)
وَلَوْ شِئْتَ نَجَاكَ الْكُمَيْتُ وَلَمْ تَكُنْ كَأَنَّكَ نَصَبٌ لِلرَّجَالِ رَجِيمٌ^(٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ أَدْرَكَ تُبَيْمًا وَمَنْ بَمَدَّ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
مِالْمُبِيدِ حِلْفَةً إِنْ خَيْرَ كَمْ بِجُزْرَةٍ بَيْنَ الْوَعَسَتَيْنِ مُقِيمٍ^(٤)
غَدَرْتُمْ وَلَمْ تَرْبِعْ عَلَيْهِ رَكَابُكُمْ كَأَنَّكُمْ لَمْ تُفَجِّعُوا بِعَظِيمٍ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِيَمِ فَرَجَعْتُ وَهَلْ تَنْفَعُنِي نَظَرَةٌ وَشِيمٍ^(٥)
أَطَافٌ فَسَافَتْ^(٦) عَادَتْ فَرَجَعْتُ أَلَا لَيْسَ عَنْهَا سَجَرُهَا بِصَرِيمٍ

وقال مالك بن حطان - وهو في المركة قبل أن يموت -

لمرى لقد أقدمتُ مُقَدِّمُ حَارِدٍ وَلَكِنْ أَقْرَانُ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ^(٧)
ولو شهدتنى من عُبَيْدٍ عَصَابَةٌ حَمَاءٌ نَحَاضُوا الْمَوْتَ حَيْثُ أَنَا زِلُ
بِكُلِّ لَذِيذٍ لَمْ يَخْنَهُ تِقَافُهُ^(٨) وَعَضْبٍ حُسَامٍ أَخْلَصْتَهُ الصِّيَاقِلُ

- (١) النعيم : البكاء ، والتعجب (٢) هنا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسم :
الجميل والاسم منه القسامة (٣) الرجيم : الرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع
وجزرة من أرض السكرة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذى وعته
السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التى نحر ولدها فجاءت تشبه وترأه ، وهل ينفعها ذلك
فكذلك أنا لا أسكن حتى أثار به (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها :
خنيها ، يقول : ليس خنيها بمنصرم (٧) الأقران : الأعوان ، الواحد قرن ، والظهر : هو
الناصر (٨) الثقاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذُنُبُنَا أَنَا لَقِينَا قَبِيلَةً إِذَا وَآكَلَتْ فُرْسَانُنَا لَا تُؤَاكِلُ
يساقوننا كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَهَرَدَ عَنَّا الْمُقْرِفُونَ الْحَنَّاكِلُ^(١)
فَلَيْتَ سَمِيرًا كَانَ حَيْضًا بِرِجْلِهَا وَلَيْتَ حُجَيْرًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَائِلُ^(٢)
وَلَيْتَهُمْ لَمْ يَرْكَبُوا فِي رُكُوبِنَا^(٣) وَلَيْتَ سَلِيطًا دُونَهَا كَانَ عَائِلُ
فَا بَيْنَ مَنْ هَابَ النِّيَّةَ مِنْكُمْ وَلَا يَبْنُو إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ

(١) الحناكل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرد : فر (٢) إذا مات الصبي في الرحم : قبل غرقه القوائيل (٣) ركوب : جمع ركب . وعائل : واد يلاذ بهي .

٩- يَوْمُ زَبَالَةَ

خرج أبو جُمَل أخو بني عمرو^(١) بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس^(٢) في ناس من تميم ، فرأَسُوا عليهم الأقرع ، فأغاروا على بكر بن وائل ؛ فلقوهم بِزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأسرهما بنو تيم الله^(٣) ، وأما أبو جُمَل فأخذه عمران بن مُرة بن هند .

ثم لقي بنو تيم الله بني شيان^(٤) ، ومعه بنو رِبَاب ، فانتزع بسطام^(٥) بن قيس رئيس بني شيان الأقرع وأخاه منهم ، فاختموا فيهما ، فحكّما عمران بن مرة ، فحكم لبني رِبَاب على بسطام بمائة ، وجمل الأسيرين لبسطام .

وافْتَدَى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهداً على إرسال الفداء فأطامقهما ، فبَعْدًا ولم يرسل شيئا .

وكان في الأسرى إنسان من بني يربوع ، فسمّيه بسطام بن قيس في الليل يقول .

فَدَى بوالدٍ عَلَى شَفِيقَةٍ فَكَأَنَّهُا حَرَضٌ عَلَى الْأَسْقَامِ^(٦)
لَوْ أَنَّهُا عَلِمَتْ فَيَسْكُنُ جَأْشُهَا أَنِّي سَقَطْتُ عَلَى الْفَتَى الْمَنَامِ
إِنِّ الَّذِي تَرْجِيهِ ثُمَّ إِيَابَهُ سَقَطَ الْمَشَاءُ^(٧) بِهِ عَلَى بَسْطَامِ

* لحيان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة

التقائض ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء النصرانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : يسيان الأقرعين

وهما من بني مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيان : من بكر أيضاً

(٥) بسطام بن قيس الشيباني : فارس بكر ، وضرب به المثل في القروسية ، فيقال : أفرس

من بسطام (٦) أي ذات حرض (لسان - مادة حرض)

(٧) يقال : سقط المشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر التافه فيقع في هلكة ،

وأصله أن دابة طلبت انشاء فهجمت على أسد .

سقط المشاء به على مُتَنَعَمٍ سَمَحَ اليدين مُكَوِّدِ الإِقْدَامِ
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يُخْبِرُ أُمَّكَ عَنْكَ غَيْرُكَ وَأُطْلِقَهُ .
وقال أوس بن حجر^(١) في ذلك :

وَصَبَّحْنَا عَارِ طَوِيلٍ بِنَاؤُهُ نُسِبَ بِهِ مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ كَوَكَبٍ
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بِأَكْيَا وَوَجْهًا تُرَى فِيهِ الْكَآبَةُ تُجَنَّبُ
أَصَابُوا الْبُرُوكَ^(٢) وَابْنُ حَابِسٍ عَنُودٌ فَظَلَّ لَهُمُ بِالْقَاعِ يَوْمَ عَصَبَنْصَبٍ
وَلِنْ أَبَا الصَّهْبَاءِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ إِذَا مَا أَزُودَتْ الْأَبْطَالُ لَيْتَ مَجْرَبٍ

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر في الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بني تميم.
(٢) البروك والبرك جمع برك ، والبرك : جماعة الإبل البركة .

١- يَوْمِ مَبَايِضَ

كان الفرسان إذا كانت أيامُ عكاظ في الشهر الحرام ، وأمين بمضئهم بمضئاً ،
تَقَنَّمُوا حتى لا يُعَرَّفُوا ، وكان طريف بن تميم العنبري رجلاً جسيماً ، وهو فارسُ قومه
لا يتقنع كما يتقنعون ؛ فوافى عكاظ^(١) . وكان قد قتلَ شراحيل^(٢) الشيباني ؛
وجاء حصيصة^(٣) بن شراحيل - وهو شابٌ قوى شجاع بطوف بالبيت . فقال : أروني
طريقاً ، فأروهُ إياه ، فجعل كلما مرَّ به تأمله ونظر إليه ، ففطن طريف ، وقال : لِمَ
تَشُدُّ نظركَ إليّ ؟ قال حصيصة : أريد أن أثبتَكَ^(٤) ، لعلِّي أن ألقاك في جيش
فأقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تحيل الحولَ حتى ألقاه ، ودعا حصيصة مثله ،
فقال طريف :

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُم يَتَوَسَّمُ^(٥)
فَتَوَسَّمُونِي إِنْ نِيَّ أَنَا ذَلِكَ شَاكِيَ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُتَمَلِّمٌ
حَوْلِي فَوَارِسُ مِنْ أَسِيدٍ شَجَعَةٍ وَإِذَا نَزَلْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٦)

* الشيبان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بني تميم
ابن الأنبر ص ٣٦٨ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسان
العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم - مبايض
(١) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين
يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتماكطون ويتناشدون الشعر (٢) من بني ربيعة من ذهل
ابن شيبان (٣) في معجم ما استعجم : اسمه حصيصة (بفتح الحاء والميم) ، وقيل إن القتي
قله : حميصة (بالميم) بن جندل بن قتادة الشيباني (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة :
بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : التفرس (٦) في رواية :
حول فواس من أسيد جة وبني المهجم وحول بيتي خضم
وأسيد والمهجم : قبيلتان في عمرو بن تميم ، والحضم (وزن بقم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم ،
وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الحضم ، وهو المضع بالأخراس (لسان
العرب مادة خضم ، شجع) وشجعة : شجبان .

تَحْتِ الْأَعْرُ وفوقِ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغَفُ تَرْدُ السَّيْفِ، وَهُوَ مُثْلَمٌ^(١)

فَضَى لَدَيْكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَائِدَةَ - حُلَفَاءَ بَنِي رَيْمَةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ - خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَصِيدَانِ ، فَمَرَضَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ ، فَذَعَرَ عَلَيْهِمَا صَيْدَهُمَا ، فَوُثِبَا عَلَيْهِ فَقَتَلَاهُ ؛ فَتَارَتْ بَنُو مُرَّةَ ، يَرِيدُونَ قَتْلَهُمَا ، فَأَبَتْ بَنُو رَيْمَةَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ هَانِيُ بْنُ مَسْمُودٍ -رئيس رَيْمَةَ- لِقَوْمِهِ : يَا بَنِي رَيْمَةَ ؛ إِنَّ إِخْوَتَكُمْ قَدْ أَرَادُوا ظُلْمَكُمْ ، فَأَنَامُوا^(٢) عَنْهُمْ ، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَعَاقَمَ الشَّرُّ بَيْنَنَا ، ثُمَّ أَرْتَحِلْ بِهِمْ وَزُلُوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مُبَايُضُ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ أَشْهُرًا .

وَأَبَقَ^(٣) عَبْدُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي رَيْمَةَ ، فَسَارَ إِلَى بَنِي تَيْمِمْ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ حَيًّا جَدِيدًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ نَزُولٌ عَلَى مُبَايُضُ ، فَقَالَ طَرِيفُ الْعَنْبَرِيِّ : هَؤُلَاءِ تَأْرَى يَا آلَ تَيْمِمْ ، إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةٌ^(٤) رَأْسٌ ؛ وَأَرْسَلُ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا حَيٌّ مَفْغَرٌ ، وَإِنْ اسْطَلَمْتُمُوهُمْ أَوْهَنْتُمْ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ .

فاجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء^(٥) ، فَلَمَّا قَارَبُوا بَنِي رَيْمَةَ بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ ، فَاسْتَعْدَدُوا لِلْقِتَالِ ، وَخَطَبَهُمُ هَانِيُ بْنُ مَسْمُودٍ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَقَالَ : إِذَا أَتَوْكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْحَاذُوا عَنْهُمْ ، فَإِذَا اسْتَفْلَوْا بِالنَّهْبِ فَعُودُوا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّكُمْ تُصِيبُونَ مِنْهُمْ حَاجَتَكُمْ .

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسنة السلاسل .
(٢) لسان العرب - مادة زغف (٢) أناموا : انفصلوا (٣) الأياق : هرب السيد وذهاهم من غير خوف ولا كد عمل (٤) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد
(٥) أبو الجداء الطهوى على بنى حنظلة ، وابن فذكى النقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم على بنى عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو نعيم ، والقوم حذّرون ، قد أقاموا على عِلْمٍ مُبَايَضٍ ، وشرّقوا
بالأموال والترح (١) ، فقال لهم طريف : أطيعوني ، وافرغوا من هذه الأكلب
يَصِفُ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُمْ ، فقال له أبو الجداء - رئيس بني حنظلة ، وقد كَيَّ رئيس
بني سَعْد : أَتُقَاتِلُ أَكْلَبًا أُخْرَزُوا نفوسهم ، وتترك أموالهم ؟ ما هذا برأى !
وَأَيُّوا عليه .

وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؛ ولحقت نعيم بالنعم والبنال ؛
فأغاروا عليها ، ومَرَّ رجل منهم بِابْنِ لَهَانِي بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حَسْبِي
هذا من الغنيمة ، وسار به .

وبقيت نعيم مع الغنيمة والسبي ؛ فعادت شيان عليهم فهزموهم وقتلُوهم وأسروهم
كيف شاءوا ، ولم تُصَبِّ نعيمُ بمثلها ، لم يُفَلِّتْ منهم إلا القليل ، ولم يَلِوْ أَحَدٌ على أَحَدٍ ،
وانهزم طريف فاتبعه حصيصة فقتله ، واستردّت شيان الأهل والمال ، وأخذوا
مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنة يمانية بغير ؛ فقال بعضُ شيان
في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دَعْوَةَ جاهل غرَّ وأنت بمنظر لا تعلم (٢)
وأنت حيًّا في الحروب علّمهم والجيش باسم أبيهم يُستقدم (٣)
فوجدت قوماً يمنعون ذمارهم بُسْلاً إذا هاب الفوارس أقدموا
وإذا دعوا بيني ربيعة شتموا بكتيبة مثل النجوم تُعلم

(١) السرح : المال الراعي (٢) في رواية :

* سفها وأنت بعمل قد تعلم *

(٣) في رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجلوا يقرّاهم
وحمّوا ذِمَارَ أبيهم أن يُشتموا
ساموكِ درْعَكَ والأغرَّ كليهما
وقال عمرو بن سواد يرثي طريفاً :

لا تَبْعِدَنَّ يا خَيْرَ عَمْرُو بْنِ جَنْدُبٍ
لعمري لمن زارَ القُبُورَ لِيَبْعُدَا
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ لا مُتَمَبِّسٌ
ولا مُؤَيِّسًا مِنْهَا إِذَا هُوَ أَوْقَدَا

١١ - يَوْمُ الذُّورَيْنِ

كانت بكر بن وائل تَنْتَجِعُ أَرْضَ تميم في الجاهلية ؛ ترعى بها إذا أُجْدَبُوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عَوْرَةَ يُصِيبُونَهَا ، ولا شيئاً يَظْفَرُونَ به إلا اِكْتَسَحَوْهُ ، ثم تفاقم الشرُّ بينهما وعَظُمَ حتى صار لا يَلْقَى بَكْرِيٌّ تَمِيمِيًّا إلا قَتَلَهُ ، ولا يلقى تَمِيمِيٌّ بَكْرِيًّا إلا قَتَلَهُ .

فَقَالَتْ بنو تميم : اِئْتَمُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ رَعَى أَرْضَكُمْ . فَحَشَدَتْ تَمِيمٌ وَحَشَدَتْ بَكْرٌ وَاجْتَمَعَتْ ، ولم يتخلف منهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيبان ، وكان غازياً في بني دام .

فَقَدِمَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ بْنُ مَسْمُودٍ الشَّيْبَانِي (١) ؛ فَحَسَدَهُ سَائِرُ رِيعَةٍ عَلَى الرِّيَاسَةِ وَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا مَفْرُوقَ ؛ إِنَّا قَدْ زَحَفْنَا لَتَمِيمَ ، وَزَحَفُوا لَنَا أَكْثَرَ مَا كُنَّا وَكَانُوا قَطْ . قَالَ : فَمَا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نَرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ كُلَّ حَيٍّ عَلَى حَيِّالِهِ ، وَنَجْعَلَ عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنْهُمْ ، فَتَعْرِفَ غَنَاءَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ لاجْتِهَادِ النَّاسِ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَبْغِضُ الْخِلَافَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَفْرُوقٌ (٢) فَيَنْظُرُ فِيمَا قَلِمَ .

فَلَمَّا جَاءَ مَفْرُوقٌ شَاوَرَهُ أَبُوهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ هَذَا أَرَادُوا ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَجْعَدُوكَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَحَسَدُوكَ عَلَى رِيَاسَتِكَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتَ الْقَوْمَ فَظَفَرْتَ لَا يَزَالُ الْفَضْلُ لَنَا بِذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَا تَزَالُ لَنَا رِيَاسَةٌ تُعْرَفُ بِهَا . فَقَالَ

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بمران ، قال أبو عبيدة : وما بكران بجلان قد قبدوها وقالوا : هذان زوراناً أي إلھانا . كما سيأتى ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزورين .
القد التريد من ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير من ٣٦٨ ج ١ ، لسان العرب (زور)
(١) كان يكنى بأبي مفروق ويلقب بالأصم (٢) مفروق هو ابن عمرو .

عمرو : يا قوم ؛ قد استشرت مفروقًا ، فرأيتُه مخالفًا لكم ، ولستُ مخالفًا رأيَه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم يبعيرين مجللين مقرونين مقيدين ، وتركوهما بين الصّفين معقولين ، وسمّوهما زورين^(١) وقالوا : لا نُؤلّي حتى يؤلّي هذان البعيران .

فأخبرت بكرٌ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زوركم ، وبرك بين الصّفين ، وقال : قاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأسرت بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة ابن حراث ، حتى لحق الفارس الذي أسرّ أباه فطعمه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه . ثم استمرّ القتل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرٌ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزورين فنحروا أحدهما فأكلوه ، وافتحلوا^(٢) الآخر وكان نجيباً . واجترفت بكرٌ أموالهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان - الحارث بن شريك - إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميع ما خلفوه ، وعاد إلى أصحابه سالماً ؛ وقال الأعشى في ذلك :

يا سلمُ إن تسألني عنا فلا كُشف عند اللقاء ، ولَسْنَا بالمقاريف^(٣)
نحن الذين هزَمْنَا يوم صَبَحْنَا جيش الزُّورِينِ في جمعِ الأحاليف
ظَلُّوا وظَلَّتْ تَكَرُّ الحِمِلُ وَسَطَهُم بالشيب منا وبالرُّدِّ القطاريف
تستأنفُ الشَّرَفَ الأعلى بأعينها لمع الصُّفُورِ علَتْ فوق الأظاليف^(٤)
انسلَّ عنها نَسِيلُ الصَّيْفِ فأنجرت تحت الآبُونِ مُتُونٌ كالزَّحَاليف^(٥)

(١) الزوران : مشى الزور ، وهو كل شيء يتخذ ربا ، ويمد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبي عبيدة : وأخذ البكران فنحر أحدهما ، وترك الآخر يضرب في شولهم .
(٣) الكشف : جمع أ كشف ، وهو الذي لا يثبت في القتال . والكشف أيضا : الذين لا يصدقون القتال لا يعرف له واحد (اللسان - مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أظلوفة ، وهي الأرض الحزنة الحشفة (٥) الزحاليف : جمع رحلوفة ، وهي آثار ترجل الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلي ^(١)؛ فمن ذلك أرجوزته
التي أولها :

* إن سركَ اليزْجُ فجَحِجْ ^(٢) بجُشْمٍ *

يقول فيها :

جاءوا يزودَهمْ وجُشْنَا بالأصم شيخٌ لنا كالليث من باقى إِدَمْ
شيخٌ لنا مُعاوِدٌ ضَرَبَ البَهمْ ^(٣) يضربُ بالسيف إذا الرمح انقَصَمْ
هل غير غارٍ ^(٤) صَكَ غاراً فانهزمْ

(١) في اللسان يمد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب ، قال : وقال ابن برى : قال أبو عبيدة: إن
الليث ليحيى بن منصور وأنشد قبله :

كانت تميم معمرأ ذوى كرم فلعنة من الفلاصم العظم
ماجنوا ولا تولوا من أمم قد قابلوا لو ينفخون فى فحم
جاءوا يزودهم وجشنا بالأصم شيخ لنا كالليث من باقى لدم
شيخ لنا معاود ضرب البهم

اللسان (مادة زور ومادة جعجع)

(٢) جعجع الرجل : ذكر جعجاطا من قومه، والجعجاح : السيد الكريم (٣) البهم : الشجاع
(٤) الفاران : بكر وتميم .

١٢- يَوْمَ عَاقِل

كَانَ الصَّمَّةُ الْجُشَمِيُّ أَغَارَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ^(١) بِمَاقِلٍ ، فَأَسْرَهُ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَاخِ^(٢) وَهَزَمَ حَيْشَهُ ، وَأَصِيبَ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ الصَّمَّةَ قَدْ أَبْطَأَ فِدَاؤُهُ ، فَكَانَ الْجَعْدُ يَأْتِيهِ كُلَّ هَلَالٍ شَهْرٍ بِأَفْئِي فَيُحْلِفُ بِمَا يُحْلِفُ بِهِ لِيَنْ هُوَ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ لِيُعِضَّهَا إِيَّاهُ .
فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ جَزَّ نَاصِيَتَهُ عَلَى الثَّوَابِ . ثُمَّ أَتَاهُ مُسْتَثْبِيًا ، فَقَالَ لَهُ الصَّمَّةُ :
مَالِكٌ عِنْدِي ثَوَابٌ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

فَضَرَبَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ ضَرَبَانِهِ^(٣) ، ثُمَّ إِنَّ الصَّمَّةَ الْجُشَمِيَّ أَتَى عِكَاطَ فَلْقَى ثَمْلَةَ بْنِ الْحَارِثِ^(٤) وَهُوَ أَبُو مَرْحَبٍ ؛ وَكَانَ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةٍ يَدْعُو النَّاسَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ ، فَيُكْرِهُمَا ، وَيُخْصِنُ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ ، فَجَادَتْ دَعْوَةُ الصَّمَّةِ ، وَأَبَى مَرْحَبٌ ؛ فَكَرِهَ الصَّمَّةُ ذَلِكَ لِحِدَائَةِ أَبِي مَرْحَبٍ ، ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِمَا حَرْبٌ تَمَرًا ، فَجَعَلَ الصَّمَّةُ يَأْكُلُ التَّمْرَ ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ يَدَيْ ثَمْلَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَبْصِرْ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّوَى ! فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْحَبٍ : إِنَّكَ أَكَلْتَ مَا أَكَلْتَ بَنَوَاهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَعْظَمَ بَطْنُكَ ، فَقَالَ الصَّمَّةُ : لَا ، وَلَكِنْ أَعْظَمَ بَطْنِي دِمَاءَ قَوْمِكَ ! أَيْنَ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَاخِ ؟ فَقَالَ أَبُو مَرْحَبٍ : مَا ذِكْرُكَ رَجُلًا أَسْرَكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفَيْكَ فَقَدَرْتَ بِهِ وَقَتْلَتَهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْكَاكُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ مَتَّ دُونَكَ !

فَكَتَّ الصَّمَّةُ زَمَانًا ، ثُمَّ غَزَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ يَتْبَةِ الْمَجَاشِمِيِّ ،

* لَبَّى حَنْظَلَةَ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى جِشَمٍ (مِنْ رَيْمَةِ) ، وَعَاقِلٌ : وَادٌ بِبَجْدِ .

التَّقَاتُصُ ص ١٠١٩ طَبْعُ أَوْرِبَا

(١) بَنُو حَنْظَلَةَ : بَطْنٌ فِي تَمِيمٍ (٢) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ (٣) أَيُّ مَرٍ مِنْ مَرُورِهِ

وَذَهَبَ بِهِ (٤) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .

وهزم جيشه ، ثم أجاره الحارث بن بنية من إسهه ذلك ؛ فقال الصمة : يمر بي
في قومك حتى أشتري أمراء قومي ، فسار به حتى أناخ في بني يربوع^(١) ، فأقبل
إليهما الناس ، وأقبل إليه أبو مرحب ؛ فلما رأى الصمة عرفه ، فخنس عنه^(٢) ،
وأخذ سيفه ، ثم جاء فضرب به بطن الصمة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا آل مالك ؛ فأقبل بنو مالك إلى بني يربوع^(٣) ،
فلما خافوا القتال قام مصعب بن أبي الخير ؛ فقال : يا بني مالك ؛ هذه يدي بجاركم
فهي لكم وقاء ؛ فقال راجز بن مالك :
نحن أبأنا مصعبا بالصمة كذاها شيخ قليل اللمة

(١) بنو يربوع من بني حنظلة (٢) خنس : تأخر (٣) يربوع ومالك من قبائل
حنظلة بن مالك .

١٣- يَوْمُ الشَّيْطَانِ

كَانَ الشَّيْطَانُ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ نَجْدٍ وَالْمَرَاةِ أَهْلُوا تَرَكْتُ بَكْرَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُمَا أُجْدَبَا ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى السَّوَادِ وَأَقَامُوا فِيهِ .
ثُمَّ أَخَصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَجَاءَتْ تَيْمٌ حَتَّى نَزَلُوا فِيهِمَا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا لَحَقَهُمُ الْوَبَاءُ فِي السَّوَادِ .

فَوَلَّوْا هَارِبِينَ حَتَّى نَزَلُوا لَعْلَعُ (١) ، وَهِيَ مَجْدَبَةٌ ، وَقَدْ أَخَصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو (٢) يَقُولُ : لَيْتَ بَكْرًا فِي هَذَا الْخَصْبِ .

وَكَانَ أَكْتُلُ بْنُ حَيَّانَ الْعِجْلِيُّ طَالِبَ حَاجَةٍ فِي بَنِي نَهْشَلٍ بَنِ دَارِمٍ ، فَلَمْ يَقْضُوهَا لَهُ ، فَرَجَعَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى قَوْمِهِ بِأَعْلَعُ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِخَصْبِ أَرْضِهِمُ الشَّيْطَانِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ بَكْرٌ عَلَى الْإِغَارَةِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، وَقَالُوا : إِنَّ فِي دِينَ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : إِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا قُتِلَ بِهَا ، فَتَغَيَّرَ هَذِهِ الْفَارَةُ . ثُمَّ نُسِمَ عَلَيْهَا .

فَارْتَحَلُوا بِالْذَّرَارَى وَالْأَمْوَالِ ، وَرَثِيئَتُهُمْ بَشَرُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَأَتَوْا الشَّيْطَانِ فِي أَرْبَعٍ ، وَمَا بَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ أَيَّامٍ ثَمَانِيَةٍ ، فَسَبَقُوا كُلَّ خَبَرٍ ، حَتَّى صَبَّحُوهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

* لِبَكْرِ (مِنْ رِيعة) عَلَى تَيْمٍ ، وَالشَّيْطَانُ : وَادِيَانِ .

الْفَدَّ الْفَرِيدُ ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٩٩ ج ١ ، النِّقَاطُ ص ١٠٢

(١) فِي الْلسَانِ : لَعْلَعُ : مَوْضِعٌ ، قَالَ :

فَصَدَمَ عَنْ لَعْلَعٍ وَبَارِقَ ضَرْبَ يَشْطِطُهُمْ عَلَى الْحَنَاقِ

وَقِيلَ : هُوَ جَبَلٌ كَانَتْ بِهِ وَهْمَةٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَا أَقَامَتْ لَعْلَعُ ، فَسَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فَقَالَ هُوَ جَبَلٌ وَأُثَّةٌ ، لِأَنَّهُ جَبَلٌ اسْمًا لِلْبُقْعَةِ الَّتِي حَوْلَ الْجَبَلِ ، وَقَالَ حَيْدَرُ بْنُ تَوْرٍ :

لَقَدْ ذَاقَ مَنَا عَامِرُ يَوْمَ لَعْلَعٍ حَسَامًا إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ صَمَامًا

وَقِيلَ هُوَ مَاءٌ بِالْبَادِيَةِ مَعْرُوفٌ (٢) مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو كَانَ حَلِيفَ بَنِي شَيْبَانَ وَمَقِيَا بِالْشَّيْطَانِ .

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال
 وشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين الشيطان ولعلع لنسوتنا إلا مناقلُ أربع
 فاجتثنا بجمع لم ير الناس مثله يكادُ له ظهرُ الوريمة^(١) يطلع
 بأرعن دهم تُنشدُ البلقُ وسطه له عارض فيه النية تلمع
 إذا حان منه منزل القوم أوقدت لأخراه أولاء سناً وتيفعوا^(٢)
 صبَحنا به سعداً وعمراً ومالكا فظل لهم يومٌ من الشر أشنع
 وذى حسبٍ من آل ضبة غادروا يُجرُّ كما جرَّ الفصيلُ المرقع^(٣)
 تقصع يربوعٌ بسرِّ أرضنا وليس ليربوع بها متقصع
 وقلت ليربوع أيسر نصيحة ولو أن يربوعاً إذا امتار يرفع
 يُخلِّوا لنا صحن العراق فإنه رحى منهم لا يُسطاعُ ممنع

فأجابه محرز بن السكبر الضبي فقال :

فخرتم بيوم الشيطان وغيركم يضرُّ بيوم الشيطان وينفع
 وجثتم بها مذمومة عتريّة تكاد من اللوم البين تطلع
 فإن يك أقوامٌ أصيبوا بغيره فأنتم من الفارات أخزى وأوجع
 فريقان منهم من أتى البحر دونه ومود كما أودت نمود وتنع
 وما منكمُ أفناء بكر بن وائل لغارتنا إلا ذلولٌ موقّع^(٤)

(١) الوريمة : اسم فرس (٢) تيفعوا : رفعوا نارهم على يقاع من الأرض لبحر نارهم

(٣) المرقع : الذي به القروح وهو جدرى فيجر في السباح لينفقا ما به ، وروى في اللسان :

لدى كل أخدود يغادر دارعا • يجر كما جر الفصيل المرقع

منسوباً لمد أوس بن حجر (٤) بغير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقاس^(١) بن عمرو :

تَمَنَيْتُ بَكَرًا بِالْعِرَاقِ مُقِيمَةً وَأَتَى لَنَا بَكَرٌ بِأَكْنَافِ عَرَعَرٍ^(٢)
نَهَيْتُ تَمِيمًا أَنْ تَرُبَّ^(٣) نَحَاءَهَا وَتَطْلُوِي أَحْنَاءَ الرِّكِيِّ الْمَوَرَّ^(٤)
حَلَفْتُ لَهُمْ بِاللَّهِ حِلْفَةَ سَادِقٍ عَيْنًا وَمَنْ لَا يَتَّقِ اللَّهَ يَفْجُرُ
لِيَخْتَلِفَنَّ الْعَامَ رَاعٍ مُجَنَّبٌ إِذَا مَا تَلَّاقَيْنَا بِرَاعٍ مُمَشَّرٍ^(٥)
فَأَعْجَلَنَ ضَبًّا^(٦) بِالْوَرِيمَةِ خُدْعَةً وَبَرَبُوعَهَا يَنْفَقَنَّ فِي كُلِّ مَجْحَرٍ
وَمَا كَانَ رَوْضًا طَيِّبًا غَيْرَ شَرَبَةٍ وَلَكِنَّمَا كَانَا لَنَا شَرَبَ أَشْهُرٍ
ثُمَّ إِنْ بَكَرًا أَنَا هُمْ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) مرعر : مكان (٣) رب العي : أصلحه
(٤) عورت الركية : إذا طمست وأسدت أعينها التي ينبع منها الماء (٥) المجنب : الذي
لا لبن في إبله ، والمعسر : الذي قد تجت إبله فصارت عشاراً . يقول : نحن لا لبن لنا فنأخذ إبلهم
ورعاتها فنخلطها بإبلنا التي لا لبن لها (٦) ضبا : يعني به ضبة يقول : أعجلتها أن تخدم
قتلزم الجعر ، وإنما هذا مثل ، يقول : أغرنا عليهم قبل أن يتنونا بنا .

١٤- يَوْمُ الْوَقَبِي

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لعمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشر بن حزن المازني على الأحواء^(١) التي حول البصرة - ومنها حمى الوقبي - فخرج يوماً هو وأخوه خفاف بن حزن إلى الوقبي ، وحفرا بها رَكِيَّتَيْنِ^(٢) . ولما أَنْبَطَاهُمَا^(٣) ، إذا ماؤهما ماء النَّادِيَةِ^(٤) عُذُوبَةٌ وَطِيْبَةٌ ؛ فتخوفاً أن يفلهاهما عبدُ الله بن عامر على الرَكِيَّتَيْنِ ، فدَفَنَاهُمَا .

ورَفِيَ أمرهما إلى عبد الله بن عامر ؛ فطلب منهما الرَكِيَّتَيْنِ ، فأبَيَا أن يَدَفِنَاهُمَا إليه ، فأخْرَجَهُمَا مِنْهُمَا وقال : يَا ذَنْ مَنْ حَفَرْتُمَا هَاتَيْنِ الرَكِيَّتَيْنِ ؟ وَمَضَيَا هَلْرِينِ ، ووجدنا إبلاً لعبد الله فَمَقَرَاهَا .

وكان عبدُ الله قد اسْتَمْعَلَ خَالَه مَسْعَدَةَ السُّلَمِيَّ عَلَى حَفْرِ^(٥) يعرف بحفَرِ أَبِي مُوسَى ؛ ثم إن ناساً من أَقْنَاءِ^(٦) بكر بن وائل غَرَجُوا وعليهم شِيْبَانُ بن خَصْفَةِ ورجل آخر يقال له قَبِيصَةُ ، وأتوا ماء لبني نهشل^(٧) بن دارم ، فقاتلوهم على مائهم وظفروا بهم وقتلوا منهم أناساً ، وأقاموا به أياماً .

• تميم على بكر (من ربيعة) ، والوقبي: ماء ملازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التي آثرنا أن نعدها من الأيام الجاهلية للسبب الذي أسلفنا ذكره .

شرح البريزي على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حمى ، وهو المكان المظفور (٢) الركية : البئر (٣) أَنْبَطَاهُمَا : استخرجا ماءهما (٤) النادية : مطرة النداء (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة (٦) أَقْنَاءُ : أخلاط ، والواحد فتو ، ويقال : رجل من أَقْنَاءِ القبايل : أى لا يدري من أى قبيلة هو (٧) نهشل : بطن في تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إنا لفي وسط بلاد بني تميم ؛ فاحتملوا راجعين ، ثم نزلوا بحفر أبي موسى ، فوجدوا الحياض ملاءى ، فأوردوا الإبل وسقوها ، وأرادوا أن يستقوا ليملئوا الحياض كما كانت ، فجاء مسمدة عامل الماء وأغلظ لهم ، فقام إليه شيبان بن خصفة فضربه بالسيف على وجهه فصرعه ، ونقل إلى منزله .
وأقام البكريون بالماء أياماً ، ثم قالوا : ننزل الوقي فإياها أقرب إلى بلاد بكر ؛ فأتوها ونزلوا بها .

ثم عاد بشر بن حزن إلى الوقي فوجد بها البكرين ، فأرسل إلى شيبان وقيصة : إن كنتم تريدان الثبات فيظلكما هذا ومن معكما من قومكما فأقيا ، وإن كنتم تريدان غير ذلك فأعلماني فإياها أرضي وماني .

فأرسلوا إليه يواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوقي لنفعلن بك ولنصنن .
فخرج بشر وأخوه خفاف وحريث بن سلمة الشاعر وتفرقوا : فواحد منهم ذهب إلى بني العنبر^(١) ، وواحد إلى بني يربوع بن حنظلة ، والثالث إلى بني مازن ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بني عنبر سبعة نفر ، وانطلق بمضهم يستصرخ بني نهشل لما كان من البكرين إليهم . فقالت بنو نهشل : والله مالكم عندنا فصرة ، وانطلق مستصرخ يربوع حتى لقي بني رياح^(٢) . فقالت بنو رياح : إخواننا بنو ثعلبة قدأما ولسنا تقطع أمراً دونهم ، فمليكم بهم فنحن لهم تبع ، فانطلقت بنو مازن حتى وردوا أعشاشا على بني ثعلبة ؛ فلما وردوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ، ثم لقوا عبد الله بن مالك المعروف بالحلف ، فأخبروه خبرهم ، فقال : انزلوا أيها القوم ، وعمد إلى بكر فعقره وقراهم إياه ، حتى إذا كان من العشي ، وبرز أهل الماء لبس

(١) بنو مازن والعنبر ويربوع ورياح وثعلبة بطون في تميم (٢) رياح : بطن في يربوع وكذلك ثعلبة .

يُرْدِينُ وَتَخْلُقُ^(١) - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ - وَأَخَذَ قَنَاتَهُ وَرَاحَ إِلَى وَسْطِ الْمَاءِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتَهُ : يَا لِيَرْبُوعُ ! يَا لَتَمْلَبَةِ ! يَا لَمَاصِمٍ ! فَخَصَّ وَمَنْ ، فَخَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : « هَؤُلَاءِ بَنُو أُمِّكُمْ^(٢) ، وَبَنُو عَمِّكُمْ ، وَيَدُكُمْ عَلَى الْعَرَبِ ، وَلَا قَرَارَ لَكُمْ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِنْ أَخَذَتْ دَارُ بَنِي مَازَنَ » .

فَرَكِبُوا سَمْعَهُ عَلَى كُلِّ صَتْبٍ وَذَكُولٍ ، حَتَّى أَشْرَفَ بِهِمْ عَلَى بَنِي رِيَّاحٍ ؛ فَلَسَّ أَرْأَهُمْ بَنُو رِيَّاحٍ زَكَبُوا مَعَهُمْ ، فَاِنْتَطَلَقَ الْقَوْمُ حَتَّى أَتَوْا الْوَقْبِي ؛ فَقَالَتْ بَنُو رِبُوعٍ : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ دَعُونَا فَلْنَنْظُرَ لَكُمْ وَنَسْتَبْرِي الْقَوْمَ ، فَقَالَتْ بَنُو مَازَنَ : لَقَدْ رَشِدْتُمْ .

وَاِنْتَطَلَقَ نَفَرٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدُوا الْمَاءَ عَلَى بَكْرِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَبْتَغُونَ عِبِيداً لَهُمْ أَبَا قَا^(٣) أَفْلَتُوا مِنْهُمْ ، فَقَرَوْهُمْ حَتَّى إِذَا أَخَذُوا يَرُوحُونَ ارْتَابُوا بِهِمْ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتْرَكُوا فِي لِحَاهِمُ شِمْرَةً إِلَّا نَتَفَقَوْهَا . فَقَالَ لَهُمُ الْيَرْبُوعِيُّونَ : إِنَّا نَحَرَّمُنَا بَطْلَامَكُمْ يَا بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ، وَهَذَا قِرَاكُمْ فِي بَطُونِنَا وَحَقَائِبِنَا ؛ فَأَرْسَلُوهُمْ .

وَاِنْتَطَلَقَ الْقَوْمُ نَحْوَ الْكُوفَةِ يَرُونَهُمْ أَنَّهُمْ فِي لُثْرِ عَبِيدِهِمْ ، حَتَّى إِذَا أَسْوَارَ جَمَعُوا فَأَتَوْا أَصْحَابَهُمْ وَقَالُوا : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ لَمْ نَجِدْ وَاللهَ لَنَا وَلَكُمْ بِهِمْ يَدَيْنَ ، الْقَوْمُ كَثِيرٌ فَتَسْكُرُكُمْ^(٤) الْقَوْمُ . فَقَالَ مَنْ نَمَّ مِنْ بَنِي رِبُوعٍ وَبَنِي الْمَنْبَرِ : أَغَيَرُوا عَلَى نَعْمِهِمْ ، فَلْنَأْخُذْهُ ، فَنَكُونُ قَدْ أَخَذْنَا عَوْضًا عَمَّا صُنِعَ بِنَا .

فَوَثَبَ يَشْرَ بْنَ حَزْنٍ وَقَالَ : يَا لَمَازَنَ ! قَوْمُوا إِلَى ، وَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ فِيمَكُمْ . قَامُوا إِلَيْهِ ، فَبَرَزَهُمْ ، وَقَالَ : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ أَذْكَرَكُمْ اللهُ ، أَرْضَوْنَ أَنْ تُنْفِرَ يَرْبُوعُ وَالْمَنْبَرُ فَيَأْخُذُوا النَّعْمَ ، وَيَكُونُ ذَهَابُ دَارِكُمْ ! فَقَالُوا : فَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ

(١) تَخْلُقُ : تَحْلِبُ بِالْخُلُقِ (٢) كَانَتْ جَنْدَلَةُ بِنْتُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ الْفَرَسِيَّةِ أُمَ رِبُوعٍ وَمَازَنَ (٣) جَمَعَ آبَى (٤) تَسْكُرُكُمْ : تَرَادَوْا . وَالْكَرْكَةُ : الْارْتِدَادُ عَنِ الْعَمَلِ .

تجمعوا النار بالأنفس ، وتقاتلوا القوم ، فإن ظفرتهم فآله أظفركم ، وإن تكن
الأخرى كنتم قد أيتتم عُدْرًا في داركم .

فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى مَنْ هناك من يربوع والمنبر فقالوا : جزاكم الله
خيراً من إخوة ، فإنكم لو كنتم دعوتونا أطمعناكم ، ولكننا نحن دعوناكم ،
فارموا بنا في نُحُور القوم ، وكونوا من ورائنا فأَكْبَرُونَا ، فإن نحن هُزِمْنَا كنتم
على حاميتكم وانصرفتم ، وإن نحن ظفرتنا فهي التي تريدون - وكانوا قد شَارَطُوهم
ثَلث المَاء - فقالوا : قد فعلنا .

وانطلقوا وأصْبَحُوا على مكان يُشرف على الوَقْبِي ، فقالت بكر إذ رأتهم : هذه
غير قد أَشْرَفَتْ عليكم ، وقالت بُرَيْقَةُ بنت شيبان : أَحْلِفْ بالله ، إني أرى الْبَيْضَ
تَبْرُق ، وإني لأرى الْأَسِنَّةَ تَلْمَعُ ؛ فَبَرَزَ أبوها معه اللِّوَاءُ وهو يقول :

نَحْنُ حَقَرْنَا وَبَدَأْنَا أَوَّلًا وَلَنْ نَكُونَ الْخَاضِرَ الْمَحُولَ^(١)

ولما اتقى الْجَمْعَانِ خرج عَصِيْمَةُ بن عاصم المَازَنِي على جمل له ، وهو محتَجِزٌ بِمَلَاءَةٍ له
بِيضَاءٍ على الدَّرْعِ وفي يده اللِّوَاءُ ، فلقى شيبان أبو بَرَيْقَةَ ، وطعن كل واحد منهما
صَاحِبَهُ ؛ فامْتَدَّتْ مُلَاءَةٌ عَصِيْمَةَ من فَخْذَيْهِ ، فنَادَى عَصِيْمَةُ رجلاً من بني مَازَنٍ
يقال له : خُنَيْسٌ ، وقال : يا خُنَيْسُ ؛ أَطْلِقِ الْمَلَاءَةَ من فَخْذِي ، فذهب خُنَيْسٌ لِيُطْلِقَ
الْمَلَاءَةَ من فَخْذَيْهِ ، فضربه رجل من بني شيبان فقتله ، وجاء شيبان أبو بَرَيْقَةَ فضرب
عَصِيْمَةَ على يده اليسرى فقطع ثلاث أصابع ، فضربه عَصِيْمَةُ على رأسه فقتله ، فَبَرَزَ
ابْنُهُ أَرْبَدُ بن شيبان وكرَّ على عَصِيْمَةَ فقطع يده الْيُمْنَى ، ونادت بكر : يا بني مَازَنُ ؛
الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ^(٢) ، وَهَيِّئُوا لِلصَّلَاحِ .

(١) الحاضر : القوم التازلون على الماء . المحول : المثلوب (٢) العرب تحول للعدو إذا
غلب : البقية : أي ابغوا علينا ولا تستأصلونا ، ومنه قول الأعشى :
* قالوا البقية والحطى يأخذهم *

ولم يكن قد علم بنو مازن بقتل صاحبهم خُنيس ، ولا ما لقيت يدُ عصيمة ، فلما رأى عصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قبضه ، حتى إذا امتلأ القميص وما نَضَحَ به وجوه مازن ثم قال : أبقيةً بعد هذا أو صلح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خُنيس ، فاقتلوا عند ذلك قتالا شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصفة رئيس بكر فقتله ، ثم هُزمت بعده بكر هزيمة مُنكرة ، فأخذ رجل من بني يربوع يدي بريقة بنت شيبان ليسبها ، فقال عصيمة : لا سبَاء في الإسلام ، أنا جَارُ لُجَمِيع نِسَائِهِم من السَّبَاء ، وأمرَ النساء فتحملن وأنظلقن معهن جثان شيبان أبي بريقة ، ودفنه بالسكان الذي يقال له قارة شيبان ، وكسرن على قبره قِدْرَه وجَفَنته .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبي مازن : إن لنا في الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جملنا لكم الثلث ، على أن تُقَاتِلُوا فلم تَأُوا شيئاً من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلَّا لنا ، ولتَكُنْ عِنا ، أو كَرُدُّنْ أَرْمَاحَنَا في صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بني مازن شريطةٌ تُوجِبُ لنا عليهم في هذا الماء حقاً ، وتركوهم . وأما بنو رياح فأبوا ، ونذر قَمَنب والأحوص الرِّياحيان يومئذٍ إلَّا يَرِدَا الوقى إلا مُلْجَمِينَ للقتال .

وغبروا على ذلك زماناً ؛ ثم إن بني رياح اغتَرَّوا بني مازن ، فأتوا رَكِيَّةً من ركايا الوقى ، فمقرروا السَّوَانِي^(١) وألقوا جِيفَهَا فِيهَا ، فلما نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم في إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلَح ، فمَوَّروهُ^(٢) وألقوا فيه السَّوَانِي وألحروا ففعلوا بما هم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقى لبني مازن .

(١) السانية : الناضعة وهي النافة التي يستقي عليها ، وجمها السواني (٢) عورت الركبة : إذا كبستها بالتراب حتى تنسد .

وفيه قال أبو الفول الطموى :

فَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي ^(١)
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونُ النَّابَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُون ^(٢)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ يَلِينِ
وَلَا تَبْلَى بَسَاتِلُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا حِينَ
هَمَّ مَنَعُوا رَحَى الْوَقْبِ بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَاءُ الْأَعَادَى وَدَاوَا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
وَلَا يَرْعُونَ أَكْتَافَ الْهُوَيْنَى إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ ^(٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتخفيف (٢) حرب زبون : تزيين الناس أى تصددهم
وتدفعهم (٣) الهدنة والهدون والهدنة : الدعة .

١٥- يَوْمَ الشَّبَاكِ

قَتَلَ إِيسَى بْنُ عَبْلَةَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(١) اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مَسْمُودَ بْنَ الْقِصَافِ - مِنْ بَنِي الْقِصَافِ ^(٢) ، ثُمَّ أَسْرَتْ بَنُو تَيْمٍ اللَّهَ وَكَيْعَ بْنَ الْقِصَافِ ، فَجَسَدُوهُ عِنْدَهُمْ ، فَظَنُّ بَنُو حَنْظَلَةَ أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا كِلَاهُمَا ؛ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْيَرْبُوعِيُّ يَرِثُهُمَا ، وَيَتَوَعَّدُ بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ نَهْ .

لَتَبْكِ النَّسَاءُ الرُّضَمَاتُ بِسُحْرَةٍ وَكَيْعًا وَمَسْمُودًا قَتِيلَ الْحَنَاتِيمِ
كَلَا أَخَوَيْنَا كَانَ فِرْعَا دِعَامَةً وَلَا يُبْلِثُ الْعَرَشُ انْقِضَاضُ الدَّعَائِمِ
فَلَا تَرْجُ تَيْمُ اللَّهِ أَنْ يَجْمَعُوهُمَا دِيَاتٍ وَلَا أَنْ يُهْزِمَا فِي الْهَزَائِمِ ^(٣)

فَلَمَّا أَتَى هَذَا الشَّعْرُ بَنِي تَيْمٍ عَرَفُوا أَنَّ بَنِي الْقِصَافِ سَيَطْلُبُونَهُمْ بِدَمِ مَسْمُودٍ ، فَخَلُّوا سَبِيلَ وَكَيْعٍ ، فَلَبِثَ بَنُو الْقِصَافِ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثُوا .
ثُمَّ إِنْ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِي عَيْرٍ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الشَّبَاكِ لَقَوْا قَوْمًا فَسَالُوهُمْ مَنْ عَلَى الْمَاءِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : بَنُو حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

فَقَتَلَ بَنُو الْقِصَافِ رَوَاحِلَهُمْ ، وَخَلَفُوا بِمَضْعَمٍ فِيهَا ، وَمَضَى بِمَضْعَمٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنِ عَبْلَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ نَاقَةَ لَنَا ضَلَّتْ ، وَهِيَ فِي إِبْرِكَ فَارْدُدْهَا عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ لِفَلَامٍ لَهُ : انْطَلِقْ مَعَ الْقَوْمِ فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ نَاقَتَهُمْ .

* لَبِثَ الْقِصَافُ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ (مِنْ بَكْرٍ) ، وَالشَّبَاكِ : طَرِيقُ حَاجِ الْبَصْرَةِ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي آثَرْنَا ذِكْرَهَا فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ .

الْفَائِضُ : ص ٩١٨ طَبِيعُ أَوْرُبَا

(١) تَيْمٍ اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : بَطْنٌ فِي بَكْرٍ (٢) بَنُو الْقِصَافِ : مِنْ تَيْمٍ
(٣) يَقُولُ : لَيْسَ لَهَا مَتْرُكٌ لَا يَدُّ أَنْ يَطْلُبَ بِهَا . هَزَمَ لَهُ حَقُّهُ أَيْ وَجِبَ لَهُ .

فانطلق غلامُ ابنِ عُبَلَةَ معهم ، فسأل راعِيَهُ عن نافرِ القوم ، فقال : ما رأيُها ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلام فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصَاف فقال لهم ابنُ عُبَلَةَ : ما صَنَعْتُمْ ؟ قالوا : غَيَّبَ راعِيكَ نافرَنا ، فقمُ معنا إليه ، فقام معهم ابنُ عُبَلَةَ ، حتى إذا نَحَوَهُ عن الماء شَدَّ عليه رجلٌ من بني القِصَاف ، ثم نادى بإثاراتِ مسمودٍ ! فقتله ، وخَضَبَ عمامته بدمِهِ .

فغضب بنو حارثة^(١) بن لَأْمٍ ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العرب تَسُبُّنا به إن قَاتُونَا .

وطلبوا بني القِصَاف وهم نَفِيرٌ^(٢) ، وعلَى الماء جماعةٌ من بني حارثة بن لَأْمٍ ، فترك بنو القِصَاف رواحِلَهُمْ ، ومَضَوْا بالهامة مَخْضُوبَةً بالدم حتى انتهوا بها إلى بني طَهْيَةَ^(٣) ، فسألوهم عن رِكَابِهِمْ ، فقالوا : تركناها في أيدي بني حارثة ، فقال الأسلع بن القِصَاف في ذلك :

فِدَى لَأْمَرِي لَاقَى ابْنَ عُبَلَةَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا وَالنَّاسُ بَاقِي وَذَاهِبُ
عَدَا نُمُّ أَعْدَاهُ عَلَى الْهَوْلِ فِتْيَةٌ كِرَامٌ وَأَسْيَافٌ رِقَاقٌ قَوَاضِبُ
وَلَمْ يَحْفَلُوا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بَعْدَهَا وَمَا كَشَفَ النَّاسُ الْأُمُورَ الشَّوَابِغُ
وَلَمْ تَزَوْ حَتَّى بَلَ أَسْيَافُنَا دَمٌ يُدَاوِي بِهِ قَرَحُ الْقُلُوبِ الْجَوَالِبُ^(٤)
وَلَا شَرَّ حَاجَاتٍ طَوَاهُنَّ بَعْدَ مَا تَبَاعَدَ . أَسْبَابُ الْهَوَى الْمُتَقَارِبُ
فَمَا النَّاسُ أَرْدَوْهُ وَلَكِنْ أَقَادَهُ يَدُ اللَّهِ وَالسَّنَنُصْرُ اللَّهُ غَالِبُ

(١) بنو حارثة بن لَأْمٍ : بطن في طهية . (٢) النفير : القوم يتنافرون في القتال ، والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال والنفير : الجماعة من الناس . (٣) طهية : قبيلة في تميم ومنهم بنو القِصَاف . (٤) الجلية : الفقرة التي تملأ المرح عند البرء ، وقد جلب يجلب وأجلب المرح مثله : إذا علت القرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شَفَى سَقَمًا - إِنْ كَانَتِ النَّفْسُ تُشْتَفَى -
 شَفَى الدَّاءَ وَابْيَضَّتْ وَجْوهُ كَأَنَّمَا
 لَعَمْرَى لَقَدْ رَدَّتْ عَشِيَّةً مِثْقَبٌ^(٣)
 فَأَبْلَغَ بَنِي لَامٍ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ
 فَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَخُونَا فَتَحَدَّبُوا
 وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَى مِثْلِهَا لَكُنْمْ
 لَمَّا يَرَوْنَهُ حَتَّى أُرِيخَتْ إِلَيْكُمْ
 فَإِنْ رِحَالُ الْقَوْمِ وَسَطَ بِيُوتِكُمْ
 فَتَقِيلُ مُصَابٌ بِالشَّبَاكِ^(١) وَطَالِبُ
 جَلَالِ النَّفْسِ^(٢) عَنْهَا وَهِيَ سُودٌ كَوَائِبُ
 غَلِيلًا فَسَاغَتْ فِي الْحُلُوقِ الشَّارِبُ
 وَمَا شَاهِدٌ يُدْعَى كَمَنْ هُوَ غَائِبُ
 عَلَيْنَا إِذَا نَابَتْ عَلَيْنَا النَّوَائِبُ
 لَأَبَتْ إِلَى أَرْبَابِنَا الرَّكَائِبُ
 جَمِيعًا وَحَتَّى حُلَّ فِيهَا الْحَقَائِبُ
 وَلِلْجَارِ مَعْرُوفٌ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبُ
 فَلَمَّا أَتَى بَنِي حَارِثَةَ هَذَا الشَّعْرُ مَرَّهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا عَلَى رِكَابِكُمْ مِنْ سَبِيلٍ ،
 قَوْمٌ أَدْرَكُوا بَنَاءَهُمْ ، وَلَهُمْ جَوَارٌ ، وَالَّذِي يَبْنِنَا وَبَيْنَهُمْ حَسَنٌ ، فَرَدُّوا عَلَى بَنِي
 الْقِصَافِ رِكَابَهُمْ ، وَطَالَحَ^(٤) ابْنُ عُبَلَةَ ، وَلَمْ يُدْرِكْ بَنَاءَهُ ۚ

(١) الشباك : موضع (٢) النفس : الميب (٣) الثقب : طريق
 (٤) يعنى ذهب منه بطلا .

المشغى هم
عفا الله عنه

٦- أَيَّامُ قَيْسٍ "فِيْمَا بَيْنَهُمَا"

- ١- يَوْمٌ مَنَعَج
- ٢- ۞ النَّفَرَات
- ٣- ۞ بَطْنُ عَاقِل
- ٤- ۞ دَاحِسٌ وَالْفَبْرَاءُ
- ٥- ۞ الرِّقْم
- ٦- ۞ النِّتَاءُ
- ٧- ۞ حَوْزَةُ الْأُولَى
- ٨- ۞ ۞ الشَّائِي
- ٩- ۞ اللَّوَى
- ١٠- حَدِيثُ ابْنِ ضِيَا
- ١١- يَوْمُ هَرَامَيْت

١ - يوم منعج

كان زهيرُ بن جذيمة المبسى سِنَّةَ قَيْسِ عَيْلَانَ ، فتزوَّج إليه النعمان^(١) بن امرئ القيس ملك الحيرة لشرَفِهِ وسُوْدُودِهِ ، وأرسل إليه يوماً يستزيره بعض أولاده ، فأرسل إليه ابنته شاساً - وكان أصغرَ ولده - فأكرمه وجباه أفضلَ الحَبُوةِ مِسْكَ وكُسَى وقُطْفاً وطَنَافِسَ^(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومه ، وسار حتى ورد مَنِمَجَا - وهو ماء لفي^(٣) - فأناخ في يومِ شِمَالٍ^(٤) ، وقرَّ على رَذْهَةٍ^(٥) في جبل رياح ابن الأسك القنوى ، ليس على الرَذْهَةِ غيرُ بيتِه .

ثم أنشأ شاس يفتسل بين الناقة والبيت ، وامرأةً رياح تنظرُ إليه ، وهو مثْلُ الثَّوْرِ الأبيض ، فقال رياح لاصراته : أعطيني قوسى ، فدَّتْ إليه قوسَه ومههما ، ثم أهوى لشاس بِسَهم ، وبترَ صُلْبَه ، وحَفَرَ له حفراً فهدمه عليه ، ونحر جله وأكله ، وأدخل متاعه يَدَيْتَه .

* لبس على غنى ، وتسميته يوم منعج لصاحب المقد القريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الرذعة ؛ وفي مجمع الأمثال للبديانى : لبنى يربوع على بنى كلاب .

الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مهذب الأغاني ص ٨ ج ٢

(١) النعمان ابن امرئ القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكابة في أعدائه وأبعدم مغاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملكة ، ولكنه في آخر عهده زهد في الملك ، وساح في الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١ م) (٢) الطنافس : للبط والتباب ، والنظيفة : دنار تحمل ، وقيل كساء له خل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كانتها جمع ظيف وصحب (٣) لفي : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح ويكسر) : الريح التي تستبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الرذعة : الثقرة : يجتمع فيها ماء السماء .

وَقَدِ شَاسَ ، وَقَصَّ أَثَرَهُ وَنَشِدَ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ ، فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكٌ وَكُسَى وَنُطُوعٌ وَقُطُفٌ .

فَأَقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثَرَهُ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، وَمَكثْتَ عَبَسَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً رِيَّاحٌ بَاعَتْ بُعْكَازًا قَطِيفَةً حُمْرَاءَ وَبِعَاضَ مَا كَانَ مِنْ حِجَابِ الْمَلِكِ ، فَعَرَفُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيَّاحًا ثَأْرَهُمْ ثَأْرَهُمْ .

فَأَتَى زَهِيرٌ غَنِيًّا وَسَأَلَهُمْ عَنْ شَاسَ فَقَالُوا : نَعَمْ ، قَتَلَهُ رِيَّاحٌ ، وَنَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَقَدْ لَحِقَ بِحَالِهِ مِنْ بَنَى الطَّلَاحِ . وَلَا تَبَيَّنَ لُزْهِيرَ أَنَّ رِيَّاحًا ثَأْرَهُ قَالَ يَرْنِي شَاسًا :

بَكَيْتَ لَشَاسٍ حِينَ خُبِّرْتُ أَنَّهُ	بِمَاءٍ غَنَى آخِرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
لَقَدْ كَانَ مَا تَأَهُ الرَّدَاهُ ^(٢) لِحَتْفِهِ	وَمَا كَانَ لَوْ لَا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
قَتِيلٌ غَنَى لَيْسَ شَكْلٌ كَشَكْلِهِ	كَذَاكَ لَعَمْرِي الْحَيْنَ لِلرَّءِ يُجَلِّبُ
سَأَبَكِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيْتُ بَعْبَرَةً	وَحَقٌّ لَشَاسَ عَبْرَةً حِينَ تُسَكَّبُ
وَحُزْنٌ عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُ وَعَوَّلْتُ	عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ هُوَ أَعْجَبُ
إِذَا سِيمَ ضِيَا كَانَ لِلضَّيْمِ مُنْكَرًا	وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ يُخَشَى وَيَرْهَبُ
وَإِنْ صَوْتُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً	أَجَابَ لَا يَدْعُو لَهُ حِينَ يُكْرَبُ
فَفَرَّجَ عَنْهُ نَمَّ كَانَتْ وَلِيَّهُ	فَقَلْبِي عَلَيْهِ - لَوْ بَدَا الْقَلْبُ - مُلْهَبُ

(١) قوم زهير

(٢) الرداء : جمع ردة ، وهى الفرة يستنفع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنويًا إلا قتله^(١) .

ثم غزت بنو عبس غنيًا قبل أن يطلبوا قودًا أو دية مع أخي شاس - الحصين
ابن زهير - والحصين بن أسيد بن زهير ، فقبل ذلك لفتى^(٢) ، فقالت لرياح : أنج لمنا
نصالح على شيء أو نرضهم بدية وفداء .

وخرج رياح رديفا^(٣) لرجل من بني كلاب ، وكان معهما صحيفة فيها لحم ؛

(١) هذه رواية الأفاقي ، وجاء في ابن الأثير : إن زهيراً حين افتقد ابنه سار إلى غنى ، وم
حقاه في بني عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فخلقوا أنهم لم يعرفوا خبره ، فقال :
ولكني أعلمه ، فقال له واحد من بني عامر : فما الذي يرضيك منا ؟ فقال : واحدة من ثلاث :
إما تحيون ولدي ، وإما تسلمون لي غنيًا حتى أقتلهم بولدي ، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا
وبيتم ، فقالوا : ما جعلت لنا في هذه عرجاً ؟ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم
غنى إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوالله إنا لنحب رضاك ونكره
سخطك ؛ ولكن إن شئت الدية ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه إليك ، أو تهب دمه
فإنه لا يضيع في القرابة والجوار ، فقال : ما أفضل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر تمدي زهير على أخواله من غنى . قال : والله ما رأينا كالיום تمدي رجل
على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنيًا ؟ قال : نعم ، فانصرف
زهير وهو يقول :

قلولا كلاب قد أخذت قرينتي	برد غنى أعبدًا ومواليا
ولكن حتمهم عصبة عامرية	يهزون في الأرض القفار المواليا
مساعير في الميما مصاليت في الوغى	أخوم عزيز لا يخاف الأعادي
يقيمون في دار الحفاظ تكرمًا	إذا ما في القوم أضحت خواليا

الفتى : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطاهم لحم جزور سمينة ، وسيرها إلى غنى
لتبيع اللحم بطلب ، وتساءل من حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غنى وفعلت ما أمرها ، فأنتهت إلى
امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتي وأبني الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ،
وحدثتها بقتل زوجها شاساً ، فادت للمرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يفر على
غنى حتى قتل منهم مئة عظيمة ، ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر (ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١)
(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب

فَأَدْخَلَا يَدَيْهِمَا فِي الصُّحُفَةِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَضْرَةً ^(١) لِيَا كُلَّهَا ، مُتَرَادِفِينَ لَا يَفْهَمَانِ عَلَى التَّزْوِلِ ، فَرَّ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا صُرْدٌ فَصَرَصَ ، فَأَلْقَى اللَّحْمَ ، وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَ : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَظْمًا ؛ وَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا نَحْرُورًا ، فَأَلْقَى الْمُظْلِمِينَ وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا وَقَالَ : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِطْعَةً ، فَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا فَصَرَصَ ، فَأَلْقَى الْمُظْلِمِينَ حَتَّى فَعَلَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا هُمَا بِالْقَوْمِ أَدْنَى ظِلَامٍ ^(٢) . - وَقَدْ كَانَا يَظُنُّنَانِ أَنَّهُمَا قَدْ خَالَفَا وَجْهَةَ الْقَوْمِ ! فَقَالَ لِرِيَّاحٍ صَاحِبُهُ : اذْهَبْ فَإِنِّي آتَى الْقَوْمَ أَشْغَلُهُمْ عَنْكَ وَأُحْدِثُهُمْ حَتَّى تُعْجِزَهُمْ ، ثُمَّ مَاضٍ إِنْ تَرَكَوْنِي .

فَانْتَحَدَرَ رِيَّاحٌ عَنْ عَجْزِ الْجَلِ ، فَأَخَذَ أَذْرَاجَهُ ^(٣) ، وَعَدَا حَتَّى أَتَى صُفَّةً فَاخْتَفَرَ تَحْتَهَا مِثْلَ مَكَانِ الْأَرْنَبِ وَوَلَجَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَ تَعْلِينَ مِنْ سِتِّ ^(٤) فَجَمَلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى صَفْنِهِ ^(٥) ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمَا الْعِمَامَةَ . وَمَضَى صَاحِبُهُ حَتَّى لَقِيَ الْقَوْمَ ؛ فَسَأَلُوهُ فَحَدَّثَهُمْ وَقَالَ : هَذِهِ غَنَى كَامِلَةٌ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ وَخَلُّوا سَرَّيْهِ ^(٦) .

فَلَمَّا وَلَّى رَأَوْا مَرْكَبَ الرَّجُلِ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ خَلْفَكَ ؟ فَقَالَ : لَا مَكْذُوبَةَ ! ذَلِكَ رِيَّاحٌ فِي الْأَوَّلِ مِنَ السَّمَرَاتِ ^(٧) ، قَالَ الْحَصِينَانِ ^(٨)

-
- (١) الوضرة : القطة الصغيرة من اللحم (٢) أدنى ظلام : أدنى شيء
(٣) أدرج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسييله (٤) السبت : الجلد المدبوغ
والنعل مؤنثة (٥) الصفن : وعاء الخصية (٦) السرب : الطريق والوجه
(٧) السمرات : واحدها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحسين بن زهير والحسين
ابن أسيد .

لن معهما : قَفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَهُ ، فقد أمَكنتنا اللهُ من تَأْرنا ، ولم يريدا أن يَشْرَكهما فيه أحد ، ومضياً ووقف القوم وخَنَسُوا^(١) عنهما .

فلما رأهما رباح رى الأول منهما فَبَرَّ صُلْبَهُ ، وطمنه الآخر قبل أن يرميه ، وأراد السُرَّة فأصاب الرَبْلَةَ^(٢) ، ومرَّ الفرسُ يَهْوِي به ، فاستدبره رباح بسهم فرَشَقَ به صُلْبَهُ ؛ وَنَدَّ فرسهما فلحقا بالقوم .

فقالَت عَبْس : أَيْنَ تذهبون إلى هذا ؟ والله ليقتلنَّ منكم عدداً ، وقد جرحاه وسيموتُ .

ثم إن رباحا أخذ رُمحِي القَتِيل وسَلَبَهُما وانطلق حتى ورد رَذْمَةٌ عليها بيتُ أَمَّار بن بغيض ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها رَاتِع في الجَبَل ، وقد مات رباح عطشاً ، فلما رَأَتْهُ يَسْتَدْمِي^(٣) طمعت فيه ، ورجت أن يَأْتِيها ابناها فقالت : اسْتَأْسر ، فقال : دعيني ومحك أشرب ! فأبت فأخذ حديدةً فَجَدَمَ^(٤) بها رواهشها^(٥) ، وعَبَّ في الماء حتى نَهَلَ ، ثم تَوَجَّه إلى قومه ، فقال فيها وفي الحصينين :

قالت لي : استأسر لِتَكُنْفَنِي . حيناً وبِمَلُو قولهما قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو منى غداة وقفتَ للخيبل
إذِ الحُصَيْن لدى الحصين كما عدل الرّجَازةُ^(٦) جانبَ الليل

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الرَبْلَة : أصل القنذ (٣) استدعى الرجل : طأطأ رأسه بخطر منه ادم (٤) الجنم : القطع (٥) الرواهش : عروق ظاهر الكف (٦) الرّجَازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعت في الناحية الأخرى ليعتدل .

٢- يَوْمُ النِّفَرَاتِ

كان زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمة^(١) العَبْسِيُّ سَيِّدًا لِهَوَازِنَ^(٢) ، فَكَانَتْ لَا تَرَاهُ إِلَّا رَجُلًا .
وهَوَازِنُ يَوْمُئِذٍ لَا خَيْرَ فِيهَا ، وَإِنَّمَا هُمْ رِعَاءُ الشَّاءِ فِي الْجِبَالِ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ يَمِزُّهُمْ^(٣) ،
فَإِذَا كَانَتْ أَبَاكُمْ عُكَّاطُ أَتَاهَا زُهَيْرٌ ، وَبَاتِيهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَتَأْتِيهِ هَوَازِنُ
بِالْإِتَابَةِ الَّتِي لَهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَيَأْتُونَهُ بِالسَّمْنِ وَالْأَقِطِ^(٤) وَالنَّعَمِ ، ثُمَّ إِذَا تَفَرَّقَ النَّاسُ
نَزَلَ بِالنِّفَرَاتِ .

فَأَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنْ هَوَازِنَ بِسَمْنٍ فِي نَحْجٍ^(٥) ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ وَشَكَتَ السَّنِينَ
الَّتِي تَتَابَعَتْ عَلَى النَّاسِ ، فَذَاقَهُ فَلَمْ يَرْضَ طَعْمَهُ ، فَدَعَمَهَا^(٦) بِقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطُلٌ^(٧)
فِي صَدْرِهَا ، فَاسْتَلَقَتْ حِلَاوَةَ^(٨) الْقَفَا ، فَفَضِبَتْ مِنْ ذَلِكَ هَوَازِنَ وَصَمَدَتْ لَهُ^(٩) ،

* لَعَامَرُ عَلَى عَبْسٍ وَ (النِّفَرَاتِ) هَكَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْأَغَانِي ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
(النِّفَرَاتِ) ، وَفِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ : النِّفَرَاتُ ، قَالَ : تَقْرَى بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَإِسْكَانِ ثَانِيهِ بَعْدَهُ رَاءَ
مِهْمَلَةٍ مَقْصُورٍ عَلَى وَزْنِ فُعْلَى ، وَيَعْدُ : مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ غُطْفَانَ . قَالَ السَّكْرِيُّ : هِيَ حَرَّةٌ . قَالَ
مَالِكُ بْنُ خَالِدٍ الْحَفَاقِيُّ :

وَلَا رَأَوْا تَقْرَى تَسِيلَ اكْلَمَهَا بَارِعَنَ جَرَارٍ وَحَامِيَةَ غَلَبَ
وَرَوَاهُ السَّكْرِيُّ : تَقْرَى بِالْقَافِ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ أَرَادَ تَقْرَى فَخَفَّفَ لِلضَّرُورَةِ ، قَالَ أَبُو صَخْرٍ
فَجَعَلَهَا عَلَى تَقْرِيَاتٍ :

فَلَسَا تَفْتَحِي تَقْرِيَاتٍ سَحِيلَهُ وَدَافَعَهُ مِنْ شَامِهِ بِالرَّوَابِجِ
يَرِيدُ بِالْأَصَابِجِ ، يَصِفُ سَحَابًا .

الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٠٤ ج ٣ ، الْأَغَانِي ص ١٠ ج ١٠ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٣٨ ج ١٠ ، بُلُوغُ
الْأَرْبِ ص ١١٧ ج ١ ، مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ (رَكْبَةٌ - نَقْرٌ - قَرٌّ - نَفَرَاتُ)

(١) مِنْ عَبْسٍ ، وَيُنْتَهَى نِسْبُهُ إِلَى قَيْسِ عِيلَانَ بْنِ مَضَرَ (٢) هَوَازِنُ : حَيٌّ مِنْ قَيْسِ
عِيلَانَ (٣) يَمِزُّهُمْ : يَنْفُذُهُمْ (٤) الْأَقِطُ : شَيْءٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْحَبِّيشِ الْغَنِيِّ
(٥) النَّحْيُ : الزُّقُّ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ السَّمْنُ (٦) دَعَمَهَا : دَفَعَهَا (٧) قَوْسٌ عَطُلٌ :
لَا وَتَرُ فِيهَا (٨) حِلَاوَةُ الْقَفَا : وَسَطُهُ (٩) صَمَدَتْ لَهُ : قَصَدَتْهُ وَاتْتَظَرَتْ غَفْلَتَهُ .

هذا إلى ما كان في صدرها من النفيظ والدمن^(١) وما أوحرها^(٢) من الحسد .
وتذامرت^(٣) عامر بن صمصمة - وهم بطن من هوازن - وآلى خالد بن جعفر
فقال : والله لأجملن ذراعى وراء عنقهِ حتى أقتل أو يُقتل ، ثم قال :

أدبروني أداتكم^(٤) فإني وحذفة^(٥) كالشجاء تحت الوريد
مقرية أسدبها بخزير^(٦) وألحفها ردائي في الجليل
وأوصى الراعيين ليؤثراها لها لبن الخلية والصمود^(٧)
نراها في الزاة وهن شعث كقلب^(٨) العاج في الرئس الجديد

ولاسم زهير هذا القول حقر خالدا وسبه ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي
هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه . فقال زهير : اللهم
أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا . فقالت قريش - وكان
الكلام أمامهم : هلكت والله يا زهير . فقال زهير : إنكم والله الدين لا علم لكم .



ثم انتقل زهير من قومه بينه وبين أخويه زنباع وأسيد يربغ^(٩) الفيت في
عشراوات^(١٠) له ، وبنو عامر قريب منهم ولا يشعرون بهم ، وكانت تماضر بنت
الشريد امرأة زهير بن جذيمة ، فر بها أخوها الحارث^(١١) ؛ فقال زهير

(١) الدمنة : الحقد القديم ، وجهه دمن (٢) أوحرها : أغرها (٣) تذامرت :
تماحزت على القتال (٤) لسكل ذى حرفة أداة ، وهي آلة التي تقيم حرفه ، وأداة الحرب
سلاحها (٥) حذفة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : النساقة تنتج فينحر ولها
ليدوم لهم لبنها ، والصمود : الناقة يموت حوارها فتعطى على فصيلها (٧) القلب : السوار
(٨) يربغ : يطلب (٩) المعراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ، وجمعها عشراوات
(١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتنى بيني عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالداً
أرسله مبعوثاً ليأمنه بنجر زهير .

لَبَنِيهِ : إن هذا الحمار أَطْلِمَهُ عَلَيْكُمْ فَأَوْثِقُوهُ ، قَالَتْ أُخْتُهُ لَبْنِيهَا : أَيْزُورُكُمْ خَالَكُمْ
فَتَوْثِقُوهُ وَتَحْرِمُوهُ ؟ ثُمَّ حَلَبُوا لَهُ وَطَبَا^(١) ، وَأَخَذُوا مِنْهُ يَمِينًا أَلَّا يُخْبِرَ عَنْهُمْ ،
وَلَا يُنْذِرَ بِهِمْ أَحَدًا .

فَخَرَجَ يَطِيرُ حَتَّى أَتَى بَنِي عَامِرٍ عِنْدَ نَادِيهِمْ ، وَأَتَى شَجَرَةً فَأَتَى الْوَطْبَ تَحْتَهَا
وَالْقَوْمُ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَيْتَهَا الشَّجَرَةُ الدَّلِيلَةُ ؟ أَثَرُ بَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَانْظُرِي مَا طَعَّمَهُ ؟ فَقَالَ أَهْلُ
الْجُلُسِ : هَذَا رَجُلٌ مَأْخُوذٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُخْبِرُكُمْ خَبْرًا !

فَأَبَوْهُ ، وَذَاقُوا اللَّبَنَ ، فَإِذَا هُوَ حُلُوفٌ لَمْ يَقْرُصْ بَعْدُ^(٢) ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لِيُخْبِرُنَا
أَنْ نَطْلُبَنَاهُ قَرِيبًا .

فَرَكِبَ خَالِدٌ وَرَكِبَ مَعَهُ سِتَّةُ فُؤَارِسٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ لِيَنْظُرُوا مَا الْخَبَرُ . وَاقْتَصَوْا
أَثَرُ السَّيْرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا إِبِلَ بَنِي عَبَسَ فَرَكَلُوا عَنِ الْخَيْلِ ؟ فَقَالَتْ نِسَاءُ بَنِي عَبَسَ :
إِنَّا لَنَرِي حَرَجَةً مِنْ عِضَاءِ^(٣) ، أَوْ غَابَةً مِنْ رِمَاحٍ بِمَكَانٍ لَمْ نَكُنْ نَرِي بِهِ شَيْئًا .
ثُمَّ رَاحَتِ الرَّعَاةُ فَأَخْبَرُوا بِمَثَلِ هَذَا الْخَبَرِ ، وَأَخْبَرَتِ رَاعِيَةٌ أَسِيدَ بْنَ جَذِيمَةَ أَسِيدًا
بِمَثَلِ ذَلِكَ .

فَأَتَى أَسِيدٌ أَخَاهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ الرَّاعِيَةُ وَقَالَ : إِنَّمَا رَأَتْ خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ
وَرِمَاحَهَا . فَقَالَ زُهَيْرٌ : كُلُّ أَزْبٍ^(٤) تَقُورُ ! وَأَيْنَ بَنُو عَامِرٍ ؟ أَمَّا كِلَابُ فَكَالْحَيَّةِ^(٥)

(١) الوطْب : سقاء اللبن (٢) يقْرص : يحمْض (٣) المضاء : كل شجر يعظم وله
شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأزْب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال
في اللسان : وَلَا يَكَادُ يَكُونُ الْأَزْبُ إِلَّا تَمُورًا لِأَنَّهُ يَنْبِتُ عَلَى حَاجِبَيْهِ شَعِيرَاتٌ ، فَإِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ
غَرَّ ، وَكَانَ أَسِيدٌ كَثِيرُ الشَّعْرِ . وَفَدَّ ذَهَبُ الْجَمَّةِ مَثَلًا (٥) كِلَابُ وَكَبْ وَغَيْرُ وَهَلَالٍ :
طُورٌ مِنْ عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ .

إِنْ تَرَكْتَهَا تَرَكْتُكَ ، وَإِنْ وَطِئْتَهَا عَضَّتْكَ . وَأَمَّا بَنُو كَعْبٍ فَإِنَّهُمْ يَصِيدُونَ
الْأَثَى^(١) ، وَأَمَّا بَنُو نَعِيرٍ فَإِنَّهُمْ يَرْعَوْنَ لِإِبِلِهِمْ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَأَمَّا بَنُو هِلَالٍ
فَيُصَيِّمُونَ الْمِطْرَ .

ثم آلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح ، وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء
والخارث . وكانت لزهير مظلة دوح يربط فيها أفراسه لا ترعيه حذراً من الحوادث ،
فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخليل ، وهي القمساء^(٢) . فقال زهير :
مالها ؟ فقال ربيثته^(٣) : أحست بالخليل فصهلت إليهن ، فلم تؤذنه بهن إلا والخليل
دوائس^(٤) محاضر ، بالقوم غديّة ، فقال زهير لأخيه أسيد - وظن أنهم أهل اليمن :
يا أسيد ؟ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تعمى حديثهم منذ الليلة ، وركب أسيد
ومضى ناجياً .

ثم إن زهيراً وثب وتدثر^(٥) القمساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدّن^(٦) ، وقال
لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟ فقال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يُجهدها
ويكدها بالسوط قد ألح عليها . فقال زهير : شيئاً ما يريد بالسوط إلى الشقراء^(٧) .
وتحرّدت القمساء بزهير ، وجعل خالد يقول : لا نجوت إن نجاً مجدّع^(٨) .
ولما تمفّطت^(٩) القمساء بزهير ولم تتعلّق بها حذفة قال خالد لماوية الأخيل

(١) الأثى : الثور الوحشى (٢) القمساء : اسم فرس زهير (٣) الربيثة : الطليعة
التي ينظر القوم لئلا يدهمهم العدو . وقد زعموا أن ربيثة زهير كان من الجن
(٤) دوائس : يتبع بعضها بعضاً ، والمحضر : الكثير الحضر ، والحضر : ارتفاع القرس في
عدوه (٥) تدثر فرسه : وثب عليها (٦) بدن الرجل : أسن وضمف
(٧) ذهبت مثلاً ، والشقراء هي حذفة فرس خالد (٨) يعنى زهيراً (٩) تمفط القرس :
جرى حتى لا يجد مزبداً في جريه .

ابن جبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك معاوية ، فأدرك معاوية زهيراً ، فجعل ابنه ورقاء والحارث يوطشان^(١) عنه ؛ فقال خالد : اطمئن يا معاوية في نساءها^(٢) ، فطمئن في أحد رجلها ؛ فأنخذلت القمساء بمض الأنخذال ، وهي في ذلك تتممط ، فقال زهير : اطمئن الأخرى - يكيدُهُ بذلك لكي تستوى رجلها ، فتجامل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أفذ^(٣) طعنتك ، فشغ^(٤) الرمح في رجلها فأنخذلت .

ولحقه خالد على حذفة ، فجعل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخرّ خالد فوقه ، ولحق حنْدُج بن البكاء - وكان ممن جاء مع خالد - فوجد خالد قد حَسَرَ المِفْرَ عن رأس زهير فقال : نَحْ رأسك يا أبا جزء^(٥) ، لم يميز يومك ا فنحى خالد رأسه وضرب حنْدُج^(٦) رأس زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، فلم يُفِن شيئاً ، وأجهض^(٧) ابنا زهير القوم عن أبيهما فأنزعهما مرتين^(٨) .

فقال خالد - حين استنقذ زهيراً ابنه : وَالْهَفْتَاءُ ! قد كنت أظن أن هذا المخرج سينفمكم ، ولام حنْدُجاً : فقال حنْدُج : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب ، وسمعت السيف قال : قَبْ قَبْ^(٩) حين وقع برأسه ، ورأيت على ظيئته مثل ثمر الرار . فقال خالد : قتلته بأبي أنت !

-
- (١) يوطشان : يدفسان
(٢) أي اطمئن مكاناً واحداً
(٣) أبو جزء : كنية خالد
(٤) شغ : السنان في الطعنة : حركة ليتكن في الطمون
(٥) في المقد العريد : الذي ضربه هو معاوية الأخيل
(٦) أجهض : نعى
(٧) المراث : المحمول من المركب جريحاً
(٨) قَبْ قَب : حكاية وقع السيف .
(٩) قَبْ قَب : حكاية

ونظر بنو زهير فإذا بالضربة قد بلغت الدماغ ، ثم استسقام فتموه الماء ،
حتى نهك عمارا ، وقال : أميت أنا عطشا ! اسقوني الماء وإن كان فيه نفسي ،
ثم أخذ ينادى : يا ورقاء ؛ ولما لم يجبه جمل ينادى : يا شاس^(١) ، فلما رأوا ذلك
سقوه ، فأت بعد ثلاثة أيام .



وفي قتل زهير بقول ابنه ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كلِّك^(٢) خالد فأقبلت أسمى كالمجول^(٣) أبادرُ
إلى بطلينٍ ينهضان كلاهما يُرينان^(٤) نصل السيف والسيفُ دائر^(٥)
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه من الحديد الظاهر^(٦)
فيا ليت أني قبل أيام خالد ويوم زهير لم تلدني تلحمرُ
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتنى فما الذي ردت عليك البشائرُ
فطر خالد إن كنت نسطيع طيرة ولا تقمن إلا وقلبك حاذر
أنتك النابا إن بقيت بضربة تفارق منها العيش والموت حاضرُ

(١) هو شاس بن زهير الذي قله رباح بن الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن المنذر
(٢) الكلكل : الصدر (٣) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .
وفي معجم ما استعجم :

• فأقبلت أسمى كالمجول أبادر •

(٤) يرينان : يدبران (٥) دثر السيف : صدى فهو دائر وفي القيد : والسيف دائر
(٦) ظاهر الدرع : لأم بعضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر بمنّ على هوازن بقتله زهيراً ، ويصدق الحديث :
أبلغ هوازنَ كيف تكفروُ بعدما أعتقتم فتوالدوا أحرارا
وقتل ربهم زهيراً بعدما جدّع الأنوفَ وأكثر الأوزارا
وجملت حزن بلادهم وجبالهم أرضاً فضاء مهلة وعشارا
وجملت مهر بناتهم ودمائهم عقل^(١) الملوك هجائنا أبكاراً

(١) أى جملت ذلك كدية الملوك .

٣- يَوْمَ بَطْنِ عَاقِل

أغار خالدُ بن جعفر بن كلاب العامري على ذُيَّان - رهط الحارث بن ظالم المري الذُّبْيَانِي - وهم في وادٍ يقال له حُرَاض ، فقتل الرجالَ حتى أَسْرَفَ ، وبقيت النساءُ ، والحارث بن ظالم يومئذ صغير ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك في تلك الواقعة من جراح أصابته يومئذ .

وكانت نساء بني ذُيَّان لا يحلُبْنَ اللبن ، فلما تَأَيَّمَنَ وَرَصَرَنَ بغير رجال طَفِقَنَ يَدْعُونَ الحارث ، فبشَّدَ عَصَابَ الناقة ، ثم يحلُبُنها ويكيِّنَ رِجَالُها ، ويكيي الحارث معهم ، فنشأ على بُغْضِ خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة المبسي ؛ فاستحقَّ العداوة في غطفان^(١) .

ثم مكث خالد بُرْهة من دَهْرِهِ أتى بعدها النعمان^(٢) بن النضر ملك الحيرة ، فألْفَى عنده الحارث بن ظالم المري فأقبل النعمان يسأله ؛ فحسدهُ خالد ، ثم قال للنعمان : أبيت اللعن ! هذا رجلٌ لي عنده يد عظيمة ! قتلتُ زهير بن جذيمة المبسي - وهو سيّدُ غطفان - فصارَ هو بعد قتله سيِّدَها ! فقال الحارث - غاضباً : سأُجْزِيكَ على يدك عندي !

ثم إن النعمان دعاها بعد ذلك ومعهما بعض القوم ، وقَدَّم لهم تمرّاً ؛ فطَفِقَ خالدُ

* لُذْيَان على عامر ، وبطن عاقل : موضع على طريق الحاج من البصرة

الأغاني ص ١٦ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١ ، المقدِّم ص ٣٠٥ ج ٣

(١) كان زهير بن جذيمة من عبيس ، والحارث بن ظالم من ذُيَّان ، وعبيس وذُيَّان : حبلان من غطفان بن قيس عيلان (٢) في المقدِّم ص ٣٣٨ ج ١ ، إن وفاة خالد ولقاءه بالحارث كانا عند الأسود بن النضر أخي النعمان ، وفي ابن الأثير : كان لقاؤهما عند النعمان بن امرئ القيس .

يَأْكُلُ وَيُلْقِي نَوَى مَا يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَارِثِ^(١). فلما فرغ القوم قال خالد: أَيْتَ اللّٰمَنُ ! انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى ، فإترك لنا تمرّاً إلا أكله ، فقال الحارث : أما أنا فأأكلُ التَّمْرَ وألْقِيَتِ النَّوَى ، وأما أنت ياخالد فأأكلته بنواه! فغضب خالد - وكان لا يُنازع - وقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك^(٢) ، وتركتك يتيماً في حجور النساء ؟ فقال الحارث : ذلك يوم لم أشهده ، وأنا مُغْنِمُ اليوم بمكاني . فقال خالد : فهلاً تشكرني إذ قتلتُ زهير بن جديعة وجعلتُك سيِّدَ غطفان ؟ قال: بلى ، سوف أشكرك على ذلك .

وكان مع خالد ابن أخيه^(٣) عروة الرِّحَال بن عتبة بن جعفر ، فقال لعمه خالد : ما أردت بكلامه وقد عرفته فتّاً كما ! فقال خالد : وما تخوفني منه ؟ فوالله لو رأيته ناعماً ما أيقظني .

ثم إن الحارث بن ظالم ذهب إلى امرأة يقال لها بنت عفرز فشرب عندها ، وقال لها تنقني :

تَعْلَمُ أَيْتَ اللّٰمَنُ أَتَيْتُ فَاتَكَ مِنْ الْيَوْمِ أَوْ مِنْ بَعْدِهِ بَابِرِ جَعْفَرٍ
أَخَالَدَ نَبَهْتَنِي فَمِيرَ نَأْمِهِ فَلَا تَأْمَنَنَّ فَتَكِي مَدَى الدَّهْرِ وَاحْذِرِ
أَعْيَرَتَنِي أَنْ تَلْتَ مَعِي فَوَارِسًا غَدَاةَ حُرَاضٍ مِثْلَ جَنَانِ عَقْبَرِ^(٤)
أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الْخَثُورُ بِخَثَرِهِ^(٥) وَمَنْ لَا يَبْقَى اللَّهُ الْهَوَادِثَ يَمُوتُ
لَمَلِكٍ يَوْمًا أَنْ تَنْوِيَ بِضَرْبَةٍ بِكَفٍّ فَتَيَّ مِنْ قَوْمِهِ غَيْرَ جَيِّدَرٍ^(٦)

-
- (١) عبارة ابن الأثير : وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب
(٢) الحاضر والماضرة : الحى العظيم ، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير :
فقال عروة لأخيه خالد (٤) حراض : واد لرهمط الحارث ، وعبر : موضع كثير الجن .
والجان من الجن جمه جنان (٥) الحتر : النذر (٦) الجيدر : القصير .

يعض بها عليا هوازن ، والنسي لقاء أبي جزة^(١) بأبيض مبتر
فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به . وكان عبد الله بن جمدة - وهو ابن
أخت خالد - رجلاً قيس رايًا ، وبلغه قول الحارث؛ فأرسل ابنه إلى خالد ، وقال له :
أنته وقل له : يا أبا جزة ؛ إن الحارث بن ظالم سيفه موقوف ، فأخف مبيتك الليلة
فإنه قد غلبه انسراب ، فإن أبيت فأجمل رجلاً يحرمك .

فلم يقبل خالد أن يُخفى مبيته ، ولكنه نام وجعل رجلاً يحرمه ، ونام عروة
وابن جمدة دون الرجل^(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جمدة
وعروة فتمدأهما ، ثم أتى قبة خالد فهتك شرجهما^(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس
يحسبه خالداً فمجنه بكلكله حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خلى عنه
حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظه ، فلما استيقظ قال له : أتعرفني ؟ قال : أنت الحارث !
قال : خذ جزأ يدك عندي ! وضربه بسيفه المملوب^(٤) فقتله ، ثم خرج من القبة
وركب راحلته وسار .

وانتبه عروة ، فصاح : واجوار الملك^(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه
وأخبره الخبر ، فبث الرجال في طلب الحارث .

(١) أبو جزة : كنية خالد (٢) في ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهم ففصرهما
عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه (٣) المخرج : عرا الحياء واليبة ونحو ذلك
(٤) المملوب : سيف الحارث ، كنا كان اسمه (٥) وصمت امرأة من بني عامر يقتل
خالد ، فشقت جيبها ، فقال عبد الله بن جمدة الكلابي :

شقت عليك الصامرية جيبها أسفاً وما تبكي عليك ضللاً
في رواية ابن الأثير الجعفرية

يا حار لو نيهته لوجدته لا طائنا رعنا ولا مزالا
للزغال : من لا رمح له

واغرورت عينا لما أبصرت بالجفري وأسببت إسبالا
فتقتلن بخالد سروانكم ولنجلن للظالين نكالا
فلذا رأيت طرأ منلياً منا فإنا لا نغاول حلا

قال الحارث : فلما مرت قليلاً خِفْتُ أن أكونَ لم أقتله ، فمدتُ متتكرراً
واختلطت بالناس ، ودخلت عليه فصرته بالسيف حتى تيقنتُ أنه مقتول ، وعدتُ
فلحقته بقوى^(١) .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه^(٢) ؛ فغضب لذلك قيسُ بن زهير بن
جذيمة العبسي ، وهو الذي قتل خالدُ بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهذه
الآيات :

جزاك الله خيراً من خليل	شقي من ذى تبؤله ^(٣) الخليل
أزحت بها جوى ودخيل حزن	تمخخ أعظمى زمناً طويلاً
كسوت الجعفرى أبا جزى ^(٤)	ولم تحفل به سيفا صقيلاً
أبأت به زهير بن بفيض ^(٥)	وكنت لثلها ولها حولاً
كشفت لها القناع وكنت بمن	يجلّى المار والأمر الجليل

فأجابه الحارث بن ظالم :

أثاني عن قيس بن زهير	مقالة كاذب ذكر النبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم	لقاتل تاركم حرزاً أصيلاً
ولكن قلتم جاوز سوانا ^(٦)	فقد جللتنا حدثاً جليلاً
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم	لما طردوا الذى قتلوا القتيلا

(١) وفى قول خالد يقول الحارث :

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً	وحى كلاب هل فكت بخالداً؟
عشوت إليه وابن جمدة دونه	وعروة يكلأه غير راقده

عشوت إليه : قصدته ليلاً

(٢) انظر يوم الرحرهان ، وسيأتى بعد فى القسم الثامن (٣) النبولة : جمع نبل وهو المناوأة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة وينتهى نسب إلى بفيض (٦) وقد حاور

قيساً بعد بنى تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

٤ - يَوْمَ دَاحِسٍ وَالْفَبْرَاءِ

- ١ -

سار قيسُ بن زهير^(١) بن جذيمة العبسي إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ،
ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد^(٢) بن جعفر السكلابي العامري ،
فأتى أحيحة^(٣) بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة ، فقال له : لولا أن تَدُمَّنِي^(٤)
بنو عامر لو هبَّتْها لك ؛ ولكن اشتراها بابن لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع - وكانت

* بين عيس وذيان ، وكانت الحرب بينهما سجالاً وانتهت بصلح . وداحس والفبراء : اسمان
فرسين لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب أيام المريب وذى حساء واليمرية والهباءة وفروق
وفطن .

شراء الصراينة من ٩١٧ ، المقد القريد من ٣١٣ ج ٣ ، سيرة ابن هشام من ١٨٢ ج ١ ،
ابن الأثير من ٣٤٣ ج ١ ، النقاظ من ٨٣ ، الأغاني من ٢٤٠ ج ٨ ، ومن ٢٦ ج ١٦ ،
ديوان عنترة بن شداد من ١٥١ ، معجم البلدان (أصاد - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي
من ٣٩٧ ج ١ - ومن ٣٧ ج ٣ ، شرح الزوزني على المعلقات السبع من ٨٩ ، شرح التبريزي
على المعلقات العشر من ١٠٠ ، الأمثال من ٥١ ج ٢ ، شرح العيون من ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بني عيس ، وكان يلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وكان أيضاً مجرباً ؛
ذكر وامن دهائه أنه مر يبلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديلاً ، فكره ذلك ، فقال له الريح بن
زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ، فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ؛ إن مع الثروة والنعمة
التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعااضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : أربعة
لا يلاقون : عبد ملك ، وفنل شيع ، وأمة ورثت ، وقيصة تزوجت (٢) انظر يوم التفراوات
(٣) أحيحة بن الجلاح : كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلى أم عبد المطلب بن هاشم
تحمه ، وكانت لا تتكح الرجال إلا وأمرها يدها فتركته لعمى كرهته فزوجها هاشم فولدت له
عبد المطلب ، وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يمحيط بأمواله
وكانت له لمة وتسمون بئراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبني عامر يد عنده .

تسمى ذات الحواشي - وَوَهَبَهُ أُحِيحةٌ أَدْرَاعاً أُخْرَى^(١) ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جهازه .

واجْتَاَزَ بالربيع^(٢) بن زياد العبسي ، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بئار أبيه ، فلأجابه إلى ذلك . ولما أراد إفراغه نظر الربيع إلى عَيْبَتِهِ^(٣) ؛ وقال له : ما في حقيبتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرتَه لرَاعَكَ . وَأَنَاخَ راحِلَتَه ، وأخرج الدَّرْعَ من

(١) هذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغاني فهي : أتى قيس بن زهير أحيحة بن الجلاح لما وقع الأمر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبئت أن عندك درعاً ليس يثرب درع مثلها فإن كانت فضلاً فيعتبها ، أو فبهما لي ، فقال : يا أخا بني عيسى ، ليس مثلي ببيع السلاح ولا بفضل عنه ، ولو لا أنني أكره أن أستلم إلى بني عامر لو هبتها لك ، ولحلتك على سوابق خيلي ، ولكن ابتزها يا أبا أيوب ؛ فإن البيع مرتجى ، وقال . فقال له قيس : فما تكره من استئثامك إلى بني عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العزفى آل يثرب	فناد بصوت يا أحيحة أسمع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره	يبيت قرير العين غير مروع
ومن يأت من خائف ينس خوفه	ومن يأت من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة	وأكرم بفخر من خصال الأربيع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلما عنه ، ثم عاد فساومه ، ففضب أحيحة وقال له :
بت عندي فبات عنده فلما شرب تفتى أحيحة وقيس يسمع :

ألا يا قيس لا تسن دروعي	فما مثلي يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حوى	وأنى لست عنها بالنزوع
لأبت بمشها عسراً وطرف	لحوى الأطل جياش تبيع
ولكن سم ما أحببت فيها	فليس بمنكر غير البيوع
فما هبة الدروع أخا بفيض	ولا الخيل الوابق بالبديع

فأسك بعد ذلك عن ساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسي) مهذب الأغاني ص ١١٥ ج ١

(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عبس وكان نديماً للثمان وله معه قصة مشهورة

(٣) العيبة : ما توضع فيها اثياب .

الحفنية ، فأبصرها الربيعُ فأمجبتهُ ، ولبسها فكانت في طوله ، فمنعها من قيس ولم يُعْطِها إياها ، وتردّدت الرسلُ بينهما في ذلك ، ولجّ قيس في طلبها ، ولجّ الربيعُ في منْعِها .

فلما طالت الأيام على ذلك سبّر قيسُ أهله إلى مكّة ، وأقام ينتظر غيرةَ الربيعِ ؛ ثم إن الربيعَ سبّرَ إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلال ، وأمرَ أهله فظعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المنزل .

ولما بلغ الخبرُ قيساً سار في أهله وإخوته ، فمارض ظمآنَ الربيع ، فوجد فيها أم الربيع فاطمة^(١) ابنة الخرشب الأنمارية ؛ فافتادَ جملها ، يريد أن يرتهنها بالدرع حتى تُردَّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ يا قيس ؟ فقال : أذهب بكنّ إلى مكّة ؛ فأبيحُكنّ بها بدرعى ؛ فقالت : ما رأيت كالأيوم فعل رجل ! أي قيس ؛ ضلّ حِلْمُك ! أترجو أن تصطَلَح أنت وبنو زياد ، وقد أخذتُ أمهم ، فذهبت بها بمنّا وشمالا ، فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا ، وحسبُك من شرِّ سماعة !

فعرف قيس ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأطردَ الإبل ، وسار بها إلى مكّة ؛ فباعها من عبد الله^(٢) بن جُدعان القرشي ، واشترى بها خَيْلاً ، وثبّعَ الربيع فلم يُلْحَقْهُ ؛ فكان فيما اشترى من الخليل داحِس والغبراء^(٣) .

(١) فاطمة بنت الخرشب : هي إحدى النجبات من العرب ، وكان يقال لبنيها الكلمة ومم : الربيع ومارة وأنس وقيس والحارث ومالك وعمرؤ . روى أن عبد الله بن جدعان لقبها مرة ومي تحلوف بالكعبة فقال لها : نشدتك رب هذه البنية : أي بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل مارة ، لا بل أنس ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، ثم كالحلقة القرعة لا يدري أين طرفاها . (٢) عبد الله بن جدعان : من أجواد العرب في الجاهلية ، وله في الكرم نوادر ، وكان يسمى حاسي الذهب لأنه كان يشرب في لئاء من الذهب ، وكانت له جفنة عظيمة يقيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمها ، وفي القاموس : ووربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين القريسين ، مبسطة في الأغاني وابن الأثير وشعراء النصرانية والنقائض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية من ابن الأثير .

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة ، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً - فقال لهم : نَحْوَا كَهَبَتَكُمْ عَنَّا وَحَرِّمَكُمْ ، وهاتوا ما شِئْتُمْ ، فقال له عبد الله بن جُدعان : إذا لم نَفَاخِرْكَ بالبيت المعمور ، والحرَم الآمن فبِمَ نَفَاخِرْكَ ؟
فلَّ قيسٌ مفاخرتهم وعزم على الرحلة ، وسرَّ ذلك قريشاً ؛ لأنهم قد كانوا كرهوا مُفَاخِرته ، فقال لإخوته : اذْهَبُوا بنا من عندهم أولاً ، وإلا تَفَاقَمَ الشرُّ بيننا وبينهم ، والحقوا ببني بَدْر بن فزارة ؛ فإنهم أَكْفَاؤُنَا في الحسبِ ، وبنو عَمَتنا في النَّسَبِ ، وأشرافُ قومنا في الكرم ، ومن لا يستطيعُ الرِّبيعُ أن يتناولنا معهم ، ثم لحق ببني بدر^(١) .

وأجَّارَه حُذَيْفَةُ بن بدر ، وأخوه سَحْل بن بدر ، فأقام فيهم ، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها ، وكان حذيفة يَتَدَوُّ وَيُرُوحُ إلى قَيْسٍ ، فينظرُ إلى حَيْلِهِ ، فيصدُّه عليها ، ويكتمُ ذلك في نفسه .
وأقام قيسٌ فيهم زماناً يُكْرِمُونَهُ وإخوته ؛ ولما علم بذلك الربيع بن زياد غضب وتَمِّمَ منهم ذلك ، وبمَثِ لبني بَدْر بهذه الآيات :

أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي بَدْرٍ رَسُولًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَنْ^(٢) وَوَنَرٍ
بَأَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكُمْ صَدِيقًا أَدَافِعُ عَنْ فَزَارَةٍ كُلِّ أَمْرٍ
أَسْلَمَ سِلْكُكُمْ وَأَرَدْتُ عَنْكُمْ فَوَارِسَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَحُجْرٍ
وَكَانَ أَبِي ابْنِ عَمِّكُمْ زِيَادٌ صَفَى أَيْبَكُمْ بَدْرُ بْنُ عَمْرٍو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهي إحدى قبائل ذبيان (٢) الشَّنْء (بفتح الشين) وكسرهما : البغضة .

فَالْجَائِئُ أَخَا الْفَدَرَاتِ قَيْسًا فَقَدْ أَفْعَمْتُ إِيْفَارَ صَدْرِي
 فَخَسْبِي مِنْ حُدَيْفَةٍ ضَمَّ قَيْسٌ وَكَانَ الْبَدُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ
 فَبَا تَرَجِعُوا أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ وَإِنْ تَابُوا فَقَدْ أَوْسَعْتَ دُرِي
 وَلَكِنْ بَنَى بَدْرٌ لَمْ يَتَغَيَّرُوا عَنْ جَوَارِ قَيْسٍ ؛ فَغَضِبَ الْبَرِيعُ ، وَغَضِبَتْ بَنُو زِيَادَ
 لِنَفْسِهِ .

ثُمَّ إِنْ حُدَيْفَةُ كَرِهَ قَيْسًا ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَجِدْ حُجَّةً ، وَعَزَمَ قَيْسٌ
 عَلَى الْعُمَرَاءِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْعُمَرَاءِ ، فَبَا كَمْ أَنْ تُتَلَّسُوا حُدَيْفَةَ
 بَشِيءً ، وَاحْتَمِلُوا كُلَّ مَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ ؛ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ الشَّرَّ فِي وَجْهِهِ ،
 وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِهِ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْ تُرَاهِنُوهُ عَلَى الْخَيْلِ - وَكَانَ قَيْسٌ ذَا رَأْيٍ
 لَا يُخْطِئُ فِيمَا يَرِيدُهُ - ثُمَّ مَارَ يَرِيدُ مَكَّةَ .

— ٣ —

زَادَ الْوَرْدُ^(١) الْمُبْسِيَّ حُدَيْفَةَ بْنَ بَدْرِ فَمَرَضَ عَلَيْهِ حُدَيْفَةُ خَيْلَهُ ، فَقَالَ :
 مَا أَرَى فِيهَا جَوَادًا مُبِيرًا^(٢) ! فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ : فَمَعْدَمَ مِنَ الْجَوَادِ الْمُبْرِ ؟ فَقَالَ :
 عِنْدَ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُرَاهِنَنِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ فَعَلْتُ .
 فَرَاهِنَهُ عَلَى ذِكْرِ مِنْ خَيْلِهِ وَأُنْثَى .

ثُمَّ إِنْ وَرَدَ الْمُبْسِيَّ أَنَّى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَقَالَ : إِنْ قَدْ رَاهِنْتُ عَلَى فَرْسَيْنِ مِنْ
 خَيْلِكَ ذَكَرَ وَأُنْثَى ، وَأَوْجَبْتُ الرَّهَانَ ، فَقَالَ : مَا أَبَالِي مِنْ رَاهِنْتَ غَيْرَ حُدَيْفَةٍ ،
 فَقَالَ : مَا رَاهِنْتُ غَيْرَهُ ! فَقَالَ قَيْسٌ : إِنَّكَ - مَا عَلِمْتُ لَأَنْكَدَ !

(١) فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ : أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ يُقَالُ لَهُ قُرَوَاشُ كَانَ يَبَارِي حَمْلَ بْنَ بَدْرِ أَخَا حُدَيْفَةَ
 (٢) الْمُبْرِ : الْغَالِبُ .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه ، فقال له حذيفة : ما غدا بك ؟ فقال : غدوت لأواضيمك^(١) الرّهان ، فقال حذيفة : بل غدوت لتفلقه^(٢) ، فقال قيس : ما أردت ذلك ، فأبى حذيفة إلا الرّهان ، فقال قيس : أخبرك ثلاث خلال ، فإن بدأت واخترت قبلي ، فلي خلتان ولك الأولى ، وإن بدأت فاخترت قبلك ، فلك خلتان ولي الأولى .

قال حذيفة : فأبدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غلوة^(٣) ، قال حذيفة : فالضمار^(٤) أربعمون ليلة ، والمجرى من ذات الإصاد^(٥) . ففعلا ووضع السبق^(٦) على يدى أحد بنى ثعلبة بن سعد .

ثم ضمروا الخيل ، فلما فرغوا استقبل الذى ذرع^(٧) الغاية بينهما من ذات لإصاد - وهى ردهة وسط هضب القلب - فانتهى الذرع إلى مكان ليس له اسم . فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذى يرد ذات الإصاد ، وأجرى قيس داحساً والقبراء ، وحذيفة الخطار والحنفاء^(٨) .

وملئوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها .

(١) فى القاموس يقال : هلم أو اضمك الرأى : أطلمك على رأى وتطلمنى على رأبك
(٢) أغلقت الرهن : أوجبته (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال فى اللسان : يكون المضمار وقتاً للأيام التى تضر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضميرها : أن تشد عليها سروجها ، وتجلل بالأجلة حتى تفرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشدد لحما ، ويجعل عليها غلمان خفاف يجرونها ، ولا ينفون بها ، فإذا فعل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم يقطعها الند ، قال أبو منصور : فذلك التضمير الذى شاهدت العرب تفعله يسمون ذلك مضماراً وتضميراً
(٥) ذات الإصاد : ردهة بين أجبل فى ديار بنى عيسى (والردهة : تبة فى حجر يجتمع فيها الماء (ياقوت - مادة أمد)
(٦) سبق : الحذر . هى موضع فى الرهان فن سبق أخذه (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) فى اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر قال ابن برى : هى أخته داحس لأيه من ولد العقال ، والقبراء خالة داحس وأخته لأيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد^(١) في الطريق ، وأمره أن يلقى داحساً في الطريقين فإن جاء سابقاً ردّوا وجهه عن الناية .

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا الدّى ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة^(٢) . ثم ركض ساعة ، فجعلت خيل حذيفة تسبق خيل قيس ، فقال حذيفة : سبقت يا قيس . فقال قيس : جرى المذكيات غلاب^(٣) .

فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون ، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه فالتقاء في الماء ، فكاد ينفق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب النبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسي حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقى الخطار والنبراء .

ثم إن النبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ، ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس^(٤)

(١) كان بنو أسد حلفاء لقريبات قوم حذيفة ، ورواية الميداني : ووضع حمل حياً في دلاء وجهه في شعب من شباب هضب القلب على طريق الخيل ، وكن معه ثياباً فيهم رجل يقال لعزير ابن عبد عمرو ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الناية (٢) أرسلها مثلاً ، أي من مائة غلوة قال في الأمثال : وهي اثنا عشر ميلاً ، أي لو كان قصدي الخداع لأجريت من قريب (٣) ذهب مثلاً . المذكية من الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب للغلبة ، أي أن المذكي يغالِب مجاريه فيظله لقوته ، يجوز أن يراد أن ثاني جريه أبطأ أكثر من بادية ، وثالث أكثر من ثانيه فكأنه يغالِب بالثاني الأول ، وبالثالث الثاني لجريه أبطأ غلاب ، وهنا معنى قول أبي عبيد حيث قال : فهي تحتل الجري غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاء : جمع غلوة بمعنى أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة النقائض : فلما مضت الخيل وأسهلت من الثانية أرسل داحساً تضرع في آثارها (أي أسرع) فجعل يديرها فرساً فرساً حتى أسبغها إلى الناية مصلياً وقد طرح الخيل غير النبراء ولو تباعدت الخيل سبقها ، فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلقوها عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاءا متوالين

بعد ذلك والُغلام يسيرُ به على رِسلِهِ ، وأخبر الغلام قيسًا بما صُنِعَ بفرسه .
فأنكر حذيفة ذلك ، وأدَّعى السَّبْقَ ظلمًا ، وقال : جاء فرساي متتاليين .
ومضى قيسٌ وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحسًا ، وجاءه الأُسديُّ
فادَّعى على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صَنَعَ ، وبما أمرَهُ به حذيفة .
فرجع قيسٌ وأصحابُهُ إلى حذيفة وأصحابه وقال : يا قوم إنه لا يأتى قومٌ إلى
قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حَقَّنَا ، فأبى بنو فزارة أن يعطوهم شيئًا - وكان
الخطَرُ^(١) عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سَبَقِنَا^(٢) ، فأبوا ،
فقالوا : أعطونا جَزُورًا نَنَحِّرَها ونطعمها أهلَ الماء ؛ فإننا نكره القَالَةَ في العرب ؛
فقال رجل من فزارة : مائةُ جَزُورٍ وجزورٌ واحدةٌ سِوَالَا ، والله ما كنا لِنُقِرَّ لكم
بالسَّبْقِ علينا ، ولم نُسَبِّقْ^(٣) .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم ؛ إن قيسًا كان كارهاً لأوَّل هذا .
الرهان وقد أحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهى إلَّا إلى شر ، فأعطوه جزوراً
من نَعْمِكُمْ ؛ فأبوا ، فقام إلى جَزُورٍ من إبله ، فمَقَلَّها لِيُعْطِيَهَا قيساً ويرضيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يتراهن عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال
التقى وضاع السبق على يديه لحذيفة : إن قيساً قد سبق ، وإنما أردت أن يقال : سبق حذيفة ،
وقد قيل ، أفادفع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه الثعلبي سبق . ثم إن عركى بن حميرة وابن
هم له من فزارة ندما حذيفة ، وقال : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن
جوادهم لهم ، فدفعك السبق تحقيق لدعوام ، فأسلمهم سبق ، فإنه أقصر باناً وأكل حذاً من
أن يردك . قال : ويلك ما أراجع فيها أيرمت ! فما زال به حتى ندم أنعى حميرة بن عمرو
حذيفة وقال له : إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة بنفسه ، وإنما سبقت دابة دابة ، فما في هذا حتى
تدعى في العرب ظلوماً . قال : أما إذ تسكمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثيرُ الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومك ، وتلحقَ بهم خِزْيةً بما ليس عليهم ؟ وأطلقَ الفلامَ عِقْالها ، فلحقت بالنعم .
فلما رأى ذلك قيسُ بنُ زهيرٍ احتَمَلَ عنهم هو ومن معه من بني عبس .

— ٤ —

ثم إن حُذيفةَ لجَّ في ظُلمه ، وأرسل إلى قيس ابنه ندبة^(١) يُطالبه بالسِّبِّ ، فلم يصادفه ، فقالت له امرأته : ما أحبُّ أنك صادفتَ قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتمودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأته الخبر ، فأخذت قيسُ زفراتٍ . ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبي : أعطني سبقي ، فتناول قيسُ الرمحَ فطعمه فدقَّ صُلبه^(٢) ، وعادت فرسه إلى أبيه عائرة^(٣) ، ونادى قيسُ : يا بني عبس ! الرَّحِيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرسُ حذيفةَ علم أن وَلَدَه قُتل ؛ فصاح في الناس ، وركبَ فيمن معه ، وأتى منازلَ بني عبس فرآها خاليةً ، ورأى ابنه قتيلاً ، فنزل إليه ، وقبله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا دِيةَ ندبة مائةَ عَشْرَاء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس . وكان مالك بن زهير - أخو قيس - متزوجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم ، فأرسل إليه

(١) في الأمثال : ابنه أبا فرقة (٢) هذه رواية ابن الأثير ص ٣٤٨ ج ١ ، ورواية العقد الفريد ص ٣١٣ ج ٣ أن المتقول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حمل دية مائة عَشْرَاء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغاني ص ٢٦ ج ١٦ ، والنفاذ ص ٨٠ ج ١ فهي أن قيس بن زهير أغار على بني فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله (٣) مار القرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إني قد قتلْتُ نَدْبَةَ بنِ حُذَيْفَةَ ورحلت ، فالحقُّ بنا وإلا قُتِلْتُ ، فلم يُجِبه
وقال : إنا ذَنبُ قيس عليه^(١) .

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ همُّ
عشيرةٍ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكِّراً في ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فدنسَ لملك بن زهير فُرْسَانًا على أفراس من مَسَانٍ^(٢) خَيْلِهِ
وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، فانطلق القومُ وقتلوه^(٣) .

(١) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه :
أن اخرج ، ثم بث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فرارة واحصها فإنيك إن تأمن فرارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم صواباً فقد أخطأت في الرأي مالك
فرد عليه مالك بهذين البيتين :

يا قيس حسبك ما أتيت فخلني وبني فرارة لاني متاسك
آمرى حذيفة آخذني بجزيرة لم تمنحها كني وأنت الفاتك

(٢) السنان من الإبل : خلاف الاتاء (٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء في الأغاني
والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير آتى امرأته باللقاطة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدنس له
فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع
ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر - وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر - فانطلق القوم فلقوا مالكا
فقتلوه ثم اصصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع ،
فقال حذيفة : أقدمتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ! فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط ،
أهلك أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لما أكثروا عليه من اللامة : إنما قتل حماراً ،
ولكننا قتلنا مالك بن زهير يموف بن بدر . فقال الربيع : بش لعمرك الله القتل قتل ! أما والله
لأنى لأظنه سيلبغ ما نكره ، ثم تراجعاً شيئاً من كلام ثم تفرقا . وقام الربيع خطاً الأرض وطأً شديداً
قال أبو عبيدة : فرصوا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها : اذهبي إلى
معاذة - بنت بدر وامرأة الربيع - فانظري ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت
واندست وراء اللثاع فبجاء الربيع فلنذ البيت حتى آتى فرسه فقبض بمعرفته ثم مسح مته حتى قبض =

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جازعت عليه ، وأمت بنو جزيمة حذيفة
فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردوا علينا مالنا . فأشار سنان بن
أبي حارثة على حذيفة ألا يرد أولادها معها ، وأن يرد المائة بأعيانها ، فقال حذيفة :
أرد الأبل بأعيانها ولا أرد النسل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيس بن زهير :

يودّ سنان لو يحارب قومنا وفي الحرب تفريق الجماعة والأزل^(١)
يدب ولا يخفى ليفسد بيننا ديباً كما دبت إلى جحرها النمل
فيا بنى بغيض ؛ راجعاً السلم تسليماً ولا تُشمت الأعداء بفترق الشمل
وإن سبيل الحرب وعمر مُضِلَّةٌ وإن سبيل السلم آمنة سهل
وعلم الربيع بن زياد بمقتل مالك بن زهير ؛ فجزع عليه ، وأرسل إلى قيس عينا
بأنيبه بالخبر ، فسمعه يقول :

أبئجو بنو بدر بمقتل مالك ويخذلنا في النائيات ربيع
وكان زياد قبله يُتقى به من الدهر إن يوم ألم فطيع
فقل لربيع يمتدني فضل شيخه وما الناس إلا حافظ ومضيع
والأفالى في البلاد إقامة وأمر بني بدر على جميع
فرجع العين إلى الربيع فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بمكة ذبة ، ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه ، فهزه هزا شديداً ، ثم ركزه كما كان .
وقال لامرأته : اطرحي لي شيئاً . فطرحت له شيئاً فانطجع عليه وقال لها : إليك عني فقد حدث أمر ،
ثم تنى وقال :

نام الخلى وما افهم حار من سبي النبا الجليل الساري

الخ فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هنا حين اجتمع أمر لأخوتكم ،
ووقعت الحرب (١) الأزل (بفتح الهزة) : الضيق والفتنة ، وبكسر الهزة : العاهية .

فَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أَغْمَضَ حَارَ مِنْ سِيءِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي^(١)
 مِنْ مِثْلِهِ تُسَمَّى النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُتَوَلِّةً مَعِ الْأَسْحَارِ
 مَنْ كَانَ مَسْرُورًا يَمُتَّلِ مَالِكُ فَلَيَاتِ نَسُوتَنَا بِوَجْهِ^(٢) نَهَارِ
 يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَكِينُ قَبْلِ تَبَاجُرِ الْأَسْحَارِ
 قَدْ كُنَّ يَخْبَأُنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ^(٣)
 يَخْمِشْنَ حُرَاتِ الْوُجُوهِ عَلَى أَمْرِي سَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَبِيبِ الْأَخْبَارِ
 أَفْبَعِدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ^(٤)
 مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ قَدْوَى الْحَجَا إِلَّا الْمَلَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَجُنَبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَقْذِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ^(٥)
 وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ يَقَارِ^(٦)
 وَارْدُبٌ مَسْرُورٍ يَمُتَّلِ مَالِكِ وَلَسَوْفَ نَصْرِفُهُ بَشَرًا عَمَارِ^(٧)

ولما علم قيس بقول الربيع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربيع بن زياد ، وهو
 يُصْلِحُ سِلَاحَهُ ؛ فنزل إليه قيس ، وقام الربيعُ فَاغْتَنَقَا وَبَكِيَا ، وأظهرا الجزعَ لُصَابِ
 مَالِكِ ، ولقي القومُ بعضهم بعضاً^(٨) فنزلوا ، فقال قيس للربيع : إنه لم يهرب منك

(١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يخبان وجوههن عفة وحياء
 (٣) الآن ظهروا لناظرين لا يغلن من الحزن (٤) كان العرب يوافقون نساءهم عقب
 أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أحب لولد (٥) المجنات : الخيل تجنب إلى الإبل في الزرع ،
 والعذوفة : أدنى ما يؤكل في الطعام والعراة . وقوله يقذفن بالمهرات والأمهار : أى أن الإبل
 تهذف أولادها من شدة السهر (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكأية السفر
 (٧) الحار : المرجع (٨) وما ينسب إلى قيس في ذلك قوله :

لمرك ما أنشاع بنو زياد ذمار أيهم فيمن ضيع
 بنو جينة ولنت سيقاً صوامر كلها ذكر صنيع
 شري ودي وشكري من بعيد لآخر غالب أبداً ربيع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتَقْنِ عَنْكَ من استئمان بك ، وقد كان لك شرُّ يومٍ ؛
فليكن لي خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقوى وقوى بي ، وقد أصاب القومُ مالِكًا ،
ولست أمُّ بسوء ؛ لأنِّي إن حاربتُ بني بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتُني
خذلتني بنو عيس ؛ إلا أن تجمعمهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلْتُ ابنهم
وقتلوا أخي ، فإن نصرتني طمعتُ فيهم ، وإن خذلتني طمعوها في .

فقال الربيع : يا قيس ؛ إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ؛
ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك في جَوَادِك ،
وظلمتهم في دمائهم ، وقتلوا أخاك بإبنهم ، فإن ييؤ الدمُ بالدم ، فمسي أن تلقح الحرب .
وبعث قيسٌ إلى أهله وأصحابه ، فجاءوا وتزولوا مع الربيع ، وأنشدهم عنبرة
ابن شداد^(١) في مالك :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مِنْ رَأْيِ مِثْلِ مَالِكٍ عَقِيرَةَ قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا نِصْفَ غُلُوَةٍ وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرِهَانِ
وَلَيْتَهُمَا مَا تَا جَمِيمًا بَيْلِدَةً وَأَخْطَاهَا قَيْسٌ فَلَا يَرِيَانِ
لَقَدْ جَلَبَا حَيْنًا وَحَرَبًا عَظِيمَةً تُبِيدُ سَرَاةَ الْقَوْمِ مِنْ غُطْفَانِ
وَكَانَ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ كَرِيهَةً هَدَّ عَلِمُوا أَنِّي وَهُوَ فَتِيَانِ
وَكُنَّا لَدَى الْمِجَاءِ نَحْمِي نِسَاءَنَا وَنَضْرِبُ عِنْدَ الْكَرْبِ كُلَّ بَنَانِ

(١) في معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف
في الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات في النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج
يطلب لبلال فر طي بي رواحة فرماه جنيد أخو بني رواحة بهم قتلته ، قالت ابنة مالك بن
بدر وهو يوم المقة :

● فله عينا من رأى مثل مالك ● . . . الخ

فسوف ترى إن كنتُ بمدك باقياً وأمكننى دهرى وطولُ زمانى
فأقسم حقاً لو بقيت لنظرةٍ لقرتُ بها المينان حين تَرانى
وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسا اتفقا ، فشقَّ ذلك عليه واستمَدَّ للبلاء^(١) .

ثم تلاقى جموع بنى ذبيان^(٢) وعبس واقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت الشوكة
فى ذبيان ، وقُتل منهم عوف بن بدر ، وقتلَ عنترة ضَمَمَ^(٣) أبو الحصين المرى ،
والحارث بن بدر ، وأسرَ الربيع حذيفة بن بدر ، وكان حرَّ بن الحارث العبسى
قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطع يسمى الأصرم ؛
فأراد ضربه بالسيف لما أُسرَ وفاءً بنذره ؛ فنهوه عن قتله ، وحذروه عاقبة ذلك ،
فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقي
حذيفة أسيراً .

(١) قال فى ابن الأثير : وقيل : إن بلاد عبس كانت قد أجذبت فالتجع أهلها بلاد فزارة ،
وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمى ثلاثة أيام .
فقال حذيفة : ذلك لك ، فالتعل الربيع من بنى فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه :
بئس الرأى رأيت ! قتلت مالكا وخليت سيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً ، فركباني طلب
الربيع قاتلهم ، فلما أنه قد أضر الضر ، وفى هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربكم أمت صواناً فأنى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فأنى غير خاذلكم ولكن سأسى الآن إذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المريب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحقاهم بنى عبد الله بن غطفان يوم دى
المريب لى بنى فزارة ورئيسهم إذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كما فى الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على أبى ضمم
الشامى عرضى ولم أشتبها والتاذرين إذا لم ألقها دى
لأن يخلأ فقد تركت أباهما جزر السباع وكل سر فقم

فاجتمعت غطفان وسَمَوَا في الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دَمَ بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير، وَيَقْلُوا^(١) عوف بن بدر، وَيُمِطُوا حذيفة عن ضَرْبَتِهِ التي ضَرَبَهُ حرّ مائتين من الإبل ، وأن يجمّلوا عِشاراً كلّها وأربعة أعبد ، وأهدرَ حذيفة دماء من قُتِلَ من قومه ذبيان في الوقعة ، وأُطْلِقَ من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قَوْمِهِ ندم على ذلك ، فسأت مقاتلته في بني عَبْس ، وركب قيس ابن زُهير وعمارة بن زياد فضيا إلى حذيفة وتحدّثا معه ، فأجابهما إلى الاتفاق ، وأن يرَدَّ عليهما الإبل التي أخذ منها - وكانت توالدت عنده - وبينهما في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المرّبي ، فقَبَّحَ رأى حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بدّ فاعلا فأعطهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك وأي حذيفة ، وأبى قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر^(٢) خرج يطلب إبله ، فرماه جُنْدُب أحد بني رواحة^(٣) بهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرّ يَعْظُمُ بين عبس^(٤) وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعتهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يُمَّا كَرِّم ، وخاف إن قاتلهم ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا في كل حين يتجمّعون ، وحذيفة لا يستنفرُ أحداً لاقتداره وعُلُوّه ، ولكن نعطيهم رهائنَ من أبنائنا فنُدفعُ حدّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتل : وداه : أي أدى دجه (٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة : حى في عبس ، وقد سبق اسمه جنيدب (٤) كان رئيس بني ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما بنو عبس وحقاؤم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فوافوا بني حى وهو وادى الهباءة في أملاء .

يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ مَعَ الَّذِينَ نَضُمُهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنْ هُمْ قَتَلُوا الصَّبِيَّانَ فَهُوَ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ الْآبَاءِ ، وَكَانَ رَأْيُ الرَّبِيعِ مُنَاجَزَتَهُمْ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؛ أَمَلًا جَمُعَهُمْ صَدْرَكَ ؟ وَقَالَ :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِنَفْسِي نَصِيحَةً أَرَى مَا يَرَى وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ أَنْبَغَى عَلَى ذِيَّانٍ مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَقَدْ حَشَّ^(١) جَانِي الْحَرْبِ نَارًا تَضْرِمُ وَقَالَ قَيْسُ : يَا بَنِي ذِيَّانِ ؛ خَذُوا مِنْ رَهَائِنَ إِلَى أَنْ تَنْظُرُوا ؛ فَقَدْ ادَّعَيْتُمْ مَا تَعْلَمُ وَمَا لَا نَعْلَمُ ، وَدَعَوْنَا حَتَّى تَتَّبِعِينَ دَعْوَاكُمْ ، وَلَا تَعْجَلُوا إِلَى الْحَرْبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ كَثِيرٍ غَالِبًا ، وَضَمُّوا الرَهَائِنَ عِنْدَ مَنْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَنُرْضَاهُ ؛ فَقَبِلُوا ذَلِكَ ، وَتَرَاضَوْا أَنْ تَكُونَ الرَهَائِنُ عِنْدَ سُبَيْعِ بْنِ عَمْرِو (مِنْ بَنِي ثَمَلَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِيَّانٍ) ، فَاتَ سَبِيعٌ وَهُمْ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ مَالِكُ : إِنْ عِنْدَكَ مَكْرَمَةٌ لَا تَبِيدُ إِنْ أَنْتِ احْتَفَظْتَ بِهَؤُلَاءِ الْأَغْلَمَةِ ، وَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدْ مِتُّ أَنَّكَ حَذِيفَةُ حَالِكٍ ، فَمَصَرَ عَيْنِيهِ وَقَالَ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ، ثُمَّ خَدَعَكَ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُهُمْ ، فَلَا شَرْفَ بَعْدَهَا ، فَإِنْ خَفَتْ ذَلِكَ فَادْهَبْ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .

فَلَمَّا ثَقُلَ سُبَيْعُ جَمَلَ حَذِيفَةُ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مَالِكٍ ، فَلَمَّا هَلِكُ سَبِيعُ أَطَافَ حَذِيفَةُ بِابْنِهِ مَالِكٍ فَأَعْظَمَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ؛ إِنِّي خَالِكُ ، وَإِنِّي أَسْنُ مِنْكَ ؛ فَادْفَعْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ لِيَكُونُوا عِنْدِي إِلَى أَنْ نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ؛ فَإِنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ تَمْلِكَ عَلَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ بِالْيَمْعَرِيَّةِ^(٢) .

وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَمَلَ كُلِّ يَوْمٍ يُبْرِزُ غُلَامًا فَيَنْصِبُهُ غَرَضًا وَيَرْمِي

(١) حَشَّ الْحَرْبَ يَحْشُمُهَا إِذَا أَسْرَمَهَا وَهَيَّبَهَا (٢) الْيَمْعَرِيَّةُ : مَا بَوَادٍ مِنْ بِلَدِنِ نَخْلَةٍ مِنَ الصَّرْبَةِ .

بالنبل ثم يقول : نادِ أباك ، فينادى أباه ، حتى يمزقه النبل ، ويقول لواقد بن جندب :
 نادِ أباك ، فجعل ينادى ياعمّاه - خلافاً عليهم - ويكره أن يَأْ بُس^(١) أباه بذلك ،
 وقال لابن جندب بن عمرو بن عبد الأسلع : نادِ جُنَيْبِيَّة^(٢) ، فجعل ينادى : يا عمراء !
 باسم أبيه حتى قُتِلَ ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك
 بنى عبس أخذوا ما كانوا جموا من الدّيات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السّلاح .
 ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوه ،
 فجمع حذيفة قومه وسار إلى عبس وهم على ماء يقال له عُراعر ، فاقتتلوا وكان الظفر
 لدُبيان ، ورجعت سالمة .

ثم جدّ حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه سَحْل بن حذيفة ، وتدم على ما كان ،
 وقال لأخيه في الصلح فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر
 بطون غطفان وسار نحو بنى عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعوني
 فوالله لننّ لم تفعلوا لَأَتَكِنَنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فإننا نطيعك .
 فأمرهم فسرّحوا السّوام^(٣) والضّماف بليل ، وهم يريدون أن يَضَعُون من منزلهم ذلك ،
 ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضّمافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخليل ، فقال قيس : خُذُوا غيرَ طريق المال^(٤) ، فإنه
 لا حاجة للقوم أن يَقَمُوا في شَوْ كَتَكَم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب

(١) الأبس : القهر والمحمل على المكروه (٢) جنبية : لقب أبيه (٣) السوام :
 الإبل الراعية (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها
 كانت أكثر أموالهم ، ومعنى المرادة هنا .

أموالكم ؟ فأخذوا غير طريق المال . ولما رأى حذيفة الأثر قال : أَبَعَدَهم الله ! وما خيرُهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتبع المال وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدّ الحرّ .

فقال قيس بن زهير : يا قوم ؛ إن القوم قد فرّق بينهم المغم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دَوَّاسٌ^(١) ؛ فلم يقاتلهم كبيرٌ أحد ، إذ أن همة الرجل من بنى ذبيان كانت أن يُحْمَزَ غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيّد غطفان وكثيراً غيره حتى ناشدّتهم بنو ذبيان البقية ، وانهزمت ذبيان وحذيفة معهم .

ولم يكن لبس همّ غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلم ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأني بالقوم وردوا جَفَرُ الهبَاءِ ونزلوا فيه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديمة^(٢) مستنقعٌ في الماء .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رجله على حجر خافّة أن يُقْتَصَّ أثره ، وعرفوا حَنَفَ^(٣) فرسه فاتّبعموه ، ومضى حتى استناث بجفَر^(٤) الهبَاءِ وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد نزعوا سُروجهم وطرخوا سلاحهم ، ووقعوا في الماء ، وتمكّكت^(٥) دوابهم .

(١) يقال : أتتهم الخيل دوائس : أى يتبع بعضها بعضاً (٢) الوديمة : شدة الحر
(٣) الحنف : أن تقبل لاحدى اليدين على الأخرى (٤) جفر الهبَاء : مستنقع في بلاد
غطفان (وهو يوم الهبَاء) (٥) تمكّكت : تهرّفت .

ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم : مَنْ
أَبْغَضُ النَّاسِ أَنْ يَقِفَ عَلَى رءوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والريبع بن زياد . فقال :
هذا قيس بن زهير قد أتاكم ! ولم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه وحالوا
بينهم وبين الخليل ، وحمل جنيد على خيلهم فاطردوها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد
عليهم في الجند ، وهم ينادون : لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ^(١) ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة
البنى ؟ فقال حذيفة :

يا بني عبس : فأين العقول والأحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس ! فضربه أخوه
حمل بين كتفيه وقال : « أَتَى مَا تُؤْتِي الْكَلَامُ^(٢) » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حمل بذى الصبية وزرد السبق ،
قال قيس : لبيكم ! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بمدى أبداً . فقال
قيس : أَبْغَدَهَا اللَّهُ وَلَا أَصْلَحَهَا . ثم إن قرواش بن هني ج . من خلف حذيفة ،
فقال له بعض أصحابه : احذر قرواشاً - وكان قد رباه ، فظن أنه سيشكر ذلك له -
قال : خلوا بين قرواش وظهري ! فترج له قرواش بِعِمْلَةٍ^(٣) فقَصَمَ بِهَا صُلْبَهُ ،
وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع - فضرباه بسيفيهما حتى ذقفا^(٤) عليه .

وقتل الحارث بن زهير حمل^(٥) بن بدر ، واستبقوا حصن^(٦) بن حذيفة لصباه ،
ولما وقف قيس بن زهير على جُثَّة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثي أخاه حملاً :

تَعلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيحُ

(١) الصبيان الذين قتلوا (٢) ذهب مثلاً (٣) المبلّة : فصل طويل عريض
(٤) ذقفا عليه : أجهزا عليه (٥) في الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى
جنيد بن زهد بسهم قتله ، وكان نفر ليقطن بابنه رجلاً من بني بدر فأحل به نذره . وفيه أن
أتى قتل حمل بن بدر هو الريبع بن زياد (٦) في الأمثال : واستصغروا عينة بن حصن
فقتلوا سيده .

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم^(١)
ولكن الفتي يحمل بن بدر بنى والبني مرثمة وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يمتصف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فموج على ومستقيم
وقال أيضا :

شفيت النفس من حل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شغاني
شفيت بقتلهم لقليل صدري ولكني قطعت بهم بناني
فلا كانت الثبرا ولا كان داحس ولا كان ذلك اليوم يوم دهاني

— ٧ —

ثم إن عبسا ندمت على ما فعلت بذبيان يوم الهبابة ، ولام بعضهم بعضاً . واجتمعت ذبيان إلى سينان بن أبي حارثة المري ، وشكوا إليه ما نزل بهم ؛ فأعظمه وذم عبسا ، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر ذبيان ، وبث رسلة ؛ فاجتمع من الخلق كثير لا يحصون ، ونهى أصحابه عن التمرض إلى الأموال والغنيمة ، وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس ؛ فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرأي أننا لا نلقاهم ؛ فإننا قد وترناهم ، فهم يطالبوننا بالذحول^(٢) والطوائل^(٣) ، وقد رأوا ما نألمهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال ؛ فهم لا يترضون إليه الآن ؛ والذي ينبني أن نفعله أننا نرسل الظمان والأموال إلى بني عامر ؛ فإن الدم لنا قبلهم ، فهم لا يترضون لكم ، ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ؛ ونماطلهم

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والبراء ، وإنكاره سبق وركوبه البغي
(٢) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهي الثأر أيضا .

القتال ؛ فإن أبوا إلا القتال كُنَّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا ؛ وقتلناهم وصبرنا لهم ،
فإن ظفروا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كُنَّا قد احتزنا ولحقنا بأموالنا ونحن
على حامية .

ففعلوا ذلك ، وسارت ذُبيان ومن معها ولحقوا بني عبس على ذات الجراجر ،
واقتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك واقتروا .

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدَّ من اليوم الأول ، وظهرت في هذا
اليوم شجاعة عَنزَةَ بن شدَّاد ، فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لامُوا
سِنان بن أبي حارثة على مَنْعِهِ حذيفة عن الصلح ، وتطَبَّرُوا مِنْهُ ، وأشاروا عليه
بمَحَقِّ الدماء ومراجعة السِّلْم فلم يفعل ، وأراد مُراجعة الحرب في اليوم الثالث ، فلما
رأى فُتُور أصحابه وركوبهم إلى السِّلْم رحل عائداً .

فلما رجع عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيان ، وجاوروهم وبقوا
معه مدة ، فرأى قيس من غلمان شيان ما يكرهه من التعرُّض لِأَخْذِ أموالهم ؛
فرحلوا عنهم ، فقبضهم جمع من شيان ، فرجعت إليهم بنو عبس واقتلوا ، فأنهزمت
شيان ، وسارت عَبْسٌ متوجهين نحو اليمامة يطلبون أخوالهم ، فأثوا قتادة بن مسleme ،
فزلوا اليمامة زمينا^(١) ، فرَّ قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قحفا فضربه برجله ،
وقال : كم من ضيمٍ قد أقررتُ به مخافة هذا المصراع ! فلما سمعها قتادة كرهها وأوجس
منه ، وقال : ارتحلوا عنا . فارتحلوا حتى نزلوا ببني سعد بن زيد مناة ، فكثوا فيهم
زماناً ؛ ثم إن بني سعد أثوا ملك هجر ، فقالوا له : هل لك في مُهْرَةِ شَوَّها^(٢) ،
وناقة حمراء ، وفتاة عذراء ؟ قال : نعم . قالوا : بنو عبس غارون ، تغير عليهم مع
جندك وتسهم لنا من غنائمهم ، فأجابهم ؛ وفي بني عبس امرأة من سعد ، فأناها

(١) زمنا (٢) الشوواء من الخيل : الطويلة الرائحة .

أهلها ليضموها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجمعوا على أن يرسلوا الظمائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار في الرثّة^(١)؛ فلا يستنكر ظمنهم عن منزلهم .

وتقدم الفرسان إلى الفروق ، فوقفوا دون الظمن ، وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبعوها قاتلوهم وشغلوهم حتى تمجّل الظمن ، ففعلت ذلك . وأغارت جنود الملك مع بني سعد في وجه الصبح ، فوجدوا الظمن قد أمرين ليتهن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبعوا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفروق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ ففضوا حتى لحقوا بالظمائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبتِ ؛ أتسير الأرض ؟ فلم أن قد جهّدتن . فقال : أنيخوا . فأناخوا ، ثم ارمحل ، وفي ذلك يقول عنتره :

ونحن مَنعنا بالفُروق نِساءنا^(٢) نُطَرِّفُ عَنْهَا مُبْسِلَاتِ^(٣) غَوَاشِيا
حلفت لها والخيل تَدُمِي نَحْوُهَا نفارقكم حتى تهزوا المواليا
ألم تملوا أن الأسنة أحرزت بقيتنا لو أن للدهر باقيا
ونحفظ عورات النساء وننتقى عليهن أن يلقين يوما مخازيا
ولحقوا ببني ضبّة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضبّة على بني حنظلة ، فاستاق رجل من بني عبس امرأة من بني حنظلة في يوم قاتظ حتى نهّرها ولهث ، فقال رجل من بني ضبّة : ارفق بها ،

(١) الرثّة : ردىء الناع وإسقاط البيت من الخلقان (٢) في اللسان : نساءم
(٣) الطرف : الذي يأتي أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذي يقاتل أطراف الناس ، وقال المفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه ، وأهمل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

قَالَ الْمُبْسَى : إِنَّكَ بِهَا لَرَحِيم ! فَقَالَ الضَّبِّي : نَعَمْ . فَأَهْوَى الْمُبْسَى لِمَجْزُهَا بِطَرْفِ
السَّانِ ؛ فَنَادَتْ يَا آلَ حَنْظَلَةَ ! فَشَدَّ الضَّبِّي عَلَى الْمُبْسَى قَتْلَهُ ، وَتَنَادَى الْحَيَّانَ ؛
فَفَارَقَهُمْ عَبْسٌ ، وَمَرَّتْ تَرِيدُ الشَّامَ .

وَبَلَغَ بَنِي عَامِرَ ارْتِفَاعُهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَخَافُوا انْقِطَاعَهُمْ مِنْ قَيْسٍ ؛ فَخَرَجَتْ وَفُودُ
بَنِي عَامِرَ حَتَّى لَحِقْتَهُمْ ، فَدَعَتْهُمْ إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا وَيَحَالِفُوهُمْ ، فَقَالَ قَيْسٌ ؛ يَا بَنِي عَبْسٍ ؛
حَالِفُوا قَوْمًا فِي سُبَابَةِ بَنِي عَامِرَ ، لَيْسَ لَهُمْ عَدَدٌ فَيَمْنُوا عَلَيْكُمْ بِعَدَدِهِمْ ، فَإِنْ احْتَجَجْتُمْ
أَنْ يَقُومُوا بِنَصْرَتِكُمْ قَامَتِ بَنُو عَامِرَ خَالِفُوا مَعَاوِيَةَ بْنِ شَكْلٍ . فَكُتِبُوا فِيهِمْ .

ثُمَّ خَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ فَقَالُوا : نَكْرَهُ أَنْ تَتَسَامَعَ الْعَرَبُ
أَنَا حَالِفْنَاكُمْ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَلَكِنْهُمْ خَالِفُوا بَنِي كَلَّابٍ ، فَكَانُوا فِيهِمْ
حَتَّى كَانَ يَوْمَ جَبَلَةِ فَتَهَايَجُوا فِي شَأْنِ ابْنِ الْجَوْنِ - قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ بَعْدَ مَا كَانَ
أَعْتَقَهُ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ، فَقَالَ عَوْفٌ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ؛ إِنْ بَنِي عَبْسٍ أَذْنَى عَدُوِّكُمْ
إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ كُرَاعَهُمْ^(١) وَيُحِدُّونَ سِلَاحَهُمْ ، وَيَأْسُونُ قُرُوحَهُمْ ، فَاطِيعُونِي
وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْدَمِلُوا ، وَقَالَ :

وَأِنِّي وَقَيْسٌ كَالسَّمَنِ كَلْبُهُ فَخِدْشُهُ أُنْيَابُهُ وَأُظَافِرُهُ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَبْسٍ ، أَتَوْا أَحَدَ بَنِي بَكْرِ بْنِ كَلَّابٍ فَحَالَفُوهُ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ
قَيْسٌ :

أَحَاوِلْ مَا أَحَاوِلْ ثُمَّ آوَى إِلَى جَارِ كَجَارِ أَبِي دَوَادٍ

مَنْعِ وَسَطَ عِكْرَمَةَ بْنِ قَيْسٍ وَهُوبَ اللَّطْرِيفِ وَلِلتَّلَادِ

ثُمَّ إِنْ ذِيَانُ غَزَوْا بَنِي عَامِرَ بْنِ صَمْعَةَ وَفِيهِمْ بَنُو عَبْسٍ فِي يَوْمِ شَمُوءَ ، فَاقْتَتَلُوا
وَهَزِمَتْ عَامِرَ ، وَأَسْرَ طَلْحَةُ بْنُ سَنَانٍ قُرَاشَ بْنَ هِنَى الْمُبْسَى وَلَمْ يَمْرِفْهُ ، فَنَسَبَهُ فَكُنِيَ

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عبسية ، فقالت لزوجها : إني أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يتمت أنا وهو من أبويننا قريبانا حذيفة في أيتام غطفان . فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرني امرأتى أن أسير طلحة أخيك قرواش ابن هني ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ قال : امرأة فلان عرفته ، فتمال فاسمع كلامها ، فاتوها ، فقال طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شامة في موضع كذا . فرجموا إليه ففتشوه ، فوجدوا الذي ذكرت . قال قرواش : من عرفني ؟ قالوا : فلانة ! قال : رب شر حملته عبسية ! ودفع إلى حصن فقتلوه .

ثم رحلت عبس عن عامر^(١) ونزلت بريم الرباب ؟ فبغت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثر عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة .

ورحلت بنو عبس ، وقد ملوا الحرب ، وقتل الرجال والأموال ، وهلكت المواشي ؟ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالوت معهم خبر من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سر معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي ذبيانية قتلت أبها أو أخاها أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

— ٨ —

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة الرمي ليلاً - وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر - فلما عاد قيل له : هؤلاء أضيافك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفهم ، فحيّاهم وهش إليهم . وقال : من القوم ؟ قالوا : إخوانك من بني عبس .

(١) تلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه إن شئت .

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا بالدّنب ، فقال : نعم وكرامة لكم ! أكلّم حصن بن حذيفة .
 وعاد إليه فقبل الحصن : هذا أبو أسماء . قال : ما وّرَد إلا لأمر ! فدخل الحارث فقال :
 طرقتُ في حاجة ، قال : أعطيتها . قال : بنو عبس ، وجدتُ وفودهم في منزلي .
 قال حصن : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أدري ولا أتدري ؛ قد قتل آبائي وعمومتي
 عشرين من عبس .

فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه ، فلما رأهم قالوا له : نحن رُكبان
 الموت ، قال : بل رُكبان السلم ؛ إن تكونوا اختلتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم .
 ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً^(١) ، فقال له حصن : قم بأمر
 عشيرتك ، وارأب بينهم ؛ فإني سأعينك . فاجتمعت بنو مرة فكان أول من سى في
 الحملة حرمة بن الأشعر ، ثم مات ، فسمى فيها ابنة هاشم بن حرمة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبس وذبيان بقطن ، فخرج حصين بن
 ضمضم بفرسه ، وهو أخذ بمرسها ، فقال الربيع بن زياد : مالى عهد بحصين منذ
 عشرين سنة ، وإني لأحسبه هذا . قم بإيبحان فاذنُ منه ، وناطقه ، فإن في لسانه
 حبسة . فقام بكلمه ، فجعل حصين يدنو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه حال في
 من فرسه ، ثم وجهها نحوه فلحقه قبل أن يأتى القوم فقتله بأبيه ضمضم^(٢) .

فانحازت عبس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصالحكم ، وقد غدرت بنا بنو مرة ،
 وتناهض الحيان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان - وكان يومئذ
 واجداً على ابنه يزيد - ادعوا لي ابني ، فأتاه هرم بن سنان ، فقال : لا .

فأتاه ابنه خارجة . فقال : لا ، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

(١) في رواية : أتوا هرم بن سنان (٢) كان قد قتلته هترة ، وكان حصين آلى لإبليس
 رأسه غسل حتى يمتلئ بأبيه يبحان .

غافل . ثم أتاه فبرز الربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا يعحان
بإبنته فدفعه إليه ، وقال : هذا وقلاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ،
ثم حمل خارجة لأبي يعحان مائتي بعير ، فاصطلحوا وتماقيدوا على أن يحتسبوا
القتلى فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، ومُحِلَّتْ^(١) عنهم الديّات فكانت ثلاثة آلاف بعير
في ثلاث سنين .

وفى ذلك قال زهير بن أبي سلمى مملقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهم
ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةُ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْتَشَامُ^(٢)
وَدَارَتْ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِيعُ وَشَمٍ فِي نَوَائِيرِ مِصْعَمِ^(٣)
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْآمُ يَشِينُ خِلْفَةَ وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ^(٤)
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ^(٥)
أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ وَنَوَيْيًا كِيْجْذَمِ الْخَوْضِ لَمْ يَنْتَلِمِ^(٦)

- (١) أكثر الروايات أن الذي حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، وفي الأمثال :
وكان الذي ولي الصلح عوف ومقل ابن سبيع ، فقال عوف بن خارجة : أما إذا سبني هنان
الشيخان إلى الحلالة فهل لي الظل والطعام والحلآن فأطعم وحمل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ
(٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما اسود من آثار البليار . وحومانة الدراج والمتلم :
موضعان (٣) الرقنان : حرتان ؛ إحداهما بالبصرة والثانية بالمدينة ، ويقال للوشم الذي جدد
مرجوع ، ونواشر المعصم : عروقه ، والمعصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحمل
الموضعين عند الاتجاع (٤) العين : البقر الوحشي الواسع العين . والأرآم : جمع رُم وهو
الظبي الخالص الأبيض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلا وهو ولد الظبية والبقرة
الوحشية . والجثوم : البروك ، والجثم : مكان الجثوم (٥) الحجة : السنة ، واللائي : الملققة
(٦) الأثافي : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمرس : المنزل . والمرجل :
القدر ، والنوى : نهر يغفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذي ينصب من البيت ولا يدخل فيه ،
والجذم : الأصل .

فلما عرفتُ الدارَ قلتُ لمرَبِّها ألا أنعمَ صباحاً أيها الربيع واسلم^(١)
 تبصّرُ خليلي هل ترى من ظمائر^(٢) تحمّلنَ بالملياء من فوق جُرثم^(٣)
 جملنَ القنانَ عن يمينِ وحزنه^(٤) وكم بالقنانِ من محلٍ ومحرّم^(٥)
 علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلّة^(٦) ورايَ حواشيها مُشاكِةُ الدّم^(٧)
 وورّ كنّ في السّوبانِ يملون متته^(٨) عليهنّ دُلّ النّاعيمِ التّنعم^(٩)
 بكوننَ بُكوراً واستحزننَ بسُخرة^(١٠) فهنّ ووادي الرسّ كاليدِ للقم^(١١)
 وفيهنّ ملهى للصّديق ومنظر^(١٢) أنيقٌ ليعينَ الناظر التّوهم^(١٣)
 كأنّ فتاتِ المهنِ في كلّ منزل^(١٤) نزّلنَ به حبُّ الفنا لم يحطمْ^(١٥)
 فلمّا ورذنّ الماءَ زُرّقا جامه^(١٦) وضعنّ عصى الحاضرِ التّخيم^(١٧)
 ظهرنَ من السّوبانِ ثم جزفته^(١٨) على كلّ قينيّ قشيبٍ ومُقام^(١٩)



تذكّرني الأحلامُ ليلى ومن تُظف عليه خيالاتُ الأحبةِ بحلم

- (١) خمس الصباح بالدهاء لأن الفارات والكراوات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل
 وجرثم : موضع (٣) القنان : جبل لبني أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول :
 مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ما يسط ، والعتاق :
 الكرام . والكلّة : السر الرقيق . وراي : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكية : مشابهة
 (٥) السّوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : وكوب أوراك الدواب . يقول : وركبت هذه
 النسوة أوراك الدواب في حال علوهن من السّوبان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش
 (٦) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحراً . يقول : اجتدان السير وسرن سحراً ومن
 فاصدت لوادي الرس لا يخطئه كاليد القاصدة لقم لا تخطئه (٧) الملهى : اللهو . والظيف :
 للتأق . والتوسم : التفرس (٨) المهن : الصوف المصبوغ . والقنا : جنب الثلب
 (٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجام : جمع جلم وهو مجتمع الماء في الحوض أو غيره . ووضع
 الصي : كناية عن الإقامة ، والتخيم : ابتناء الخيمة (١٠) جزع الوادي : قطعه ، والمراد
 باليبي : الرجل ، والقشيب : الجديد ، والمقام : الواسع .

سَمَى سَاعِيَا غِيْظَ بَنِ مَرَّةَ بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْمَشِيرَةِ بِالذَّمِ
 فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالُ بَنَوُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ (١)
 يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيِّدَاتِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَجِيلٍ وَمُبَرَّمِ (٢)
 تَدَارَ كَثْمًا عَبَسًا وَذِيَانِ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ (٣)
 وَقَدْ قُلْنَا إِنْ نُذَرِكَ السَّلْمَ وَاسْمَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
 فَأَصْبَحْنَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بِمَيْدِنٍ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَائِمِ (٤)
 عَظِيمِينَ فِي عَلَيَا مَعَدِّ هُدَيْمَا وَمَنْ يَسْتَجِجُ كَنْزًا مِنَ الْجَدِّ يُعْظَمِ
 نَعَى الْكُلُومِ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجَمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ (٥)
 يُنْجَمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مَلَأَ مِخْجَمِ
 فَأَصْبَحَ يُحَدِّثُ فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَنَامِ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ (٦)



- (١) البيت : الكعبة ، وجرم : كانوا ولاية البيت قبل قریش (٢) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن مرة . والسجيل : الحيط المقتول على قوة واحدة ، والمبرم المقتول على قوتين ، والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاعلتان لأمر قد أبرمتاه وأمر لم تبرماه (٣) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، ونحالفوا وجملوا آية الحلف فحسم الأيدي في ذلك المطر ، فقاتلوا المدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فطير العرب بطير منشم (٤) الضمير في منها يعود إلى السلم ، وهو يذكر ويؤنث (٥) الكلوم : الجروح ، والمعنى : ولكن أصبحت الإبل يطليها نجوماً . والمعنى : تمنى الجروح بالئين من الإبل ، ولكن أصبحت الإبل يطليها نجوماً من هو يرى الساحة بعيد عن الجرم في هذه الحروب (٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل ، والمزمن المعلم ، يقول : فأصبح يجري في أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة فنام متفرقة من إبل صفار معلمة ، وهو بهذا يخاطب السيدين .

أَلَا أُبْلَغُ الْأَجْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلُّ مُقْسَمٍ ^(١)
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَىٰ وَمَهْمَا يُكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُؤَخِّرْ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْفَخَ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الرَّجْمِ ^(٢)
مَتَى تَبَعْتُمُوهَا تَبَعْتُمُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّ ^(٣)
فَتَمْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَشْفَاهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا نِم تَلْتَجُّ فَتُنْتِمِ ^(٤)
فَتُنْتَجِّ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشْأَمُ كَاهُم كَأَحْرَ عَادٍ نِم تُرْضِعُ فَتَقْطِمُ ^(٥)
فَتُنْزِلُ لَكُمْ مَالًا تُنْفِلُ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْمِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ ^(٦)
لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ جَرٍّ عَلَيْهِمْ بِمَالَا يُؤَارِنِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ ^(٧)

(١) الأجلاف : أسدو غطفان ، يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم : قد حلقت على إبرام الصلح كل حلف فتمرجوا من الحنث ، وهل أقسمت : قد أقسمت (٢) الحدث المرمم : الذي يرمم فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذمتم ، ومتى أترغوها نارت (٤) فقال الرحي : خرقه من جلد أو غيره توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النجعة في السنة مرتين ، والاثام : أن تلد الأنثى نوءمين ، وتمرككم الحرب عرك الرحي الحب مع نفالها ، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد نوءمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الفرم (٥) يريد بأشأم المعنى المصدري ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحر عاد : هو عافر ناقة صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة من نمود ، وقال المبرد : ليس بفلط لأن نمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » (٦) قال الأصمعي : يريد أنها تفل لهم دماً ، وليست تفل لهم ما تفل قرى المراق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم (٧) قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمض المري الذيباني قبل الصلح ، فلما وقع الصلح توارى أخوه حصين لئلا يطالب بالدخول في الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس قتلته بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على عقل القليل ، يقول : أقسم بجياتي لنعمت القبيلة (ذيان) حتى عليها حصين بن ضمض وإن لم يوافقوه في إضمار الفدر .

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَةٍ ۖ وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَةٍ
وقال سأقضى حاجتي ثم اتقى ۖ وقال سأقضى حاجتي ثم اتقى
فشدّ فلم يُفزع بيوتا كثيرة ۖ فشدّ فلم يُفزع بيوتا كثيرة
لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَدَّنٍ ۖ لدى حيث ألفت رَحْلَهَا أُمّ قَشْعَمٍ (٢)
جرى متى يُظلم يُنَاقَبَ بظلمه ۖ له لبدٌ أظفاره لم تُقَلِّم (٣)
رعوا ظمأهم حتى إذا تمّ أوردوا ۖ غماراً تفرّى بالسلاح وبالدم (٤)
فقضوا منابا بينهم ثم أضدروا ۖ إلى كَلَلٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ (٥)
لمرك ما جرت عليهم رماحهم ۖ دم ابن نهيك أو قتييل المثلّم
ولا شارك في الموت في دم نوفل ۖ ولا وهب فيها ولا ابن الخزم (٦)
فكلّا أراهم أصبحوا يَمَقْلُونَهُ ۖ صحيجات مالٍ طالعاتٍ لخرم (٧)
لحيّ حلالٍ ينصم الناس أمرهم ۖ إذا طرقت إحدى الليالي بمُعْظَم (٨)

(١) طوى كشحاً : أضمر ، والمستكنة : الفدرة . يقول : كان حصين أضمر في صدره خفاً ، وطوى كشحه على نية مسترة ، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قشعم : النبية ، يقول : حل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لغيره (٣) شاكي السلاح : قام السلاح ، والمقنن : يقنف به في الوقائع ، وهذا البيت والذي يليه من صفات حصين (٤) ماد الشاعر إلى وصف الحرب . الظم : ما بين الوردتين ، والفهاز : الماء الكثير ، والتفرى : التشقق . يقول : رهوا لمبلهم الكلال حتى إذا تم الظم أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا استعارة ، والمعنى : أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن الزال مدة معلومة ، ثم عاودوا الوقائع (٥) قضوا : تموا . واستوبل القىء وجده ويلاً ؛ واستوخم القىء : وجده وخياً ، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلال الويل (٦) يقول : أقسم يقائك وحياتك أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسين ، بين براءة ذمهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بقلوب القتلى (٧) الخرم : أنف الجبل (٨) الحلال جمع حال ، أى أنهم يقتلون القتلى لأجل حى نازلين بهم جيرانهم أمرهم إذا أتت إحدى الليالي بأمر فظيم .

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضَّنَنَ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ (١)



سَمِثْتُ نَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ بِسَامٍ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ قَمٍ
رَأَيْتُ النَّبَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تَصَبَّ نَمْتُهُ وَمَنْ تَخَطَى يَمْتَرُ فِيهِرَمَ (٢)
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ (٣)
وَمَنْ يَجْمَلُ الْمُرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ (٤)
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُفْخَلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيَذْمَمُ
وَمَنْ يُؤْفٍ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مَطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّحِمُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ النَّبَايَا يَلْتَهُ وَإِنْ يَرَقَّ أَسْبَابُ السَّمَاءِ يَسْلُمُ
وَمَنْ يَجْمَلُ الْمُرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْذَمُ
وَمَنْ يَمِشُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْمَوَالِي رَكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ (٥)
وَمَنْ لَا يَنْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسَلَاخِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ يَقْتَرِبُ بِحَسَبِ عَدُوٍّ صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمْ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَأَةٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

- (١) التَّيْلُ : الحنظل ، والجارم والجاني سواء تأنيث الأعشى ، وهو الذي لا يصير شيئاً
(٢) الحنظل : الضرب باليد ، والعشواء : البعير بمنزلة السبك للقرس
(٣) المنسم : لغير بمنزلة السبك للقرس
(٤) وفرت المعنى : كثرته (٥) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح وطالبة الرمح ضد سافته ، وجهها الموالى ، واللهزم : السنان الطويل . إذا التفت فكتان من العرب سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها ، وسعى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التهادى في القتال ، فليت كل واحدة منهما الرماح واقتلتا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح فذلك الحرب .

وكانت ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه في التكلم
 لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 وإن سَفَاهُ الشيخ لا حلم بمده وإن الفتى بعد السَّفاهة يحلم
 سألنا فأعطيتُم وعُدنا فعدتُم ومن أكثر التَّسأل يومًا سيخرم

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط ، فقال : يامشر
 النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حَرْب ، فانظروا لي امرأة قد أدبها الفتى وأذلها
 الفقر . فزوجه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقى ؛ إني
 امرؤ غيور فخور أرف ؛ ولست أفخر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف
 حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زمانًا ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
 يامشر النمر ؛ إني أرى لكم على حقًا بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظهاركم ، وإني
 أمركم بمخصال ، وأنها كم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تدرك الحاجة ، وتسويد
 من لا تمأبون بتسويده ، والوفاء ، فيه تتمايشون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل
 المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخلط الضيف بالإلزام ، وإياكم
 والرهان فيه ثكلت مالكا أخى ، والبغى فإنه صرع زهيراً أبى ، وإياكم والسرف
 في الدماء ، فإن قتل أهل الهبأة أورثني المار ، ولا تمطوا في الفضول فتمجزوا عن
 الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

٥ - يَوْمُ الرِّقْمِ

غزت بنو عامر غطفان بالرقم ، وعليهم عامر^(١) بن الطفيل ، شاباً لم يُرَأْسَ بعد ، ونذر^(٢) بذلك بنو مرة بن عوف وممهم قوم من أشجع وناس من فزارة^(٣) ، فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم بنو عامر .

وجعل عامر بن الطفيل يقول : يا لقيس ! لا تقتلني تموتى ، وأسرت غطفان من بني عامر أربعة وثمانين رجلاً دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلهم أجمعين .

وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع العطش أغناقهم فاتوا ، أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يؤمر ويمثل به ، فجمل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة ، وشدّه ودلى نفسه فاختنق ، وفعل مثله رجل من بني غنى ، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه وعيروه بجزعه ، وقال عروة بن الورد في ذلك :

ونحن صَبَحْنَا عامراً في ديارها عِلالة^(٤) أرماحه وضرباً مذكراً

✽ لطفان على بني عامر ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان

معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، العقد الفريد من ٣١٨ ج ٣ ، خزائن الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، الفضليات ص ٣٠

(١) عامر بن الطفيل : كان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبدها اسماً وشهرة ، أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم ؛ ولما مات نصبت له بنو عامر أنصاباً ، ميلاً في ميل حمى على قبره ؛ لا تنشر فيه راعية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وله وقائع مشهورة في مذبح وخشم وغطفان (٢) نذر : علم (٣) مرة وأشجع وفزارة : من غطفان (٤) العلالة في الأصل : ما حلب بعد القيققة الأولى .

بكل رِقاقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ وَلَدْنِي مِنَ الْخَطِيئَةِ قَدِ طَرَّ (١) أَسْمَرَا
عجبت لهم إذ يَخْنُقُونَ نفوسهم ومقتلُوم تحت الوَغَى كان أَجْدَرَا
وكان عامرُ بن الطفيل قبل الموقعة رأى امرأةً من فِزارة فسألها فقالت : أنا أسماء
بنت نوفل الفزاري ، وبيننا هي تُجْبِيهِ خرج عليه المبهزُمون من قومهِ وبنو مرّة في
أَعْقَابِهِمْ ؛ فلما رأى ذلك عامر ألقى دِرْعَهُ إلى أسماء وولّى مهزماً ، فأدتها بعد ذلك إليه ،
وفيها قال بعد الموقعة :

وَلَتَسْأَلَنِّي أَسْمَاءُ وَهِيَ خَفِيَّةٌ نَصَحَاءُهَا أَطْرَدْتُ أَمْ لَمْ أَطْرِدِ (٢)
قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خَيْلَهُ قَلَحَ الْكِلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرُودٍ (٣)
فَلَا بُفَيْنَكُم قَنَّا وَعُورَا ضَا وَلَا قُبْلَنَ الْحَيْلِ لَابَةَ ضَرَّغِدٍ (٤)
بِالْحَيْلِ تَمُتُّ بِالْقَصِيدِ كَأَنهَا حِدَا تَتَّاعِبُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ (٥)
وَلَا تُأَرِّنُ بِمَالِكٍ وَبِمَالِكٍ وَأَخِي الْمُرُورَاةِ الَّذِي لَمْ يُسْتَدِ (٦)
وَقَتِيلَ مُرَّةٍ أَتَأَرِّنُ فَإِنَّهُ فَرَّغَ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ (٧)
يَاسْلُمُ أَخْتَ بَنِي فِزَارَةَ إِنَّنِّي غَانٍ إِنْ الرُّءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا سَمَرًا وَأَوْقَدَهَا إِذَا لَمْ تَوْقَدْ (٨)

(١) طر الحديدة طراً : أحدها (٢) هي أسماء بنت قدامة الفزاري . قال أبو محمد بن
ابن الأعرابي : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تملو الأسنان ، شبه الشاعر بها
فزاره ويكون النصب على القدم وجملة (وكنت . . .) حال (٤) قنا : جبل في ديار بني ذريان
وعوراض : جبل لبني أسد ، ولا قبْلَنَ الحَيْلِ : أي بالحَيْلِ ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء
وضرغد : أرض لهنديل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) المورارة :
موضع بالكوفة ، ولم يستد : لم يذفن ، وترك للبائع تأمله (٧) فرغ : حذر ، ولم يقصد
لم يقتل (٨) أي أدبر أمرها وقت سمري بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاء جماعة منهم ، وكان النابغة الذبياني غائباً عند ملوك
فُسَّان ، ولما عاد سأل قومه عما هجّوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه
وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتم ، وليس مثلاً عامر يُهَجَّى بمثَل هذا ، ثم قال
يخطئُ عامراً في ذكره امرأةً من عقائلهم :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإنّ مطية الجهل الشبابُ
فإنك سوف تحلم أو تُباهي إذا ما شئتَ أو شابَ الغرابُ
فكن كأيك أو كأبي براء نوافقك الحكومة والصّوابُ
فلا تذهب بحلمك طامثاً^(١) من الخيلاء ليس لمن بابُ

(١) طامثات : فاسدات .

٦- يَوْمُ النَّتَاءِ

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرِّقْمِ، فَأَغَارُوا عَلَى نَعْمِ بَنِي عَبْسٍ وَذِيَّانٍ وَأَشْجَعٍ فَأَخَذُوا ، وَعَادُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَضَلُّوا الطَّرِيقَ وَسَلَكُوا وَادِيَ النَّتَاءِ ، فَأَمْسَنُوا فِيهِ وَلَا طَرِيقَ لَهُمْ وَلَا مَطْلَعَ ، حَتَّى قَارَبُوا آخِرَهُ ، وَكَادَ الْجَبَلَانِ بِلَتَقِيَانِ ؟ وَإِذَا هُم بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ تَخْطِطُ^(١) الشَّجَرَ لَهُمْ فِي قُلَّةِ الْجَبَلِ ، فَسَأَلُوها عَنِ الْمَطْلَعِ ، فَقَالَتْ : الْفَوَارِسُ الْمَطْلَعُ - وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ الْخَيْلَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَهِيَ عَلَى الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَرَهَا بَنُو عَامِرٍ ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْوَادِي ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا إِلَى قُلَّةِ الْجَبَلِ يَنْظُرُ لَهُمْ ، فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا كَأَنَّهُمُ الصَّبْيَانُ عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، أَسَنَّةُ رُمَاحِهِمْ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ ، قَالُوا : تِلْكَ فِزَارَةٌ . قَالَ : وَأَرَى قَوْمًا بِيضًا جَمَادًا^(٢) كَأَنَّ عَلَيْهِمْ ثِيَابًا مُجَرَّمًا ، قَالُوا : تِلْكَ أَشْجَعٌ . قَالَ : وَأَرَى قَوْمًا نَسُورًا قَدْ عَلَوْا خِيُولَهُمْ آخِذِينَ بِمَوَاطِلِ^(٣) رُمَاحِهِمْ يَجْرُونَهَا . قَالُوا : تِلْكَ عَبْسٌ^(٤) ، أَنَا كَمْ الْمَوْتَ الْوُؤَامُ^(٥) .

* لنطفان على عامر ، والنَّتَاءُ نخيلات لبني عطار ، وهو النَّتَاءُ كهيمة في القاموس ، وفي ابن الأثير هو يوم النَّبَاةِ ، وفي معجم البلدان والأغاني النَّتَاءُ .

المقد القرطبي ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغاني ص ٣١٣ ج ١٠

- (١) خبط الشجرة : ضربها بالمعصاة ليستطو ورقها (٢) الجمد : الخفيف من الرجال ، وقيل المجتمع الشديد وجهه جماد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنان ووجهه عوامل (٤) فزاراة وأشجع وعبس : بطون في غطفان (٥) موت زؤام : عاجل ، وقيل سريع مجهز وقيل : كربه وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادي، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان عامرُ بن الطفيل أولَ مَنْ سبق على فرسه الورد^(١) ، ففات القومَ .

وُقِتِل كثير من بني عامر وكانت المزيمة عليهم ، وقتل من أشرفهم البراء بن عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله ابن الطفيل .

وفي تلك الموقعة قال خراشة بن عمرو المبسي :

وساروا على أطنابهم^(٢) وتواعدوا مياهاً نحاتها تميم وعامر
قذفتهم في اليمِّ ثم خذلتهم فلا وألت^(٣) نفسٌ عليك تحاذد

(١) الورد : اسم فرس عامر (٢) الأطناب : الطرائق (٣) وألت : نجث .

٧- يَوْمَ حَوْزَةِ الْأَوَّلِ

وَأَتَى مَعَاوِيَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلَمِيُّ عُكَّازَ فِي مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ،
فَبَيْنَاهُمَا عِمْنَى بِسُوقِ عُكَّازَ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الْمُرَيْةَ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ؛ فَدَعَاَهَا لِنَفْسِهِ
فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ^(١) ؛ فَأَحْفَظْتُهُ ،
فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَا قَارِعَ عَنْكَ ! قَالَتْ : شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ

وَرَجَعْتُ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ مَعَاوِيَةُ وَمَا قَالَتْ لَهُ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : فَلِمَ عَمِرَى
لَا نَرِيْمَ آيَاتِنَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ .
ثُمَّ التَّقِيَا ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ بِظِعْمَانٍ يَنْدُبُكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ
هَاشِمٌ بِمَا أَحْفَظُهُ .

فَلَمَّا انْصَرَمَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْ عُكَّازَ ، خَرَجَ مَعَاوِيَةُ غَازِيًا فِي
فِرْسَانِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يُرِيدُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مُرَّةَ وَفَزَارَةَ^(٢) ،
فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ وَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ إِنْ غَزَوْتَهُمْ عَلَيَّ بِكَ حَسَكُ الْمُرْفُطِ^(٣) . فَأَبَى
مَعَاوِيَةُ وَسَارَ بِقَوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ^(٤) دَوَّمت^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ ، وَسَنَحَ^(٦) لَهُ

• سَلِيمٌ عَلَى ذِيانٍ ، وَحَوْزَةٌ : وَادٌ بِالْحِجَازِ .

الْأَغَانِي ص ٣٢٩ ج ٢ و ص ٢٨ ج ١٠ و ص ١٣٤ ج ١٣ ، الْمَقْدُ الْقَرِيدُ ص ٣٢٠ ج ٣ ،
التَّبْرِيزِيُّ عَلَى الْحِمَاةِ ص ١١٠ ج ٣ ، الْحِمَاةُ ص ٤٥٥ ج ١

(١) هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ مِنْ بَنِي مُرَّةَ (٢) فَزَارَةُ وَمُرَّةٌ : فِي ذِيانٍ (٣) الْمُرْفُطُ :
شَجَرُ الطَّلْحِ وَلَهُ صَمْعٌ كَرِيهِ الرَّائِحَةِ (٤) قَالَ بَعْضُهُم : الْحَوْزَةُ ، وَالشَّكُّ مِنْ أَبِي عَيْدَةَ
(٥) الدَّوْمَانُ : حَوْمَانُ الطَّائِرِ (٦) السَّانِحُ : مِنَ الصَّيْدِ مَا آتَى مِنَ الْيَاسْرِ إِلَى الْيَلَامَنِ .

ظُفْيٌ وَغَرَابٌ ؟ فَتَطِيرُ مِنْهُمَا ، وَرَجَعَ فِي أَصْحَابِهِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَقَالَ :
مَا مَنَعَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ إِلَّا الْجُبْنَ .

وَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الْمُقْبِلَةُ خَرَجَ لِنَزْوِمٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ سَنَعَ لَهُ
ظُفْيٌ وَغَرَابٌ ، فَتَطِيرَ وَرَجَعَ ، وَبَضَى أَصْحَابَهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ فَارِسًا
مِنْهُمْ لَا يَرِيدُونَ قِتَالًا ، وَوَرَدُوا مَاءً ، وَإِذَا عَلَيْهِ بَيْتٌ شَرٌّ ؛ فَصَاخُوا بِأَهْلِهِ ،
فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ فَقَالُوا : يَمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ جَهِنَّةٍ أَحْلَافُ بَنِي
مُرَّةٍ^(١) ، ثُمَّ وَرَدُوا الْمَاءَ يَسْقُونَ ، فَانْسَلَتْ الْمَرْأَةُ ، وَأَتَتْ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَأَخْبَرَتْهُ
بِحَجَرِ هَوْلَاءَ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ ، وَعَرَفْتَهُ عُدَّتِهِمْ ، وَقَالَتْ : لَا أَرَى إِلَّا مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
فِي الْقَوْمِ .

فَقَالَ : يَا لَكَاعٍ^(٢) ؛ أَمَعَاوِيَةُ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا ! شَبَّهَتْ وَأَبْطَلَتْ^(٣) .
قَالَتْ : بَلَى ، قُلْتُ الْحَقَّ ، وَإِنْ شَتَّ لَأَصْغَتْهُمْ لَكَ رَجُلَا رَجُلًا ، قَالَ :
هَانِي

قَالَتْ : رَأَيْتُ فِيهِمْ شَابًّا عَظِيمَ الْجُمَّةِ^(٤) ، جَبْهَتُهُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ
مِغْفَرِهِ^(٥) ، صَبِيحَ الْوَجْهِ ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، عَلَى فَرَسٍ غَرَاءٍ^(٦) . قَالَ : نَعَمْ ، هَذِهِ
صَفَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو وَفَرَسُهُ السَّمَاءُ . .

قَالَتْ : وَرَأَيْتُ رَجُلًا شَدِيدَ الْأُدْمَةِ^(٧) ، شَاعِرًا يُنْشِدُهُمْ ، قَالَ : ذَلِكَ خُفَّافٌ^(٨)
ابْنُ عَمِيرٍ .

(١) قوم هاشم (٢) اللكاع : الحقاء (٣) يريد : اخلط عليك الأمر وأتيت
بالباطل (٤) الجمّة : مجتمع شعر الرأس (٥) المغفر : زرد من الدرع ، يلبس تحت
القلنسوة (٦) غراء : يضاء . (٧) الأدمة في الإنسان : السواد (٨) هو خفاف
ابن عمير بن عمرو بن الحارث بن ممر بن الصريد السلمي ، المروفي بابن ندبة ، وهي أمه ، وكانت
سوفاء حبشية .

قالت : ورأيت رجلاً ليس ببحر وسطهم ؛ إذا نادَوْهُ رفعوا أصواتهم ، قال :
ذاك عباس الأصم .

قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يُكَنِّونَه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شيء له توقيراً ،
قال : ذاك نُبَيْشَةَ بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وَفْرَةٌ^(١) حَسَنَةٌ ، قال : ذاك العباس بن مرداس
السلي .

قالت : ورأيت شيخاً له صغيرتان ، سمته يقول لمعاوية : بأبي أنت ! أطلتِ
الوقوف ، قال : ذاك عبد المزي زوجُ الخنساء أخت معاوية وصخر .

فنادى هاشم في قومه ، وخرج في مثل عُدَّتِه من بني مرة ، ولم يشعر المسلمون
حتى طلبوا عليهم ، فقال لهم خُفَّاف بن عمير : لا تُنْازِلوهم رجلاً رجلاً ، فإنَّ خيلهم
تَنْتَبِهُ للطَّراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أَنْهَكها الغزو وأصابها الخفا^(٢) .
واقتتلوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرملة معاويةَ قال لأخيه دريد بن حرملة - وكان
هاشم نارقاً من مَرَضٍ أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إن رآني لم آمن أن يشدَّ عليّ ،
وأنا حديث عهد بشيكة^(٣) ، فاستطردَّ له دوني حتى نجملَه بيني وبينك ، ففعل ،
وحمل عليه معاوية ، وأردفَه^(٤) هاشم ، فاختلفا طمعتين ، وأردى^(٥) معاويةُ هاشمًا
عن فرسه الشَّماء ، وأنقذ هاشم سنانَه من معاوية . ثم جاء دريد بن حرملة فأجهز
على معاوية وقتله^(٦) .

(١) الوفرة : الشعر الملتصق على الرأس (٢) الخفا : رقة القدم والخنق والحافر
(٣) الشيكة : الوقوع في الشوك ، وقد شيك الرجل أيضاً : أصابه الشوك ؛ وهي حمرة تظهر
في الوجه وغيره من الجسد ، وقال في اللسان : هي داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه
(٥) أرادته : أسقطه (٦) قال في الأغاني ص ٢٨٠ ج ٢ تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن
عمرو وتواطعا إن هلك أحدهما أن يرميه الباقي بمده ، وإن قتل أن يطلب بآثره ، فلما قتل معاوية
قال دريد مصيدة يرميه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزاري ، فقتله (١) .

ثم إن السماء فرس هاشم دخلت في جيش بني سليم ؛ فأخذوها وظنّوها فرس مالك بن حمار الفزاري الذي قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية ، فقالوا : أنعم صباحاً أبا حسان ! فقال : حيتم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قَتَلْنَا صاحبها ، فقال : إذا كنتم أدركتم ثأراً كم ، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فإن الرزم يوم وقت أدعو فلم أسمع معاوية بن عمرو
ولو أسمعته لأناك يسي حيث السمي أو لأناك يجرى
بشكة حازم لا فخر فيه إذا لبس الكماة جلود نمر
الشكة : السلاح . لبس جلد النمر : تكرر له

عرفت مكانه فعطفت زوراً وأين مكان زور يا ابن بكر
الزور : اسم جل

على لرم وأحجار ثقال وأغصان من السمات صمر
الارم : حجارة تنصب علماً في المفازة .

وبنيان القبور آني عليها طواله الدهر شهراً بعد شهر
(١) قال خفاف في قتل مالك بن حمار :

أقول له والرمح بأطر منته تأمل خفافاً إنني أنا ذلك
وقفت له علوى وقد خام صحتي لأبني مجداً أو لأنأثر هالكا
لبن ذرقن الشمس حين رأيتهم سراعاً على خيل تؤم السالكا
فلمأ رأيت القوم لا ود بينهم شريجين شقي طالباً ومواشكا
شريجين : صنفين

نيمت كبش القوم حين عرفته وجانبت شبان الرجال الصالكا
لجأدت له عني يدي بطعنة كسبت منته من أسود اللون هالكا
أنا القاروس الحامى الحقيقة والذي به أدرك الأبطال قدما كذلك
فان يسج منها هاشم فبطعنة كسته نجيباً من دم الجوف صائكا
صائكا : لاصفاً

ولما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام، حتى أتى بني مرة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر فحيوه وقولوا له خيراً - وهاشم مريض من الطعنة التي طمنه معاوية ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلمَّ أبا حسان^(١) إلى مَنْ يخبرك ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فقال هاشم : إذا أصبَتني أو دُرِيداً فقد أصبتَ ثأرك ، قال : فهل كففتُموه ، قال : نعم في بُردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة ، قال : فأروني قبره فأروه إياه . فلما رأى القبر جَزِع عنده ، ثم قال : كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جَزَعى ، فوالله ما بُتْ منذ عقلت إلا وائرأ أو موتوراً ، طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية ، فما ذُقتُ النوم بعده^(٢) .



وقال صخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه :

وعاذلةٍ هبتْ بليلى تلومنى ألا لا تلومينى كفى اللوم مايا
وقالوا: ألا تهجو فوارسَ من هاشمٍ ومالى وإهداء الخنا ثم ماليا^(٣)
أبى الهجو أنى قد أصابوا كرىمنى وأن ليس إهداء الخنا من شماليا^(٤)
إذا ما امرؤٌ أهدى لبيتٍ تحيةً فحيّاك ربُّ الناس عنى مُعَاوِياً

-
- (١) أبو حسان : كنية صخر (٢) لما رجع صخر إلى قومه قالوا له : اهجمهم ، فقال :
إن ما بيننا أجل من القذع ، على أننى أ كف نفسى عن هجمهم رغبة عن الحنا
(٣) الخنا : القبح ، وهذه رواية الحماسة ، ورواية الأغاني للبيت :
تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالى إذن أهجوم ثم ماليا
(٤) يريد بكرىمنى : حرمنى ، والعمال : الحفلة ، وفي رواية « من سبانيا » .

كَيْفَ الْفَقِي أَدَّى ابْنُ صِرْمَةَ بَرَّهٗ إِذَا رَاحَ فَخَلُّ الشُّوْلِ أَخَذَبَ عَارِيَا^(١)
 إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرَتْ عِبْرَةً وَحِيَّتْ رَمَسًا عِنْدَ لِيَّةَ نَاوِيَا^(٢)
 وَطَيْبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْغَلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا
 وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَقْرَانَ بَيْنَهُمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٣)

(١) ابن صرمة: هو هاشم بن حرملة قاتل معاوية ، والبرز: السلاح ، والشول: النوق التي تحف
 لبها وارتفع ضرعها ، وأحذب عار: هزبل ، وقوله: « إِذَا رَاحَ ظَرْفٌ » لا دل عليه لنعم الفقي
 (٢) لية: اسم موضع ، والناوى: المقيم (٣) أقران بينهم: وصل بينهم ، وأصل الأقران
 الجبال . قال في الأغاني: قال هذا البيت بعد أن أوقع بيني مرة قاتلي أخاه .

٨- يوم حوزة البثاني

تذكر صخر^(١) بن عمرو الشريد السلمي مَقْتَل أخيه معاوية، وهاجت به الذِّكْرَى؛ فخرج لِقِتَالِ بَنِي مُرَّة، وركب السَّماء - وكانت غُرَّاءُ مُحَجَّلَةٌ، فسودَّ غُرَّتُهَا وَتَحْجِيلُهَا - فرأته بنتُ لهاثم بن حرملة، فذهبت إلى عمِّها دريد بن حرملة وقالت: أين السَّماءُ؟^(٢) قال: هي في بني سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالساً، ولما رآها قال: هذه فرس بهيم^(٣)، والسماء غُرَّاءُ مُحَجَّلَةٌ؛ وعاد فاضطجع ولم يشمر حتى طمته صخر.

فثارَ وتناذروا، وولى صخر، وطلبتَه غطفان عامَّةٌ يومها، ووقف دونه شجرة ابن عبد العزى، فردَّ الخيلَ عنه حتى أراحَ فرسه ونجا إلى قومه. ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُنْتَجِماً، فلقى عمرو بن قيس الجشمي،

* سليم على بني مرة (من ذيان)

الأغاني من ١٤٠ ج ١٣، العقد الفريد من ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غريل - نام)، السكامل للبهرد من ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بني سليم، وكان شاعراً حليماً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريفاً في قومه، وكان أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان أختا الخنساء لأبيها، فاسمها مائه مرات كثيرة، وكان يعطيها في كل مرة خير النصفين، ولما لامته زوجته في ذلك قال:

والله لا أنحبها شرارها ولو هلكت قددت لخارها

وأتخذت من شعر صدارها

فلما قتل لبست عليه الصدار، وقالت فيه خير المرائي (٢) السماء: فرس هاشم بن حرملة (٣) البهيم: الأسود، وملاشبة فيه من الخيل للذكر والأنثى.

ثم تبه وقال : هذا قاتلُ سُحاوية ، لا وأَلتُ نفسي إنْ وأل^(١) ، ولا نَزَلَ كُنْ له بين
الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِمْبَلَةً^(٢) ، فَمَلَقَ قِحْفَهُ^(٣) فأت^(٤) ، وقال
في ذلك :

إني قتلت هاشم بن حرملة إذا الملوك حَوَّلَهُ مُرَبِّلَهُ^(٥)
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
ولما بلغ الحسناء قَتْلُ هاشم قالت :

فِدَاً للفراس الجشى نفسي وأفديه بمن لي مِنْ حِمٍ
أفديه بكلِّ بنى سليم بظاعنهم وبالأَنْسِ^(٦) المقيم
كما مِنْ هاشم أَفَرَرْتُ عَيْنِي وكانت لا تَنَامُ ولا تُنِيمُ^(٧)

(١) وأل : نجا (٢) النصل : المريض الطويل (٣) القحف : ما اُتُفِقَ من المجبة
ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء (٤) قال الأصمعي : مررت بأعرابي وهو
يخضد شجرة ويرتجز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً أو النلام الجشى هاشما
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذي يقول :
وعاذلة هبت بيل تلومني كآني إذا أهقت مالي أضيها
دعيني فإن الجود لن يلف التقى ولن يخلد النفس اللثيمة لومها
وتذكر أخلاق التقى وعظامه مفرقة في القبر باد رميها
سلى كل قيس هل أبأني خيارها ويمرض عني وغدها وثيمها
وتذكر قيس منق وتكرى إذا ذمني فتيانها وكريمها
قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ا هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحبنا أباه هاشم بن حرملة يقتل الذنب ومن لا ذنب له
تري الملوك حوله مغربله

(٥) المغريل : المقتول المنتفخ (٦) الأنس : الحى المقيمون (٧) قال في اللسان :
يقال : أصاب الثأر النيم ، أى الذى فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينام ولا ينيم ، أى لا يدع أحداً
ينام ، وأنتد البيت (مادة - نام) .

ومن جيد قولها :

أبسد ابن عمرو من الـ الكـ مريد حلت^(١) به الأرض أنقلها
لممرُ أيهِ لنعمَ الفقى إذا النفسُ أعجبها مالها
فإن تك مرة أودت به قد كان يُكرُّ تقالها
غفر الشوامخ^(٢) من فقهه وزُوت الأرض زلزالها
هممتُ بنفسى كلّ المموم فأولَى لنفسى أولَى لها
لأحل نفسى على آله^(٣) فأما عليها وإما لها

وقالت ترى معاوية :

أريقى من دموعك واستغفريق^(٤) وصبراً إن أطلتِ ولن تطبقى
وقولى : إن خيرَ بنى سليم وقارسها بصحراءِ المقيق
ألا هل ترجعن لنا اللبالي وأيامُ لنا يِلوى الشقيق
وإذ نحنُ الفوارسُ كلّ يوم إذا حضروا وفتيانُ الحقوق
وإذ فينا معاويةُ بنُ عمرو على أدماءِ كالجللِ الفنيق
فبكيهِ قد أودى حمداً أمينَ الرأى محمودَ الصديق

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زيفت به الأرض الموتى . (٢) الشوامخ : الجبال .

(٣) على حالة ، وعلى خلة وهى القبيل ، فأما ظفرت وإما ملكت . (٤) فى الكامل :
مضى هذا : أن النعمة تذهب اللوعة .

فلا والله لا تسلّاك نفسى لفاحشة أنبت ولا عقوق^(١)
ولكنى رأيت الصبر خيراً من النملين والرأس الحليق^(٢)

(١) أى لا أجده فىك ما تسلو نفسى عنك له . (٢) قال فى الكامل : تأويل النملين أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نملين تصفق بهما وجهها وصدرها .

٩- يَوْمَ اللّٰوِي

غزا عبد الله بن الصّمة^(١) - ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر ابن هوازن - غطفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم في يوم يقال له : يوم اللّوى ، ومضى بها .

ولما كان منهم غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النّجاء يا أبا فرعان^(٢) ! نَشَدْتُكَ اللهَ ألا تنزل ، فإنّ غطفان ليست بغافلة عن أموالها وقد ظفرت ؛ فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرّ بآعه^(٣) ، وينقع نقيعته^(٤) ، فيأكل ويطعم ، ويقسم البقيّة بين أصحابه .

وينبأهم على ذلك ، وقد سطمت الدّواخن^(٥) ، إذا بفُكر قد ارتفع أشدّ من دخانهم ، وإذا عبس وفزارة وأشجع^(٦) قد أقبلت ، فقالوا الرّبيّتهم^(٧) : انظر ماذا ترى ؟

✽ لنطفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بني سليم

الأغاني ص ٦ ج ١٠ ، القد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٠٥ ج ٢ ، جهرة أشعار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة رمانة بنت معديكرب فأولدها بنيه الأربعة : عبد الله وقد قتله غطفان ، وعبد بنوث وقد قتله بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، وفي رمانة يقول أخوها عمرو بن معديكرب حين سبيت :

أمن رمانة الناعى السبيع يؤرقني وأصحابي هجوع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوره لى ما تستطيع

(٢) كان لمجد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فرعان وأبو دقافة وأبو وفاء (٣) الرباع : ربع النخيلة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية

(٤) النخيلة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويمنع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزارة وأشجع : من غطفان (٧) الربيّة : الطليعة .

فقال : أرى قوماً جماداً^(١) كأنَّ سراييلهم قد غُمست في الجادى^(٢) ، قال : تلك أشجع ، ليست بشيء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنَّتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أدماناً^(٣) ، كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يخذُّون^(٤) الأرض بأقدامهم خدّاً ؛ وهم يجرُّون رماحهم جرّاً ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بالمنمرج من رُميلة اللوى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بنى عبس عبدَ الله بن الصمة ، فقتلوا : قُتل أبو ذُفافة ! فعطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغن شيئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفُّوا عنه وهم يرون أنه قتل واستنقذوا المال ، ونجا من هرب .

فرَّ زَهْدَمُ المبنى وكَرَدَمُ الفزارى بدريد وهو مرث^(٥) في القتلى ؛ قال دريد : فسمعت زهدماً المبسى يقول لكردم الفزارى : إني لأحسب دريداً حيّاً ، فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انظر إلى سُبَّتِه^(٦) هل ترمز^(٧) ؟

قال دريد : فسددت من حِثَارِها^(٨) ، فنظر فقال : هيهات ! قد مات ! ثم مَالَ بِالزُّجِ^(٩) في الشَّرَجِ فطمعن فيه ؛ فسال دم كان قد احتقن في جوفى ، فمرفت الخِلفَةُ حينئذٍ ، وأمهلَت حتى إذا كان الليل مشيتُ وأنا ضعيفٌ قد نَزَفَنِي^(١٠) الدم ، حتى ما أكاد أبصر ، وما شعرتُ إلا وأنا بين عُرْقوبِي^(١١) بَعِيرِ ظَمِينَةٍ^(١٢) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

(١) جماد : جمع جمد ، وهو الرجل المجتبع بعضه إلى بعض ، أو الشديد (٢) الجادى : الزعفران ، منسوب إلى قرية بالشام نبت الزعفران ، اسمها جادية (٣) أدمان : جمع آدم ، والآدم من الناس : الأسر (٤) يخذون : يشقون (٥) المرث : من حمل من المعركة وبه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضرب (٨) الحثار : الفرج (٩) الزج : الحديدة في أسفل الرمح (١٠) يقال : نزف الدم فلاناً ، فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير (١١) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج .

فَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْكَ مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : لا ، بَلْ مِنْ أَنْتِ؟ وَيْلَكَ ! فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ .
قُلْتُ : وَأَنَا مِنْ هَوَازِنَ ، وَأَنَا دَرِيدُ بِنِ الصِّمَّةِ ؛ فَأَعْلَمْتُ الْحَيَّ بِمَكَانِي ؛ فَفَسَلَ عَنِّي النَّاسُ
وَزُوْدَتْ زَادًا وَسَقَاءَ وَنَجَوْتُ .



وفي موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه يرثيه :

أَرَأَيْتَ جَدِيدُ الْجَبَلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ^(١) بِمَاتَبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَاتَتْ وَلَمْ أَحْمَدْ إِلَيْكَ جَوَارَهَا وَلَمْ تَرْجُ مِنْ رَدَّةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
أَعَاذَلَنِي كُلُّ أَمْرٍ وَأَبْنُ أُمِّهِ مَتَاعٌ كَزَادِ الرَّكْبِ التَّزَوُّدِ
أَعَاذَلُ إِنْ الرِّزْقُ أَمْثَالُ خَالِدٍ وَلَا رِزْقَ مِمَّا أَهْلَكَ الْمَرْءَ عَنْ يَدِ^(٢)
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ^(٣) وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطُ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شُهَدَايُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : طُنُّوا بِالْفَيْ مُدَجِّجٍ مَرَاتِمُهُمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمَسْرَدِ^(٤)
أَمْرَهُمْ أَمْرِي^(٥) بِمَنْعَرَجِ الْوَلَّى فَلَمْ يَسْتَبِينَئُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْتَنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُؤَيَّدٍ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٦) إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرَشُدِ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُرٍ^(٧)

-
- (١) قال في الأغاني : كانت أم معبد امرأته تطلقها ، لأنها رأتها شديد الجزع على أخيه فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه القصيدة (٢) خالد من أسماء عبد الله
(٣) عارض : من أسماء عبد الله أيضاً ، ورهط بني السوءاء أصحاب عبد الله (٤) طنوا :
أيقنوا ، أو ماظنكم بأنني مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : خياريهم ، والفارسي المسرد :
الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزية : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

تنادوا فقالوا : أُرِدَّتِ الخَيْسَلُ فارساً فقلتُ أَعْبُدُ اللهَ ذلكم الرَّدَى (١)
فإن يكُ عبدُ الله خَلَى مكانه فلم يكُ وقافاً ولا طائشَ اليدِ (٢)
ولا بَرِّما إذا الرياحُ تَنَافَحَت برَطَبِ العِصَاءِ والهَشِيمِ المَعْضَدِ (٣)
كَمِيشُ الإِزَارِ خارجُ نِصفِ ساقِهِ بعيد من الآفاتِ طَلَّعُ أَنْجَدِ (٤)
فَلَيْلُ التَشَكِّي للمصِيباتِ حافظُ من اليومِ أعْقَابَ الأحاديثِ في غَدِ (٥)
تَرَاهُ خَمِيسَ الطنِّ والزَّادِ حاضِرُ عَتِيدُ ، وَيَغْدُو في القَمِيصِ المَقْدَدِ (٦)
وإن مسَّه الإِفْوَهِ والجَهْدُ زادُهُ سماحاً وإِتْلافاً لما كان في اليَدِ
صبا ما صَبَا حتَّى علا الشَّيبُ رأسَهُ فلما علاه قال للباطلِ : أبعِدُ (٧)
وطيَّبَ نفسى أننى لم أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي
نظرتُ إِلَيْهِه والرِّمَاحُ تَنَوَّشُهُ ككُوعِ الصَّيَاصِي في النِّسِيجِ المُمَدَّدِ (٨)

(١) أى : أَعْبَدُ اللهَ ذلكم المالك ؟ وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ، والثاني علمه إقدامه في الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسبيله ، والوقاف : الهبابة ، والطائش : الذى لا بصيب (٣) البرم : الضجر ، وتنافحت الرياح : هبت صابرة ، وشمالاً مرة ، وذلك آية الجذب ؛ والعصاء : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : الثبت اليابس المتكسر ، والمعصد : المقطع (٤) كَمِيشُ الإِزَارِ : مثل في الجد والتشجير ، والكَمِيشُ : الخفيف السريع الحركة ، وبعيد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه لا يتألم للتوائب تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفساله من أحداث الناس في غده (٦) يصفه بقلّة الطعام ، والزهد في اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعنيد المد ، والمقدد : المقطع (٧) « صبا » ادول من المصبى وهو صفر السن ؛ وصبا الثاني من الصباء بمعنى الفتاة ، المعنى : تماطى اللهو صغيراً ، فلما اكتمل وظهر الشيب في رأسه ، نعى الباطل عن نفسه (٨) تنوشه : تتناوله ، والصياصى : جمع صبغة ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة .

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ رِبِمْتُ فَأَقْبَلْتُ^(١) إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسَكٍ سَقَبٍ مُقَدَّرٍ^(٢)
 فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَمِيلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ^(٣) وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكِ الْلَوْنِ أَسْوَدِي^(٤)
 فَمَا رِبِمْتُ حَتَّى خَرَفْتَنِي رِمَاحُهُمْ^(٥) وَغُودِرْتُ أَكْبُو فِي الْقَنَاءِ الْمُتَقَعِّدِ^(٦)
 قِتَالِ امْرِئٍ وَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَأَيُّقِنُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مَخْلَدٍ^(٧)
 قَلِيلِ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظُ^(٨) مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
 وَقَالَ أَيْضاً :

تَقُولُ : أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ! وَقَدْ أَرَى^(١) مَكَانَ الْبُكَاءِ ، لَكِنْ بَنَيْتُ عَلَى الصَّبْرِ
 فَقُلْتُ أَعْبُدِ اللَّهَ أَبْكِي أُمَ الَّذِي^(٢) لَهُ الْجَدِثُ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ^(٣)
 وَعَبْدَ يَمُوثَ تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمَصَابُ حَتَّى قَبْرِ عَلَى قَبْرِ^(٤)
 أَبِي الْقَتْلِ إِلَّا آلُ صِمَّةٍ إِنَّهُمْ^(٥) أَبَوَا غَيْرِهِ وَالْقَدَرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدَرِ^(٦)
 فَأَمَّا تَرْبِنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا^(٧) لَدَى وَاتِرِهِ يَشْقَى بِهَا آخِرُ الدَّهْرِ^(٨)
 فَأَنَا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرٍ^(٩) وَنَاحِمُهُ حِينَا وَلَيْسَ بِنَدَى نُسْكَرُ^(١٠)

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأه ، أى كنت من الوله عليه
 مثل ذلك . والجلد ما جلده من السلوخ ، وألبس غيره ، لتشمه أم السلوخ فتدبر عليه ، واسك : الجلد ،
 والسقب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال فى الأحر أحرى ثم خفف ، ياء النسب بحذف إحداها
 (٣) المتقصد : التكرس (٤) قتل أبي بكر بن كلاب هو أخوه قيس ، ارجع إلى الأغاني صفحة ١٤
 فيه تفصيل لسبب قتله (٥) عبد يموث : أخوه أيضاً ، وقد قتله بنو مرة ، وحثو بدل من
 المصاب ، ومفعول عز محذوف ، كأنه قال : وعز للشاعر المصيبة ، حثو قبر على قبر ، أى حصول
 الواحد بعد الواحد (٦) يريد : أنهم قدروا للقتل (٧) يقول : لانا أبدأ نككون
 دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دمائنا (٨) لجه : أطمعه اللحم ،
 يقول : لانا نخطر بأنفسنا فقتل وقتل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر

يُفَارُّ علينا واطرين فيُشْتَفَى بنا إنْ أُصِبتَا أو نُفِيرُ على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطرين



ثم أغارَ دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ بمدَّ مَقْتَل أخيه عبد الله على غطفان ، يطالبهم بدمه ؛
فاستقرَّاهم^(١) حياً حياً ، وقتل من بني عَبَسَ سَاعِدَةَ بن مُرَّة ، وأسرَ ذُوَاب بن أسماء
ابن زيد بن قارب ، أمره مُرَّة بن عوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُشَم : لو فادَ بِنَاهُ^(٢) ،
فأبى ذلك دُرَيْد عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله . وقتل من بني فزارة رجلاً
يُقال له حِزَام وإخوة له ، وأصاب جماعة من بني مُرَّة ومن بني ثعلبة بن سعد
ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِل فيه منهم
يقول :

تَأَيَّدَ^(٣) مِنْ أَهْلِهِ مَعَشَرَ فَجَوُّ سُوَيْقَةٍ فَلَا صَفَرَ
فَجَزَعُ^(٤) الْحَلِيفِ إِلَى وَاسِطٍ فَذَلِكَ مَبْدَى وَذَا مَحْضَرُ
فَأَبْلَغَ سُلَيْمَى وَالْأَفَافِهَا^(٥) وَقَدْ يَمِطِفُ النَّسَبُ الْأَكْبَرُ
بَأَنِّي ثَارَتْ بِإِخْوَانِكُمْ وَكُنْتُ كَأَنِّي بِهِمْ مُغْفَرُ^(٦)
صَبَحْنَا فِزَارَةَ سُمَرَ الْقَنَّا فَهَلَّا فِزَارَةُ لَا تَضْجَرُوا
وَأَبْلَغَ لَدَيْكَ بَنِي مَازِنٍ فَكَيْفَ الْوَعِيدُ وَلَمْ تَقْرُرُوا

(١) استقرأهم : تنجمهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فذجه (٣) تأيد : أقر ، ومعسر
وجو سويقة والأصفر : أسماء مواضع (٤) الجزع : منطف الوادي ، والحليف وواسط :
موضمان (٥) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف (بالكسر) (٦) أخفروه :
قض عهده .

فَإِنْ تَقْتُلُوا فِتْيَةً أَفْرَدُوا أَصَابَهُمُ الْخَيْفُ أَوْ تَضَلُّوا
فَإِنْ حَزَامًا لَدَى مَرْكَبٍ وَإِخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أَنْسَرُ
وَبُومَ يَزِيدِ بْنِ نَاشِبٍ وَقَبْلُ يَزِيدَ كُمُ الْإِكْبَرُ
أَثَرَنَا صَرِيحَ بْنِ نَاشِبٍ وَرَهْطَ لَقِيطٍ فَلَا تَفَحَّرُوا
نَجْرُ الضَّبَاعِ بِأَوْصَالِهِمْ^(١) وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا

(٧) في نهاية الأرب : إن الصبح إذا لقيت قبلا بالمراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه قركبه ثم تأكله .

١٠- حَدِيثُ ابْنِ ضُبَيَّا

قد كان من حديثِ الحربِ التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب ، وبين بني جَعْفَر (١)
أن سمد بن ضبا الأسدي كان جاراً لعتبة بن مالك بن جعفر ، وكان يُرعى (٢) عليه -
وبنو جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عند عتبة بن جعفر - وكانت بنو أسدٍ قد قتلت
من بني أبي بكر قتيلاً ، فقالت بنو أبي بكر : علام تدعون ابنَ ضبا وأنتم تظليون
بني أسد بما تطلبونهم ، فممدوا إليه فقتلوه ، وبنو جعفر عنه غُيب .

فلما بلغ ذلك بني جعفر غضبوا ، وكان في بني جعفر رجلٌ من بني أبي بكر
يقال له مالك بن قحافة ، فقال - وهو صهر بني جعفر - لا يسؤكم الله ؛ إنما
هذا رجل من بني أسدٍ ، وقد كنّا نطلبهم بدمٍ ، وقد علمتم ذلك ، فلا تسفكوا
دماءنا ودماءكم فيه ، فهذا ابني لكم بديته ، ولا تقتلوا قومكم . قالوا : نعم ؛ فأخذوا
ابنه فحبسوه بالديّة .

فبينما هم كذلك إذ أقبل بعضُ بني جعفر فلقوا ربيعةَ الشرّ بن كعب بن عبد الله
ابن أبي بكر ، ومعه وطبان من لبنٍ يريد بهما أهله ، فقالوا : هل أنت ساقينا من
هذا اللبن ؟ قال : نعم ، فنزل عن قعوده ليسقيهم ، فأخذوه فشدهوه وثاقاً ، وقد تروى
من اللبن ، ثم طردوا به فسألح ، ثم شدّوه مع ابن مالك بن قحافة .

* لبني أبي بكر بن كلاب على بني جعفر بن كلاب (كلاهما من عامر) . وابن ضبا : رجل من
بني أسد .

النقائش من ٥٣٣ طبع أوروبا .

(١) بنو جعفر بن كلاب ، وبو أبي بكر بن كلاب : طنان في بني عامر (٢) يقال : أُرْعيت
عليه ؛ أي أُنْقِيت عليه ورجحه

فلما رأى ذلك مالكُ قال لامرأته : احتملى . فأحتملت ، فلما سارت ركبَ فرسه ثم أقبل عليهم فقال : يا بني جعفر ؛ لا آتى قوماً أبداً حتى أقتلَ بمضكم أو تقتلوني ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فمئذكم أسيرُ لبي وأسيرُ دم . فأعطوه ابنه ، وجبسوا ربيعة موثقاً أربع ليال حتى أذى بنو بكر عَقْلَ ابنِ ضبا ؛ فبعث بها بنو جعفر إلى بني أسد .

فلما أذوها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشر : أذوا إلى يابني جعفر إيسار أخى وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكُموني . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابني دأبُ بن عوف ، فليس بشرٍّ من أخيك فاصنعوا به ما صنِعَ بصاحبكم !

فأبى ذلك بنو أبي بكر ، واجتمع القومُ بمضهم إلى بمض ، فلما لقيت الحربُ بين بني جعفر وبني أبي بكر قتل رجل من بني جعفر - يقال له مَنيع - رجلاً من بني أبي بكر ؛ فأقبلت غني - وقد كانوا قتلوا ابناً لمروة بن جعفر قبيل ذلك - حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غني منكم دماً ، وأصبتُم منا دماً فبوئوا أحدَ القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نعطيك الدم الذى أصبنا من ابنك ، وخلّ بيننا وبين ثأرنا من غني ؛ فإننا لا نرضى منهم بدون دية الملوكة ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بني أبي بكر ، وسار معهم سائر بني كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خذِلُوا ، وقد كان طُفَيْلُ الغنوى قال لبني أبي بكر : ادفموني إلى بني جعفر ، فوالله لا يتعدّون علينا ولا يظلموننا حقاً هو لنا عندهم ،

فإن جعفرًا لا يُقَرُّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بني الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فنزّلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولاً ، فقالت بنو الحارث بمضها لبعض : ما يمنع أن ن تزوّج من بني جعفر عشرين امرأة ، ونزوّجهم عشرين امرأة ، وتشتبك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاء ، ولا نبألى إذا فعلنا ذلك من .^(١) أجلب علينا من العرب ؟ فشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامرٌ ساكتٌ لا يتكلم .

فلما انصرف القوم نادى عامرٌ في بني جعفر : لا يَبْقَيْنَ أحداً له فرسٌ إلا ركبهُ ولا سلاحٌ إلا لبسه ، وأخذ رُمحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونسائكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطعوا ثنية^(٢) القَهَر ، فإذا قطعتموها فانزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازوا الثنية ، ثم أتاهم ، فقال : هل أخذتُ لكم دِبةً أو أبيتكم على خَسْفٍ قط ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعنني أو لاتكينن على سيفي حتى يخرج من ظهري .

ثم قال : أتندرون ما أرادَ القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذناناً ، ويستعينوا بكم على المَرَب ، وأنتم سادة هوازن وروهمهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامرٌ وطفيل وعبيدة ومعاوية - وهم بنو أم البنين - وسلمى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، ولييد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر في ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بني أبي بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ، فوجدوه يبيع^(٣) رَكِيًّا فنزلوا حتى خرج منها .

(١) أجلب عليه : أعان عليه ، وقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتآلبوا (٢) ثنية بالعين

(٣) المبيع : أن تدخل البئر ضلماً الفلوة لثقة مائها . والركية : البئر .

فلما رأهم رَحِبَ بهم ، ودعا بِلَقْحَةٍ^(١) ، ثم أمر حالبًا فحلبها ، فقال : اسق سَيِّدَ بني عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسق سيد بني عامر ، فسقى بعده طفيلًا . ثم قال : اسق سيد بني عامر ، فسقى معاوية . ثم قال : اسقني ، ثم سألتهم : ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوء بحَقِّكم ، ونرجع إلى قومنا ، فقال مالك : اختاروا مني خَلَّتَيْنِ ، ثم حُكْمِي بعدهما ، قالوا : قد قَبَلْنَا إحداهما وقَبَلْنَا حَكْمَكَ . قال : إن شئتم أن تَقْطَعُوا على حَرْبٍ مُجَلِّيَّةٍ أو تُقِيمُوا على سِلْمٍ مُخْزِيَّةٍ ، فقالوا : أَرِنَا حُكْمَكَ . قال : ما كان لكم عندي من غَائِلَةٍ أو تُخَاشَةِ^(٢) أو دَمٍ ، ما قُلَّ من ذلك وما كَثُرَ فهو لكم ، ودمُ صاحبكم ابنُ عُرْوَةَ فهو على أَفْضَلِ الدِّيَّاتِ دِيَّاتٍ أهل بيته في مَالِي ، وما كان لِفَيْيٍ فهو عليّ ، ويرثم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ، وغازطه ما يرى :

أَبْنَى كِلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جُمْفَرٌ وَبَنُو ضَبَبَنَةَ حَاضِرُوا الْأَجْبَابِ^(٣)
 قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ نِمَ لَطَوًا^(٤) دُونَهُ حَتَّى نَحَا كَيْمَهُمْ إِلَى جَوَّابِ^(٥)

(١) اللقحة : الناقة الحلوب (٢) التخاشة : ما هو دون الدية لقطع يد أو أذن

(٣) الأجباب : منازل لبي جعفر التي شئت عنها وأقامت بها غي (٤) لطوا : استعزوا

(٥) جواب : لقب مالك بن كعب السكابي المذكور .

١١ - يَوْمَ هَرَامَيْت

كَانَ بَدْءُ الْحَرْبِ يَوْمَ هَرَامَيْتَ أَنَّ الْجَلِيلِيَّ بْنَ شَدِيدَ الْجَمْفَرِيِّ^(١) نَزَلَ فِي بَيْتِ
بَنَاحِيَةِ هَرَامَيْتَ لِيَحْتَفِرَهَا ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ بْنُ شَقِيقِ الضَّبَّابِيِّ^(٢) فَنَمَهُ ، فَأَمْحَدَرَا
فِي الْبَيْتِ ، فَضْرِبَهُ الْأَسْوَدُ عَلَى أُذُنِهِ فَحَذَمَهَا^(٣) وَشَجَّهَ شَجَّةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِرَأْسِ
الْبَيْتِ ، فَأَنْزَلُوا عَلَيْهِمَا الرِّجَالَ حَتَّى خَلَصُوا بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَتِ الضَّبَّابُ : دُونَكُمْ صَاحِبَنَا
فَاقْتَضُوا ، وَخَذُوا أَرْضَ^(٤) جِرَاحَةِ صَاحِبِكُمْ .

فَقَالَتِ بَنُو جَمْفَرٍ - وَفِيهِمْ بَذَخٌ^(٥) شَدِيدٌ - لَا نَأْخُذُ حَقًّا أَبَدًا إِلَّا عَنُوءَةً .
فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَكُلُّهُمْ مُحْتَمِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَمْفَرٍ : يَا جَلِيلِي ؛
أَنْتَ الْيَوْمَ الْجَلِيلِي ، وَغَدًا الْمَحْذُومُ ؛ فَحَذَمَ بَنِي جَمْفَرٍ وَأَحْمَسَهُمْ^(٦) ، وَكَانُوا مَعَ بَنِي
الضَّبَّابِ فِي مَعْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ اتَّقَوْا عَلَى هَرَامَيْتَ فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَاحْتَمَلَ الْحَيَّانُ ، وَافْتَرَقُوا بَعْدَ
الْأُلْفَةِ .

فَنَزَلَتِ الضَّبَّابُ عَلَى غَوَلٍ وَالْخِصَافَةِ^(٧) ، وَنَزَلَ جَمْفَرُ الشَّبَكَةِ^(٨) وَمَعْرُوفًا ،

* للضبَّابِ عَلَى بَنِي جَمْفَرٍ (كِلَاهُمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ) . وَالهَرَامَيْتُ : آبَارٌ مَجْتَمِعَةٌ بِـ : الدَّهْنَاءِ

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٤٥٠ ج ٨ ، التَّقَاتُصُ ص ٩٣٧ طَبْعُ أَوْرِبَا

(١) بَنُو جَمْفَرٍ ، ثُمَّ أَبْنَاءُ جَمْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَصْعَدَةَ (٢) الضَّبَّابُ :
وَلَدُ مَعَاوِيَةَ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَصْعَدَةَ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ الضَّبَّابَ ، لِأَنَّهُ عَمَرُو بْنُ مَعَاوِيَةَ
كَانَ وَلَدُهُ ضَبًّا وَمَضْبًا وَضَبَابًا وَحَسِيلًا (٣) حَذَمَهَا : قَطَعَهَا (٤) الْأَرْضُ : الدِّيَةُ
(٥) الْبَذَخُ : الْكِبَرُ (٦) أَحْمَسَهُمْ : أَغْضَبَهُمْ (٧) الْغَوَلُ وَالْخِصَافَةُ : مَاءَانُ الضَّبَّابِ
(٨) الشَّبَكَةُ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي قَسِيرٍ ، وَمَعْرُوفٌ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَمْفَرٍ .

فكثروا يسيراً ، والضباب متوقفة للشر ، قد أذكت الميؤن فليست تنام ؛ ثم إن
بني جعفر سارت إلى الضباب .

وبينا الضباب في بعض الطريق إذ لقيهم يزيد بن مسمم الفنوي راكباً ، فقالوا :
هذا راكبٌ فاسأله عن بني جعفر ، فأتوه ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال لهم الفنوي :
ما أدري ما أقول لكم إلا أن النعم منكم قريب^(١) .

فخرجت الضباب مبادرةً إلى النعم غافةً الفارة ، وخلفوا أبا لطيفة بن الخطيم
ابن الأعرف ، وهو يومئذ سيدُ الضباب وابن أخ له وأربعة نفر .
وأقبل جمعُ بني جعفر فتلقاهم زينُ الضبابي في مِرْزَى له يسوقها ؛ فقال زاجر^(٢)
بني جعفر : يا قوم ؛ قد لقيتم زائناً^(٣) وزاجراً وناطحاً ، فارجعوا ، فوالله لا نصيرون
في وجوهكم هذه خيراً فأطيعوني ؛ فأبوا عليه .

فبينما هم في مَسِيرهم إذ لقيهم مالك بنُ الربيع وشريك بن الهيثم الضبابيان ،
فقتلوهما . قال أهلُ الرأي منهم : ارجعوا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدركتم ثاركم في
حافية ؛ فأبت جماعتهم إلا السير ، وقالوا : يا بني جعفر ؛ اجملوه يوماً من أيّاسكم ،
فساروا حتى انتهوا إلى علمهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بن الخطيم وأصحابه فقتلوه ، وفيهم
رجلان يقال لهما الأشهبان من فرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لطيفة بن الخطيم وبه
رمقٌ فقطعوا أنفه ، وعمدوا إلى يلحفةٍ حمراء فصَبَّموها بدمِ أبي لطيفة ، وبعثوا بها
مع بشيرٍ إلى نساءهم .

(١) قال ذلك يكيد لضباب تمصاً لبني جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من
يصلطع الزجر ، وهو العياقة والتسكين (٣) الزين : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أي يدفع
بعضها بعضاً كثرة .

وفي بني جعفر وَجْزَةٌ بنت الخطيم أختُ أبي لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بقتلِ
أبي لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَةٍ على خالهنّ ، فقالت أمهنّ : اسكُنن ، فوالله لئن كان
ظنّي ببني عمرو (وهم الضّباب) ليبيننّ الليلةَ في بني جعفر نوحُ كثير .

وانتهت الضّباب إلى النّعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لطيفة ، وبه رمقٌ وإذا القومُ
قتلى ، فقالوا له : مَنْ أصابك ؟ قال : أصابني خَيْشَنَةٌ وهو أحدُ الرّذنين على الجملِ
الأسود ، فاتّبعهم الضّباب ، فلحقهم على الثّنية فاقتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من
الفريقين من هؤلاء وهؤلاء ، وقصدَ هُرَيْمُ بن الخطيم - أخو أبي لطيفة - قصدَ
خَيْشَنَةَ قاتلِ أخيه فقتله وقطع أنفه ، وبث به مع بشيرٍ إلى أبي لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتكم يا بني عمرو رَجِمُ ! الآن ذهب غليلي ، لستُ أباي
مضى ميتٌ .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضّباب بمبدأ خمسة أميال أو نحو ذلك ، وحجزَ
بينهم الليلُ ، ورجعت الضّباب فاحتملت قتلاها ، وهابت بنو جعفر أن تنقلَ قتلاها
حتى يموتوا النساء يحملن القتلى ؛ فشت السّفراء بينهم ، ففَضَّلَ لبني جعفر على الضّباب
خمسَةٌ بعد البوّاء .

وقال الأجلح^(١) الضّبابي ، وكان فارساً شديداً ، فاتّبع القوم وهو يقول :

لا تَسْقِه حَزْراً ولا حلياً إن لم تجده ساجحاً يَمُوباً^(٢)

(١) نسب هذا الشعر في اللسان : للخطيم الضّبابي (لسان مادة جون) ، وقال في حاشية اللسان :
في الصافي : مول الأجلح بن تاسط الضّبابي (٢) بصف فارساً يقول : لا تسقه شيئاً إن لم تجد به
عده الحصال ، والحزر من اللبن : الذي أخذ شيئاً من الحموضة ، والساجح : الشديد العود ،
والبمرب : السكّاب الجري .

فَامِئَةٍ^(١) يَلْتَهُمُ الْجُبُوبُ^(٢) يَتْرُكُ صَوَّانُ^(٣) الصَّوَى رَكُوبًا
 بِرَلَقَاتٍ^(٤) قُمْتُ تَقْمِيًا يَتْرُكُ فِي آثَارِهِ لُهُوبًا^(٥)
 يَادِرُ الْأَثَارَ أَنْ تَوُوبًا^(٦) وَحَاجِبَ الْجَوْنَةِ^(٧) أَنْ يَنْمِيَا
 كَالذَّبِّ يَتَلَوُّ طَعْمًا قَرِيْبًا^(٨) عَلَى هَرَامِيْتٍ تَرَى الْمَعْيَا
 أَنْ تَدْعُوَ الشَّيْخَ فَلَنْ يُجِيبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممن قتل الكروى ومعتز ضربه ضربة بالسيف
 أشرعت في شقه ، فنادى معتز : يا بني جعفر ! إن شددتموني بثوب فلا بأس على ،
 فلم يلبث أن مات ، فقال في ذلك الأشر بن عمارة الصبائي :

عَشِيَّةً يَدْعُو مِعْتَرُ يَالَ جَعْفَرُ أَخُوكُمْ أَخُوكُمْ أَجْدَلُ الشَّقِّ مَائِلُهُ
 وَلَحِقَ الْأَجْلَحُ بْنُ قَاسِطِ ابْنِ مُحَيْصَنَةَ بْنِ بَحِيرٍ ، وَهَما يَسْرِيَانِ بَابَهُمَا مِنْ آخِرِ
 اللَّيْلِ ، فَقَالَ لَهَا : أَجْزِرَانِي الشَّيْخَ ، فَقَالَا : لَقَدْ اسْتَمْرَضْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ جَزْرًا كَثِيرًا
 وَمَا لِهَذَا رَبَّانَا . وَقَدْ كَانَ الْأَجْلَحُ لَمْ يَلْبَسْ دِرْعَهُ تَرَكَ جُرْبَانَهَا^(٩) لَمْ يَشُدَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَجَلَّةِ ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : شُدِّ عَلَيْكَ الْجُرْبَانُ ، فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي يُبْصِرُ هَذَا الْمَوْضِعَ لَبَصِيرًا

(١) المية : النشاط والحدة ، يلتهم : يتلغ (٢) الجيوب : الأرض النليظة ، وقيل الأرض
 النليظة من الصخر لا من الطين ، وقيل هى الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض
 (٣) الصوان : الصم من الحجارة ، والصوى : الأعلام ، والركوب : اللذل ، ورواية النقائض :
 يترك صوان الحصى ركوباً (٤) يعنى حوافره ، والتقيب : أن يكون الحافر مقيماً كالنصب
 لاستدارته (٥) اللهب : جمع لب ، ورواية النقائض : ألحوبا (٦) الأب : الرجوع
 يقول : يادر آثار الذين يطلبهم ليدركهم قبل أن يرجعوا الى قومهم ، ويأدر ذلك قبل مغيب الشمس
 (٧) الجونة : الشمس (٨) شبه القرس فى عدوه بذئب طامع فى شئ يصيده من قرب
 قد تناهى طعمه (٩) جربان السيف : حده ونمده .

فلما سَهِلَ على ابني مُحِيضَةَ نظر حاجِبِ بن حَمِيضَةَ إلى موضع الجُرْبَانِ لم يشده فطعنهُ
في لَبَتِهِ فقتله ، وأخذوا فرسه فركباه وَنَجَّوْا بِأَيِّهِمَا .

فلما قَدِمَ الحِجَاجُ المدينة بعد قتل ابنِ الزَّيْزِرِ ، واجتمع الناسُ على عبد الملك وَجَهَ
إليهم عُمَانُ بن عبد الله بن سُرَّاقَةَ القُرَشِيَّ أَحَدَ بنِي عَدِيٍّ بن كعب ؛ فلما قدم عليهم
جمع الفريقين ، ثم نادى : مَنْ جَاءَ بِمُزْمَةٍ حَطَبَ فَلَهُ بَعِيرٌ . فجيءَ بِمُحَطَّبٍ كثير ،
فَنَضَّدَ بِمُضَةٍ إلى بعضِ حولهم ، ثم أَشْمَلَ فيه النار ؛ فلما لَحِقَتِ القَوْمُ النارُ ، وظنُّوا
أنه الموتُ نادى : مَنْ أَطْفَأَهَا فَلَهُ بَعِيرٌ ، فأطفاها الناسُ ، فأخرجهم ، وقد كادوا
يَحْتَرِقُونَ ، ثم دعا بالصَّخْرِيَّ لِيَحْطِمَ أَدْرُعَهُمْ فَضَجُّوا إِلَيْهِ ، فقال : أَتَمُودُونَ لِأَمْرِ
الْجَاهِلِيَةِ أَبَدًا ؟ فقالوا : لا نَمُودُ بعد اليوم . فَضَمَّنَ الصَّبَّائِيُّونَ الْجُمْفَرِيَّينَ مَا يَطْلُبُونَ ،
وَأَخَذَ دَرَّاجَ بن زُرْعَةَ بن قَطَنَ بن الأَعْرَفِ الصَّبَّائِيَّ فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى عبد الملك ، وكان
هو صاحبُ الأَفَاعِيلِ فقتله عبد الملك ، فقال دَرَّاجُ في السجن :

أَلَا يَا غِرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَارْبَعَ	وَطِرْتُ بِاللَّيْلِ قَدْ حُمٌّ وَيَحْكُ أَوْقَعَ
فَطَارَ بِتَحْقِيقٍ وَجِدْتُ بِمَبْرُورَةٍ	أَنَاهَا رَشَاشُ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ مَدْفَعٍ
فَلَيْسَ لِيَا لَيْلِنَا يَطْحُفَةً وَالْحَمَى	يَمُرُّ نَجَمَاتُ فَا بَيْتِكَ شَجْوَكُ أَوْ دَعِ
إِذَا أُمُّ سِرْيَاحٍ ^(١) غَدَتْ فِي ظَمَائِنِ	جَوَّالِ ^(٢) نَجْدًا فَاضَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
فَبَلَّغْتُ بَنِي عَمْرٍو سَلَامًا وَرَحْمَةً	بِآيَاتِ شِدَائِي إِذَا الْخَيْلُ تَقْدَعُ
بِآيَةِ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَدْ عَلِمْتُ	أَهْلًا ^(٣) عَنْ ضَرْبِ الْكَيْمِ ^(٤) الْقَمْعُ
قَدْ كُنْتُ أَعْطِيكُمْ طَرِيقِي وَتَالِدِي	وَأَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ كُلِّ مَدْفَعٍ

(١) السرياح : الجراد ، وأم سرياح : امرأة مشق منه (٢) الجالس : الاتى نجداً ،
ورواية القائل : عوامد نجد كانت العين تدمع (٣) هزل : فرح وجبن
(٤) الكيم : الشجاع .

فلا تخشعوا للقوم من خَشْيَةِ الرَّدى
وإني لأُخشى من رجالٍ تركتهمُ
لِكُلِّ امرئٍ يوماً حِجَامٌ ومَصْرَعٌ
وَرَأَى أَنْ يُمَطَّوْا الذى كُنْتُ أَمْنَعُ
فإن يكُ ظنّى بالحجازى صادقٌ
يقاتلهم فرداً ولا يتخضعُ
وَيَسْقِيهمُ كأساً من الموتِ مُرَّةً
كما قد سَقَوْهُ مثلها فتَضَلَّعُ
ولما دخأتُ السَّجْنَ أبْقَنْتُ أَنَّهُ
هو البينُ لا بينُ النوى ثم يجمعُ
وما السوطُ أبْكَانى ولا السجْنُ شَفَنى
ولكننى من رَهْبَةِ الموتِ أَجْزَعُ

٧- أَيَّام قَيْسٍ وَكِنَانَةَ

- ١- يَوْمَ الْكُدَيْدِ
- ٢- بُرْزَةِ
- ٣- حَرْبِ الْفَجَّارِ

١- يَوْمُ الْكَدِيدِ

— ١ —

خرج دُرَيْدٌ^(١) بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جُشَمٍ^(٢)، يريد الغارة على بني كِنانة؛ فلما كان بواد لبني كِنانة رُفِعَ له رجل من ناحية الوادي ومعه ظليمة^(٣). فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صَبَحَ به أَنْ خَلَّ عن الظليمة وأنج بنفسك. وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه، فلما أبتى ألقى زمام الراحلة وقال للظليمة:

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سِيرَ الْأَمَنِ سِيرَ دَاحٍ^(٤) ذَاتِ جَاشٍ مَا كُنْ
إِنْ انْتِنَانِي دُونَ قَرْنِي^(٥) شَانِي أَبْلَى بِلَانِي وَاجْبُرِي وَعَايِي
ثُمَّ حَمَلْ عَلَى الْفَارَسِ فَصَرَعَهُ، وَأَخَذَ فَرَسَهُ فَأَعْطَاهُ الظَّليْمَةَ.

فبعت دُرَيْدٌ فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه؛ فرآه صريعاً، فصاح به، فتصامَّ عنه، فظنَّ أنه لم يسمع ففشيهِ، وألقى زمام الراحلة إلى الظليمة، ثم حمل على الفارس فصَرَعَهُ، وهو يقول:

* لبني سليم (بطن في قيس عيلان) على كِنانة، والكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة المقد القريد ص ٣٢٤ ج ٣، الأغاني ص ١٢٩ ج ١٤، الأمل ص ٢٧١ ج ٢، صط اللآلي ص ٩١٠ ج ٢، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١
(١) دريد بن الصمة: سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، كان مظفراً ميمون النقية، غزاه نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام ولم يسلم (٢) جشم: بطن في هوازن، ودريد كان من حبي فيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظليمة: المرأة ما دامت في الهودج (٤) امرأة رداح: عجزاء تعيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن: الكف.

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ النِّيمَةَ إِنَّكَ لَاقٍ دُونَهَا رِييمَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ^(١) مُطِيئَةً أَوْ لَا فَخُذْهَا طَمَعَنَةً سَرِيعةً
فَالطَّمَنُ مَنَى فِي الْوَعَى شَرِيعةً

ثم حل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَعَثَ فَارِسًا آخَرَ ، لِيَنْظُرَ مَا مَسْنَمَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهُمَا
صَرِيمَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظَلَمِنَتَهُ ، وَيَجْرُ رُمَحَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ الظَّلْمِينَةِ .
فَقَالَ لَهَا رِييمَةً : اقْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ أَقْبِلِي عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمِ^(٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرِ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرَدَا هَا عَامِلُ رَمَحٍ يَابِسٍ

ثم طعنه فصرعه ، فانكسر رُمَحُهُ .

وَلَمَّا أبطأ عَنِ دُرَيْدٍ ارْتَابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الظَّلْمِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحَقَ
بِهِمْ ، فَوَجَدَ رِييمَةً^(٣) بَنَ مَكْدَمٍ لَا رَمَحَ مَعَهُ ، وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ؛ وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ
قُتِلُوا ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْخَيْلُ نَائِرَةٌ بِأَصْحَابِهَا ،
وَلَا أَرَى مِثْلَكَ رَمَحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ؛ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحُ ؛ فَابْنِي وَاجِعًا إِلَى
أَصْحَابِي فَتُبْطِطْهُمْ عَنْكَ .

(١) الرماح الخطية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ في بلاد البحرين (٢) الشتم : الأسد
المساب (٣) ريمية بن مكدم : أحد فرسان كنانة للمدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو
من قبيلة فراس بن هثم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أعجب العرب ، كان الرجل منهم يعدل
بمعزة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم
مائة ألف ثلاثمائة من بني فارس .

وَأَتَى دُرَيْدُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّمِينَةِ قَدْ سَحَاها ، وَكَتَلَ فُرْسَانَكُمْ ،
وَانْتَزَعَ رُمَحِي ، وَلَا طَمَعَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَقَالَ دُرَيْدُ :

مَا إِنِّ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِيَ الظَّمِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلَ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً^(١) ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ
مَهْلًا تَبَدُّوْا أَيْسَرُهُ وَجْهَهُ مِثْلَ الْحَسَامِ جَلَّتْهُ أَيْدِي الصَّيْقَلِ^(٢)
يَرْجَى ظَمِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ مُتَوَجِّهًا بِمَنْأَهُ نَحْوَ الْمَزَلِ
وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ خِيفَةِ رُحْمِهِ مِثْلَ الْبُغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ^(٣)
يَالَيْتَ شَعْرَى مَنْ أَبَوْهُ وَأُمُّهُ ؟ يَا صَاحِبَ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهِلْ
وَقَالَ رَيْمَةُ :

إِنْ كَانَ يَنْفُكُ الْيَقِينُ فَسَائِلِي عَنِ الظَّمِينَةِ يَوْمَ وَادِي الْأَخْرَمِ^(٤)
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَتَاهَا نُهْبَةٌ لَوْلَا طَعَانُ رَيْمَةِ بِنِ مُكَدَّمِ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفَوَارِسِ مَيْتَةٌ خَلَّ الظَّمِينَةَ طَائِمًا لَا تَنْدَمِ
فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّمِينَةِ نَحْوَهُ عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
وَهَتَكْتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ^(٥) فَهَوَى صَرِيحًا لِلْبَيْدِ وَالْفَقْمِ
وَمَنْحَتِ آخِرَ بَعْدِهِ جِيَّاشَةً نَجْلًا ، فَاعْرَةَ كَشِدِّ قِي الْأَضْجَمِ^(٦)
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بَآخِرِ ثَالِثِ وَأَبَى الْفِرَّادَ لِي الْغَدَاةَ تَكْرُمِي

(١) النهزة: القى هو لك ممرض كالنخبة ، يقال : فلان نهزة المختلس ، أى صيد لكل أحد
(٢) الصيقل : جلاء السيوف (٣) البغاث : طائر أغبر ، والأجدل : الصقار
(٤) الأخرم : جبل في طرف الدهناء (٥) إهابه : جلده (٦) الضجم : عوج في
القم ، وشبه الجرح الواسع بالقم الأضجم .

وقام نزاع بين نفر من بني سليم^(١) ، ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم إنهم ودّوهما ، ثم ضرب الدهر ضربته ، وخرج نُبَيْشَة بن حبيب السلي غازیاً ، فلقى ظُمنًا من بني كنانة بالكديد ، ومعهم قومهم من بني فراس بن مالك بن كنانة ، وفيهم عبد الله بن جذل الطمان والحارث ابن مكدم ، وأخوه ربيعة بن مكدم ، فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم يَطْلُبُونَ دماءهم ، فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلمَ عِلْمَ القوم ، فأنيكم بخبرهم ، وتوجه نحوهم .

فلما ولى قال بعض الظمن : هرب ربيعة ! فقالت أخته عزة بنت مكدم : أين تفهمي نِزْرَةَ الفتى ؟ فعطف - وقد سمع قول النساء - فقال :

لقد علمن أننى غيرَ فَرِقٍ^(٢) لأطمنن طمنةً وأعتنق^(٣)
أصبحهم صاحٍ بمحمر الحَدَقِ عَضْبًا^(٤) حُسَامًا سِنَانًا^(٥) بِأَتْلِقِ

ثم انطلق يعدّو به فرسه ، فحمل عليه بعضُ القوم ، فاستطرد^(٦) له في طريق الظمن حتى قتله ، وتبعه نبيشة ثم رماه فالحق بالظمن يستدري ، حتى انتهى إلى أمه أم سنان فقال : اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز :

شدى على المصّب أم سيارٍ فقد رُزيت فارصًا كالدينار
يطمن بالرمح أمام الأذبار

(١) سليم : بطن في قيس عيلان ، وهم قوم دريد (٢) الفرق : الخائف
(٣) الاعتناق في الحرب : مثل التناق في غيره (٤) العضب : السيف (٥) السنان : طرف الرمح (٦) استطرد : تقهر ، وكأنه يخدع .

فَقَالَتْ أُمُّهُ :

إِنَّا بَنُو تَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مَهْرُورٌ أَخْبَارٍ لَنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنَ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرُّزْءُ إِلَّا كَذَلِكَ

وَشَدَّتْ عَلَيْهِ عَصَابَةً ، فَاسْتَقَاها ماءً ، فَقَالَتْ : إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مِتَّ ؛ فَفَكَّرَ
رَاجِعًا عَلَى الْقَوْمِ ، يَنْزِفُهُ الدَّمُ ^(١) ، حَتَّى أَتْنَحْنُ ^(٢) ، فَقَالَ لِلظُّمْنِ : أَوْضِمْنِ ^(٣) رِكَابَكُنَّ
حَتَّى يَنْتَهِيْنَ إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ ، فَإِنِ لَّمْ يَأْتِ سَوْفَ أَفِيفُ دُونَكَ لَهْمٌ عَلَى الْعُقْبَةِ ،
فَاعْتَمِدْ عَلَى رُحْمِي فَلَا يَقْدُمُونَ عَلَيْكَ لِكَافِي . فَفَعَلْنَ ذَلِكَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى رُحْمِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ لَهْمٍ
عَلَى مَنْ فَرَسِهِ حَتَّى يَلْفَنَ مَا مَسْنً ، وَمَا يُقَدِّمُ الْقَوْمَ عَلَيْهِ .

وَرَأَاهُ نُبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ لِمَا لَيْلُ الْمَنْقِ ، وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ ،
وَأَمْرٌ رَجُلًا مِنْ خُرَازْمَةٍ كَانَتْ مَعَهُ أَنْ يَرْمِيَ فَرَسَهُ ، فَرَمَاهَا ، فَفَقَصَصَتْ ^(٥) ، قَالَ
عِنْدَ مَيْتَتِهِ .

ثُمَّ لَحِقُوا الْحَارِثَ بْنَ مُكْدَمٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْا عَلَى رِيْعَةٍ أَحْجَارًا ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ ، فَفَرَّتْ نَاقَتُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي أَهْلَتْ عَلَى رِيْعَةٍ ،
فَقَالَ يَرِثِيهِ ، وَيَعْتَدِرُ إِلَّا يَكُونُ عَقَرٌ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ ، وَعَبَّرَ أَنَّ
فَرَّ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ :

فَفَرَّتْ قَلُوصِي ^(٦) مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ ^(٧) بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ ، وَهُوَ ب

(١) يَنْزِفُهُ الدَّمُ : يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ (٢) أَتْنَحْنُ : ضَعَفَ مِنَ الْجَرَاخَةِ (٣) أَوْضِمْنِ
رِكَابَكُنَّ : حَثُوهُنَّ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ (٤) قَالَ أَبُو مَهْرُورٍ بْنُ الْمَلَاءِ : لَا نَعْلَمُ قَتِيلًا وَلَا مَيِّتًا
نَحْنُ الْأَطْلَانُ غَيْرُهُ . (٥) يُقَالُ قَصَصْتُ الْفَرَسَ : إِذَا رَفَعْتَ يَدَيْهَا وَطَرَحْتَهُمَا مَعًا
(٦) الْقُلُوصَى مِنَ الْإِبِلِ : الشَّابَةِ (٧) الْحَرَّةُ : الْحِجَارَةُ السُّودَاءُ ، وَالْمُرَادُ قَبْرَ رِيْعَةٍ .

لا تَفِرِّي يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سِبَاءُ^(١) خَيْرٌ مِسْمَرٍ^(٢) لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّمَارُ وَبُعْدُ خَرَقٍ^(٣) مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَخْبُو عَلَى الْمُرْقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رِيْعَةٍ بَعْدَ مَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَكْرُوبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رِيْعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ وَسَتَى الْفَوَادَى قَبْرَهُ بِذُنُوبِ^(٤)
وَقَالَتْ أُخْتُهُ تَرْتِيهِ :

مَا بِالْ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ مُهْرَاقٍ سَعًا فَلَا عَازِبَ لَا وَلَا رَاقٍ
أَبْكِي عَلَى هَالِكِ أَوْدَى فَأُورِثْنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنًا حَرًّا بَاقٍ
لَوْ كَانَ يُرْجَعُ مَيِّتًا وَجَدْتُ ذِي رَحِمٍ أَبْقَى أَخِي سَالِمًا وَجُدِي وَإِسْفَاقٍ
أَوْ كَانَ يُفْدَى لَكَانَ الْأَهْلُ كُلُّهُمْ وَمَا أَثَرُ مِنْ مَالٍ لَهُ وَاقٍ
لَكِنْ سِهَامُ النَّيَا مِنْ نُصْبِنَ لَهُ . لَمْ يُفْنِهِ طِبُّ ذِي طَبِّ وَلَا رَاقٍ
فَاذْهَبْ فَلَا يَبْعَدُنْكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ لَاقَى الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلُهُ لَاقٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوُفَةٌ وَمَا سَرَّيْتُ مَعَ السَّارَى عَلَى سَاقٍ
أَبْكِي لَذِكْرَتِهِ عِبْرَى مُفَجَّعَةٍ مَا إِنْ يَجِيفُ لَهَا مِنْ ذُكْرَةٍ مَاقٍ^(٥)

— ٣ —

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة أن أغاروا على بني جشم
رهط دُرَيْدٍ ، ففتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ ، فَأَخْفَى نَسَبَهُ .

(١) سبأ محر : مشتريها (٢) مسمر الحرب : موقدها (٣) الخرق : القلادة الواسعة
تصخر فيها الرياح ، أى يشتد هبوبها ، والمهمة : المفازة المفرة ، والسفار : السفر
(٤) الذنوب : الدلو فيه ماء ويقال : إنه لما بلغ شره بنو كنانة قالوا : واقه لو عقرها لسقنا
إليه ألف ناقة سود الحدق (٥) هو ماق العين

وبينا هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأةٌ منهنّ فقالت :
هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رُمحه يوم
الظمينة ، ثم ألقى عليه ثوبها وقالت : يالَ فراس ؛ أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا
يوم الوادي ، فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بن الصَّمّة ! فَنّ صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن
مكدم ؟ قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فن الظمينة التي كانت معه ؟
قالت المرأة : ربطة بنت جندل ، وأنا هي ؛ خبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا :
لا ينبغي أن تكفر نعمة دُرَيْدِ عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا
المخارق الذي أمره ، فانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزي دريداً عن ربيعة - نعمةً	وكل فتى يُجزي بما كان قدماً
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وإن كان شراً كان شراً مُدَمِّماً
سنجزيه نعمةً لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرمح السديد القوّماً
فقد أدركت كفّاءً فينا جزاءه	وأهلٌ بأن يجزي الذي كان أنما
فلا تكفروه حقّ - نِعماء فيكم	ولا تركبوا هلكَ الذي ملأ الفها
فإن كان حيّاً لم يضق بثوابه	ذراعاً غنيّاً كان أو كان مُعدماً
ففسكّوا دريداً من إيسارٍ مخارق	ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلماً

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته رِيطَةٌ وجهزته ، ولحق بقومه
ولم يزل كافّاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

٢- يَوْمَ بَرْزَةِ

لَمَّا قَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ رَيْمَةَ بْنَ مَكْدَمٍ فَارِسَ كِنَانَةَ (يَوْمَ الْكَدِيدِ) رَجَعُوا وَأَقَامُوا مَا شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ خَالِدٍ بْنَ صَبْرٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ - وَكَانَ بَنُو سُلَيْمٍ قَدْ أَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ - بَدَّاهُ أَنْ يَنْزُوَ بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ بِرُزَّةٍ^(١) وَرَثِيسُ بْنُ فِرَاسٍ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَذَلٍ .

وَلَمَّا التَقَى الْجَمَانُ دَعَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَرَازِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ هِنْدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ صَخْرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا هِنْدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ صَخْرٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَخُوكَ أَسْنُ مِنْكَ - يَرِيدُ مَالِبَكَ - فَرَجَعَ وَأَحْضَرَ أَخَاهُ ، فَبَرَزَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَجَمَلَ بِرَجْمٍ وَيَقُولُ :

اقْتَرَبُوا قِرْفَ الْقِمَعِ^(٢) إِنِّي إِذَا الْمَوْتُ كَنَعُ^(٣)

لَا أَتَوَقَّى بِالْجَزَعِ

وَشَدَّ عَلَى مَالِكٍ قَتَلَهُ . فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَخُوهُ كُرْزُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ صَخْرٍ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، قَتَلَهُ أَيْضًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَخُوهُمَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، فَتَخَالَفَا طَعْنَتَيْنِ ، فَجَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَتَحَاجَزَا .

* يَوْمَ بَرْزَةِ لَبْنِي فِرَاسٍ (مِنْ كِنَانَةَ) عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَبَرْزَةُ : مَوْضِعٌ . وَقَدْ ائْتَصَلَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ لَبْنِي سُلَيْمٍ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ ، وَأَصْلُ الْقِيَامَةِ : الْمَفَازَةُ لِأَمَاءٍ فِيهَا وَأُخْتُتْ عَلَى مَوْضِعٍ .
الْعَدَدُ الْفَرِيدُ ص ٣٢٦ ج ٣ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ - بَرْزُ .

(١) بَرْزَةُ : ضَبْطُهُ صَاحِبُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (بِالضَّمِّ) وَقَالَ : لَمْ يَرَ (بِالْفَتْحِ) بِحُطِّ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ . وَقَالَ : لَمْ يَوْضِعْ بِهِ وَقْعَةٌ تَذَكَّرُ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ (٢) الْقِرْفُ فِي الْأَصْلِ : الْوَسْخُ الَّذِي يَنْتِجُ عَنِ اللَّبَنِ ، وَالْقِمَعُ : مَا يَوْضِعُ فِي فَمِ السَّقَاءِ وَالرَّقِ ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنْتُمْ كَذَلِكَ فِي الْوَسْخِ (٣) كَنَعُ : دَنَا .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

تَجَنَّبْتُ هَذَا رَغْبَةً عَنْ قِتَالِهِ إِلَى مَالِكٍ أَعْشَوْ^(١) إِلَى ضَوْءِ مَالِكٍ
فَأَنْفَذْتُهُ بِالرَّمْحِ حِينَ طَعَمْتُهُ مَعَانِقَةً لَيْسَتْ بِطَعْمَةٍ بِأَنْكَ^(٢)
وَأَنْتَى لَكُرْزٍ فِي الْغُبَارِ بَطْمَنَةً عِلَتْ جِلْدُهُ مِنْهَا بِأَحْمَرِ عَانِكَ^(٣)
قَتَلْنَا سُلَيْمًا فَتَمَّهَا وَصَمِيحًا فَصَبَرَا سُلَيْمًا قَدْ صَبَرْنَا لَذَلِكَ
فَإِنْ تَكِ نِسْوَانِي بِكَيْنٍ فَقَدْ بَكَتِ كَمَا قَدْ بَكَتِ أُمُّ لَكُرْزٍ وَمَالِكِ
وَقَالَ :

قَتَلْنَا مَالِكًا فَبَكَوا عَلَيْهِ وَهَلْ يُنْفَى مِنَ الْجَزَعِ الْبُكَاءُ
وَكُرْزًا قَدْ تَرَكَنَاهُ صَرِيحًا تَسِيلُ عَلَى تَرَائِبِهِ^(٤) الدَّمَاءُ
فَإِنْ تَجَزَّعَ لَذَاكَ بَنُو سُلَيْمٍ قَدْ وَأَيُّهُمْ غَلَبَ الْعِزَاءُ
فَصَبَرًا يَسْلِمُ كَمَا صَبَرْنَا وَمَا فِيكُمْ لَوَاحِدُنَا كِفَاءُ
فَلَا تَبْعِدُ رَيْمَةً مِنْ نَدِيمٍ أَخُو الْهَلَاكِ إِنْ ذُمَّ الشَّتَاءُ
وَكَمْ مِنْ فَاةٍ وَرَعِيلٍ خَيْلٍ^(٥) تَدَارَكُهَا وَقَدْ حَسِنَ اللَّقَاءُ

— ٢ —

ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّرِيدِ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالذَّهْنَ حَتَّى يَدْرِكُوا نَأْرَهُمْ مِنْ
بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَغَارَ^(٦) عَمْرُو بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَفَرًا ؛
مِنْهُمْ حَاصِمُ بْنُ الْمُعَلَّى ، وَنُضْلَةُ ، وَالْمَارَكُ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ، وَحَصْنٌ ، وَشَرِيحٌ ، وَسَبْيُ سَبْيَا
فِيهِمْ ابْنَةُ مَكْدَمٍ .

(١) أَعْشَوْ : أَقْصَدُ (٢) السِّيفُ الْبَانَكُ : الْقَاطِعُ (٣) يَقَالُ : قَوْسٌ عَانِكَةٌ ،
إِذَا قَدِمَتْ وَاحِرَتْ (٤) التَّرَائِبُ : عِظَامُ الصَّدْرِ (٥) الرَّعِيلُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَيْلِ
(٦) هَذَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَاءِ .

فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد على ابن جندل كلته التي قالها يوم برزة :
 ألا أبلغن عني ابن جندل ورهطه فكيف طلبناكم بكرزي ومالك
 غداة فجئناكم بمحسن وبابنه وابن الملطى عاصم والمبارك
 ثمانية منهم ثارناهم به جميعاً وما كانوا بواءاً^(١) بمالك
 نذيقكم - والموت بيني سرادقاً عليكم - شبا حد السيوف البواتك
 تلوح بأيدينا كما لاح بارق تلالاً في داج من الليل حالك
 صبحناكم لموج المناجيج^(٢) بالضحى تمر بنا مر الرياح السواهلك^(٣)
 إذا خرجت من هبوة^(٤) بعد هبوة سمعت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمالك عمراً وحصناً وخليت القتام على الحدود
 وكزاً قد أبأت به شريحاً على إثر الفوارس بالكديد
 جزيناكم بما انتهكوا وزدنا عليه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكفء (٢) المناجيج جمع سنجوج : الرائع من الحيل، وقد استعملوا
 المناجيج في الأبل أيضاً (٣) ربح ساهك : عاصف شديدة المرور (٤) الهبوة :
 الغيرة .

٣ "حُرُوبُ الْقَجَارِ"

أَيَّامُ الْقَجَارِ الْأَوَّلِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ

كَانَ بَدْرُ بْنُ مِشَرِّ الْقَفَارِيِّ^(١) رَجُلًا مَنِيحًا مُسْتَطِيلًا بِمَنْعَتِهِ عَلَى مَنْ وَرَدَ
عُكَازَ . وَفِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ بُكَازَ اتَّخَذَ مَجْلَسًا بِهَا ، وَقَعْدَ فِيهِ ، وَجَمَلَ يَتَطَاوَلُ عَلَى
النَّاسِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرَكَةَ بْنِ خِنْذِفٍ^(٢) مَنْ يَطْعَنُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُطْرِفُ^(٣) . كَانَتْهُمْ لُجَّةٌ بِحَيْرِ مُسَدِفٍ^(٤)

ثُمَّ مَدَّ رَجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَفَنَ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا بِالسَّيْفِ !
فَوُتِبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(٥) بِنِ مَعَاوِيَةَ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رُكْبَتِهِ فَأَنْدَرَهَا^(٦) ،

● بَيْنَ كِنَانَةَ وَفَيْسَ ، سَمِيَتْ الْقَجَارُ ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي
يَحْرِمُونَهَا فَجَبَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ فَجَارَانُ ؛ الْقَجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَالْقَجَارُ الثَّانِي خَمْسَةَ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ
سَنِينَ ، وَقَدْ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عُكَازَ مَعَ أَهْلِيهِ وَكَانَ يَتَنَاوَلُهُمُ النَّبْلَ ، وَانْتَهَتْ
سَنَةُ ٥٨٩ م

ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٥٩ ج ١ ، الْقَدِّ الْقَرِيدِ ص ٣٦٨ ج ٣ ، تَارِيخُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجَوْجِي
زَيْدَانُ ص ٢٤١ ، الْأَفْغَانِيُّ ص ٧٤ ج ١٩ ، سِرْحَ الْمَبِينِ ص ٥٨ ، شَوَاعِرُ الْعَرَبِ ص ٦١

(١) يَتَنَهَّى نَسَبُهُ إِلَى عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ (٢) خِنْذِفٌ : زَوْجُ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ ، وَالْيَاسِ
نَسَبُ أَوْلَادِ الْيَاسِ جَمِيعًا (٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ : الْفَطْرِفُ وَالْفَطْرَارُ : السِّيدُ الْفَرِيفُ الْخَنِي
الْكَثِيرُ الْخَيْرُ ، وَأَنْشَدَ :

● وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ نَظَرُفًا ●

(٤) مُسَدِفٌ : مَظْلَمٌ (٥) اسْمُهُ الْأَحْمَرُ بْنُ مَازِنَ (٦) أَنْدَرَهَا : قَطَعَهَا .

ثم قال : خُذْهَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمُخْنَدِفُ - وَهُوَ مَاسِكُ سَيْفِهِ - ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ
هَوَازِنَ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذُو التَّغْطَرُفِ مَحْرَجٌ بِمَجُورٍ زَاخِرٍ لَمْ يُنْزَفْ
نَحْنُ ضَرَبْنَا رُكْبَةَ الْمُخْنَدِفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهَرِ الْمَرْفِ^(١)
قَالَ أَبُو عَيْدَةَ : فَتَحَاورَ الْحَيَّانُ عِنْدَ ذَلِكَ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا السَّمَاءُ، ثُمَّ
تَرَاجَعُوا وَرَأَوْا أَنَّ الْخَطْبَ يَسِيرُ.

(١) المرف : الموقف بهرفات .

اليوم الثاني

قالوا: إن شباباً من قُريش وكنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا امرأةً من بنى عامر
وضيئة حُسانة^(١) بسوق عكاظ جالسة ، وهي فُضِّل^(٢) عليها بُرُقع لها ، وقد اكتنفها
شبابٌ من العرب وهي تحدثهم .

فجاء الشباب من قريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تُسِفِر ، فأبت ، فقام
أحدهم فجلس خلفها وحلّ طرف رداها ، وشده إلى فوق حُجَزَها^(٣) بشَوْكَة -
وهي لا تعلم - فلما قامت انكشف درعها^(٤) عن ظَهرها ؛ فضحكوا وقالوا : منعتنا
النَّظَرَ إلى وجهك ، وجُذِّتْ لنا بالنَّظَرِ إلى ظَهرِكَ .

فنادت: يالَ عامر ! فساروا وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا ، ووقعت
بينهم دماء يسيرة ، فتوسَّطَ حَرْبُ بنِ أُمَيَّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بنى عامر
من مُثْلَةِ صاحبهم .

* بين قريش وكنانة وقيس ، وانتهى بصلح توسط فيه حرب بن أُمَيَّة
(١) الحسانة : المرأة الحسنه (٢) يقال امرأة فضل: في ثوب واحد (٣) الحجة :
مقعد الإزاز من السراويل (٤) الدرع القميص .

اليوم الثالث

كان رجل من بني جُثَم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فَلَوَاهُ بِهِ (١) ،
وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطه شيئاً ، فلما أهيأه واقاه الجسمى وى سوق عكاظ يقرّد
وجمل ينادى : مَنْ يبيعنى مثْل هذا الرُّبَاح (٢) بمالى على فلان بن فلان الكِنانى !
من يمطينى مثْل هذا بمالى على فلان بن فلان الكِنانى ! رافماً صوته بذلك ؛ فلما طال
نِدَاؤُهُ بذلك ، وتمييزُهُ به كِنانة مرّ به رجلٌ منهم ؛ ففُضِرَ القِرْدُ بسيفه فقتله ،
فهتف الجسمى : يا آل هوازن ! وهتف الكِنانى : يا آل كِنانة ! فتجمّع الحيّان
حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفّوا وقالوا : أفى رُبَاح تُريّقون دماءكم ،
وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جدعان بينهما .

* بين كِنانة وقيس ، وتحاجز الحيّان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جدعان .

(١) لواه : ماطله (٢) الرباح : القرد .

أيام الفجار الثاني ١- يوم نخلة

كان البراء^(١) بن قيس الكنانى سكيراً فاسقاً ، خَلَمَهُ قَوْمُهُ وَتَبَرَّأُوا مِنْهُ ، فَشَرِبَ فِي بَنِي الدَّيْلِ^(٢) ، فَخَلَمُوهُ ، فَأَتَى مَكَّةَ وَأَتَى قُرَيْشًا ، فَزَلَّ عَلَى حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَخَالَفَهُ وَأَحْسَنَ جَوَارِهِ ، وَشَرِبَ بِمَكَّةَ حَتَّى هَمَّ حَرْبُ أَنْ يَخْلَعَهُ ، فَقَالَ لِلْحَرْبِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَمْنَنُ بِعَرَفِي إِلَّا خَلَعَنِي سِوَاكَ ، وَإِنَّكَ إِنْ خَلَعْتَنِي لَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ أَحَدٌ بَعْدَكَ ، فَدَعَنِي عَلَى حِلْفِكَ وَأَنَا خَارِجٌ عَنْكَ ؛ وَتَرَكَهُ وَخَرَجَ .

وكان النعمان بن المنذر قد بعث إلى سوق عكاظ إذا ذاك بلطيمة^(٣) يُبَيِّزُهَا لَهُ سَيْدٌ مُضَرٌّ ، فَتُبَاعَ وَيُشْتَرَى لَهُ بِثَمَنِهَا الْأَدَمُ وَالْحَرِيرُ وَالْوِكَاءُ^(٤) وَالْبُرُودُ مِنَ الْعَصَبِ^(٥) وَالْوَشْيِ وَالْمَسِيرِ^(٦) وَالْمَدَنِيِّ .

وكانت سوقُ عكاظَ في أول ذي القعدة ، فلا تزال قاعة^(٧) يباع فيها ويشتري إلى حضور الحج .

-
- * لقيس عيلان على كنانة وقريش ، ونخلة : موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم .
- (١) كان يضرب المثل بفسقه ، فيقال : أنتك من البراء ، قال بعضهم :
والقى من تعرفه الليالى فهو فيها كالحية النضاض
كل يوم له بصرف الليالى فسكة مثل فسكة البراء
- (٢) بنى الديبل : حمى من عبد قيس . (٣) الطيعة : العير التي تحمل الطيب ويز التجار .
- (٤) الوكاء : رباط القربة وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه . (٥) العصب من الثياب :
الجمالية . (٦) المسير : نوع من البرود فيها خطوط تعمل من الفز . (٧) كان ليامها
فيما بين النضلة والطائف ، وبها نخل وأموال ثخيف

وجهر النعمان لطيفة له وقال : من يُجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على
 بنى كنانة^(١) . فقال النعمان : إنما أريد رجلاً يُجيزها على أهل نجد ، فقال عروة^(٢)
 الرّحال - وهو يومئذ رجل موازن - أكتب خلع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن !
 أنا أُجيزها لك على أهل الشّيع والقيصوم^(٣) في أهل نجد وتهامة !
 فقال له البرّاض : أعلّي بنى كنانة نجيزها بأعروة ؟ فقال عروة : وعلى الناس جميعاً !
 فدفنها النعمان إلى عروة ، وخرج بها ، وتبعه البرّاض ، وعروة يرى مكانه ولا
 يَحْشَاه ، حتى إذا كان بأرضٍ يقال لها : أواره^(٤) نزل عروة وشرب من الحمر ،
 وغفّته قَيْفَةً ، ثم قام فنام .

فجاء البرّاض فدخل عليه ، فناشده عروة وقال : « كانت منى زَلَّةً ، وكانت
 القملة منى ضَلَّةً » ، ولكن البرّاض قتله^(٥) ، وهرب عَصَارِيطُ^(٦) الإبل ، واستاق
 البرّاض اللطيمة إلى خَيْبَر .

(١) يريد أهل الحجاز (٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر ، من بني هاشم بن صمصمة ،
 وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر فيقال الجعفريون ، وكان يعرف بعروة الرّحال - لرحلته إلى الملوك ،
 وكان من ذوى العقل والفهامة ، وهو من أرداف الملوك في الجاهلية (٣) الشّيع والقيصوم :
 نبتان وهو يريد أنه يجيزها على العرب جميعاً (٤) أواره : ماء لبنى تميم (٥) وقد ارتجز
 البرّاض في قتل عروة :

قد كانت القملة منى ضلة حلا على غيرة جمعت الزلة
 فسوف أعلو بالحسام القلة
 وقال أيضاً :

وداهية يهال الناس منها شدت لها بنى بكر ضلوعى
 هتكت بها بيوت بنى كلاب وأرضعت اللوالى بالرضوع
 جمعت لها يدي بصل سيف أفل غفر كالجذع الصريع
 سيف أفل : ذو قلول .

وقال :

نقمت على المرء السكلاي فغره وكنت قديماً لا أثر فخاراً
 علوت بحمد السيف مفرق رأسه فأسمع أهل الوادين خواراً
 (٦) العصاريط : الخدم القائمون على الإبل

وَتَبِعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَيْسٍ لِيَأْخُذَاهُ ؛ أَحَدُهُمَا مِنْ غَنِيٍّ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَطَفَانَ ، وَلَا
وَسَلَا إِلَى خَيْبَرَ كَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟ قَالَا : مِنْ
قَيْسٍ ؛ وَاحِدٌ مَنَا مِنْ غَطَفَانَ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَنِيٍّ ؛ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : وَمَا شَأْنُ غَطَفَانَ
وِغَنِيَّ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ ؟ فَقَالَا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ ، قَالَا : أَلَيْكَ عِلْمٌ
بِالْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسٍ ؟ فَقَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا طَرِيدًا خَلِيمًا فَلَمْ يَزُوه أَحَدٌ مِنْ خَيْبَرَ ، وَلَا
أَدْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَأَيْنَ يَكُونُ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ لَكُمَا بِهِ طَاقَةٌ إِنْ دَلَّكُمَا عَلَيْهِ ؟
قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَانْزِلَا وَاعْقِلَا رَا حَلْتِيكُمَا ، ففعلَا .

ثُمَّ قَالَ : فَأَيْسَكُمَا أَجْرًا عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا ، وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ فَقَالَ الْغَطَفَانِيُّ : أَنَا ؛
قَالَ الْبَرَّاضُ : فَانْطَلِقْ أَذْلكَ عَلَيْهِ ، وَبِحِفْظِ صَاحِبِكُمْ رَا حَلْتِيكُمَا ، ففعل .
وَانْطَلَقَ الْبَرَّاضُ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الْغَطَفَانِيِّ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَرْبَةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرَ ،
خَارِجَةٍ عَنِ الْبُيُوتِ .

فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرْبَةِ وَإِلَيْهَا يَا وى ، فَأَنْظُرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ أَهْوَ فِيهَا
أَمْ لَا ؟ فَوَقَفَ لَهُ وَدَخَلَ الْبَرَّاضُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هُوَ نَائِمٌ فِي الْبَيْتِ خَلْفَ
الْجِدَارِ عَنْ يَمِينِكَ إِذَا دَخَلْتَ ؛ فَهَلْ عِنْدَكَ سَيْفٌ فِيهِ صَرَامَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
هَاتِ سَيْفَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهِ أَصَارِمٌ هُوَ ؟ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَهَزَّاهُ الْبَرَّاضُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى
قَتَلَهُ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ خَلْفَ الْبَابِ .

وَأَقْبَلَ عَلَى الْغَنَوِيِّ فَقَالَ لَهُ ^(١) : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرِ أَجَبِينَ مِنْ صَاحِبِكَ ؛
تَرَكْتُهُ قَائِمًا فِي الْبَابِ الَّذِي فِيهِ الرَّجُلُ ، وَالرَّجُلُ نَائِمٌ ، لَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ .
فَقَالَ الْغَنَوِيُّ : يَا لَهْفَاهُ ! لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْظُرُ رَا حَلْتِنَا ؟ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُمَا عَلَى إِنْ ذَهَبْتَا .
وَانْطَلَقَ الْغَنَوِيُّ وَالْبَرَّاضُ خَلْفَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاوَزَ الْغَنَوِيُّ بَابَ الْخَرْبَةِ أَخَذَ الْبَرَّاضُ
السَّيْفَ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ ؛ ثُمَّ ضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَخَذَ سَلَاحِيَهُمَا وَرَا حَلْتِيَهُمَا وَانْطَلَقَ .

(١) أَيْ لِلْبَرَّاضِ .

ولقي البراء بشراً بن أبي خازم فقال له : هذه القلائص^(١) لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراء قتل عروة ، فإنني أخاف إن يسبق الخبر إلى قيس^(٢) أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتل . قال : إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلا خليما مثلي .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان^(٣) حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا - وكان سيّدا حكيما مثيراً من المال - فجاء القوم وأخبروه خبر البراء وقتله عروة ، وأخبروا حرب بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة .

وجاء حرب إلى عبد الله بن جُدعان فقال له : احتبس قبلك سلاح هوازن فقال له ابن جُدعان : أيا لئذ تأمرني يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ، ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئا ؛ ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستمينون بها .

ثم صاح ابن جُدعان في الناس : من كان له قبلي سلاح ، فليأت وليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء زعيم هوازن : إنه قد حدث في قومنا بمكة حدث أتنا خبره ، وقد خفنا تفاقم الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ولا يردعنكم تحملنا . وساروا على كل صعب وذلول راجعين إلى مكة .

(١) القلائص : جمع قلوس ، وهي الشابة من الإبل . (٢) قيس : قوم عروة وهو بن تميم إلى عامر فهوازن فقيس عيلان . (٣) كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب اعظمها ، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ الخَبِرُ ، فقال : غَدَرَت قريش ، وخدعني حرب بن أمية ، والله لا تنزل كنانة عكاظ أبداً ، ثم ركبوا في إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجن عليهم الليل ؛ فكفوا .

ونادى أحد بني عامر^(١) : يا معشر قريش ؛ ميعاد ما بيننا هذه الليلة . من العام المقبل بمكانه .

(١) اسمه الأدرم بن شبيب .

يَوْمَ شَمْطَةِ

تَجَمَّعَتْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةٌ بِأَسْرِهَا وَالْأَحَابِيشِ^(١) وَمَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ وَسَلَحَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ مِائَةَ كَمِيٍّ^(٢) بِأَدَاةٍ كَامِلَةٍ ، سِوَى مَنْ سَلَحَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَجَمَعَتْ سَلِيمٌ وَهُوَازِنٌ^(٣) جُرُوعَهَا وَأَخْلَافَهَا غَيْرَ كَلَابٍ وَبَنَى كَعْبٌ^(٤) ؛ فَإِذَا لَمْ يَشْهَدَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْفَجَارِ غَيْرِ يَوْمِ نَخْلَةٍ .

فاجتمعوا بِشَمْطَةِ مَنْ عَكَظَ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي تَوَاعَدُوا فِيهَا عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ ؛ وَعَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ سَيْدُهَا ، وَكَذَلِكَ عَلَى قَبَائِلِ هَوَازِنَ وَسَلِيمٍ ؛ غَيْرَ أَنَّ أَمْرَ كِنَانَةٍ كُلِّهَا إِلَى حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ . وَعَلَى إِحْدَى مَجَنَّبَتَيْهَا^(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ وَعَلَى الْآخَرَى هِشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأَمْرُ هَوَازِنَ وَسَلِيمٍ كُلِّهَا إِلَى مَسْعُودِ بْنِ مَعْتَبِ الثَّقَفِيِّ . وَتَنَاهَضَ النَّاسُ ، وَزَحَفَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؛ فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لِكِنَانَةٍ عَلَى هَوَازِنَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ تَدَاعَتْ هَوَازِنَ ، وَصَابِرَتْ ، وَانْقَشَعَتْ كِنَانَةٌ ، وَاسْتَحَرَّ^(٦) الْقَتْلُ فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو مُسَاحِقٍ بُلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ

● لَقِيَ قَيْسٌ عَلَى كِنَانَةٍ وَقُرَيْشٍ ، وَشَمْطَةٍ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ عَكَظٍ

- (١) الْأَحَابِيشُ : يَسْمُونَ أَحَابِيشَ قُرَيْشٍ ، وَاسْمُوا كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا بِأَنَّهُمْ لَبَدَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، مَسْجَالِيلُ وَمَا وَضَحَ نَهَارٌ ، وَمَارَسَا حَبَشَى (جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ) (٢) الْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ (٣) كَانَ عَلَى بَنِي طَامِرٍ مَلَاعِبُ الْأَسْنَةِ أَبُو بَرَاءٍ ، وَعَلَى بَنِي نَصْرٍ وَسَعْدٌ وَتَقِيفٌ سَبِيحُ بْنُ رَيْعٍ . وَعَلَى بَنِي جَعْفَرِ الصَّمَةِ (وَالِدُ دُرَيْدٍ) وَعَلَى غُظْفَانَ عَوْفُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . وَعَلَى بَنِي سَلِيمٍ عَبَّاسُ بْنُ زَغَلٍ . وَعَلَى فِهْمٍ وَعَدْوَانُ كِنَانُ بْنُ مَمْرٍ ، وَجَعِيمُ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ (٤) كَعْبٌ وَكَلَابٌ : حَيَّانُ فِي بَنِي طَامِرٍ (٥) الْمَجَنَّبَةُ الْيَمْنَى : هِيَ مَيْمَنَةُ السَّكْرِ ، وَالْمَجَنَّبَةُ الْيَسْرَى : هِيَ الْمَيْسِرَةُ ، وَهِيَ مَجَنَّبَتَانِ بِكُسْرَاءِ النَّونِ ، وَقِيلَ : هِيَ السَّكْتِيَّةُ الَّتِي تَأْخُذُ لِإِحْدَى تَا حَيْقِ الطَّرِيقِ ، قَالَ فِي اللِّسَانِ : وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ (٦) اسْتَحَرَّ : اشْتَدَّ .

قال لقومه : الحقوا برّخم^(١) ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفي ذلك يقول خِداش^(٢)
ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليداً
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ فإنّ لديهمُ حسَباً وجُوداً
مُهمٌ خيرُ الماشر من فريش وأورّأها إذا قدحت زُنُوداً
بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود المجد إن له عموداً
جلبنا الخيلَ ساهمةً إليهم عوَّابس يدْرِغن النقع قُوداً^(٣)
فيمتناً نفقد السيما^(٤) وباتوا وقلنا صبحوا الأُنس^(٥) الجديداً
نجاموا عارضاً برّداً وجئنا كما أضرمت في الغاب الوَقُوداً^(٦)
ونادوا بالمعرو لا تفرّوا فقلنا لا فرار ولا صُدُوداً^(٧)
فعارَكنا الكُماة^(٨) وطاركونا عراك النُمر عاركت الأسودا
فولوا نضرب المساماتِ منهم بما انتهَكُوا المحارمَ والحدودا

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خداش بن زهير بن عمرو ، من عامر بن
صمصة (٣) قود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسة القيادة . والنقع : الفبار الساطع . والخيل
الساومة : التي تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسق فوارسها تقيع الخنظل

(٤) السيام : العلامات (٥) الأُنس : الحى القيمون (٦) العارض : السحاب ، والبرد : المطر ،
كأنهم أمطروا سياما (٧) لاصدودا : لا يصدم أحد (٨) الكُماة : جمع كى وهو الشجاع .

٣ - يَوْمُ الْعَبْلَاءِ

عادت مَوَازِنُ وَكِنَانَةٍ إِلَى الْحَرْبِ ، وَالتَّقْوَا عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ
أَيَّامِ عُسْكَاطٍ ، وَاقْتَتَلُوا وَكَانَتِ الْمَرْيَعَةُ عَلَى كِنَانَةٍ^(١) ، فَقَالَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :
أَلَمْ يَبْلُغْكَ بِالْعَبْلَاءِ أَنَا ضَرْبَنَا خِنْدِفاً حَتَّى اسْتَقَادُوا
نَبْنَى بِالْمَنَازِلِ عَزَّ قَيْسٍ وَوَدَّوْا لَوْ تَسِيحُ بَنُو الْبِلَادِ
وَقَالَ أَيْضاً :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا قَالَتْ قُرَيْشٌ وَحَىٰ بَنِي كِنَانَةٍ إِذْ أُثِيرُوا
دِهْنَانُ بَارِءٍ مَكْفَهَرٌ فَظَلَّ لَنَا بِمَقْوَمِهِمْ زَيْدٌ^(٢)
تَقْوَمَ مَارِنَ الْخَطَىٰ فِيهِمْ يَحْيَىٰ عَلَى أَسْنَتِنَا الْخُرَيْرُ

* قَيْسٌ عَلَى كِنَانَةٍ وَقُرَيْشٍ ، وَالْعَبْلَاءُ : عِلْمٌ عَلَى صَخْرَةٍ يَفْضَاءُ إِلَى جَنْبِ مَكَاثَا
(١) وَفِي هَذَا الْيَوْمِ قَتَلَ الْعَوَامُ بْنُ خُوَيْلِدٍ (وَالِدُ الزَّيْبِ بْنِ الْعَوَامِ) ، قَتَلَهُ مَرَّةً مِنْ مَحَبِّ التَّقَى
وَفِي ذَلِكَ يَهْوِلُ رَجُلٌ مِنْ تَقِيفٍ :

مَنَا الَّذِي تَرَكَ الْعَوَامُ مَجْنُوداً تَتَنَابَّ الطَّيْرُ لِحْمًا بَيْنَ أَحْبَابِ
(٢) الْأُرْمَنِ : الْأَنْفُ الْعَظِيمُ مِنَ الْجَبَلِ ، وَشَبَّهَ بِهِ الْجَيْشُ ، يُقَالُ : جَيْشُ أُرْمَنِ ، أَيْ لَهُ فَضُولُ
كَرْعَانَ الْجَبَلِ ، وَالْمَكْفَهَرُ : السَّحَابُ الْفَلِيطُ الْمَسُودُ الرَّاكِبُ بِهِ بِضَاءٌ ، شَبَّهَ بِهِ الْجَيْشُ ، وَالْقُوَّةُ :
السَّاحَةُ وَالْمَحَلَّةُ .

٤ - يَوْمُ عُكَاظَ

التقت كِنانة وقيسُ على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عُكَاظَ ، وقد جمع بعضهم لبعض ، واحتشد الرؤساء بحالهم^(١) ؛ وحمل عبدُ الله بن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كِنانة على ألفِ بَيعر ، وخشيت قريش أن يجرى عليها ما جرى يوم المَبَلَاءِ ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان^(٢) بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا ، أو نظفر !

واقتل الناسُ يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبدمناة ومائر بطون كِنانة بالهَرَبِ ، وكانت بنو غزوم تلي كِنانة لحفاظتها شديداً ، وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة ؛ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءَ حسناً ؛ فلما رأت ذلك بنو عبدمناة بن كِنانة تذاَمروا^(٣) فرجموا ، وحملت قريش وكِنانة على قيس من كل وَجْه حتى انهزمت .

* لكِنانة وقريش على هوازن .

(١) لما خرجت قريش للمُوعِدِ ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخوته أبو طالب وحزرة والعباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني غزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان ، وعلى بني جهم معمر بن خبيب ، وعلى بني سهم الماس بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبدمناة بلعاء بن قيس ، وعلى بني أسد بهر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غنم عمير بن قيس .

(٢) في ابن الأثير : أبو الماس .

(٣) تذاَمروا : تلاوموا على ترك الفرصة . وقد تكون بمعنى تخاضوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النصرى^(١) ما تصنعُ كِنانةُ من القتل نادى : ياممشر بنى كِنانة ؛ أسرفتم في القتل . فقال ابن جُدمان : إنا ممشرٌ يُسْرِف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمةَ قبائل قيس عَقَلَ نفسه واضطجع وقال : ياممشر بنى نصر ؛ قاتلوا عني أو ذَرُوا ؛ فمطفت عليه بنو نصر وجشم وسمد بن بكر وفهم وعدوان^(٢) ، وانهزم باقي قبائل قيس ، وقتل هؤلاء ولكنهم لم ينفوا شيئاً .

وكان مسعود بن ممتب الثقفى قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناه خِباء ، وقال لها : مَنْ دَخَلَهُ من قريش فهو آمن ، فجعلت توصل في خبائها ليتسع ؛ فقال لها : لا يتجاوزنى خباؤك ، فإني لا أمضى إلا مَنْ أحاط به الخِباء فأحفظها ، فقالت : أما والله إني لأظنُّ أنك ستودُّ أن لو زدت في توسيعته .

فلما انهزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها ؛ فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمة ؛ من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيسُ بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فغلب لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المشل ، فتغضب قيس^(٣) .



وفي هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُبَيِّتِ الأمرَ كالتخاير
غداة عكاظ إذ استكبت هوازن في كفها الحاضر

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل في قيس (٣) كان مسعود بن ممتب قد أخرج منه يومئذ بله : عزوة ولوحة ونورة والأسود ، فكانوا يدورون وم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليبيروم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

وجاءت سليم تهزُّ القنا على كل سَاهِبَةٍ^(١) ضامر
 وجئنا إليهم على المضمرات بأرعن ذى لَجَبٍ زَاخِرٍ^(٢)
 فلما التقينا أَذَقْنَاهُمْ طِعَانًا بِسُمِّ الْقَنَّا^(٣) العائِر
 ففرت سليم ولم يصبروا وطارت شَمَاعَا^(٤) بنو عامر
 وفرت ثقيف إلى لَآئِهَآ^(٥) بمنقلب الخائب الخاسر
 وقاتلت العنُسُ^(٦) شطر النها دثم تولت مع الصادر

(١) السَّهْبَةُ : الفرس الجسيمة ، والضاير : الفرس الدقيق الحاجبين (٢) الأرعن :
 لجيش ، واللجب : الصباح (٣) السهم العائر : الذى لا يدري من أين يأتي
 (٤) شَمَاعَا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) العنُس : قبيلة .

٥ - يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ ، وَالتَقُوا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَالرُّؤَسَاءُ بِمَحَلِّهِمْ
إِلَّا بَلْمَاءَ بْنِ قَيْسٍ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَصَارَ أَخُوهُ جُثَامَةُ بْنُ قَيْسٍ مَسْكَنَهُ عَلَى عَشِيرَتِهِ ،
وَاقْتَتَلُوا ؛ فَانْهَزَمَتْ كَنْانَةُ .

ثُمَّ كَانَ الرَّجُلُ بِمَسَدِ ذَلِكَ يَلْقَى الرَّجُلَ ، وَالرَّجُلَانِ يَلْقِيَانِ الرَّجُلَيْنِ ؛ فَيَقْتُلُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصِّلَحِ عَلَى أَنْ يَمْدُوا الْقَتْلَى ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ فَضَّلَ لَهُ قَتْلَى أَخَذَ
دِيْنَهُمُ مِنَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، فَتَعَادَا الْقَتْلَى فَوَجَدُوا قَرِيشًا وَبَنِي كَنْانَةَ قَدْ أَفْضَلُوا عَلَى
قَيْسٍ عَشْرِينَ رَجُلًا .

فَرَهْنُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ ابْنَةِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَرَهْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ الْعَبْدِيِّ ابْنَةِ النَّضْرِ ،
وَرَهْنُ سَفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ ابْنَةِ الْحَارِثِ . وَلَمَّا رَأَتْ قَيْسُ رَهَائِنَ قَرِيشَ بِأَيْدِيهِمْ رَغِبُوا
فِي الْعَقْرِ فَأَطْلَقُوهُمْ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ بِبَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَوَضَعُوا الْحَرْبَ .

وَفِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ قَالَ خِدَاشُ بْنُ زَهِيرٍ :

لَقَدْ بَلَّوْكُمْ فَأَبْلَوْكُمْ بِبَلَاءِهِمْ	يَوْمَ الْحُرَيْرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَكْذِيبِ
إِنْ تَوَعَّدُونِي فَإِنِّي لَأَبْنُ عَمِّكُمْ	وَقَدْ أَصَابَكُمْ مِنْهُ بِشَوْءٌ بَوْبِ
وَإِنَّ رِقَاءً قَدْ أَوْدَى أَبَا كَنْفٍ	وَإِنِّي إِيَّاسُ وَعَمْرَا وَابْنُ أَيُّوبِ
وَإِنْ عُمَانٌ قَدْ أَوْدَى ثَمَانِيَةً	مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى خُبْرٍ وَتَجْرِبِ

(*) لَقِيسُ عَلَى كَنْانَةَ وَقَرِيشَ ، وَالْحُرَيْرَةُ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْأَبْوَاءِ وَمَكَّةَ قَرِبَ نَخْلَةٍ .

وقالت أميمة بنت أمية بن عبد شمس ترقى أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل
من قومها :

أَبَى لَيْلَكَ لَا يَذْهَبُ وَيُظِلُّ الطَّرْفَ بِالْكُوكَبِ^(١)
وَنَجْمٌ دُونَهُ النَّسْرَانِ بَيْنَ الدُّلُو وَالْمَقَرَّبِ^(٢)
وَهَذَا الصُّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ
يَقْتَرِ عَشِيرَةٌ مَنَا كَرَامِ الْخَلِيمِ وَالنَّصَبِ^(٣)
أَحَالِ^(٤) عَلَيْهِمْ دَهْرٌ حَدِيدُ النَّابِ وَالْخَلْبِ
فَلْ بِهِ وَقَدْ أَمِنُوا وَلَمْ يُقْصَرْ وَلَمْ يُشْطَبْ^(٥)
وَمَا عَنَّهُ إِذَا مَا حَلَّ مِ مِنْ مَنْجَى وَلَا مَهْرَبِ
أَلَا يَا عَيْنَ قَابِكِيهِمْ بِدَمْعٍ مِنْكَ مُسْتَنْزَبِ^(٦)
فَإِنْ أَبْكِي فَهَمْ عَزَى وَهَمْ دَكْنِي وَهَمْ مَنَكِبِ^(٧)
وَهَمْ أَصْلِي وَهَمْ فَرَعِي وَهَمْ نَسْبِي إِذَا أُنْسَبِ
وَهَمْ مَجْدِي وَهَمْ شَرَفِي وَهَمْ حِصْنِي إِذَا أُرْهَبِ
وَهَمْ رُمْحِي وَهَمْ تَرْمِي وَهَمْ سَيْفِي إِذَا أُغْصَبِ
فَكَمْ مِنْ قَاتِلٍ مِنْهُمْ إِذَا مَا قَالَ لَمْ يَكْذَبِ

(١) تريد أن ليلها قد طال لقرط حزنها على القتل (٢) الدلو والمقرب: من مناطق البروج
والنسران هما: النجم الطائر والنجم الواقع وهما اسمان لنجمين ، وهي تزعم أن النجم لا يبرح مكانه
كناية عن طول الليل (٣) التقدير: أبكي لعن ، والخيـم : الطباع (٤) أحال عليهم :
انتابهم (٥) أنصره : كفه . وشطبه : قطعه ؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا
يأمنون منها فلم يدلبها عنهم دافع (٦) استغرب الدمع : سال (٧) تريد أنهم ففري
وستنـى .

وكم من ناطقٍ فيهم^(١) خطيب مصقعٍ مُعَرَّب^(٢)
وكم من فارسٍ فيهم^(٣) كميٍّ مُتَلَمِّمٍ بِمِجْرَب^(٤)
وكم من مِذْرُوٍ فيهم^(٥) أريب حُولٍ قُلُب^(٦)
وكم من جَحْفَلٍ فيهم^(٧) عَظِيمِ النَّارِ وَالْوَكَب^(٨)
وكم من خِضِرٍ فيهم^(٩) نَجِيبٍ ماجِدٍ مُنْجِب^(١٠)



وقالت فاطمة^(١١) بنت الأحجم ترى الجراح^(١٢) زوجها :

يا عين بكى عند كل صباح^(١) جودي بأربعة^(٢) على الجراح
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله فتركتني أضحي بأجرد ضاح^(٣)
قد كنت ذات حمية ماعشت لي أمشي البراز وكنت أنت جناحي^(٤)
فاليوم أخضع للذليل وأتقى منه وأدفع ظالي بالراح^(٥)

(١) العرب : التصيح (٢) الكمي : الشجاع ، والمعلم : الفارس الذي يجمل نفسه علامة الشجاعة في الحرب . والمحرب : الكثير الحروب (٣) المدرة : السيد المتولى أمر لومه ، والأريب : الساهر الحاذق ، والحول : الشديد الاحتياال (٤) الجحفل : الجيش الكبير ، والموكب : الجماعة (٥) المحضرم : السيد الجواد (٦) أمها خالدة بنت هاشم بن عبدمناف نبئت في أواخر القرن السادس للسبع (٧) حكى أن فاطمة الزهراء كانت تمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكايته بأعدائه (٩) لملها تريد الموقنين والباطلين (١٠) قال في التبريزي عند شرح هذا البيت : الأجرد : الأملس والضحى : البارز للشمس ، أى انكشفت بعد أن كنت في ستر (١١) يقال : فلان حى الأنف ، أى لا يحتل الضيم ، والبراز : القضاء ، وهى تريد أن حياتك كانت تشد أوزرى (١٢) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتسكنني برد من يظلمها بدفمه بالراح .

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسَى وَرِمَاحَى^(١)
 وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةً شَجَنًا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعْوَتِ صَبَاحَى^(٢)
 أُمِسْتُ رِكَابَكَ يَا بَنَى لَيْلَى بَدَنًا مَسْفِينِ بَيْنَ مَخَائِصِ وَلِقَاحِ^(٣)
 وَلَقَدْ تَظَلَّ الطَّيْرُ تَخْطَفُ جُنْحًا مِنْهَا لُحُومُ غَوَارِبٍ وَصِفَاحِ^(٤)
 وَمَطْوَحٍ قَفِيرٍ دَعْوَتُ نَعَامِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِضُمَرٍ أَطْلَاحِ^(٥)
 وَخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَمُوهُ أَمَامَهُمْ ثَقَّةً بِهِ مُتَخَمِّطُ^(٦) نَبَّاحِ^(٧)
 جَاوَزَتْ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا نَطَقَتْ مَمْلُوحٌ بِعِلَاحِ^(٨)



(١) بَانَ : بعد؛ تقول : احتمل الظام وأحتمل الصيم لعلنى بَانَ قَدَاتِمِدْتُ أَسْنَةَ الرِّمَاحِ الَّتِي كَانَ يَدَافِعُ بِهَا الْفَرَسَانِ عَنِ . (٢) قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : أَمَى أَقُولُ : وَأَسْوَأُ صَبَاحًا ! ، وَنَسَبُ شَجَنًا لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ؛ لِأَنَّ الشَّجَى يَحْمِلُهَا عَلَى الدَّعَاءِ ، هَذَا إِذَا جَمَلَتِ الشَّجَنُ الْحَزَنُ وَالْحَاجَةُ . وَإِنْ جَمَعْتَهُ الْحَبِيبُ نَصَبَتْهُ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ . (٣) الرِّكَابُ : الْإِبِلُ لَا مَفْرَدٌ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ، وَلَيْلَى أُمُّهُ ، وَالْبَنَى : جَمْعُ بَادِنٍ وَهُوَ عَظِيمُ الْبَدَنِ ، وَالْقَاحُ : الْإِبِلُ بِأَعْيَانِهَا ، الْوَاحِدَةُ لِقَوْحٍ ، وَهِيَ الْحُلُوبُ ، تَحْدَحُهُ بِسَمَةِ تَرَوْتُهُ (٤) الْجَنَحُ : جَمْعُ جَانِحٍ ، أَيْ مَائِلٍ ، وَمِنْهَا تَعُودُ إِلَى الرِّكَابِ ، وَالْفَوَارِبُ : جَمْعُ غَارِبٍ وَهُوَ الْكَاهِلُ وَسَنَامُ الْبَعِيرِ وَالصَّفَاحُ : جَمْعُ صَفْحٍ وَهُوَ الْجَنْبُ ، تَرِيدُ : أَنَّهُ يُضْحِي لِضَيْفِهِ وَلِلْحَاجَتَيْنِ ضَحَايَا ، وَلَكَثْرَتِهَا يَنَالُ مِنْهَا الطَّيْرُ (٥) الْمَطْوَحُ : الْمَافَازَةُ الْوَاسِعَةُ يَبْقَى بِهَا السَّالِكُ فِيهَا ، وَالْأَطْلَاحُ : جَمْعُ طَلِيعٍ ، وَهُوَ الْمَهْزُولُ كَالضَامِرِ ، تَقُولُ لَهُ يَسْلُكُ فِي الصَّحَارَى الْقَفْرَةَ وَيَسِيرُ فِيهَا غَدْوَةً قَبْلَ النَّعَامِ ، لِرِبَاطَةِ جَأَشِهِ ، وَيَرْكَبُ خَيْلًا خَفِيفَةً قَلِيلَةَ اللَّحْمِ ، أَهْزَلَهَا بِكَثْرَةِ رُكُوبِهَا (٦) الْمُتَخَمِّطُ : التَّكْبِيرُ (٧) النَّبَّاحُ : مَنْ يَتَعَرَّضُ لِمَا لَا يَنْبَغِيهِ (٨) الْمَلَّاحُ : جَمْعُ مَلِيحٍ ، تَحْدَحُهُ بِالْبَلَاغَةِ وَاللَّسَنِ ، تَقُولُ فِي الْبَيْتَيْنِ : رُبَّمَا أَتَاكَ خُطِيبٌ مَدْرُهُ إِخْتَارُهُ قَوْمَهُ ، وَاتَّقِنِ بِفَصَاحَتِهِ ، وَهُوَ يَعْظُمُ نَفْسَهُ ، وَيَتَعَرَّضُ لِأُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِهِ ، فَأَخَذَتْهُ بِجَوَابِكَ لَهُ ، فَكَانَ أَمَامَكَ كَأَنَّهُ تَفَهُ لَا طَمِعَ لَهُ ، فَلَحَتْهُ بِعِلَاحٍ ، أَيْ عَمِلَ كَلَامَكَ فِيهِ فَبَيْنَ تَقْصِهِ .

وقالت ترى إخوتها :

إخوتي لا تبعّدوا أبداً وبلى والله قد بَعِدُوا^(١)
لو تَمَتَّتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ^(٢) لاقتناء المَرْأ أو وَلَدُوا
هان من بعض الرزية أو هان من بعض الذى أجد^(٣)
كل ما حى وإن أمروا واردوا الحوض الذى وَرَدُوا^(٤)

(١) لا تبعّدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى هذا البيت تحسر وتتوجع (٢) تَمَتَّتْهُمْ : تمت بهم (٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ونمى البيتين : لو تمت بهم عشيرتهم زمناً طويلاً حتى حازت المَرْأ ، أو خلفوا أولادا لحف بعض المصيبة ، أو بعض ما أجده من الحزن (٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحباء ، وإن عمروا طويلاً لا بد أن يردوا الحوض الذى ورده إخوتي .

٨ - أَيَّام قَيْسٍ وَتَمِيمٍ

- ١ - يَوْمَ رَحْرَحَانَ
- ٢ - ٬ شَعْبُ جَبَلَةٍ
- ٣ - ٬ ذِي نَجْبٍ
- ٤ - ٬ الصَّرَائِمِ
- ٥ - ٬ الرِّغَامِ
- ٦ - ٬ جَزَعِ ظِلَالٍ
- ٧ - ٬ المَرَوِّتِ

١ - يوم رحرحان

لما قتل الحارثُ بن ظالم المرتي خالد بن جعفر الكلابي غدرًا عند النعمان^(١) تشاءم قومه به ، ولاموه ، فكره أن يكون لهم عليه منة ، فهرب ونبت به البلاد . ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجاروه ، وأبوا أن يُسلموه أو يُخرجوه من عندهم ، وعلم بهذا بنو عامر^(٢) ، فخرجوا إليه ، وفيهم كثير من وجوههم يزعمهم الأخوص ابن جعفر الكلابي أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بني دارم^(٣) رأوا امرأة منهم تجني الكمأة^(٤) ، وسماها جل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب^(٥) بن زُرارة ، وما وعده من نصره ومنمته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركبتهُ ، وسارت حتى صبحت بني دارم ، وقصدت سيدهم حاجب^(٦) بن زُرارة بن عُدُس ، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذني أُمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبريني ، أي قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويُذُبُّون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر ، فيصفيهم لي .

* لعامر على تميم ، ورحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرقات ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، القلائص ص ٢١٤ ج ١ ، الأغاني ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .

(١) ارجع إلى يوم بطن عاقل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد ابن جعفر الكلابي (٣) دارم : حي من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب ابن زُرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع زُرارة ، وأسنده إلى حاجب صاحب الأغاني .

قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بحرقة، صغيرَ العينين ، وعن أمره يصندرون . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيد القوم .

قالت : ورأيت رجلاً قليلَ النطق، إذا تكلم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبل لفحلها؛ أحسنُ الناس وجهاً ، ومعه ابنان له يلزامانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل .

قالت : ورأيت رجلاً جسيماً كأنَّ لحيته مُعَصْفَرَةٌ ؛ قال : ذاك عوف بن الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هُلُقَاماً^(١) جسيماً ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلاً أَخْنَسَ^(٢) قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أَقْرَنَ الحاجبين ، كثيرَ شَعْرِ السَّبَلَةِ^(٣) ، يسيل لُما به على لحيته إذا تكلم . قال : ذاك حَنْدُجُ بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلاً صغيرَ العينين ضيقَ الجبهة ، يقود فرساً له، معه جفير^(٤) له لا يكاد يفارقُ يده ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أَمْهَبَانِ ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ، وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصَّمَقُ بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة .

قالت : ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحدٌ من شَفَرَةٍ^(٥) ، قال : ذاك عبد الله بن جَعْدَةَ بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتها .

ودعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره بخبر القوم ، وقال : يابنَ ظالم ؛ هؤلاء

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف من الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٣) السبله : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفير : الجمجمة من الجلد (٥) الشفرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بنو عامر قد أتوك، فما أنت صانع ؟ قال الحارث : ذاك إليك ؛ فإن شئت أقتُ
فقاتلتُ القومَ وإن شئتَ تنَحَّيتُ، قال حاجب : تنع عن غير مَلموم ! فغضب الحارث
من ذلك وقال :

لعمري لقد جاورتُ في حَيٍّ وائلٍ ومن وائلٍ جاورتُ في حَيٍّ تغلب
فأصبحتُ في حَيٍّ الأرقام^(١) لم يُقلْ لي القوم يا حار بن ظالم اذهب
وقد كان ظلي إذ عدلتُ إليكم بنى عُدُس^(٢) ظني بأصحاب يترَب
غداةً أناهم تُبَّعُ في جنوده فلم يُسلموا للرأين من حَيٍّ يَحْصِبُ
فإن تك في عليا هوازن شوكة تُخاف ففيكم حدّ نابٍ وغلب
وإن يُسلم المراء الرارارى جاره فأعجب بها من حاجب ثم أعجب
فغضب حاجب وقال :

لعمري أليك الخير يا حار إني لأُمنعُ جاراً من كليب بن وائل
وقد علم الحَيُّ العدى أننا على ذاك كُنا في الخطوب الأوائل
وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلاماً نبسنا له ثوبى وفاء ونائلٍ
وأن تيماً لم تحارب قبيلةً من الناس إلا أوليتُ بالكواهل
ولو حاربنا عامر يابن ظالم لمعضت علينا عامرٌ بالأنايل
ولأستيقنتُ عليا هوازن أننا سنوطئها في دارها بالقبائل
ولكننى لا أبثُّ الحرب ظالماً ولو هنجتها لم ألف شحمة آكل

(١) الأرقام : حَيٍّ من تغلب (٢) عدس : جد حاجب .

فتنحى الحارث^(١) عن بنى تميم، ولحق بمروض اليمامة .

ثم أرسل حاجب إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا ، وأمرهم فحملوا
الأهل والأقال وساروا نحو بلاد بنى بغيض، ولبت هو مع بعض القوم ينتظر بنى عامر .
وأصبح بنو عامر - وقد علموا حال المرأة وخبرها وهرجها - فسقط في أيديهم ،
واجتمعوا يُديرون الرأى . قال بعضهم : كأنى بالمرأة أتت قومها ، فأخبرتهم الخبر ،
فخبروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بنى بغيض ، وباتوا مُعِدِّين لكم في السلاح .
فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم ؛ فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا ،
وننصرف . وركبوا يطلبون ظُنن^(٢) بنى تميم .

فلما أبطأ بنو عامر عن حاجب قال لقومه : إنَّ القوم قد توجَّهوا إلى ظُمنكم
وأموالكم ، فسيروا إليهم ؛ فساروا مجذنين حتى التقوا برِخْرَحان ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك
ابن جعفر بن كلاب .

فوفد لقيط بن زرارة في فدائه^(٣) فقال لهما : لكما عندي مائتا بعير .
فقالا : يا أبا نهشل ؛ أنت سيِّدُ الناس ، وأخوك معبد سيد مصر ، فلا تُقبَلُ فيه إلا
دية ملك . فأبى أن يزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحداً في دِيته على
مائتي بعير .

فقال معبد للقيط : لا تدعني بالقيط ، فوالله لن تركتني لا ترائي بعدها أبداً .

(١) كُنا في الأغاني ، ورواية النفايس : أن الحارث قابل مع بنى تميم ، ولكن لم يكن له بلا .
يذكر (٢) الظنن : جمع ظنبية ، وهو المودج ، به المرأة أم لا ، والمراد هنا الإبل
(٣) في فداء معبد أقوال كثيرة للرواة ، والتبت هنا رواية العقد الفريد .

فقال لقيط: صَبْرًا أبا القعقاع؛ فأين وصاة أئينا: لا تَوَأْكلوا العرب أنفسكم،
ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذوَّب^(١) بكم ذؤبان العرب.
ورجل لقيط^(٢) عن القوم؛ ومنع بنو عامر معبداً عن الماء وضاروه حتى مات
هزالاً^(٣).

(١) ذؤب: خبث وصار كالذئب (٢) وقد عبر لقيط بتهاونه في افداء أخيه. قال نزيح
ابن الأحوس:

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلك لا يهتدى
ألم أمت وساغ الشرا ب واجتل بيتك في شهيد
شهيد: اسم موضع.

رعت برجلك فوق الفرا ش تهدي القصائد في معد
وأسلته عسد جد القتال وتبخل بالمال ألا تفندي

(٣) وفي بعض الروايات: إن معبداً أبى أن يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات هزالاً، وفي بعضها
إن بنى عامر يئثوه إلى رجل بالطائف كان يذب الأسرى، فقطعه إرباً إرباً حتى قتله.

٢ - يوم شعب جبلة

- ١ -

لما نشبت المداوة بين عبس وذبيان ابني غطفان في حرب داحس^(١) والغبراء ، خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر ، وقيس ابن زهير بن جذيمة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمين العرب بحجرها ، أقصدوا بني عامر^(٢) .

وساروا حتى نزلوا مضيقة من وادي بني عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب - وكان المقد من بني عامر إلى كعب^(٣) بن ربيعة - فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس ؛ شأنكم جليل ، وذخلكم^(٤) الذي يُطاب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم أن هذه الحرب أعزّ سرب ، ما ناربتهما العرب قط ، ولا بدّ من بني كلاب ، فأمهلوني حتى أستطلع طلع^(٥) قوى .

* لعمري (من قيس) وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها . وجبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من ثبله . ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها ، وكان قبل الإسلام يسج وخين بهنة

معجم البلدان ص ٥٠ ج ٣ ، التفائس ص ١١٥ ج ٢ ، الأغاني ص ٣٣ ج ١٠ ، المقد الفريد ص ٣٠٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ص ٤٨

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون كثيرة : منهم كعب وكناب وعمر والحريش وجمدة وقد شهدوا جيلة إلا هلال بن عامر وعامر ابن ربيعة (٣) بطن في بني عامر (٤) الذحل : الثأر (٥) أطلعت على أمرى : أثبتته سرى .

وخرج في قومٍ من بني كعب حتى جازوا^(١) بني كلاب ، فلقبهم عوف^(٢) بن الأحوص ، فحدثوه في أمر بني عيس ، فقال : يا قوم ؛ أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقطعوهم واغنمواهم لا تفلح غطفان بدمه أبداً ، والله لا تزيدون على أن تسموهم وتمنؤهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمر عيس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلمتكم ظلك ، وأطمعتهم طعماك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجزت القوم !

ثم جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص - وكان رجلاً شجاعاً - فتقدم إليه قيس وأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام المائد بك ، قتلتم^(٣) أبي فما أخذت له عقلاً^(٤) ، ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جازٍ مما أجبر منه نفسي .

ولما سمع عوف بذلك - وكان غائباً - أتى الأحوص - وعنده بنو جعفر - فقال : يا معشر بني جعفر ؛ أطيعوني اليوم واغصوني أبداً ، وإن كنت والله فيكم معصياً ؛ إن عيساً والله لو لقوا بني ذبيان لولواكم أطراف الأسنة فابدهوا بهم فاقتلوهم ، واجعلوهم مثل البرفوث دماغه في دمه ، فأبوا عليه وحالفوهم ، وأنزلوهم بمجوحة دارهم .

— ٢ —

وكان لقيط بن زرارة سيده بني تميم قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه

(١) يقال : جاز الموضع ، أي سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر العامري في يوم النفراوات (٤) العقل : الدابة .

مَعْبَد^(١) ، وبينما هو يتجهزُ إذ أتاه الخبرُ بحِافِ بنى عبس وعامر .

وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك ، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعته في الفئانم فأجابه ؛ ثم ذهب إلى الجون الكلبى ملك هجر ، فقال له : هل لك فى قومٍ قد ملثوا الأرضَ نَعَمًا وشاء ، فترسل معى ابنيك ، فما أصبنا من مال وسبى فلهما ، وما أصبنا من دمٍ فلى ؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له موعداً ورأس الحول .

ثم أرسل إلى كلِّ من كان بينه وبين عبس دَحْل ، يسأله الحول والتظاهر على غزو عبس وعامر ؛ فاجتمع إليه بنو ذبيان لعداوتهم لبنى عبس بسبب حرب داحس والنبراء ، وبنو أسد لحلفٍ كان بينهم وبين بنى ذبيان .

ولما كان على رأس الحول من يوم رَحَرَ حَانَ انهأت الجيوش على لقيط : أرسل الجون جيشاً وعليه ابناء عمرو ومعاوية ، وأرسل النعمان جيشاً وعليه أخوه لأُمِّه حَسَّان بن وبرة الكلبى ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المراز فى جمع من بنى كندة .

— ٣ —

وسار بنو تميم فى رؤسائهم: حاجب بن زرارة، ولقيط بن زرارة، وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب ؛ ومعهم أخلافهم ، وتبعهم غُثَاء^(٢) من الناس يُريدون الفنيمة ، وتمَّ لهم جمعٌ لم يكن فى الجاهلية أكثر منه ؛ فلم تشكَّ العرب فى هلاك بنى عامر .

(١) قتل بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغثاء : ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالى ، يريد أَرْدَال الناس وسقطهم .

ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص - وهو يومئذ شيخ كبير ،
 قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس ، وكان مجرباً
 حازماً ميمون النقية^(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرتُ فإستطيع
 أن أجىء بالحرزم ، وقد ذهب الرأي مني ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجمعوا آراءكم ،
 ثم يبتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدوا على ، فاعرضوا على آراءكم .

ففعلوا ، فلما أصبحوا غدوا عليه ، فوضعت له عبادة بفنائنه فجلس عليها ، ورفع
 حاجبيه عن عينيه بعصاة ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير المبسي :
 بات في كنانتي اليوم مائة رأي ، فقال له الأحوص : يكفيننا منها رأي واحد حازم
 صليب مصيب ؛ هات فأنثر كيناتك . فجعل يمرض كل رأي رأى رآه حتى أنفد^(٢) .
 فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات في كيناتك الليلة رأي واحد .

وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً ، وقد صرتم إلى ؛
 اجمعوا أثقالكم وضمءكم . ففعلوا ، ثم قال : حملوا ظمئكم ؛ فخلوها . ثم قال :
 انطلقوا حتى تملوا في اليمين ؛ فإن أذر ككم أحد كرتم عليه ، وإن أعجزتموهم
 مضيتم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجر^(٤) ضحوة .

ثم رُئى الناس يرجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا
 عمرو بن عبد الله بن جمدة ، قدم في فتیان من بني عامر يمدون بمن أجاز بهم ، فقال
 الأحوص : قد موني ، فقدّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟
 فقال عمرو : أردت أن تفضحننا وتخرجنا هاريين من بلادنا ، ونحن أعز العرب ،

. (١) ميمون النقية : محمود المختبر (٣) يريد حتى انتهى ، ويقال : أنفد القوم ؛ إذا هذ
 زادم أو ما لهم (٤) نجر : موضع في ديار بني تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُ شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً .

قال : فكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجع إلى شِمْبِ جبلة ، فنحزِرُ النساء والضعفة والذَّارِي والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه ففيه ثَمَلٌ ^(١) ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مُقام لهم ، وإن صمدوا عليك قاتلتهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، فكنْتَ في حِرْز ، وكانوا في غير حِرْز ، وكنتَ على قتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ! فأين كان هذا حين استشرتُ الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن ، فقال الأُحوص للناس : ارجعوا ، فرجموا ^(٢) .

ودخلوا شِمْبِ جبلة ، وحصَّنوا النساء والذَّارِي والأموال في رأس الجبل ، وحلَّتُوا ^(٣) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشَّعب بالقداح والقرع بين القبائل في شظاياها ^(٤) ؛ ثم عمى عليهم الخبز ، فجعلوا لا يدرون ما قُرب القوم من بُعْدِهِمْ .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأسد وذبيان وليفهم نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كُرب بن صفوان

(١) التمل : الخصب والماء (٢) وفي ذلك يقول النابغة الجعدي ، وهو أحد شعراء بني عامر :

ونحن حبسنا الحى عبأ وعامراً	لحسان وابن الجون إذ قبل أنبلا
وقد صمدت وادى نبحار نساؤم	كإصماد لمر لا يرومون منزلاً
عطفناهم عطف الضروس فصادفوا	من الهضبة الحمراء حزاً ومظلاً

الضروس : الناقة المضوض

(٣) حلَّتُوا الإبل : منعوها (٤) الشظايا : القطع من رءوس الجبال .

السمدى - وكان شريفاً - فقالوا له : ما منكم أن تسيرَ معنا في غزاتنا ؟ قال :
أنا مشغول في طلب إبلٍ لي ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُنذر بني عامر ، ولا تركك
حتى تعطيتنا عهداً وموثقاً ألا تفعل ؟ خلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغضب ، ومضى مُسرعاً على فرس له عُري^(١) ، حتى إذا
نظر إلى مجلس بني عامر نزل تحت شجرة حيث يرونه ، فأرسلوا إليه يدْعونه ، فقال :
لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإنَّ الخبرَ فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب في صُرّة وشوك قد كسرَ رؤوسه ، وفرّق جهته ،
وإذا حنظلةٌ موضوعة ، وإذا وَطْبٌ مملقٌ فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هذا رجل
قد أُخِذت عليه الموائيق ألا يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرةً ، وأن
شوكتهم كليله ، وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب ، فاصطَبُوهُ^(٢) ، فإذا فيه
لبن قارص^(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حِلاب اللبن إلى أن يحْزُرَ^(٤)

(١) فرس مري : لا سرج عليه (٢) اصطَبوه : أزالوه (٣) قارص : حامض
(٤) هذه رواية الأغاني ، وفي ابن الأثير : لقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان - وكان شريفاً -
قال : ما منكم أن تسيرَ معنا في غزاتنا ؟ فقال : أنا مشغول في طلب إبلٍ لي ، فقال : لا ، بل تريد
أن تنذر بني القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ،
فلما دنا من طمر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة
أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فألقى بها بين الأحوص
ابن جعفر ، وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى في هذا
الأمر ؟ قال : هذا من صنع الله لئلا هذا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يتكلم ، فأخبركم أن أعداءكم
قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرتان
اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار =

ثم دعا الأحوص قيس بن زهير العبسي ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يمرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما للفرج ؟ فقال قيس : فإذا قد رجتم إلى رأيي فأدخلوا نَعَمَكُم شِعْبَ جَبَلَة ، ثم أَظْمِئُوهَا هذه الأيام ولا تُورِدُوهَا الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأخسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مذاعير عطاشاً ، فتشغلهم ، وتفرق جمعهم ؛ وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفؤا نفوسكم .

فقال الأحوص : نعم ما رأيت ؛ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطاً ، فقال له : أأُنذرتَ القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحداً منهم ؛ فخلّى سبيله ، فقالت له ابنته دختنوس : وكان لقيط يصحبها في غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدّني إلى أهلي ، ولا تمرّضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة ، فاستحمتها ، وساء كلامها ، وردّها .

وفياهم سائرون قابلهم غلامٌ أعسر^(١) ؛ فتشامت بنو أسد ، وقال بعضهم لبيض : ارجعوا عنهم ، فرجعوا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفر يسير .

— ٥ —

ولما وصل بنو تميم وأخلافهم إلى شعبِ جَبَلَة حيث بنو عامر وعبس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصمدوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبي ليلى : لا تدخلوا

فهي عمر لبال يأتيكم القوم إليها . قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام (ابن الأثير ، ص ٣٥٦ ج ١) .

(١) الأعسر : الذي يعمل بيده العمل خاصة .

على بنى عامر ؛ فإنني أعلمُ الناسَ بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني ؛ فما رأيتُ قوماً قطَّ أَقلَقَ بمنزلي من بنى عامر ، ووالله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشُّجاعُ^(١) فإنه لا يقرُّ في جُحره قلعا ، وسيخرجون إليكم ، والله لن نغتمُ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

فقال لقيط : لندخلنَّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حِذَرهم ؛ وجعل الأحوص ابنه شُرِحا على تعبئة الناس .

وأقبل لَقيط وأصحابه مدلين^(٢) ، فاستندوا^(٣) إلى الجبل حتى ذرَّت الشمس ، ثم أخذوا في الصمود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك ، فقال : دَعُوهم ؛ حتى إذا أنصفوا^(٤) الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلّوا عُقْل الإبل ثم اتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بغيره حجرين أو ثلاثة .

ففعّلوا ، ثم صاحوا بها فخرجت تحطّمُ كلَّ شيء مرّت به وخبطت نعبا ومن معها وانحطّوا منهزمين في الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدٍ همّةٌ إلا أن يذهبَ على وجهه ، وجملت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، وانهزموا شرَّ هزيمة^(٥) .

(١) الشجاع : الحبة الله كرك (٢) مدلين : مجترئين (٣) استندوا : صعدوا في الجبل

(٤) أنصفوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفي ذلك يقول أحد بني أسد :

زحمت أن العير لا تقا تل إلى إذا ما قعق الرحائل

واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من يئارل

يل وفيها حسب ونائل

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلتنا ! فجعل يقول :

يا قوم قد أحرقتُموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدَّموني للقوم
فقال له شاس بن أبي ليلي :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنتُ لا تعمى أموري في القوم
ثم ركب لقيط فرسه ، وزجَّ بنفسه للمِرَّك ، فطمته شريح ، وارثٌ وبه طمناث ،
وبقى يوماً ثم مات ^(١) .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولَّى منهزماً ، فتبعه زَهْدَم وقيس ابنا حزن
المبسيان ، وجعللا يطرُدانه ، ويقولان له : استأْسر - وقد قدرا عليه - فقال :
من أنما ؟ فقالا : نحن الزُهْدَمَان ^(٢) ، فقال : لا استأْسر اليوم لموليين .

وبينا هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرُّقبة العامري . فقال لحاجب : استأْسر ،
قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقبة . فقال : افعلْ لعمري ، ما أدركتني حتى
كدتُ أن أكون عبداً ، وألقى إليه رُمُحَه ، واعتنقه زَهْدَم فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً ارث وحل وهو مجروح ، وبقي يوماً ومات ، فلما أحس بالموت أُنشد قائلاً :

يأليت شعري اليوم دخنوس إذا أناها الخبر الرموس
تحلق القرون أو تميم لا بل تميم لها عروس

دخنوس : بنته

الخبر الرموس : التي يستر عنها ويكتم . والقرون : الذوائب .

(٢) الزهدمان : زهدم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجرى بالكرامه

حاجب : يَا غَوَاةُ ! وَجَمْعُ زَهْدٍ يُرَاوِغُ قَائِمُ السِّيفِ ، فَزَلْ مَالِكٌ وَاقْتُلْ زَهْدًا مِنْ حَاجِبٍ .

فَنَشَى زَهْدًا وَأَخُوهُ حَتَّى أَتَى قَيْسَ بْنَ زَهْرٍ فَقَالَا : أَخَذَ مَالِكٌ أَسِيرَنَا مِنْ أَيْدِينَا .
قَالَ : وَمَنْ أَسِيرُكُمْ ؟ قَالَا : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ .

فَخَرَجَ قَيْسٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أَخَذَ أَسِيرَنَا . قَالُوا :
مَنْ صَاحِبُنَا ؟ قَالَ : مَالِكُ ذُو الرِّقِيَّةِ أَخَذَ حَاجِبًا مِنَ الزَّهْدِيِّينَ .

فَجَاءَهُمْ مَالِكٌ فَقَالَ : لَمْ أَخْذَهُ مِنْهُمَا ؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَأْسَرَ لِي وَتَرَكَهُمَا ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا
حَتَّى حَكَّمُوا حَاجِبًا فِي ذَلِكَ - وَهُوَ فِي بَيْتِ ذِي الرِّقِيَّةِ - فَقَالُوا : مَنْ أَسْرَكَ يَا حَاجِبُ ؟
فَقَالَ : أَمَّا مَنْ رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي وَمَنْعَنِي أَنْ أَتَجَوَّ وَرَأَى مِنِّي عَوْرَةً فَتَرَكَهَا
فَالزَّهْدِيَانِ (١) ، وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْسَرْتُ لَهُ فَذَاكَ ؛ فَحَكَّمُونِي فِي نَفْسِي .

فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ الْحُكْمَ فِي نَفْسِكَ ، فَقَالَ : أَمَا مَالِكٌ فَلَهُ أَنْفُ نَاقَةٍ ،
وَلِلزَّهْدِيَانِ مَائَةٌ .

— ٧ —

قَالَ الرَّاوِي : وَزَعِمَ عَلَمَاؤُنَا أَنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ خَرَجَتْ بَنُو عَامِرٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ فِي
آثَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَسْلُبُونَ ، فَلَحِقَ قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ (٢) عَمْرُو بْنُ (٣) عَمْرُو
الْتَمِيمِيِّ فَأَسْرَهُ ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ الْأَبْرَصِ فِي سَرْعَانِ (٤) الْخَيْلِ ، فَرَأَاهُ عَمْرُو مُقْبِلًا ،
فَقَالَ لِقَيْسٍ : إِنْ أَدْرَكَنِي الْحَارِثُ قَتَلَنِي ، وَقَاتَكَ مَا تَلْتَمِسُ عِنْدِي ؛ فَهَلْ أَنْتَ عَمْسَنٌ
إِلَى وَإِلَى نَفْسِكَ ؛ تَجَزَّ نَاصِيَتِي فَتَجْعَلُهَا فِي كِنَانَتِكَ ، وَلَكَ الْمَهْدُ لِأَفِينَكَ ! فَفَعَلَ ،

(١) الزَّهْدِيَانِ : زَهْدٌ وَقَيْسٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (٢) قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ
(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَدَسٍ مِنْ تَيْمٍ ، وَهُوَ زَوْجُ دَخْنُوسَ بِنْتِ لَقِيْطٍ (٤) سَرْعَانُ
الْخَيْلِ : أَوَائِلُهَا .

وأدركهما الحارث وهو يتنادى قيساً ويقول : اقتل ، اقتل ! ولكن قيساً أطلق عمرأ ،
ولحق عمرؤ بقومنه (١) .

ونزل حسانُ بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة ! فحمل عليه شريح
ابن الأحوص ، فاعترض دون ابن الجون رجلٌ من كندة ، فضر به شريح في رأسه
فانكسر السيف ، فخرج يمدو بنصف السيف .

(١) روى صاحب الأغاني أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتقى إلى عمرو بن عمرو
يستتيه ، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه أمنة وقال
لها : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة - وقد كان الحارث قتل أباهما زيدا يوم
جيلة - فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياء وأجلهما ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهي تقول :
هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا بنة أخي ، على من ضربت القبة ؟ فتمتعت تحت الحارث ، فقال :
ضربتها والله على رجل قتل أباك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال معها ، فقال الحارث :

أما تدرين يا بنة آل زيد أمين بما أجن اليوم صدرى
أمين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه ففى الفتيان فى عيس وقصر
رأيت مكانه فصددت عنه فأعيا أمره وشدت أزرى
أمرت به لتخمش حنتاه فضيع أمره قيس وأمرى

الحنة : الزوجة

ثم إن عمرأ قال : يا حار ما الذى جاء بك ؟ فوالله مالك عندى نعمة ، ولقد كنت سبي الرأى فى ،
وقتلتي أخى ، وأمرت بقتلى . فقال : بل كفت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . قال : مالك
عندى من يد ، ثم تنعم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمرأ أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به
الحارث بن الأبرص ، فخرج فى فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما
أتى قيس بن أبيه من بني المنتقى اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : مهلا ! لا تقاوتوا اخوتكم
فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يثول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد
كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على
معاوية بن الجون، فأسرَه وجزّ ناصيته وأعتقه على الثَّواب^(١) .

وانصرف سنان بن أبي حارثة المري في بني ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن
حمار الفزاري، فلحق بهم معاوية بن الصموت الكلبي ومعه خرملة العكلى وقرّ
من الناس؛ ولما رأهم سنان قال لمالك: يا مالك؛ كركر^(٢) وأحيمنا، ولك خولة ابنتي
أزوجكها؛ فكرّ مالك قتل معاوية، ثم قتل حرمة واثنين من قيس. ومضى
بعد ذلك مالك وهو يقول:

ولقد صدّدتُ عن الغنيمة حرّملًا وبنيته لددا^(٣) وخيلي تطرد
أقبلته صرّ الأغرّ وصارمًا ذكرًا فخرّ على اليدين الأبد
وابن الصموت تركت حين لقيته في صدر مارنة^(٤) يقوم ويقعد
وابنا ريعة في الفبار كلاهما وابنا غنى عامر والأسود
حتى تنفس بعد نكظ^(٥) مُججِرًا أذهبتُ عنه والفرائص تُرعدُ

(١) حدث بعد هذا أن قيس بن زهير العبسي لقي معاوية فقتله، فأق عوف بن الأحوص بن عباس
قال: قلت طليق فأحيوه أو اتّوني بملك مثله، فتخوف بنو عباس شره - وكان مهيأ - فقالوا:
أمهلنا، وانطلقوا حتى آتوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، قال: دونكم
سلي بن مالك فإنه نديعه وصديقه، وكان في سلمي حياء فقال: سأ كلم لكم طفيل بن مالك
أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون، وانطلقوا إليه، فقال طفيل لسلي: قد آتوني بك، ما أعرفني
بما جئتم له: أتيتوني تريدون مني حسان بن الجون - وكان قد أسره - وتسلمونه لي عوف.
خذوه، فأعطاهم إياه، فأتوه، فجزّ ناصيته وأعتقه، ولذلك سمى عوف الجزاز.

(٢) الدد: الحصومة (٣) يقال: رمح مارن؛ صلب لين (٤) النكظ: الجهد،
والجهر: الفطر اللبأ، والمضيق عليه.

يعدو بزى سابع ذو ميعه نهذ المراكل ذو تليل أقود^(١)

— ٨ —

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترى أباه لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس
بعد موته :

ألا يالها الويلات وبيلة من بكى لضرب بني عيس لقيطاً وقد قصى^(٢)
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ولا تحفل الصم الجنادل من نوى^(٣)
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا^(٤)
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب أضاءت لها القناس من جانب الشرا^(٥)
فاناره فيكم ولكن ناره شريح أردته الأسنة أم هوى^(٦)

(١) البز : السلاح ، يريد يعدو بن سابع - فرس - يعد يديه في الجرى ، والميعه : أول الجرى
وألفظه ، ونهد : مرهق ، والمركل من الفرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : العنق ، وأقود
سلس القيادة (٢) الضمير في لها يعود إلى بني عبس ، تقول : لتحل بيني عبس الويلات ،
وتريد بمن بكى : نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنادل : الصخور العظيمة ، ونوى :
مات ، تريد : أن الصخور التي تقطى جسده في قبره ، لا تكاد تضمه لماو شأنه (٤) جواب
الفرط محذوف تقديره : لو قاتلتم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيتم بأسه وفرتم من وجهه (٥) الخضب :
كأنه جمع خاضب ، وهي النعامة ، وفي اللسان أن جمه خواضب ، والقناس : جمع قانس وهو الصياد ،
وأضاءت له : أوقدت ناراً . والفرى : مكان . تقول : غلبتموه بالفدر ولكنكم قد فررتم قبل
ذلك من وجهه كالنعام متى أحس بالصيادين ، وم قد أوقدوا له ناراً ليقتنصوه (٦) أرداه :
أهلكه ، والتأر هنا : المطلوب بدم القتل ، وشريح بن الأحوس العامري : قاتل لقيط ، وهوى :
سقط ومات ؛ تقول : ليس لكم القدر يا بني عبس ، فإنما قاتله والمطلوب بدمه هو شريح بن
الأحوس العامري ، سواء قتل لقيط بالأسنة في ساحة الحرب ، أو حل وبه طعنات فمات بعد
ذلك .

فإن تعقب الأيام من فارس تكن
لنجزىكم بالقتل قتلاً مُضعفاً^(٢)
وما في دماء الخمس يمال من بوا^(٣)
علينا من العار المجدع للملا^(٤)
لقد صبرت للموت كعباً وحافظت
كلاباً وما أنتم هناك لمن رأى^(٥)
وقالت أيضاً :

لمرى لقد لاقى من الشق دارم
عناء وقد رابت حميداً ضرابها^(٦)
فاجبنوا بالشعب إذ صبرت لهم
ريعة يدعى كعبها وكلابها^(٧)
عصوا بسيف الهند واعتقلت لهم
براكاء موت لا يطير غرابها^(٨)
وقالت في لقيط أيضاً :

بكر النمي بخير خندف كهلها وشبابها^(٩)

(٧) حول : إذا دارت الأيام فأمكننا من شريح وقومه فسترونا لسر نار حرب لا تطفأ إذا
ما علا ضرامها وانتشر سعيها (٢) تريد بالحس ، أشرف بن تميم الذين قتلوا ، وماله :
ترخم مالك . البوا : السواء والكفاء ، تقول : سوف تقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد
منكم يمالك أحدا يساوى بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فقتلهم بهم (٣) بنو غالب
بلن من بني عامر وم أنزلهم ، والمجدع للملا : الفاطم له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : سبرنا
أن القتلى لم يقتلهم أحد من بني عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا عار لا يمحى (٤) تخاطب بني غالب
فتقول : إنا رأينا بني كعب وبني كلاب يملون في الحرب البلاء الحسن ، ولكننا لما طلبناكم لم نجدكم
هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبلة ، ودارم : حى من تميم وهو قوم دخنوس ، وحيد
قوم من بني عامر (٦) تقول : لم يغفل بنو دارم لما تألب عليهم بنو ريعة ، وريعة أبو كعب
وكلاب . وتريد بالشعب شعب جبلة (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيف مهندة قاطمة
وبراكاء : الثبات في الحرب والجد ، ويقال للرجل إذا وقع في خطب : لا يطير غرابه ، وهى
تريد أن سعدم المعتاد في الحروب اعتقل لهم ، أى امتنع عنهم في هذه الواقعة .
(٨) بكر : أتى باكرأ . وخندف : أم مدركة بن إلياس ، ولها نسب قبائل مضر ،
ومنها تميم قوم الشاعرة .

وبخيرها نسباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابها (١)
 وأضرَّها لعدوِّها وأفكَّها لرقابها (٢)
 وقريمها ونجيبها في المطيقاتِ ونائبها (٣)
 ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
 قرع عمود للمشيرة رافعاً لنصابها (٤)
 فيقولها ويحوطها ويذبُّ عن أحسابها (٥)
 ويطا مواطئاً للعدوِّ وكان لا يمشي بها (٦)
 فعل المدلِّ من الأسو د الحنيها وتبائبها (٧)
 كالكوكب الدرِّيِّ في الظلِّماء لا يخفى بها (٨)
 عبث الأغرَّ به وكلَّ منية لكتائبها (٩)
 فرَّت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها (١٠)
 وهوازن أصحابهم كالقار في أذانبها (١١)
 لم يحفظوا حسباً ولم يأووا لفيء عقائبها (١٢)

(١) رواية ابن الأثير : وآعها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أى أنه يحمر رقاب قومه من الأسر (٣) القريم : السيد ، وأصله الغالب في المفاوعة . والمطبيقات : البشائد ، والسنون المجدية ، وناب القوم : سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتمتع آثار العدو في مسالك لم يعود أن يجري فيها (٧) المدل : الواقع من نفسه . والحين : الهلاك ، والنياب : الفساد (٨) الدرِّي : الشبيه بالدرة (٩) الأغر : السيد ، تسكنى به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحوص ، وكتائبها : لياتها ووقتها ، كما قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد : من حلفاء تميم يوم شعب جيلة ، وهي بهذا تهجوم (١١) وهوازن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالقار لجبنهم (١٢) تريد بالمقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بليقطة على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو النعمان بن قهّوس التميمي ، وكان حاملا- في يوم شعب جبلة- لواء
بني تميم ، وهو من أشرفهم ، ففرّ هاربًا .

فَرَّ ابْنُ قَهَّوسِ الشُّجَا عُ بَكَفِّهِ رُمَحٌ يَتَلُّ^(١)
يَمْدُو بِهِ خَاظِي الْبَضِيعِ كَأَنَّهُ يَمْنَعُ أَزْلَ^(٢)
إِنَّكَ مِنْ نَيْمٍ فَدَعِ غَطْفَانَ إِنْ سَارُوا وَحَلُّوا^(٣)
لَا مِنْكَ عُدُّهُمْ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا^(٤)
فَخَرُّ الْبَنِيِّ يَحْدِجُ رَبَّتَهُمَا إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا^(٥)
وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَبَاكَ وَسَطَ الْقَوْمِ يَبْزُو أَوْ يَجِلُّ^(٦)
مَتَقَلِّدًا رِبْقَ الْفَرَا رَكَانَهُ فِي الْجِيدِ غَلَّ^(٧)

(١) التل : الشديد (٢) الخاظي : المكتنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الثمغذ الواحد
بضيمة ، والسمع : ولد الضبع ، تقول : نحابه فرس مكتنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع
(٣) نيم : فرع من تميم ، تقول : إنك من قوم جنباء ، فلا تسر مع غطفان أصحاب الشدة
(٤) تقول : لو حل الذل بنطفان فإنهم يستفنون عنك وعن آبائك (٥) البني : المرأة
الفاجرة ، والحدج من مراكب النساء ، واستقل الناس : ذهبوا ، ضربت هذا مثلا ، وأرادت
بالبني بنى التيم ، وعنت بربة الحدج- وهي السيدة- غطفان (٦) يبزو : كناية عن الجبن ،
ويجل : يجمع الجلة وهي البر (٧) الربق : المقود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية
الفقم حين يضع حبالها في عنقه كأنها أغلال تغلها .

٣ - يوم ذي نجب

لما كان العامُ التابع من يوم جَبَلَة خرج ناسٌ من بني عامر بن صعصعة إلى حسان ابن كبشة الكندي ^(١) ؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الأَسَنَة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمر بن الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصِّيق ، وقُدَامَة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بني حَنْظَلَة ^(٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك في إِبِلٍ عَكَرٍ ^(٣) ، ونساء كالبَقَر ، وتسير مُبَرِّدًا ^(٤) ، وترجع سالما غانما من قوم قد أَوْقَعْنَا بهم حديثًا ، وقتلنا قُرُسانهم ورؤسَاءهم . فاقبل معهم بصنائمه ومن كان معه ، ومرَّ على بني عامر ؛ فسارمعه من خفٍّ منهم . وبلغ الخبر بني حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عُدُس ^(٥) : يا بني مالك ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الملك ومن معه ؛ فخِفُوا من مكانكم هذا - وكانوا يومئذ في أعلى الوادي مما يلي حمى ، القوم وكانت بنو يربوع في أسفله - ودَعُوا بني يربوع فإبهم حتى مُصَرِّمٌ زَ ^(٦) ، فإن ظهرَ الملكُ عليهم سألتم ؛ فبَقِيَّةُ السَّلَمِ خيرٌ من بَقِيَّةِ الحرب ، وإن هُزمت يربوع عليهم كنتم مع إخوانكم . ففعلوا .

* لبي تميم على بني عامر (ن قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لبي تميم على بني عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بدمرور عام على يوم جيلة .
التقائس ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كبشة ملك من ملوك البين (٢) بنو حنظلة : حمى في تميم
(٣) العكر : ما فوق خسمائة من الإبل (٤) يقال : أبرد : دخل في آخر النهار
(٥) عدس في بني تميم بضم الدال ، وفي - ائرب بفتحها (٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثر سؤاله وقل خير ، ورجل نكد : أي عسر .

وأقبلَ حسانٌ ومَنْ مِمَّنْ من الجيش في وجه الصبح ، والتقوا بيني يربوع ،
فقتلوا ، فضرب حُشيش^(١) بن نمران الرياحي حسان بن كبشة الملك على رأسه
فقتله ، وانهزم أصحابه .

وأمر ثعلبة بن الحارث اليربوعي يزيد بن الصَّعق ، فأبصره في يده ثعلبة بن
الحارث بن عمرو ، فضربه على رأسه فأمته ، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل^(٢) ،
وضرب زنباع بن الحارث أحد بني رياح عبيدة بن مالك على هامته فسات في يده ؛
فقال في ذلك سَحِيم بن وَثِيل الرياحي :

ونحنُ ضربنا هامة ابن خُوَيْلِد^(٣) يزيد وضربنا عبيدة بالدم
بذئ نَجَبٍ إذ نحن دون حرمنا على كل جِيَّاش الأجارى^(٤) مِرْجَم^(٥)



وقتل خالد بن مالك النهشلي - رئيس بني عامر - غمرو بن الأحوص ، وقد كان
بعضُ أصحابه قال له : ياخالد ؛ اقتلُ بأبيك^(٦) ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن
كبشة ، فقال أوس بن حُجْر :

كان بنو الأبرص^(٧) أقرانكم فأدرَكوا الأحدثَ والأقدمَا
إذ قال عمرو لبني مالك لا تُمِجلوا المِرة أن تُحْكَمَا

(١) في رواية : جشيش بالجم (٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابي : هو اسم فرس عامر
ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهري
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصعق (٤) الأجارى : ضروب من البرى
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتل أبا خالد يوم جينة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

والله لولا قرزل^(١) إذ نجّا لكان مئوى خدك الآخر^(٢)
نجاك جياش^(٣) هزيم^(٤) كما أحميت وسط الوير الميسما

(١) فرس طليل بنى مالك بن جعفر وقد فر به من بنى يربوع كما سبق (٢) الآخر :
الجبيل : وهو منقطع أنفه وهو يريد : ثوى خدك في الأرض . وأخرما الكتفين أيضاً : رءوسهما
من قبل المضدين مما على الواصلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة
الكتف ، قال كعبرة بين الأخرمين ، والمعنى : قتلنا فسقط رأسك عن آخرم كتفك
(٣) الجياش : الشديد الجرى السريع كأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغل والفرم كذلك ،
يقول : يجيش ويهزم يعنى يصوت صوتاً كغلي الرجل (٤) كما أحميت : يعنى به السرعة .
يقول هذا القرس يلهب في عدوه كما يلهب الميسم رهمى الحديدية تحمى بالنار حتى تصير كالجرة ثم
توضع على جلد البعير علامة ، والأصمى يقول مناه : إنه سريع الجرى ، فسرعة هذا القرس
كسرعة ممر هذا الميسم في جلد البعير ووبره .

٤ - يوم الصرايم

أغلرت بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريحُ بنى بربوع ، فركبوا في طلب بنى عبس ، فأدركوهم بذات الجرف^(١) ، فقتلوا شريحاً وجابرأ ابني وهب ، وأسروا فروة وزنباعا ابني الحكم بن مروان بن زنباع ، وأمر أسيد بن حنّاء الحكم ابن مروان بن زنباع المبس . وقتل عصمة بن حذرة الراحي سبعين رجلاً من بنى عبس - وقد كان العفّاق بن الفلاق بن قيس خرج في طلب إبل له ، فرّ بنى عبس ، فأخذه شريح وجابر ابنا وهب فقتلاه ، فنذر عصمة ألا يطعم خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يفسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلاً من بنى عبس ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكنني من عبسٍ صاغ شرابي وشقّيتُ نفسي
وكنتُ لا أقرب طهرَ عُرمي ولا أشدُّ بالوخافِ^(٢) رأسي
ولم أكن أشرب صفو الكأسِ

وقال سحيم بن وثيل :

واني ابنُ زنباع وفروة عقْدنا وفيهم دماء الحى لما تُصرّم

* بين عبس وربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرايم : اسم موضع كما في معجم البلدان

القائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوربة)

(١) الجرف : موضع في نواحي اليمامة (٢) الوخف : ضربك الخطى في الطشت بوخف ليختلط . وتقول : أما عندك وخيف أفضل به رأسي ، والوخيف والوخيفة : ما أوخفت به ، وقال : أتاه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفي هذا اليوم قال الحطيثة ، وقد كان في الجيش فهرب :

ما أدري إذا لاقيتُ عمرًا أَكَلَنِي^(١) آلُ عُمَيْرٍ وَأُمُّ حَاحٍ
لقد بلغوا الشفاء فأخبرونا بقتلى من تُقَتِّلُنَا رِيحُ
حَوْتِنَا مِنْهُمْ لِمَا التَّقِينَا رِمَاحُ فِي مَرَاكِزِهَا رِمَاحُ
وَجُرْدُ فِي الْأَعْنَةِ مُلْجَمَاتُ خِفَافِ الطَّرْفِ كُلَّمَا السَّلَاحُ
إِذَا نَارُ الْفَبَارُ خَرَجْنَ مِنْهُ كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْفَدَرِ^(٢) السَّرَاحُ
وَمَا بَادُوا كِبَاءُ وَهُمْ^(٣) عَلَيْنَا يَفْضَلُ دِمَائِهِمْ حَتَّى أَرَا حُوا

وفي هذا اليوم قال : شُمَيْثُ بْنُ زُبَيْعٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ الرِّيَاحِيُّ :

سَائِلُ بَنَاتِ عَبَسَا إِذَا مَا لَقِينَهَا عَلَى أَيْ حَيٍّ بِالصَّرَامِ ذُلَّتِ
قَتَلْنَا بِهَا صَبْرًا شَرِيحًا^(٤) وَجَابِرًا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ
جَزِينَا بِمَا أَمَتْ أُسَيْدَةَ حَقِيقَةً خُوَيْلَةَ إِذْ آذَنَهَا فَاسْتَقَلَّتِ
فَأَبْلَغَ أَبَا مُحَرَّرَانَ أَنْ رِءَا حَنَا قَعَتَ وَطَرًا مِنْ غَالِبٍ وَتَلَّتِ^(٥)
فِدَى لِرِيَّاحٍ إِذْ تَدَارَكَ رَكْضُهَا رَبِيعَةٌ إِذْ كَانَتْ بِهَا النَّمْلُ زَلَّتِ
فَطَرْنَا نَحْبَالًا لِلصَّرِيخِ وَلَا تَرَى لَنَا نَعْمًا مِنْ حَيْثُ يُفْزَعُ شَلَّتِ^(٦)
وَمَا كَانَ دَهْرِي إِنْ فَخَرْتُ بِدَوْلَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا حَاجَةُ النَّفْسِ سَلَّتِ

(١) كلب الرجل : عضه الكلب الكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكليب من قوم كلب (٢) الفدر : الحجارة والشجر وكل ما وارك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهري : وأما السراح في جمع السرحان ، فغير محفوظ عندي (٣) البأو : الكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وما من بني عوذ بن غالب (٥) تفلت : يريد من النلو وهو الزيادة ، وأبو حمران : عروة بن الورد العبسي (٦) شلت : يريد لا يهيمون بطرد إبلهم إذا فزعوا ولكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والنبلل والطرود سواء .

هـ - يوم الرغام

أغار عَتِيْبَةُ بن الحارث بن شهاب في بني ثَمَلَةَ^(١) بن يربوع على طوائف من بني كلاب^(٢)؛ فطردوا^(٣) إبلهم، وكان أنس بن عباس الأصم أخو بني رِغْل^(٤) مُجَاوِرًا في بني كلاب، وكان بين بني ثَمَلَةَ بن يربوع، وبين بني رِغْل عَهْدٌ أَلَا يُسْفِكُ دَمٌ، وَلَا يُؤْكَلُ مَالٌ.

فلما سمع السكلابيون الدَّعْوَى يا آل ثَمَلَةَ، يا آل عُيَيْد، يا آل جَمْفَر! عرفوهم، فقالوا لأنس بن عباس: قد عرفتَ ما بين رِغْل وبين بني ثَمَلَةَ بن يربوع، فأدركهم فأحبسهم عينا حتى نَلْحَقَ.

فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم، فلما دنا منهم قال عَتِيْبَةُ لأخيه حنظلة ابن الحارث: أغنِ^(٥) عَنَّا هذا الفارس؛ فاستقبله حنظلة فقال له أنس: إنما أنا أخوكم وعَقِيدُكُمْ^(٦)، وكنتُ في هؤلاء القوم؛ فأغرثتم على إيلي فبأغرثتم عليه، فهي معكم.

فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر، فقالوا: حيَّاكَ اللهُ! هَلُمَّ فَوَالِ^(٧) إِبِلِكَ. قال: والله ما أعرفُها، وبنو أخي وأهل بيتي معي، وقد أمرتهم بالركوب في أثري، وهم أعرف بها مني.

* لبني يربوع (من تميم) على كلاب (من قيس). والرغام: اسم رملة يعينها من نواحي اليمامة. التفاضل ص ٤١، طبع أوربة

(١) بنو ثَمَلَةَ بن يربوع: حي في تميم (٢) بنو كلاب: حي في طامر (٣) يقال: طرد الإبل: إذا ضمها من نواحيها (٤) رِغْل: بطن في سليم، وسليم فرع من قيس عيلان (٥) يقال: أغن عني شرك أي أصرفه وكفه، ومنه قوله تعالى: «لن ينوينا عنك من الله شيئا»، وفي حديث عثمان أن علياً رضي الله عنهما بعت إليه بصحيفة فقال للرسول: أغنها عنا، أصرفها وكفها (٦) العقيد: الماعذ (٧) اعزلها.

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنما هم
بنى وبنو أخى - وإنما كان يرئهم ^(١) لتلحق جماعة فوارس بنى كلاب - فلحقوا ،
فحمل الحوثر بن قيس ^(٢) على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة على الحوثر هو وابن
مزنه فأسراه ، ودفعا إلى عتيبة فقتله صبرا ^(٣) ، وهزم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم يُقر أنسا نفسه حتى
اتبهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسرون في سخواء ^(٤) .

ثم تخلف عتيبة في قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فاشمر إلا بأنس
قد مر في آثارهم فتغفله عتيبة حتى وثب عليه فأسره وأتى به أصحابه ، فقال له
بنو عبيد : قد عرفت أن لأم بن سلمة وابن مزنه قد أمرا الحوثر ؛ فدفعا إليك
فضربت عنقه ، فأعقبيهما منه أنس بن عباس ؛ فهو خير منه ، فأبى عتيبة أن يفعل
ذلك ، حتى اقتدى أنس نفسه بما أتى بهير ، فقال العباس بن مرداس ^(٥) يبر عتيبة
أخذه أنسا وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كَثُرَ الضَّجَّاجُ ^(٦) وَمَا مَنِيْتُ بِغَادِرٍ كَمَتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
جَلَّتْ حَنْظَلَةُ ^(٧) الْخَائِنَةُ وَالْخَنَاءُ وَدَنَسَتْ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ
وَأَجَرْتُمْ أَنَسًا فَلَا حَاوِلُمْ بِإِسَارِ جَارِكُمُ بْنُ الْيَقَابِ ^(٨)
فِيخُوا ^(٩) بِأَطْرَافِ الْأَنْوَفِ وَأَمْهَلُوا عَنْكُمْ قَوَادِمَ صِرْمَةِ الْأَعْرَابِ

(١) يرئهم : يبطئهم (٢) الحوثر بن قيس : من بنى كلاب (٣) يقال للرجل يقدم
فيضرب عنقه : قتل صبرا (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن
مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهلي وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب
وقد جملة ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجج : الصياح
(٧) حنظلة : قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) اليقاب : التي تلد الحمى ، والوقب
الأحق (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ في نومه ، وفخ النائم ينفخ (بكسر الفاء)

قَالَ عَتِيبَةُ :

غَدَرْتُمْ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى فَلَيْسَ إِلَى تَوَافِينَا سَبِيلُ
كَأَنْكُمْ غَدَاءُ بَنِي كَلَابٍ تَفَاقَدْتُمْ^(١) عَلَى لَكُمْ ذَلِيلُ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ^(٢) لَأَبِي عَتِيبَةَ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ أَنْسًا ، يَمُنُّ عَلَيْهِ بِدَفْعِ
بَنِي عَمِيَّةٍ الْحَوَثَرَةَ إِلَيْهِ حَتَّى قَتْلَهُ :

وَنَحْنُ نَأْرَثُنَا قَبْلَهَا بِابْنِ أُمِّهِ غَدَاءُ الْكَلَابِيِّينَ وَالْخَلِيلُ تَشْمَهُ
لَجُنَّتْنَا بِهِ صَبْرًا إِلَيْكَ تَقْوُدُهُ وَأَنْتَ ضَعِيفُ الصَّوْتِ قَلْبُكَ يُرْعَدُ
فِيَادِ ذَلِيلٍ لَا يُنَازِعُ رَأْسَهُ وَقُلْنَا لَكَ اقْتُلْهُ بِقَدِّكَ كَدْتَ تَبْلُدُ

(١) يُقَالُ تَفَاقَدَ الْقَوْمُ ؛ أَيْ فَقَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (٢) مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ : مِنْ تَلْبَةِ بْنِ مَرْجُوحٍ
أَحَدِ الشُّعْرَاءِ الْخَضِرِيِّينَ ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي حُرُوبِ الرَّدَةِ .

٦ - يوم جِزَع ظلال

أغارَت بنو فزارة ، ورئيسهم عِيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، ومعه مالك ابن حِجَارِ الشَّمَخِيِّ مَتَسَانِدَيْنِ ؛ هذا من بني عدي بن فزارة ، وذلك من بني شَمَخٍ بن فزارة^(١) ، على التَّيْمِ وعدي وثور أطلَحَ من بني عبد مناة^(٢) ، فَلَثُوا أَيْدِيَهُمْ غَنَامًا وإِبِلًا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُذَيْفَةَ أَرْبَعِينَ امْرَأَةً من التَّيْمِ وَعُكْلًا فَأَطْلَقَهُنَّ وَرَدَّهُنَّ ، وأخذ خارِجَةَ بن حصن نفرًا من التَّيْمِ فَأَطْلَقَهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ .
فَادْعَتْ بعد ذلك بنو يربوع أَنَبَ عَتِيْبَةَ بن الحارث بن شهاب وبني يربوع أَدْرَكُوهُمْ بِحَقِيلِ^(٣) فَاسْتَنْقَذُوهُمْ^(٤)

ثم إنه ضَرَبَ الدهر من ضَرْبَانِهِ^(٥) ، فبلغ بني فزارة أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم - وهم سادة التَّيْمِ - وابن الخيط ، وهو سيد بني عدي تيم^(٦) انطلقوا إلى بني سعد بن زيد مناة^(٧) وَضَبَةَ^(٨) يَسْتَمِدُّونَهُمْ ،

• فزارة (من قيس) على تيم . وجزع ظلال: موضع

معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣ ، النفاذ ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى في ذبيان ، وذبيان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النباين هذه الأحياء بالرباب (٣) حقييل : واد في ديار بني عكل (٤) في ذلك يقول جرير وهو يضر على التيم :

تداركنا عينة وابن شخم وقد مرا بهن على حقييل

فردوا المردقات بنات تيم ليربوع فوارس غير ميل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروه وذهب بعضه (٦) عدي تيم :

حى في تيم (٧) بنو سعد : حى في تيم (٨) ضبة : تنسب إلى ضبة بن أد بن طابخة ابن الياس .

وَيَسْأَلُونَهُمُ النَّصْرَ ، فَرَكِبَتْ بَنُو فِزَارَةَ وَرَأْسُهُمْ أَيْضًا عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ ، فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلُوهُ أَحَدًا ، وَأَخَذُوا مِائَةَ امْرَأَةٍ مِنَ التَّيْمِ ، فَقَسَمْنَهُنَّ عَيْنَةُ بَيْنَ بَنِي بَدْرٍ ^(١) ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا فَقَتَلُوهُمْ .

فَلَمَّا تَزَلُّوا اشْتَرَتْ بَنُو فِزَارَةَ الْخُمُورَ لِيَشْرَبُوا ، فَقَالَ عَيْنَةُ : ابْعَثُوا بَنَاتِ تَيْمٍ فَلْيَنْقُضَنَّ زِقَاقَكُمْ . فَاَنْطَلَقَ نِسَاءُ تَيْمٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُنَّ مِنْ رَجَالِهِنَّ يَنْقُلُونَ زِقَاقَ الْخَمْرِ إِلَيْهِمْ ، تَمَّ أَمْرُهُنَّ فَجَعَلْنَ يَمْزُحْنَ فِيْشْرَبُونَ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مَحْقُورَةً لَهُمْ ، فَاتَى كَذَلِكَ زَمَانٌ .

ثُمَّ إِنَّ عَيْنَةَ سَأَلَ قَوْمَهُ أَنْ يَرُدُّوا بَنِي تَيْمٍ فَفَعَلُوا ، فَرَدُّوا السَّبْيَ إِلَى تَيْمٍ ، وَأَطْلَقُوا الرِّجَالَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ^(٢) .

ثُمَّ إِنَّ بَنِي مَرْءَةٍ ^(٣) أَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ وَرَأْسُ بَنِي مَرْءَةٍ يَوْمُئِذٍ سَنَانُ بْنُ سَنَانٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَتَلُوا التَّيْمَ وَعَدِيًّا وَعُكْلًا ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا ، فَلَمْ يُنْقِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَخْدَمُوهُمْ .

(١) بدر : قوم عينة (٢) فذلك قول جرير :

خدمن بني غيظ بن مرة بعدما خدمن الندى من شروب بني بدر

إذا ما اشتروا خمرًا قلم زقاقهم إليهم ولا يسقون تيمًا من الخمر

(٣) مرة : حي في ذبيان

٧ - يوم المَرَوَات

كان من حديث هذا اليوم أن قَمَنْبَ بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع التَّقِي هو وَبُجَيْر^(١) بن عبد الله العامري بمكاظ ، والناس متوافِقون ، فقال بُجَيْر : يا قَمَنْب ما فعلتَ البيضا فرسك ؟ قال : هي عندي . قال : فكيف شُكركَ لها ؟ قال : وما عَسَيْتُ أن أشكرها به ؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نَجَّتَكَ مني ! قال قَمَنْب : ومتى كان ذلك ؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتني من بَشَامَةٍ^(٢) مُهَرَّتِي لَلَّاقِي كما لاقَت فوارسُ قَمَنْبِ
تَمَطَّتْ^(٣) به البيضا بعد اختلاسه على دَهَشٍ وخِلْتَتِي لم أَكْذَبِ

فأنكر ذلك قمنب، وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادقُ منهما الكاذب ، ونذر قمنبُ أن لا يراه بعد هذا الموقف إلا قتلَه أو ماتَ دونه .

فضربَ الدهرُ من ضَرَبَانِهِ ، ثم إن بُجَيْراً أغار على بني العنبر يوم إزِمَ الكَلْبَةُ^(٤) وهم خُلوْف ؛ فأصاب منهم ناساً ، وانفَلَتَ منهم مُنْقَلِتُونَ ، وأتى الصريحُ بنى حنظلة ، وبني عمرو بن تميم وبني العنبر فركبوا في أثَرِ بُجَيْر ، وقد سارِ بِمَنْ أخذ من بني العنبر فكان أول مَنْ لَحِقَ بنو عمرو بن تميم ، فقال بُجَيْرُ لأصحابه من بني عامر : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئك بنو عمرو

* تميم على عامر (من قيس) والمروث : موضع في ديار بني تميم
ابن الأثير ص ٣٨٦ ج ١ ، النقاظ ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، معجم البلدان (المروث)

(١) في النقاظ : بجير بفتح الباء وكسر الحاء ، وهذا الضبط عن اللسان - مادة نكد
(٢) بَشَامَةٌ : اسم رجل (٣) تَمَطَّتْ به : سارت سيراً ممدوداً (٤) موضع بين البصرة والحجاز .

ابن نعيم، وليست بشيء . فلاحقوا بيجير وهو بالرتوت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة، فقال بجير لأصحابه : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً ناصبةً الرماح . قال : أولئك بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء . فلاحقوا وقتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيل شَمَاطِيط^(١)، فقال بجير : ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً شَمَاطِيط ليس معها رماح وكأنا عليها الصبيان . قال : أولئك بنو يربوع ، ما حُهم عند آذان الخيل ، إياكم والموت الزؤام ! فاصبروا ، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة .

فكان أول من لحق من بني يربوع نعيم^(٢) بن عتاب ، فطعن الثام بن قرط أخا بني قشير فصرعه وأمره ، ثم لحق قعنّب بن عصمة بجيرا فطعنه فأراده عن فرسه ، فوثب عليه كدّام بن بجيلة^(٣) المازني ، فأبصره قعنّب بن عتاب ، وهو في يد كدّام فحمل عليه ، فأراد كدّام منعه ، فقال قعنّب : ماز^(٤) رأسك والسيف ! فخلّى عنه كدّام ، فضربه قعنّب بن عتاب فأطار رأسه ، وانهزم بنو عامر . واستنفذت بنو يربوع أموال بني المنبر وسيبهم من بني عامر وعادوا .

(١) متفرقة أرسالا (٢) كان يسمى الواقعة لبلته (٣) في القائض : بن نخيلة بالنون والحاء (٤) أي يمازني رأسك والسيف . قال في اللسان : ولم يكن اسماً مازناً وإنما كان اسمه كداماً ، وإنما سماه مازناً لأنه من بني مازن ، وقد فعل العرب مثل هذا في بعض اللوازم .

٩- أيام ضبّة وغيرهم

- ١- يوم النّسار
- ٢- = الشقيقة
- ٣- = بزاخة
- ٤- = دارة مأسل
- ٥- = النقيعة

١- يَوْمُ النَّسَارِ

أُجْدَبَتْ أَرْضُ مُضَرَ وَأُخْصِبَتْ بِلَادُ بَنِي سَعْدِ^(١) وَالرَّيَّابِ^(٢) وَجَادَهَا الْغَيْثُ ؛ فلما وقع ذلك الْغَيْثُ أَقْبَلَتْ عَامِرُ بْنُ صَعْمَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى بَنِي سَعْدِ ، وَكَانُوا يُوَاصِلُونَهُمْ بِالنَّسَبِ ؛ فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يُرْعَوْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ ، ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرَّيَّابِ وَهَوَازِنَ وَمَنْ مَعَهَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ مَا اجْتَمَعَ مِثْلَ عِدَّتِنَا قَطًّا إِلَّا كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَخْدَاثٌ ؛ فَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ مَا كَانَ فِيهِمْ ، وَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ وَالرَّيَّابِ مَا كَانَ فِيهِمْ ؛ فَكَانَ الضَّامِنُ لِمَا كَانَ فِي سَعْدِ وَالرَّيَّابِ الْأَهَمَّ^(٣) ، وَكَانَ الضَّامِنُ عَلَى هَوَازِنَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ ابْنِ صَعْمَةَ ؛ فَرَعَوْا ذَلِكَ الْغَيْثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

نَمَّ إِنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ يَقَالُ لَهُ الْخَنْتَفُ أَغَارَ عَلَى خَيْلٍ لِمَالِكِ ذِي الرُّقَيْيَةِ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ^(٤) ، فَاسْتَوَدَعَهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنِ خَزْعَةَ يَقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ غَيْبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةِ التَّيْمِيِّ^(٥) .

* لضبة وتيم على بني عامر . والنسار: جبال صغار ، وقال بعضهم : هو ماء لبني عامر ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٦٦ ج ٣ ، النقائض ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤ (طبع أوربة) ، شرح الفضليات صفحة ٣٦٤

(١) بنو سعد أحياء في تميم (٢) الرباب: أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتناقدوا (القاموس) (٣) الأهم : اسمه ستان بن سبي بن خالد ، وهو من بني سعد بن زيد بن مناة بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين قيس بن هاشم المنقري يوم الكلاب الثاني ، فرفع قس قوسه فضرب فم الأهم بها ، فهتم أسنانه ، فسمى بالأهم من يومئذ (٤) من بني قشير ، وقشير : بطن في بني عامر ، ومالك هذا هو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جلة (٥) من ضبة .

فلما فقد مالك ذو الرقيبة خيله أقبل هو وقرّة بن هبيرة إلى الأهم فقالا :
ضمانك . قال : وما ذاك ؟ قال : عدي على خيلنا فذهب بها . فقال : هل تدرون
من أخذها ؟ قال : لا . قال : فاطلبوا واسألوا وطلب ونسأل ، فإن يكن أصابها
رجل من سعد والرباب فأنا لها ضامن حتى أردّها .

وطلبوا وسألوا فذكر لهم رجل أنها رثيت عند عوف بن عطية التيمي ، فسألوه
فأنكر أن يكون رأها أو علم منها علماً ، وسأل الأهم فوجدّها قد كانت عنده ،
فاحتبس إبل عوف حتى أرضى ذا الرقيبة من خيله ، وأخذ منه شرواها^(١)
فانطلق عوف إلى الحننف فأخبره الخبر ، فردّ عليه عِدّة ما أخذ منه ، ورغب الحننف
في الخيل فأمسكها ، فقال عوف بن عطية في ذلك :

ياقرّ يابن هبيرة بن قشيرٍ ياسيد السلمات إنك تظلمُ
ياقرّ إبن تشمر فإني شاعرُ أو إن تُكاري مني فغيرك أكرمُ
هل أغرم من لماري من عامرٍ ولم ألاقيهم ولم أنكلم
أو أغرم من لذي الرقيبة خيله إن كان دلهم على الأهم

ثم أظهر الحننف الخيل ؛ فيبدا هو يوردها غديراً يسقيها إذ لقيه رجل من
بني قشير فنازعه فيها ؛ فضرب القشير الحننف على ساعده وضربه الحننف قتلته
ووقع الشر ؛ وجاءت بنو عامر^(٢) إلى بني سعد فقالوا : نحن إخوانكم وفي جوادكم ،
وقد قيل بنا ما ترون ، فخذوا لنا بحقنا . فكلّموا بني ضبة ، فقالوا : إنما أقبل
رجلان فأراد كل واحد منهما صاحبه ، فمات صاحبهم وخُطئ عن صاحبنا ، فنحن
نعطيهما الدية .

(١) شروى الصبي : مثله (٢) قوم القشيرى المقتول .

فأبى الماريثون أن يقبلوا الدية ، وقالوا : نقتلُ بصاحِبنا ، فأبى بنو ضَبَّة ،
 ووقعت الحربُ ، وغضبت بنو سمد فاجتمعوا مع بنى عامر ، وتواعدوا أن يلتقوا بالنَّسار ،
 واستمدوا بنى أسدٍ فأمدُّوهم ؛ فالتقوا بالنَّسار فاقتتلوا ، فصبرت عامر واستحرق بهم
 الشرُّ ، وانفضت بنو سمد فواءلت^(١) لم يُصَب منهم كبير . أما بنو عامر فهزموها
 وقتلوا وسبوا ؛ فقتل شريح بن مالك القُشيري رأسُ بنى عامر ، وصارت سلمى
 بنت الحلقى لمرؤة بن خالد بن نضلة ، وصارت المنقاء بنت همام من بنى أبى بكر بن
 كلاب لزياد بن زبير الأسدى ، وصارت أم خازم بنت كلاب لأرطاة بن مُنقذ
 الأسدى ، ورملة بنت صبيح للحارث بن جزء الأسدى ، وهند بنت وقاص لقيس
 ابن عبد الله الفقمسى ، وأمامة بنت المداء لأسامة بن نعيم الوالى ، فقالت سلمى
 بنت الحلقى تميم مالك بن كعب بفرته والطفيل :

لَحَى الْإِلَهُ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُبَّ الْمَيْرِ جَوَاباً^(٢)
 كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمَعْرَكِهِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا
 لَمْ تَنْمُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سَوَامَكُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابَا

فبمته بنو كلاب إلى القوم فشاطروهم سبيهم ، فقالت الفارعة بنت معاوية من
 بنى قُشَيْرٍ تميمٍ كلاباً بمشاطرتهم الأَحَالِيفِ سبَابَهُمْ يَوْمَئِذٍ :

مَنَا فَوَارِسُ قَاتَلُوا عَنْ سَبِيهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَلَيْسَ لَنَا أَشْطَرُ
 وَلَبِئْسَ مَانَصَرُ الْمَشِيرَةِ ذُو لَحَى^(٣) وَحَفِيفُ نَافِجَةٍ بَلِيلٍ مُسْهِرٍ^(٤)

(١) هربت ، وفي النفاض : فاهضت بنو تميم (٢) جواب : لقب مالك بن كعب ؛ لأنه كان محبوب
 الآبار يغفرها ويخذهما لنفسه (٣) ذو لحي : أى ذو الحية بن عامر بن عوف بن أبى بكر بن
 كلاب ، وشجرت الريح إذا جاءت بهوة (٤) مسهر بن هبديس بن ربيعة بن أبى بكر بن كلاب .

زَعَمَتْ بَزُوحٌ^(١) بَنِي كِلَابٍ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النِّسَاءَ وَأَنْ كَمَا أَدْبَرُوا
 كَذَبَتْ بَزُوحٌ بَنِي كِلَابٍ لِّأُمِّهَا نَمَشَى الضَّرَاءُ^(٢) وَبَوَلَّهَا يَتَفَطَّرُ
 حَاشَى بَنِي الْمُجَنُونِ إِنْ أَبَاهُمْ صَاتُ^(٣) إِذَا سَطَعَ النَّبَارُ الْأَكْدَرُ
 لَوْلَا يَبُوتُ بَنِي الْحَرِيشِ تَقَسَّمَتْ سَبَى الْقَبَائِلِ مَا زُنُّ وَالْمَنْبَرُ

(١) البزوخ : التي تدخل ظهرها وتخرج بطنها (٢) الضراء : ما سترك وواراك
 (٣) صات : له صوت في الناس وذكره ، والصيت : الشديد الصوت ، وفي رواية : لولا بنو نبت ،
 وهلة بنت الحريش ، وبنوها بنو خويلد بن ثعلبة ، وبنو المجنون : من بني أبي بكر .

٢- يَوْمُ الشَّقِيَّةِ

قال بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ سَيِّدُ بَنِي شَيْبَانَ ^(١) لَأُمِّهِ لَيْلى بنت الأحوص : إني قد أَخْدَمْتُكَ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أُمَّةٌ ، وَلَسْتُ مِنْهَا حَتَّى أَخْدَمَكَ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ^(٢) ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : يَا بَنِي لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنَّ بَنِي ضَبَّةَ حَتَّى لَا يَسْلَمَ وَلَا يَنْفَمَ مِنْهُمْ مَنْ غَزَاهُمْ :

ولكنه خرج لفرزهم ، ومعه رجلٌ يَزْجُرُ الطير من بني أسد بن خزيمة يُسَمَّى تَقِيداً .

فلما دنا من نَقَا ^(٣) يقال له نَقَا الْحَسَنُ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةَ صَعِدَهُ لَيْرٌ بَا ^(٤) ، فَإِذَا هُوَ بَنَمٌ قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ فِيهِ أَلْفُ بَعِيرٍ لِمَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ الضَّبِّيِّ قَدْ فَقَا عَيْنَ خَلْطِهَا - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا بَلَفَتْ إِبِلٌ أَحَدِهِمْ أَلْفُ بَعِيرٍ ، تُفَقُّ عَيْنَ أَجْدِهَا لِيُرَدَّ عَنْهَا الْحَسَدُ - وَإِبِلٌ مَنْ تَبِعَهُ وَجَمِيعُهَا إِبِلٌ مُرْتَبِعَةٌ ، وَمَالِكُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ جَوَادٌ .

فلما أَشْرَفَ عَلَى النَّقَا تَخَوَّفَ أَنْ يَرَوْهُ فَيَنْذِرُوا ^(٥) بِهِ ، فَاضْطَجَعَ بَطْنُهُ لظَهْرِهِ ،

* لضبة على شيبان . والشقيقة : كل جمد بين حبل رمل ، وقيل الشقيقة : فرجة في الرمال تلبث العشب ، وهو يسمى أيضاً نقا الحسن ، والحسن اسم رمل يعينه

النفاض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، العقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان . (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن في بكر (٢) ضبة : حى في مضر (٣) النقا : القطعة من الرمل المحدودة (٤) يقال : ربأهم وربأ لهم ؛ صار ربيطة لهم ، أى طليعة (٥) ينذرون : يعلمون .

وانحدر حتى أسهل بمستوى من الأرض ، وقال: يا بني شيبان؛ لم أراك اليوم في الغزاة وكثرة النعم .

فلما نظر نقيد الأسدى إلى رحيّة بسطام مُعفّرة بالتراب حين أسهل تطير له ، وقال :

والذى يُخلف به ؛ لئن صدق طائرُك لتعفرنك بنو ضبة اليوم بالتراب ، فاطننى وانصرف .

فقال له بسطام : أأرجع وقد بلغت غابى وأشرفت على الغنيمة ! فقال الأسدى: إني لست لك بصاحب ، وأنا منصرف عنك وتاركك ، ثم أخذته رعدة تهيبا لفراقه ، وقال له : ارجع يا أبا الصهباء ؛ فإني آنخوف عليك القتل ، فعصاه ، وركب نقيد الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل وطردوها ، وفيها فحلّ لمالك يقال له أبو شاغر - وكان أعمى - ونجا مالك بن المنتفق على فرسه إلى قومه من ضبة ، واستصرخهم قائلا : يا صباها (١) ! فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أدركوا القوم وهم يطردون النعم ، فجمل فحله أبو شاغر يشد من النعم ليرجع ، وتبعه الإبل ، فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السفه يا بسطام ! لا تعقرها لا أبالك ! فامّا لنا وإمالك .

ثم إن رجلا من بني ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بنى ضبة ومعه قوسه وأسهمه وقال : يا بني ضبة ؛ أبى أنتم وأمى ! مرونى بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

(١) يا صباها : كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للفارة ؛ لأنهم أكثر ما يفيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الفارة يوم الصباح ؛ فكان القاتل : يا صباها ! يقول : قد غشنا المدو (لسان العرب - مادة صبح) .

فقالوا : عليك براوية^(١) القوم فإنما هي أنفُسهم ، وقد اشتد الحر - وكانوا قد جَمَعُوا ما كان معهم من ماء على جل لهم - فأهوى أدطاة للجمل الذى عليه الماء بسَهم ، فوضعه فى سالفته^(٢) فقطع نخاع الجمل ، فتَجَمَّبَ^(٣) الجمل على جِرَّانه^(٤) ، وانقَدَّتْ المزدتان اللتان عليه .

فلما رأى أصحاب بسطام من شيان أن الماء قد هُرِيق سَقَطَ فى أيديهم ، واستأسروا ثم ألقوا السلاح .

وكان عاصم بن خليفة الصَّبَّاحى أحد بنى ضبة رجلاً طَرُفَةً^(٥) ، وكان يصنع حديدة له قبل الغزو ، فيُقال له : ما تصنعُ بها يا عاصم ؟ فيقول : أَقْتُلُ بها بسطاماً ، فيَهْزَمُونَ منه . فلما جاء الصريخ بنى ضبة أَسْرَجَ أبو عاصم فرسه ، ثم جعل يشدُّ أزرار الدرع عليه ، فبادره ابنه عاصم وركب فرسَ أبيه فناداه أبوه مراراً ، فجعل لا يلتفت إليه ولا يجيبه ، وسار حتى لحق الفرسان ، ثم سأل رجلاً من فرسان بنى ضبة : أيهم الرئيس ؟ بأبى أنت ؟ فقال : حاميتُهم صاحب الفرس الأدهم - وكان بسطام يحمى قومه فى أخريات الناس على فرس يقال له الزعفران - فعارضه عاصم حتى حاذاه ، ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى صباخ أذنه ، وأنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر ، وهو مُتَمَجِّج بِمِلْءِ صفراء ، ثم نزل إليه عاصم ليسلبه ، فقال له بسطام : إنك قد أحرزت سَلْبِي فعليك غيرى . ثم وقع رأسه على الأُلاء^(٦) من شجر الرمل فات .

فلما رأت ذلك بنو شيان خلَّوْا سبيل النعم ، وولَّوْا الأدبار ، فن قَتِيل وأسير .



(١) الراوية : الزادة فيها الماء ، والبعر والبغل والحمار يستقى عليه (٢) الساقة : ما تخدم من العنق (٣) تجمب : اقلب (٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبجه إلى منحره (٥) طرفة : أحق (٦) الألاء : شجر مر .

وكان عبدُ الله بن عَمَّة الضبي مُنقطعاً إلى بني شيبان بمودته، لأنهم كانوا أخواله
وكان يَفْزُو معهم المغازي ، فلما مات بسطام خاف أن يُقتل ، فقال يرثيه :
لَأُمُّ الْأَرْضِ وَبِلٌ ، مَا أَجَنَّتْ ؟ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالْحَسَنِ السَّيْلُ ^(١)
يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ ^(٢)
أَجِدْكَ لِنِ تَرْيَهُ وَلِنِ نَرَاهُ تَغْبُ بِه عُدَايَرَةُ ذُمُولُ ^(٣)
حَقِيقَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبَّةٌ دَهُولُ ^(٤)
إِلَى مِيعَادِ أَرْضٍ مَكْفَهَرٍ تُضْمَرُ فِي جَوَانِيهِ الْخِيُولُ ^(٥)
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالْعَمَابَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُصُولُ ^(٦)
أَفَاتَهُ بَنُو زَيْدٍ بَنُ عَمْرٍِ وَلَا يُوْفِي بِسُطَامٍ قَتِيلُ ^(٧)

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سترت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : ويل
للأرض كيف سترت رجلاً عظيماً بمكان قرب فيه الطريق من الجبل المسمى الحسن
(٢) أبَا الصَّهْبَاءِ : كنية بسطام ، والأصيل : المشية ، وهو وقت الأضياف . (٣) أجدك :
أجد منك ، وتغب : تمسح ، والجُب : والمذافرة ، الفليضة ، والذمول : السريسة ، والنقى الأول
برؤيته في السلم ، والثاني لرؤيته في الحرب (٤) الحقية : ما يجعل وراء الرجل ، والبدن :
الدرع ، والمربية : السمينة ، والدَّهُول : من الدُّولان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رجل
هذه الناقة درع وسرج ، تعارضها ناقة سمينة (٥) الأَرْضُ : الجيش الكفيف كأنه أنف
في الجبل ، والمكفهر : الكرية النظر ، وتضمر : تملأ القوت القليل بعد السمن ، والمعنى تسير
الناقة به إلى ميعاد جيش كثيف (٦) المرباع : ربع الفتيمة ، وكان الرئيس يأخذه حقاً له عند
الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهي أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما ينفم ، والنشيطه :
ما أسابه الجيش في طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والفضل : ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن
المفقود كانت له إمارة تسوغ له مالا تسوغ لغيره (٧) أفات : تمتد إلى مفولين ، واحدهما
محذوف ، كأنه قال : أفات الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أي الانتفاع به ، وكانهم ضيعوا
دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخرّ على الألاءِ لم يؤسد^(١) كأنّ جبينه سيف مصقيل^(٢)
فإن تجزع عليه بنو آية فقد فجموا وفاتهم جليل^(٣)
يعطّام إذا الأشوال^(٤) راحت^(٥) إلى الحجرات ليس لها فصيل^(٦)



وقالت شمعلة بنت الأخضر بن هبيرة :

ويوم شقيقة الحسنين^(١) لاقت^(٢) بنو شيان آجالاً قصارا
شكنا بالأسنة وهي زور^(٣) صمّأخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه^(٤) أسمر ذا كعوب^(٥) يشبه طوله مسداً^(٦) مفارا
فخرّ على الألاءِ لم يؤسد^(٧) وقد كان الدماه له رخارا

وقال محرز بن المكمبر الضبي ، يفخر بفعال بني ضبة :

أطلقت من شيبان سبعين عارنياً فأبوا جميعاً كلهم ليس يشكرو
إذا كنت في أفناء شيان منمما فجزّ اللحي إن النواصي تكفر
فعلّ نيماً أن تُغيرَ عليكم بجيشٍ وعلى أن أُغيرَ فأقدر
فلا شكركم أبغى إذا كنت منمما ولا ودّكم في آخر الدهر أضمر

(١) الألاء : شجرة ، وشبه بينه لصفاته وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أي لم يكن أغم ،
والضم عند مذكوم (٢) الأشوال : الشول من النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها ، وآى
عليها سبعة أشهر من يوم تاجها أو ثمانية فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن : أي بقية مقدار
ثلاث ما كانت تحلب حدثان تاجها ، واحدتها شائلة والأشوال جمع الجمع (٣) الحسنان : تقوان
من رمل بنى سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقاش : ويوم شقائق الحسنين (٤) رواية
النقاش : * شكنا بالرمح ومن زور * وهي زور : يعني الخيل ، وزور : جمع
أزور من الزور ، وهو الليل (٥) أوجره الرمح : طعنه به في فيه (٦) مسدا مفارا :
حبلا شديد القتل .

وقالت أم بسطام :

لبيك ابن ذى الجدين بكر بن وائل
إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم
فله عيناً من رأى مثله ففى
عزيز الكرى لا يهد جناحه
وحال أنقال وعائد مجير^(١)
سبيك عان لم يجد من يفكه
وتبيك أسرى طالما قد فككتهم
مفرج حومات الخطوب ومدرك
فقد بان منها زينها وجمالها
نجوم سماء يينهن هلالها
إذا الخيل يوم الرقع هب نزالها
وليت إذا الفتيان زلت نعالها
تحمل إليه كل ذاك رعالها
ويبكىك فرسان الوغى ورجالها
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
حروب إذا صالت وعز سبالها

(١) الجمر : الضطر اللبأ .

٣- يوم بزاخة

أغار مُحَرِّقُ النِّسَانِ ، وأخوه في إِيَادٍ ^(١) وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضَبَّةَ بنِ أَدِّ بِزَاخَةَ ، فاستاقوا النِّعَمَ ، فَأَتَى الصَّرِيحُ بنِي ضَبَّةَ فركبوا فَأَدْرَكُوهُ ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثم إن زيدا الفوارس حمل على مُحَرِّقٍ فاعتنقه وأسرهُ ، وأَمَرُوا أَخَاهُ ^(٢) حُبَيْشَ بنَ دَلَفِ السَّيْدِيِّ ، فقتلتهما بنو ضَبَّةَ ، وهُزِمَ الْقَوْمُ ، وَأَصِيبَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فقال في ذلك ابنُ الْقَافِ أَخُو بني ثعلبة ، ثم أحد بني مملوكة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّةَ :

نِعْمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ جَبِيشٍ مُحَرِّقٍ لِحَقْوَاهُمْ يَدْعُونَ بِآلِ ضِرَارِ
زَيْدُ الْفَوَارِسِ كَرَّ وَابْنًا مُنْذِرٍ وَالْخَيْلُ أَوْجَعَهَا ^(٣) بَنُو جَبَّارِ
حَتَّى سَمَوْا لِمُحَرِّقٍ بِرِمَاحِهِمْ بِالْعَمَنَ بَيْنَ كِتَابِ وَغُبَارِ



يَوْمِي بَغْرَةً كَامِلَةً وَبَنَحْرِهِ خَطَرَ النَّفُوسِ وَأَتَى حِينَ خِطَارِ
لَمَّا رَأَوْا يَوْمًا شَدِيدًا بِأَسْهُ كَرَةَ الْحَيَاةِ وَشُقَّةَ الْأَسْفَارِ
وَكَأَنَّ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَارِ لَيْثٌ بِكَفِّهِ النَّيْةَ ضَارِ

● لُصْبَةُ عَلَى إِيَادٍ ، وَبَزَاخَةُ : مَاءٌ

النِّقَاضُ م ١٩٥ طبع أوربة

(١) إِيَادٍ : شَبْعُ عَدْنَانٍ ، أَبُو مِمْ لِيَادِ بْنِ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ قِبَائِلٌ مَشْهُورَةٌ

(٢) كَانَ يُقَالُ لِأَخِي مُحَرِّقٍ فَارِسٍ مُرْدُودٍ (٣) أَوْجَفَ دَابَّتهُ : إِذَا حَشَاها .

وَكَاثُ أَنْارِ الْغَرِيبِ عَلَيْهِمْ وَمَكْرَهُ يَوْمًا مُطَافُ دُؤَارِ
 جَمَلُوا لِمَا فِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَمَّةً صَرَغَى تَضَوَّرُ فِي قَنَا أَكْسَارِ
 وَلَعَمْرُ حَدِّكَ مَا الرِّقَادُ بِطَائِشِ رَعِشَ بَدِيهَتِهِ وَلَا عَوَّارِ^(١)
 لَوْلَا فَوَارِسُهُنَّ قِظْنُ عَوَاطِلَ فِي غَيْرِ مَا نَسَبِ وَلَا إِصْهَارِ

(١) العوار : الضعيف الجبان السريع القراو .

٤- يَوْمَ دَارَةِ مَأْسَلٍ

غزا عُتْبَةُ بْنُ شُتَيْرٍ بْنُ خَالِدِ الْكِلَابِيِّ بَنِي ضَبَّةَ ، فاستاقَ نَعَمَهُمْ ، وقتلَ حصنَ ابنِ ضَرَّارِ الضَّبِيِّ زَيْدًا^(١) الفوارس - وكان يومئذ حدثاً لم يُذكر .

فجمع أبوه ضَرَّارُ قومه ، وخرج نائراً على بني عَمْرُو بْنِ كِلَابٍ ، فأفلت منه عتبة ابن شُتَيْرٍ ، وأسرَ أباه شُتَيْرَ^(٢) بن خالد - وكان شيخاً كبيراً - فأتى به قومه وقال : يا شُتَيْرُ ؛ اخترْ واحدةً من ثلاث ، قال : اغْرِضْهَا عَلَيَّ ، قال : إما أن تردَّ ابني حصيناً قال : فإني لا أنشرُ الموتى ، قال : وإما أن تدفع لي ابنيك عُتْبَةَ أقتله به ، قال : لا ترَضَى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقتبلاً بشيخ أعور ، هامة^(٣) اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلك ، قال : أما هذه فنعم . فأمر ضَرَّارُ ابنَه أذْهَمَ أن يقتله ، فلما قدَّمه ليضرب عنقه ، نادى شُتَيْرُ : يا آل عامر ؛ صَبْرًا^(٤) بصبي . كأنه أَرِيفٌ أن يُقتل بصبي .

فقال في ذلك شملة :

وخيَرْنَا شُتَيْرًا مِنْ ثَلَاثٍ وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليثِ منه^(٥) وبين قُعَاصٍ لَمْتِهِ عِذَارًا^(٦)

* لُصْبَةُ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، ودَارَةُ مَأْسَلٍ : ماء لُقَيْلٍ

العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دَارَةُ مَأْسَلٍ) .

(١) زيد الفوارس : شاعر جاهلي ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم القرنين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولذا قيل : زيد الفوارس (٢) في اللسان : شتير بن خالد : رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أواب لا فانه شتير بن خالد عن الجهل لا يفررك بأنام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أي أقتل صبراً بصبي

(٥) البيت بالكسر : صفح المتن (٦) وفي ذلك يقول عمرو بن لُجَأ :

لا تهج ضبة يا جريز فإنهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شعباً وابن غول وابنه وابنهم يوم دارة مأسل

٥- يَوْمُ النَّقِيَّةِ

كَانَ الْمُثَلَّمُ بْنُ الشَّخْرَةِ الْمَانِذِيُّ الضَّبِّيُّ ^(١) مجاوراً لبني عبس، فتقامر ^(٢) هو وعمارَة ابن زياد المبسي بالقِداح ^(٣)، فقمره ^(٤) عمارَة، حتى حصل عليه عشرة بكار ^(٥)، فقال له المثلَّم: هلمَّ أزايدك في المقارعة حتى تزيدَ عليَّ، أو أخطأ بعضَ ما عليَّ! فقال له عمارَة: ما أنا بفاعلٍ؛ ما أريدُ أن أزيدَ عليك، وقد عجزتَ، وما أريدُ أن أخطأ عنك شيئاً قد ركبتهُ عليك.

فقال له المثلَّم: خلَّ عنِّي حتى آتَى قومي فأبثَ إليك بالذي لك عليَّ؛ فأبى عمارَة إلا أن يرَّهينه. فرهنه ابنه شِرْحَاف، وخرج حتى أتى قومه، فأخذ البكار فأتى بها عمارَة، وافتكَّ ابنه.

فلما انطلق بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه؛ مَنْ مِمْضَالٌ؟ قال: ذلك رجلٌ من بني عمِّك ذهب فلم يوجد إلى الساعة، ولم يحسب له أثر. قال شِرْحَاف: فأبى قد عرفتُ قاتله. قال أبوه: وَمَنْ هو؟ قال: هو عمارَة بن زياد المبسي،

* لضبة على عبس، والنقبة: أرض تنبت الشجر، بين بلاط سليط وبين ضبة. ومسى هنا اليوم أيضاً يوم أعيار.

النفائس من ١٩٣ طبع أوربة، ابن الأثير من ٣٩٤ ج

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضركة (٢) تقامر: تراهن

(٣) القِداح: جمع قِدح وهو ما كان يلعب به الميسر (٤) قره: خلبه

(٥) البكار: جمع بكرة، وهي الفتية من الإبل.

محبته يحدث القوم يوماً - وقد أخذ فيه الشراب - أنه قتله ثم لم يكن له
ناشد .

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبَّ شرحاف ؛ ثم إن عُمارَةَ بن زياد جمع جمعاً
عظيماً من بني عبس ، فأغار بهم على بني ضَبَّة ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم
بنو ضَبَّة ، فأدركوهم في الرَّمْعَى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عُمارَةَ قال : يا عمارَةَ ؛
أُتِمِرْنِي ! قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلَم ، أدّ إلى ابنِ عمي مِعْضَلاً
لا مثله يوم قَتَلْتَهُ .

قال عُمارَةُ : يا شرحاف ؛ اذكر اللَّبْنَ^(١) ، قال شرحاف : الدَّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
اللَّبَنِ ، ثم حمل عليه قَتَلَهُ ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

ففي ذلك يقول المثلَم بن المشَخَرَة :

إِن تُنْكِرُونِي فَأَنَا الْمُثَلَمُ فارسُ صدقِ يوم تَنْصَاحِ الدَّمِ
بَشِيقَتِي^(٢) وفرس مُصَمِّمٌ^(٣) طَعْنَا كَأَفْوَامِ الزَّادِ^(٤) الْمُصَمِّمِ

وقال شرحاف :

أَلَا أَبْلَغُ سَرَاةَ بَنِي بَنِيضٍ^(٥) بما لاقَتِ سَرَاةُ بَنِي زِيَادٍ^(٦)
وما لاقَتِ جَذِيمَةَ إِذْ تُجَاهِي وما لاقِي الفوارس من بِجَادٍ^(٧) .

(١) اللبن : إبل لها لبن ، وهو يريد الدية ، وفي حديث أمية بن خلف لما رآهم يوم بدر
يقتلون قال : أما لكم حاجة في اللبن ، أي تأسرون فتأخذون فداءهم إبلهم . (٢) الشكة :
السلاح . (٣) المصمم : القرس الشديد الصلب ، والذكر والأنثى فيه سواء .
(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الراوية ، ولا تكون إلا من جلد . (٥) بنيض بن ريث
ابن ضطكان . (٦) بنو زياد : الريح بن زياد العبسي وإخوته ، ويسمون الكلة .
(٧) جذيمة وبجاد : بطنان في عبس .

تركنا بالنقيعة آل عبس
 وما إن فاتنا إلا شريد
 فسل عنا عمارة آل عبس
 وسل ورذا وما كل بداد^(١)
 تركتهم بوادي البطن رهنا
 لسيدان القرارة والجلاد^(٢)

(١) بناد : أى متبدين (٢) السيدان : جمع سيد وهو الذئب . والقرارة : المطنن من الأرض . والجلاد : جمع جلد ، وهى الأرض الصلبة المستوية المتن .

١. أيام متفرقة

- ١- يوم جديس
- ٢- ذات الأثل
- ٣- صوءر

١- بيوم جديس

كانت منازل طسم في موضع اليمامة ، وكان يملكهم عمليق ، وكانت معهم جديس ، ولكن عمليقاً في أول مملكته قد تمادى في الظلم والفسم^(١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جديس يقال لها هزيلة ، ولها زوج يقال له ماشق ، فطلقها وأراد أخذ ولد لها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : « يا أيها الملك ؛ إني حملته تسعاً ، ووضعت دافعاً ، وأرضعته شفعاً ؛ حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله ، أراد أن يأخذه مني كرهاً ، ويتركني من بعده ورثاً^(٢) » .

فقال لزوجها : ما حُجَّتْكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أيها الملك أني قد أعطيتها مهر كامل ، لم أصب منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً » . فأمر بالغلام أن يُنزع منهما جميعاً ، ويجعل في غلمانة . فقالت هزيلة :

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمَ لِيَحْكَمَ بَيْنَنَا فَأَفْدَحُكُمْ فِي هَزِيلَةٍ ظَالِمًا

لِعَمْرِي لَقَدْ حُكِمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتُ فِيمَا يُبْرِمُ الْحُكْمَ عَالِمًا

ندمت ولم أندم وأنتي لعتري وأصبح بملي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وشهدى إلى زوجها حتى يراها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً ودُلاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى

* لجديس على طسم ، وطسم وجيس ؛ من العرب البائدة

قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ ،

مذهب الأغاني ص ١ ج ١

(١) الفسم الظلم (٢) ورثه - كفرج : حق .

زُوجَتِ الشَّمُوسُ ، فلما أرادوا سَحْلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعهما القِيَانُ
بَتَفْنَيْنَ :

أَبْدَى بِعَمَلِيقِ وَقَوَى فَارَكْبِي وَبَادِرِي الصَّبْحَ لِأَمِيرٍ مُعْجَبٍ
فَسَوْفَ نَأْفَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِيَكْرَ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرٍ رُبٍ
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا وَهِيَ فِي أَقْبَحِ
مَنْظَرٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْمَرْوَسِ
يَرْضَى بِهِ هَذَا يَا قَوَى حَرًّا أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرِ
لَا خُذْهُ الْمَوْتَ كَذَا لِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَا يَعْزِيسِهِ
وَقَالَتْ تَحَرَّضْ أَهْلَهَا فَمَا أَتَى إِلَيْهَا :

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ
وَتَصْبَحُ تَمْشِي فِي الدَّمَاءِ عُفَيْرَةً (١) عَشِيَّةَ زُفْتٍ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقَرُّ بِذَا الْفَعْلِ
فَوُتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجُرُزْلِ
وإِلَّا فَخَلُّوا بَطْنَهَا ، وَتَحَمَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفِيرٍ وَمُوتُوا مِنَ الْمَزْلِ
فَلَلْبَيْنِ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَذَى وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الْقَذْلِ
وإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَعَابُ مِنَ الْكُحْلِ
وَدُونَكُمْ طِيبُ الْعَرَّوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأَنْوَافِ الْمَرْوَسِ وَلِلنَّسْلِ
فَبُعْدًا وَسُخْقًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْقَحْلِ

فلما سمع أخوها الأسود - وكان سيِّدًا مُطَاعًا - قال لقومه : يامعشر جديس :

(١) قد كان يقال لها الشَّمُوسُ أَيْضًا .

إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا هجرنا وإذهاننا^(١) ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتننا لكان لنا منه النصف ؛ فأطيعوني فيما أمركم به ، فإنه عزُّ الدهر ، وذهاب ذلِّ العمر ، واقبلوا رأيي . وقد أحمى جديس ما سمعوا من قولها ، فقالوا : نُطيعك ، ولكنَّ القوم أكثر وأخفى وأقوى . قال : فإنِّي أصنعُ للملك طعاما ، ثم أدعوهم له جميعا ، فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا ، فأحمدناهم بها . قالوا : نفعل .

وصنع طعاما كثيرا ، وخرج به إلى ظهر بلادهم ، ودعا عمليقا ، وسأله أن يتخذى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلى والحلل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ؛ فشدَّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف ، شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحدا ، وقال الأسود في ذلك :

ذوق ببنيك ياطسم مجلَّةً فقد أتيت لعمري أعجبَ المعجبِ
إنَّا أتينا فلم ننفك نقتلهم والبقى هيج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بنبيهم أبداً ولن يكونوا كذى أنف ولا ذنب
وإن دعيت لنا قرني مؤكدة كنا الأقارب في الأرحام والنسب

(١) الإذهان : إظهار خلاف ما يضمره الفش .

٢- يَوْمَ ذَاتِ الْأُتْلُ

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمي بنى أسد بن خزيمه ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصَّريخ^(١) بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأُتْل^(٢) فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطمعن ربيعة بن نور الأسدي صخرأ في جنبه وفات القومُ بالفنيمة ، وجوى^(٣) صخر من الطمئة ، فكان مريضاً قريباً من الحول ، حتى ماته أهلُه .

وفي أحدِ الأيام سمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته : كيف بَمُلك ؟ قالت : لا حى فيرجى ، ولا ميت فينسى ؛ لقد لقينا منه الأمرَ بن^(٤) . ثم سمعها تسأل أمه كيف صخر ؟ فنقول : أرجو له المافية ، فقال في ذلك :

أرى أمَّ صخر لا تملَّ عيادتي وملتَّ سُلَيْمى مضجعى ومكاني
وما كنت أخشى أن أكونَ جنازةً^(٥) عليكِ ومن يفتُرُ بالحدَثان ؟
أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العيرِ والزَّوان^(٦)

* لأسد على سليم ، وذات الأُتْل : موضع في بلاد نيم الله بن ثعلبة
العقد الفريد ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزنة الأدب البغدادي ص ٢٩٢
(١) الصريخ : السنينث (٢) ذات الأُتْل : موضع في بلاد نيم الله بن ثعلبة وقد سماها الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بيني وبينكم بنى الأُتْل مثل صنى ومصرى
أشدُّ بأعناق النوى بعد هذه صرائر إن جاذبتها لم تطع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقبل هو داء يأخذ في الصدر - جوى (كفرج) (٤) الأمران : الشر والأمر العظيم ؛ كما في اللسان (مادة مر) (٥) إنا أنقل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، جاء هذا المعنى في لسان العرب مادة (جنز) وأورد هذا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشى والأمل . والزَّوان : الوئب .

لعمري لقد نهتُ من كان نائماً وأسمتُ من كانت له أذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها محلّةٌ بعُوبِ برأسِ سنان^(١)
وأى امرئٍ ساوى بأمرٍ حليّة^(٢) فلا عاش إلا في شقاءٍ وهوان

فلما طال عليه البلاء - وقد تنأت فطمة مثل السكبد في جنبه في موضع الطعنة -
قالوا له : لو قطعنا رجوتَ أن تَبْرَأ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فهو
فأبى . وقالو : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأخموا له شفرةً ، ثم قطعوها من نفسه ،
ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبرُ ، فقال صخر في ذلك :

أجارتنا إن الخطرب تنوب على الناس كل المخطئين نصيب
فإن تسأليني هل صبرتُ فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليب
كأنى وقد أدنو أدنوا إلى شِقَارهم من الصبر دأى الصفة حنين^(٣) رَكُوبُ
أجارتنا لست الفداء بظاعنٍ ولكنى مقيم ما أقام عسيب^(٤)
ثم لم يلبث أن مات ، ، ودفن بعسيب .
فقال الخنساء تربيته :

أعني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجليل ألا تبكيان الفتى السيداً
طويل النجاد رفيع العمأ د ساد عشيرته أمرداً
إذا القوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يداً
فقال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مُصغداً
يكلفه القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولداً
رى الحمد يهوى إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يُجمداً

(١) اليسوب: السيد والرئيس . قال في اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان ،
يعنى : أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت . (٢) الحليّة : الزوجة . (٣) الصفة من
الرجل : جنبه . والركوب : كثير الركوب . (٤) عسيب : اسم جبل بماله نجد .

٢- بيوم صموءر

أَجْدَبَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَصَابَتْ بَنِي حَنْظَلَةَ ^(١) سَنَةً ، فَبَلَغَهُمْ خِصْبٌ بِلَادِ كَلْبٍ ^(٢) بَنٍ وَبَرَّةٍ ، فَانْتَجَمَوا بَنُو حَنْظَلَةَ ، فَزَلُّوا صَوَاهِرَ ، وَكَانَتْ بَنُو يَرْبُوعٍ قُدَّامَ النَّاسِ ، فَزَلُّوا أَقْصَى الْوَادِي ، وَتَسَرَّعَ غَالِبٌ ^(٣) بَنِ صَمْعَةَ فِيهِمْ وَحْدَهُ ، دُونَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ غَالِبٍ ، فَلَمَّا زَلُّوا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ نَحْبَسَ مِنْهَا نَاقَةً كَوْمَاءَ ^(٤) فَفَجَّرَهَا وَأَطْعَمَهَا .

فَقَالَ أَنَاسٌ: لَيْسَ فِينَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَدْ نَحَرُ وَلَمْ نَنْحَرْ؟ فَقَالُوا لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ ^(٥) الرِّيَّاحِيُّ: انْحَرُ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ نَحْبَسَ مِنْهَا نَاقَةً فَفَجَّرَهَا مِنْ الْفَدْرِ فَأَطْعَمَهَا .

* لبني حنظلة على بني رباح (كلاهما من تميم) . وصورة: ماء لكلب فوق الكوفة مما يبل الشام، وهو من الأيام التي آثرنا ذكرها في هذا الجزء ، وإن كانت متصل من حيث الزمن بالإسلام .
تخزانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغاني ص ٥ ج ١٩ ، الطائض ص ١١٤ ،
١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالي ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦ ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥ .

(١) م بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة: قبيلة في قضاة، وقضاة من حمير في رأي بعض النساين (٣) غالب بن صمعة أبو الفرزدق الشاعر ، من بني مالك بن حنظلة ، وأبوه صمعة محي الموءودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهرحق لحق على بن أبي طالب بالبصرة ، ومات في إمارة يزيد وملك معاوية (٤) الكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رباح : قبيلة في يربوع ، وسحيم ابن وثيل : شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال عنه : شاعر خنذيذ شريف معهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع في قومه .

قِيلَ لِلْأَب : إِنَّمَا نَحْرُ^(١) سَحِيمٍ مَوَاءَمَةٌ^(٢) ؛ فَضَحَكَ غَالِبٌ ، وَقَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ كَرِيمٌ ، وَسَوْفَ أَنْظُرَ .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهُمَا فَأَطْعَمَهُمَا ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سَحِيمٍ نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَأَطْعَمَهُمَا ، فَقَالَ غَالِبٌ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْمَنِي .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا عَشْرًا فَمَقَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَ يَنْحَرُهَا فَانْفَلَتَتْ نَاقَةٌ مِنْهَا ، فَاِنْشَامَتْ^(٣) فِي بَنِي يَرْبُوعَ ، فَرَكِبَ غَالِبٌ فَرَسَهُ ، فَأَدْرَكَهَا عِنْدَ بَيْتِ الْحَرَمَاءِ^(٤) ، وَكَانَتْ أَمْرَأَةُ الْهَذَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عُتَيْبَةَ ، فَمَقَرَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ^(٥) فِي سَبِيلِهَا ، فَقَالَتْ الْحَرَمَاءُ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ؟ فَقَالَ : دُونَكَ فَاجْتَرِيَهَا ، فَإِنِّي لَا أَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ أَجْزِرُهَا ، فَسَأَلَتْ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غَالِبُ بْنُ صَمْعَمَةَ . فَقَالَتْ : وَاسْوِءَ تَاهَ !

وَرَجَعَ غَالِبٌ فَصَبَّ قُدُورَهُ ، وَغَاطَ ذَلِكَ بَنِي يَرْبُوعَ ، فَأَتَوْا سَيِّدَهُمُ الْهَذَلِيَّ ، فَتَجَمَّعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا تَرَى ؟ قَدْ فَضَخْنَا هَذَا ، وَصَنَعَ مَا تَرَى ، فَاِذَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ الْهَذَلِيُّ : أَرَى أَنَّ تَأْتُوهُ فَتَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا نَحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ صُنْعِهِ . قَالُوا : لَا ، بَلْ إِذَا فَرِغَ مِنْ قُدُورِهِ عَدَوْنَا فَكَفَأْنَاهَا بِمَا فِيهَا فَفَضَخْنَاهُ ؛ وَإِنْ بَنِي مَالِكٍ حُلَمَاءُ رُجِحُ فَنَاتِيهِمْ ، فَتَقِرُّ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ فَيَنْفَرُونَ لَنَا . قَالُوا ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ الْحَرَمَاءِ ؛ فَتَقَنَّنَتْ رِمْلَ حَفَّتَيْهَا ، وَخَرَجَتْ مِنْ كَيْسَرِ بَيْتِهَا ،

(١) رَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ تَلَحَّتْ إِنْ زَوَّجَتْ ابْنَهَا بِمَجْرَدٍ أَنْ تَنْحَرَ جُزُورَيْنِ فزوجه تَلَحَّتْ جُزُورَيْنِ لِنِسْرِهَا ، فَوَافَقَ ذَلِكَ نَحْرَ غَالِبٍ فَظَنَّ أَنَّهُ مَوَاءَمَةٌ فَلِهَذَا الْأَمْرُ وَفِي ذَلِكَ يَحُولُ الْأَعْرُوسُ :

فَكَانَ بِخَيْرٍ قَبْلَ قُبَّةِ عَجْرَدٍ وَقَبْلَ جُزُورِي أُمِّهِ يَوْمَ صَوَرٍ
(٢) مَوَاءَمَةٌ : مَبَاهَاةٌ (٣) انْشَامَتْ : دَخَلَتْ (٤) هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ هَوَافِ بْنِ الْقَطَّاعِ
(٥) كَتَبَ وَجَارَ ، وَالسَّبِيلَةُ : مَوْضِعُ النَّحْرِ ، ذَلِكَ لِلسَّكَّانِ لَا يَحُلُو مِنْ شَعْرَاتِ هُنَاكَ .

فَأَتَتْ غَالِبًا ، فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ سِيرَ بِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ ! ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَرِيدُونَ بِهِ .
 قَالَ : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عَوْفٍ ، وَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَكْفُتُوا قُدُورَكَ
 بِمَا فِيهَا ، فَيَقْنَمُوكَ خِزْيَةً . فَقَالَ : هَلْ شَمَرَ بِكَ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : فَارْجِعِي
 بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي !

فَحَمَلَ ابْنَهُ وَابْنَ أَخِيهِ لَهُ عَلَى فَرَسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : خُذَا أَعْدَاءَ^(١) الْوَادِي ، فَانْظُرَا
 أَوَّلَ صَرَمٍ^(٢) تَرَيَانِهِ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، فَعَلِيَّ بِهِ ، وَأَحْشُرَا مَنْ تَقِيْتُمَا مِنْهُمْ ، فَلَقِيَ
 أَحَدُهُمَا صَرَمًا مِنْ بَنِي فُقَيْمٍ ، وَلَقِيَ الْآخَرُ صَرَمًا مِنْ بَنِي سُبَيْعٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي طُهْمِيَّةَ ،
 فَحَشَرَاهُمْ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى كُلِّ صَمْبٍ وَذُلُولٍ ، حَتَّى تَزَلُّوا حَوْلَ غَالِبٍ ، وَاسْتَيْقِظَ الْهَذَلِيُّ
 فَقَامَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أَيْبَاتُ وَرَجَالٌ لَمْ يَكُنْ عَهْدُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَقَالَ : إِنِّي
 لَا تَعْرِفُ وَجُوهَهَا لَمْ أَرَهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَيْبِيَّةَ وَرَجَالًا ؛ فَبِعَثَ إِلَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَقَالَ :
 أَرُونِي مَا أَرَى ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : جَاءَ كَمْ قَوْمٌ يَمْنَعُونَ قُدُورَهُمْ ؛ أَلَيْسَ هَذَا فُلَانٌ ؟
 وَهَذَا فُلَانٌ ! أَفَتَرَوْنَ أَنْ تَقْتُلُوا هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ جُرْمٍ ! قَالُوا : فَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَرَى
 أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا يَنْحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ مَا يَصْنَعُ .

فَقَعْدُوا فَأَكَلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، ثُمَّ قَالُوا لِسُحَيْمٍ : اعْقِرِي . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَقُومُ
 لِنَحَارِي بَنِي مَالِكٍ ، إِنَّمَا أَقُومُ لِنَوَى كَاهِمٍ ، قَالُوا : إِنَّا نُرِيدُكَ^(٣) . قَالَ : فَعَلِيَ بَنِي مَالِكٍ
 تُمُوتُونَ بِالرَّقْدِ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَمْوَالًا .

ثُمَّ وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ ، فَمَقَرَّ مِنْهَا خَمْسَ عَشْرَةَ أَوْ عَشْرِينَ فَضَحَكَ غَالِبٌ ؛ وَكَانَتْ
 إِبِلُ غَالِبٍ تَرْدُ الْخَمْسَ^(٤) ، فَجَاءَ غِلْمَتُهُ قَدْ جَبَّوْا^(٥) فِي حَيَاضِهِمْ أَنْصَافَهَا ، فَقَالَ لَهُمْ :

(١) أَيْ نَاحِيَّتِهِ أَيْ أَنْتَ عَنْ يَمِينٍ وَأَنْتَ عَنْ شِمَالٍ هَاهُنَا وَهَاهُنَا (٢) الصَّرَمُ : الْجَمَاعَةُ

(٣) أَرَفَدَهُ : أَعَانَهُ (٤) الْخَمْسُ : مِنْ أَطْلَاءِ الْإِبِلِ ، وَهِيَ أَنْ تَرعى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدَّ الرَّابِعَ

(٥) قَالَ فِي اللِّسَانِ : الْجَبَا ؛ أَنْ يَتَقَدَّمَ السَّاقُ لِلْإِبِلِ قَبْلَ وَرُودِهَا يَوْمَ فِيَجِي لَهَا الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ
 ثُمَّ يَوْرُدُهَا فِي النَّدَى .

قَدْ كُفُّوا^(١) الْآنَ ، فَقَدْ أَرَوَيْتُمْ . قَالُوا لَهُ : وَكَيْفَ أَرَوَيْنَا ؟ وَإِنَّمَا جَبَيْنَا فِي أَنْصَافِ
الْحِيَاضِ وَكُنَّا نَعْلُوها ثُمَّ لَا نَضِيطُهَا حَتَّى نَأْخُذَ عَلَيْهَا قَبْلاً^(٢) سَقِيّاً عَلَى رُءُوسِهَا فَتَنْسَقِيهَا
فَقَالَ : بَلَى قَدْ أَرَوَيْتُمْ فَحَسْبُكُمْ .

فَلَمَّا حَانَ وِرْدُهَا لِبَسَ حُلَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَانْطَلَقَ مَعَهُ الْفَرَزْدَقُ .

قَالَ الْفَرَزْدَقُ : فَعَلَوْنَا صَوْنَهُ ، وَجَاءَتِ الْإِبِلُ فَأَمْسَلَتْ حَتَّى إِذَا أُدْرِتْ فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهَا شَيْءٌ ائْتَضَى سَيْفَهُ فَأَهْوَى لِمَرْقُوبَتِي آخِرَهَا ، فَفَرَنْ لَمَّا رَأَيْنِ الدَّمَ ، وَوَجَدْنِ
رِيحَهُ ؛ فَدَعَرْنِ فَأَقْبَلْنَ حَتَّى أَطْفَنَ بِالْحِيَاضِ نَوَافِيرَ عِطَاشًا ، وَأَقْبَلَ فِي أَثَرِهَا ؛ فَلَمَّا
لَحِقَهَا جَمَلَ يَقُولُ : عَقْرَاءُ عَقْرَاءُ ، وَيَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : رَدَّهَا يَا هُمَيْمُ^(٣) ، فَجَمَلَ الْفَرَزْدَقُ
يَقُولُ : إِيَّاهُ عَقْرَاءُ ! إِيَّاهُ عَقْرَاءُ !

فَجَمَلَ يَحْمِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِيَاضِ ، فَكَلِمَا وَرَدَ بَعِيرُهُ عَقْرَهُ ، حَتَّى اضْطَرَّهَا إِلَى
بَيْتِ أُمِّ سُوْحَيْمٍ - لَيْلَى بِنْتُ شَدَّادٍ - فَمَقَرَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، حَتَّى قُطِعَتْ
أُطُنَابُهُ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ فَسَبَّتْهُ وَدَعَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا غَالِبُ ؛ إِنَّ عَقْرَكَ
لَنْ يُذْهِبَ لَوْ مَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ كَلُّوا مِنْ هَذَا شَحْمًا وَلَحْمًا .
وَجَمَلَ يَمَقَرُّهَا وَيَرْتَجِزُ :

خَذَلْنِي قَوْنِي وَحَانَ وِرْدِي أَسَوَّهَا بَنَى حُسَامٍ فَرْدٍ
هَلْ أَنْتَ يَا سُوْحَيْمُ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ كَالْفِلْدِ^(٤) مِنَ الْمُدِّ

(١) حَبِمْ (٢) الْقَبْلُ : أَنْ تَقْرَبَ الْإِبِلُ السَّاءَ وَهُوَ يَصُبُّ فِيهِ فَيَصْبِيهَا شَيْءٌ مِنْهُ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

بَالَرِثِ مَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْعَبْلِ وَبِالْجَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْقَبْلِ

(٣) : تَصْغِيرُ هَامٍ ، وَهُوَ اسْمُ الْفَرَزْدَقِ (٤) الْقَلْدُ فِي الْأَصْلِ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ ، وَغَدُ
الْبَعِيرِ فَأَغْدَ فَهُوَ مَغْدٌ ، أَيْ بِهِ غَدَةٌ ، وَالْأَتَى مَغْدٌ أَيْضًا بِغَيْرِ هَاءٍ .

وقال :

آل رياح إنه الفِصَّاحُ وإنها الخاضُ واللقاحُ
قد شاع في أسواقها^(١) الجراح فلا تَضْجِي واصبري رياحُ
قال سُحيم^(٢) : فلم أزل أطمع أن يكفَّ حتى مرَّ بفَحْلٍ منها ثمنه أربعة آلاف
درهم فَمَقَرَه ؛ فلما عقره علمت أنه لن يَسْتَبْقَى شيئاً .
فذهب سُحيم بكفِّه عنه فأهوى إليه السيفُ فأصاب ركبته ، فقطع إحدى
رجليه .

فمقر أربعةائة بمير ، فطالبه عثمان^(٣) رضى الله عنه ليماقبه ، فركب إلى أبيه
صمصمة فرحب به ، وقال : حاجتك ! قال : جئتُ أُتَخِيفُ على ما عقرتُ ، فقد
رَحَضْتُ^(٤) عنك الدَّم والعار ، فأخِيف لي . قال : نعم وكرامة ! أخلف ما عقرتُ ،
وأشترطُ لِحليكَ ألا تَمَقَّرَ بميراً ولا بهيمة ولا نَمَذَّ بها ولا تتلَّ بها . قال غالب :
لا أعطيك هذا الشرط أبداً . قال : فلا ، إلا على هذا الشرط .

فلحق بالبصرة فأتى منزل الحنات بن زيد فالتزمه وتبَّله ، وقال : أقم تخرج
أعطية الحى ، وفيهم ثمانون على ألفين ، فنقاسمك من أعطيتهم ، ففعل ، فأخذ
ما أعطاه ، فارتحل بحمل وَرَقٍ^(٥) ، فأتى الموسم براحلة دراهم ؛ فلما قضى نُسكَه
زار البيت في أول الناس ، ثم ركب بين خُرَجِيه بميراً نجيباً لا يُجَارَى ، ثم نادى

(١) أسوق : جمع ساق (٢) غلام غالب كان أبصر الناس بالليل وأرعاهم
(٣) وفي خزنة الأدب : إنه لما انقضت الجماعة ، ودخل الناس الكوفة قالت بنو رياح لسُحيم :
جررت علينا عار الأبد ، هلا نَحَرْتَ مثل ما نَحَرَّ غالب ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؛
فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونَحَرَّ نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع
الناس من أسكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا الفخرة والباهة ،
لجِعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (٤) رحضت : غسلت
(٥) الورق : الدراهم المضروبة .

بالطلحاء يأبها الناس ؛ أنا غالبُ بنِ صعصعة ، فن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح
الخرجين ، ثم حثاً أمامه ، وعن يمينه وعن شماله ووراءه ، حتى إذا فرغ الخرجين من
الورق أحال السوط في بطن البعير ثم نجأ .

فقليل لثمان : عتبت على غالب في المقر وأخفته وطلبت له لتماقبه ، فهاهو ذلك
قد أنهب ماله ، فبعث في طلبه ، فهرب ، فأعجزهم .

نقال في ذلك ذو الخرق الطهورى :

أبغ رباحاً على نأبها	ورمط الحجل شفاة الكلب
فلا تبعثوا منكم فارطاً	قصير الرشاء صغير الغرب ^(١)
يُمارض بالذلّو فيض الفرات	تصك أواذيه ^(٢) بالخشب
فا كان ذنبُ بنى مالك	بأن سبّ منهم غلام فسبّ
عراقب كُوم طوال الدرى	تخرّ بوائكهما ^(٣) للرؤكب
بأبيض يهترّ في كفه	يقط ^(٤) العظام ويبرى المصب
يسامى قروم ^(٥) بنى دارم	يسامى لهم غالباً قد غلب
فأبقى سحيم ^(٦) على ماله	وهاب السؤل وخاف الهرب ^(٧)

(١) الغرب : الدلو ، والفارط : المتقدم السابق إلى الماء ، يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرسان
والدلاء ويعلأ الحياض ويستقى لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارط والقوم

فراط (٢) الأواذى : جمع الأذى : الموج (٣) بوائك الأيل : سماتها

(٤) القط : القطع عامة ، وقيل : قطع الشيء الصلب (٥) القرم : الفعل الذى يترك من

الركوب والعمل ويودع للفحلة وجمه قروم ، والقرم من الرجال : السيد العظيم على المثل بذئك

(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحى (٧) فى رواية : الحرب .

المشاع
عفا الله عنه

مُلْحَق
فِي انْسَابِ الْعَرَبِ

أَنسابُ الْعَرَبِ

العَرَبُ بِالْعِارَةِ

ويقال فيهم العرب العرباء - وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . والمشهور منهم شُعْبَان : الشَّعْبُ الْأَوَّلُ : جُرْهُم^(١) ، والشَّعْبُ الثَّانِي يَمْرُب^(٢) .

ويعرب هو أَصْلُ عرب اليمن - ومنه تناسلوا - وَوُلْدُهُ يَشْجُبُ ، وولد يشجب سبأ - ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى حيين عظيمين : حُمَيْر^(٣) وَكَهْلَان^(٤) :

حُمَيْر

هو حُمَيْر بن سَبَأ ، وله عشرة أولاد من عَقِبِهِ ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

* رجعت في تحرر هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونسب قحطان وعدنان للبرد ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، ونهاية الأرب للنوري ، وقد أثبتنا هذه الأنساب هنا تسميلاً لقارئ هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أشرنا في كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل لإشارات مختصرة في حواشي الكتاب

(١) وهناك جرم المذكورة في العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فلأموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عرباً ، مشتقاً من عرب (٣) ويقال إن اسمه الرنحج ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها (٤) كانت كهلان في أول أمرها قد تداولت الملك مع بني حمير ، ثم اشرد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت حكمهم ، ثم تقاصر ملك حمير .

منهم : الحمَيْسَع وَمَالِك ، ومن مالِك كان قُضاعة^(١) ، وإلى قُضاعة ينسب جلُّ قبائل رَحْبَر .

والشهور من قُضاعة سبعة أحياء : بِلَى^(٢) ، « ومن بطونهم بنو ناب » ، وَجُمَيْنة^(٣) ، وَكَلْب^(٤) ، وَعُذْرَة^(٥) ، وَبَهْرَاء^(٦) ، وَنَهْد^(٧) ، وَجَرَم (ومنهم بنو جَرَم وبنو قدامة وبنو عوف) .

كهلان

هو كَهْلان بن سَبَأ ، وحيُّ من أعظم أحياء اليمن ، وأكثَرهم قبائل ، والشهور منهم إحدى عشرة قبيلة :

١ — الأزْد ، وهم ثلاثة أقسام : أَرْدُ شَنْوَة^(٨) وأَرْدُ السَّرَاة^(٩) ، وأَزْد مَهْمَان^(١٠) .

(١) ذهب بعض النساين إلى أن قُضاعة من قبائل عدنان ، وحق السجيل قال : الصحيح أن أم قُضاعة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير وهي حامل ، فزوجها معد بن عدنان ، فولدت له قُضاعة على فراشه ، فبناه ، فنسب إليه . قال بعض رجالهم : قُضاعة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر

(٢) والنسب إلى بلى بلوى (٣) والنسب إلى جُمَيْنة جهني (٤) م بنو كلب بن وبرة ومنهم حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) لل هذرة هذه ينسب المشق والتيم ومنهم عروة بن حزام صاحب عفرأ ، وجبل صاحب بئنة (٦) كانت منازلهم من ينبع إلى عقبة أيلة ، ومنهم القناد بن الأسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ، واليهيم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) م بنو نصر بن الأزْد ، وشنوة لقب لنصر غلب على بني (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن تزل به فرقة منهم ففرقوا به (١٠) ممان : مدينة بالبحرين ، تزلها قوم منهم ففرقوا بها .

وبطونهم كثيرة : منهم غَسَّان^(١) والأوس والخزرج^(٢) .

وفى الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فمن بطون الأوس : بنو النُبَيْت ،
وبنو عمرو^(٣) بن عوف وبنو السَّمِيعَة وبنو عبد الأشهل وبنو ظَفَر وبنو جَعْفَر جَعْفَرِي .
ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بَيَاضَة وبنو ساعدة^(٤) وبنو سَلَم ، وبنو عوف^(٥)
ابن الخزرج .

٢ — طي^(٦) : ومن بطونهم بنو تيم^(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبْهَان
ابن عمر ، وندمل^(٨) بن عمرو ، وجَرَم بن عمر ، وجَدِيلَة ، وبوَلَان وهِنَاء^(٩) ،
وسُدُوس^(١٠) ، وُبُخْتَر^(١١) ، وزَيْد ، وسِنْدِس ، وَغَزِيَّة ، وَلَام^(١٢) ، والفوث .

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فسموا به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام
بعد سليح إلى أن انتهى إسلام آخر ملوكهم جيلة بن الأيهم ، ثم ارتداده وحوقه ييلاد
الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياً بن عامر ماء السماء
ابن حارثة الفطريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم
يترتب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد
ابن عباد (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طي في اليمن ،
ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل الهم فزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا
بني أسد على جبلى أجا وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بمجلى طي^{*}
(٧) فيهم يقول امرؤ القيس :

أفر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرى العرب ؛ ولإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

(٩) منهم لإس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عبادة البعترى الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طي^{*} .

٣ — مَذْحَج^(١) ؛ ومن بطونهم خَوْلَان ، وَجَنْب^(٢) (وم بنو منبّه والحارث
والفليّ وسَيْحَان وَشِرْزَان وَهِفَّان) وَسَعْد^(٣) المشيرة (وم أَوْذ^(٤)) وَجُفَيْ^(٥)
وَزُبَيْد^(٦)) وَالنَّخَع^(٧) وَعَنْس^(٨) وبنو الحارث^(٩) ، وَصَدَّاه .
٤ — مُرَاد^(١٠) .

٥ — هَمْدَان^(١١) .

٦ — كَنْدَة ، ومن بطونهم بنو مُعَاوِيَة^(١٢) وَالرَّائِش^(١٣) وَالسَّكُون وَالسَّكَاسِك
وَبْنُو حُجْر^(١٤) وبنو الجون .
٧ — جَذَام^(١٥) .

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قيل : سموا جنباً لأنهم
جانبوا أخام صداء وحالفوا سعد المشيرة ، وحالفت صداء بنى الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية
الحجير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب ابى وائل ، ولهم بقول المهلهل :
أنكحها فقدما الأراحم فى جنب وكان الجباء من آدم
(٣) سى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ؛ فكان إذا سئل
عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى — دفعا للعين عنهم — فليل لهم سعد المشيرة (٤) منهم الأنوفه
الأوذى الشاعر (٥) إليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم همرو بن معديكرب
(٧) منهم الأشتر النخعى والى على بن أبى طالب على مصر (٨) منهم همار بن ياسر
الصحابى ، والأسود العنسى المتنبئ (٩) منهم عبيد ينفث الشاعر قتيل يوم الكلاب الذى
(١٠) يقال : اسمه يحاير فتمرد فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبى طالب ،
وفيهم يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لميد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا فى ذيك همدان ظالم
مضى تجمع القلب الذكى وصارماً وأتقاً حياً تمنيتك الظالم
(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمام

(١٣) رهط شريح القاضى (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم فى كهلان على المشهور ، وبعضهم يردم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

٨ - أنمار^(١) ، وولد له بجيلة^(٢) وخشم^(٣) .

٩ - نخم^(٤) .

١٠ - عاملة .

١١ - الأشعريون^(٥) .

أ العرب المستعربة "العدنانية" (٦)

ويقال لهم العرب المتعربة^(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - والوجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلمهم من بنى عدنان بن أدد ؛ والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالعدنانية .

وولد لعدنان : عكّ ومعدّ ، والنسب فيه يتحدر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم قنص^(٧) ، وزرار^(٨) ، والنسب في ولده إلى زرار .

(١) بعضهم ينسب أنمار إلى عدنان ويقول : إن زرار بن معد بن عدنان ولد له مضر وريمة ولإداد وأنمار ، وولد لأنمار بجيلة وخشم ، فصاروا إلى اليمن (٢) منهم جرير بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :
لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتي وثبت القيسله
(٣) منهم حران الذي يقول :

أقسدت لا أموت إلا حراً وإن وجدت الموت طعماً مرا
أخاف أن أخدع أو أغرا

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأشعريون : رهط أبي موسى الأشعري (٦) سمووا بذلك لأن لسان إسماعيل - عليه السلام - كان العبرانية أو السريانية فلما تزلت جرحهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه .
(٧) في المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفي المعارف ذكر منهم قضاة وأنها صارت إلى حمير ، والصحيح ما ذكرناه أنها في حمير نسباً ووطناً ، وذكر أيضاً لإداداً منهم .

وولد نزار أربعة : إياد وأثمار ورييمة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل - عليه السلام -

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر^(١) .
وأما أثمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

رَبِيعَة

هو ربيعة^(٢) بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تكن بطونها ، ومنها بنو أحس^(٣) وبنو الحارث وبنو دوفن^(٤)



وأسد قبيلة تعددت بطونها وأفخاذها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .
ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .
فمن عبد القيس : صباح^(٥) بن لسكيز ، وبنو غنم بن وديعة ، وعجل بن عمرو^(٦)
ومحارب بن عمرو^(٧) ، وجديمة بن عوف^(٨) .

-
- (١) يذكر قوم أن تقيماً منهم ، والأرجح أنه من قيس عيلان كما سيأتي . ومنهم قيس بن ساعدة
وكعب بن مامة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق . (٢) ويعرف بربيعة القرس ؛
لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخيول (٣) إلى بني أحس ينسب المسبب بن علس الشاعر
(٤) منهم التلس الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة في الجاهلية
(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبي عليه الصلاة والسلام (٦) منهم
صمعة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب (٧) منهم عبد الله بن همام ،
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود البدي .

وعصر^(١) بن عوف ، وشن بن أفضى ، وتعلبة بن أنمار ، ونكرة^(٢) بن لكيز
والدليل^(٣) بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فمن ولده تيم^(٤) الله ، وأوس^(٥) مناة ، وعبد مناة ،
وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وتغلب ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .



فمن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وخيفة بن لجيم بن صعب
وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشيبان [بنو تعلبة بن عكابة بن صعب]

فيشكر : من بطونهم بنو غبر بن غنم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب^(٦) بن
يشكر ، وذبيان^(٧) بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن لجيم^(٨) : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسعد ،
وكعب بن الأسعد ، وبنو داف بن جشم ، وعبد المزى بن داف ، وضبيعة بن عجل
وسعد بن عجل

(١) هم رهط الأشج ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لحصلتين يحبهما
الله : الحلم والأناة (٢) منهم المثقب العبدى والمزق العبدى الشاعران (٣) منهم سحيم بن
عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص (٤) منهم
الضحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيبان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت
الضحى فيقضى بينهم (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم . كان أصابه سباه في الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبيد الله بن جعدان فأعتقه
(٦) رهط ابن الكواء (٧) رهط سويد بن أبي كاهل (٨) منهم حنظلة بن تعلبة بن سيار ،
وكان سيدهم يوم ذي قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والمديل بن الفرخ الشاعر .

وحنيفة^(١) بن الحليم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ،
وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .
وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر^(٢)
(ربيعة بن ضبيعة) ومنهم المسامعة وعُباد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد
ابن مالك .
وتيم الله بن ثعلبة^(٣) : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ،
وبنو زيمان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حنم .
وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيبان وبنو رقاش^(٤) وبنو عامر
ابن ذهل وبنو عمرو بن شيبان بن ذهل .
وشيبان بن ثعلبة^(٥) : من بطونهم بنو محم ، وبنو الحارث وربيعة ، وبنو مرة ،
وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث
ابن ذهل .



(١) منهم هودة بن علي ، محمدوح الأعشى ، وشعر بن عمرو قاتل النضر بن ماء السماء يوم
عين اباخ . ومنهم مسيلة الكذاب ، ونجدة الحروري (٢) منهم الأعشى . يمين بن قيس
وربيعة الجحدري فارس بكر يوم تجلان اللم ، والحارث بن عباد فارس النعام ، وكان على جماعة
بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللهازم ، وكانوا حلفاء بني عجل
(٤) رهط الحصين بن النضر والقعقاع بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن
قيس فارس بن شيبان في الجاهلية ، وقد ربح الدهليين واللاهزم اثني عشر مرباعاً ، وهاني بن
قيصة الذي أجاز عيال النعمان بن النضر وماله عن كسرى وبسبه كانت وقعة ذي قار ، وعوف
ابن محم وفيه يقال : لا خير بوادي عوف ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، ومام بن مرة ،
والضحاك بن قيس ، والمثنى بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فن بطونها الأرقام^(١) [وهم چشم^(٢) وماك وعمرو ومعلبة ومعاوية والحارث] وعكَبْ ، وبنو عدى بن أسامة ، وبنو فدوكس^(٣) وبنو عتاب ابن سعد بن زهير^(٤) .

قَيْس عِيْلَان

من مضر بن نزار محمد حيان عظيمان : خندف^(٥) وقيس^(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصَفَة^(٧) .

١- عمرو بن قيس عِيْلَان

ولد له فهم^(٨) وعدوان^(٩) .



٢- سعد بن قيس عِيْلَان

ولد له أعصر وغطفان .

-
- (١) هموا الأرقام ؛ لأن عيونهم كعيون الأرقام
وأخوه المهمل ، وهو الذي هاج الحرب بين بكر وتغلب
النصراني (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب الملقات
(٥) خندف هي امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم
(٦) في نسب قحطان وعدنان للبرد أن قيساً مر الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر
حضر ابنه الناس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قمة (٧) زاد ابن قتيبة
هكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شراً الملاء (٩) منهم طامر بن الطرب حاكم العرب .

ومن أعصر : غنيّ وباهلة والطفّاة .

فغنيّ : من بطونها عبيد وزبان ، وصريم وصيّنة ، وبنو عتريف ، ومعظم
النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة^(١) : من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أصمع) ووائل بن معن
وفزّاص بن معن ، وأبو عُليم بن معن ، وبنو أود بن معن ، وبنو جآوة بن معن ،
وهلال بن معن .

والطفّاة : منهم بنو جسر وبنو سنان .

ومن غطفان : عيس بن بغيض ، وذبيان بن بغيض ، وأنمار^(٢) بن بغيض ،
وعبد الله بن غطفان ، وأشجع^(٣) بن ريث .

فعبس^(٤) : من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جرّوة ، وبنو هريم وبنو مجاهد .
وذبيان^(٥) : من بطونهم ثعلبة وفزارة (ومنهم شَمخ وعدى وبنو غراب
ومازن) ومرة (ومنهم غَيْط ومهم ومالك وبنو صرمة) .



(١) م بنو مالك بن أعصر؛ نسبوا للأُمهم باهلة؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمعيّ وحبي بنت قريظ؛
أم الأخنف بن قيس (٢) عددم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الحرشب أم الربيع بن زياد ؛ وإخوته
الكيلة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أغان على عثمان يوم الفار ، ومنهم فروة بن نوفل
(٤) هي إحدى جرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عبس ، وابنه قيس بن زهير
قارس داحس والقباء ، وعنترة القوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وفزاد بن الربيع
وإخوته الكيلة ، وحذيفة بن اليمان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزباد النابغة الشاعر ،
وهاشم بن حرملة ، وحذيفة بن بدر ، والشماع الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وستان بن
أبي حارثة وابنه هرم ، وطاهر بن ضبارة والحسين بن مام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرة .

٣- خَصَفَةُ بْنُ قَيْسِ عَيْلَانَ

ولد خَصَفَةُ عَارِبًا وعُكْرَمَةً .

فمن محارب بنو جَسْر^(١) وبنو طَرِيف (ومنهم بَنِي الْخُفَرِ) .

ومن عُكْرَمَةَ سَلِيمٌ وهَوَازَنُ .

سَلِيمٌ^(٢) : من بطونهم بنو حَرَامِ بْنِ سَمَّالٍ ، وبنو عَمِيرَةَ بْنِ خَفَافٍ ، وبنو عَمْبِيَةَ

ابن خَفَافٍ ، وبنو يَرْبُوعِ بْنِ سَمَّالٍ ، وِرْعَلٌ ومَطْرُودٌ وَقُنْفُذٌ (بنو نُشْبَةَ بْنِ مَالِكٍ)

وبنو بَهْزِ بْنِ إِسْرَى الْقَيْسِ ، وبنو الْحَارِثِ بْنِ بُهْشَهْ (ومنهم بنو رِفَاعَةَ وبنو ذُكْوَانَ

ابن ثَعْلَبَةَ ، وبِجْلَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ) وبنو الشَّرِيدِ .

هَوَازَنُ : من عقبه ثَقِيفٌ وبَكْرٌ .

ثَقِيفٌ^(٣) : من بطونهم بنو مُعْتَبٍ ، وبنو غَيْرَةَ ، وبنو عُقْدَةَ ، وبنو حَبِيبِ

ابن الْحَارِثِ ، وبنو الْيَسَارِ بْنِ مَالِكٍ .

وبكر بن هوازن : من بطونهم سَعْدٌ^(٤) بن بكر ، ومعاوية بن بكر .

ومن معاوية بن بكر : جِشْمٌ (ومنهم غَزِيَّةٌ) ، ونَصْرٌ^(٥) ، وصَعْصَعَةٌ .

(١) حلقاء بنى عامر بن صعصعة (٢) منهم المباس بن مرداس الشاعر ، وصخر ومعاوية

ابنا عمرو ، والحنساء أختهما ، وخفاف بن حمير ، ويشة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكرم ، وعتبة

ابن غزوان مؤسس البصرة (٣) منهم عروة بن مسعود الصحابي عظيم القريتين ، والحارث

ابن كلثة طبيب العرب ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الفقيه ، والحجاج بن يوسف

(٤) هم أطاّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيت هوازن فجأته أخته من الرضاعة ،

فأعتقهم أجمعين (٥) منهم دريد بن الصمة فارس العرب (٦) منهم مالك بن عوف

وكان على هوازن يوم حنين .

ومن مصمصمة : مرة (ويمرفون ببني ^(١) سلول) وعامر .



ومن عامر بن مصمصمة : نمير وربيعة ، وهلال وسواء :

فتمير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله ^(٢) بن الحارث ، وجمونة ابن الحارث ، وبنو قطن ^(٣) بن ربيعة ، وبدر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن نمير .

وربيعة : من ولده كلاب وكعب بن ربيعة وعامر بن ربيعة ^(٤) .

فمن كلاب بن ربيعة ^(٥) : الوحيد بن كعب ، وبنو أبي بكر بن كلاب (ومنهم بنو هسان) وجمفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيعة بن كلاب ، والضباب ^(٦) ووثر بن الأضبط ، وعبد الله بن كلاب ، ونقاعة بن عبد الله ، ورؤاس بن كلاب ، وعمرو بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيعة ^(٧) : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقشير (ومنهم عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجمدة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو المجالان) وحبيب .

(١) سلول أهمهم ، ومنهم العجير وعبد الله بن همام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والفرق (٣) رهنط عبيد الراعي الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضخياء ، وخداش ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذي الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأسنة ، ولعيد بن ربيعة الشاعر ، ووكيح بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل (٦) هم حل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقبل الشاعر ، ومالك ذو الرقية وليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير صاحب ليلي الأخيلية والمجنون الشاعر ، والنايفة الجعدي الشاعر .

• خُنْدُوت

في خندف فرعان كبيران : طابخة ومدركة .

طَابِخَة

من قبائل بني طابخة : بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ،
وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فميد مناة بن أد : من بطونهم (نيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل) ^(١) .

وضبة ^(٢) بن أد : من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ،
وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم) .

وعمرو بن مناة هم مزينة ^(٣) .



تَمِيم

تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث ^(١) .
فعمرو بن تميم ^(٥) : من بطونهم العنبر ، وأسيّد ، والهجيم ، والقليب ، وكعب ،

(١) في رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تحالفوا فوضوا أيديهم في جفنة فيها رب

(٢) منهم زيد الفوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بسطام (٣) منهم العمان بن مقرن ومنهم

خفل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبي سلمى ، وممن بن أوس ، وإلياس بن معاوية

(٤) يلقب أبا شقرة (٥) منهم أكرم بن صيفي حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل

النبي صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصعابي

ومالك والحارث الحبيط^(١) .

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة^(٢) الجوع ، والبراجم (وهم همرو وقيس وكلفة والظلم وغالب) ويربوع^(٣) بن حنظلة (ومن يربوع الأحمال^(٤) ، وبنو غُدانة ، وكليب بن يربوع وحرام بن يربوع ورياح بن يربوع والعنبر بن يربوع) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم^(٥) ، ونهشل ومجاشع ومناف وأبان وفقيّم وجري) وبنو المدوّية^(٦) (وهم زيد والصّدّي ويربوع) وبنو طهينة^(٧) (وربيعة^(٨) ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمرو بن سعد ، وعبشمس ابن سعد وهيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاعس وعبيد وصريم وعُمَيْر^(٩) ورُبَيْع ، وبنو منقر^(١٠) ، وبنو مرة^(١١) بن عبيد ، وعوف وعامر^(١٢) وعبد عمرو^(١٣)) وعوف بن سعد (ومنهم بهذلة^(١٤) وقريع^(١٥) وآل عطارد وآل صفوان) والأجارب (وهم حرام وربيعة وعبد المزى ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

(١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يمدل بألف فارس (٢) رهما عمقمة بن عبيدة الفحل وعلفمة الحصى (٣) منهم الأحوص الشاعر وسجاح المتنبة ووكيع بن أبي الأسود (قاتل قتيبة بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك ومنم ابنا نويرة وهتية ابن الحارث وجريير بن الخطمي الشاعر (٤) هم ثعلبة وهمرو والحارث أبو سديط وحبير وأمههم السفاء كانت الرداة فيهم (٥) رهط حاجب بن زرارة (٦) نسبة إلى أمهم من بني عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمهما طهينة بنت عبد شمس (٨) رهط الحنثف بن سبف صاحب جيش الربة وقاتل حبش بن دجلة القيني . (٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأخنف بن قيس (١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفاً ، كان الأخنف يقول: كنا نخرق النعال في طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزبرقان بن بدر (١٥) رهط الخبل وبني أنف الناقة الذين مدحهم الحبيطة .

مُدْرِكَة

من مدركة هذيل وخزيمة .

فهذيل^(١) : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد ابن هذيل ، وتميم بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب ابن كاهل .



ومن خزيمة : أسد ، والهون ، وكنانة .

فأسد^(٢) : من بطونهم دودان^(٣) بن أسد ، وكاهل بن^(٤) أسد ، وعمرو بن أسد ، وحلمة بن أسد^(٥) ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا^(٦) ، وبنو نصر بن قعين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامه .

(١) منهم عبد الله بن سمود الصعابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبد شمس الشاعر
(٢) منهم الصامت بن الأقم قاتل ربيعة بن مالك أبا لييد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتيبة ابن الحارث البربوعي ، وبصر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس أبو عرار ، والكعيت بن زيد الشاعر ، والحسحاس بن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحسحاس ، وزينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيمن بن خزيم والأقيصر الشاعران
(٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

فولا لدودان عبيد المصا ما غركم بالأسد الباسل .

(٤) منهم هلباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأقلتني علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

(٥) أفتاهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يا بني الصيداء ردوا فرسي لئما يفعل هذا بالذليل

والهون : من بطونهم القارة^(١) (ومنهم هضد والديش) .



وكنانة : من بطونهم ملكان^(٢) ، وعبد مناة^(٣) (ومنهم غفار^(٤) ، والدليل^(٥))
وبنو ليث^(٦) ، وبنو الحارث^(٧) ، وبنو مدلج^(٨) ، وبنو ضمرة^(٩) ، وبنو عريج ،
وبنو جذيمة^(١٠) ، وعمرو بن كنانة ، ومالك^(١١) بن كنانة (ومنهم بنو غراس^(١٢))
ابن غنم ، وبنو ققيم^(١٣)) والنضر .



ومن النضر (وهو قريش^(١٤)) : الصلت^(١٥) ومالك .



(١) هم أرمى العرب (٢) قال ابن تيبة في المعارف : لهم بقية ، وليس فيهم شرف بلرح
(٣) اسمه علي وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) ر.هط. أبي ذر النفاري ، وفي الحديث
غفار غفر الله لها (٥) ر.هط. أبي الأسود الدؤلي (٦) منهم عبيد بن حمير وعداة
ابن شداد (٧) ويقال فيهم بلحارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقبة بن جشم
للدلجى (٩) ر.هط. عمرو بن أمية الضمري الصحابي (١٠) منهم خالد بن الوليد
بالتبعية فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكرم
(١٢) وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لي بمائة ألف منكم
ثلاثمائة من بني فارس بن غنم (١٣) هم نساء المشهور (١٤) قيل في تسميته بذلك
أنه كان في سفينة يبحر فارس فخرجت عليه دابة عظيمة يقال لها قريش ، فخافها أهل السفينة
على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأثبناها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها
معه إلى مكة فسمي باسمها (صبح الأعشى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيل
إلى أبو خزاعة .

ومن مالك : بنو الحارث^(١) بن مالك (ومنهم بنو الجراح^(٢)) وفهر بن مالك .



ومن فهر^(٣) : محارب^(٤) بن فهر وغالب بن فهر .



ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم^(٥)) ولؤى^(٦) .



ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى
والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .



(١) في صبح الأعمى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من الطيين . ويقال إن الخلع منهم ،
ويقال كانوا من عدوان فألقهم مهر بن الخطاب بالحارث ، وصموا خلباً لأنهم اختلجوا من عدوان .
(٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابي المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل
قريش قبيل لهم بنو فهر (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية ، والضحاك
ابن قيس اتى قتله مروان يوم مرج راهط وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم
قريش الظواهر ؛ لأنهم تزلوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم
قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن بمكة منهم
أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

لأن بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا نوافهم قريش في السدد

(٦) لى لؤى يحيى عدد قريش وشرفها .

فعامر بن لؤى^(١) : من بطونهم مبيص^(٢) ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل
والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك^(٣) بن حسل) .
وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية^(٤) .
وسمد بن لؤى : من بطونهم بنو بُنَّانة (وهم عمار ، وعمارى ، وغزوم^(٥)) .
وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة^(٦) .



وكعب بن لؤى : من بطونهم مصيص (ومنهم سهم^(٧) ، وُجَّح^(٨) ،
وعدى^(٩) ، ومرة .



(١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفة قلوبهم) ، وعبد الله بن
أبي سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن عخرمة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن
المرقة الذي رى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصابه كعبه فقال : خذها وأنا ابن المركة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : هرق الله وجهك في النار (٣) وهبط سودة بنت زمعة
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) وهبط عباد بن منصور فاضى البصرة
(٥) ينسبون إلى أمهم بنانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابي (٦) اندمجوا في شيبان ومقاس
المائذى الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قریش ، وعمرو بن العاصى ، وقيس
ابن عدى ، وحيش بن حنافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم ، وأمية بن
خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحي وعثمان بن مظعون وأبو مخذومة مؤذن الرسول عليه الصلاة
والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وزيد بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن
مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حنافة ، وكان فاضياً لعمرو بن العاصى ، فقتله الخارجي
بطنه عمرأ ، وفيه قال : أردت عمرأ وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن (١) مرة ، وبنو مخزوم (٢) بن يقظة بن مرة ، وكلاب بن مرة



ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة (٣) بن كلاب ، وبنو قصي بن كلاب .



ومن قصي (٤) بن كلاب : عبد المزي (ومنهم بنو أسد (٥)) ، وعبد الدار (٦) ،
(ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) وعبد مناف .



ومن عبد مناف : المطلب (٧) ، ونوفل (٨) ، وعبد شمس ، وهاشم ،

(١) منهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله بن معمر
(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن عبد الله ، وعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة ، وسعيد بن المسيب (الفقيه)
(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة
والسلام (٤) كان قصي عظيمًا في قريش ، وهو الذي جمعهم بعد التفرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :
أبوكم قصي حين يدعى محمداً به جمع الله القبائل من فهر

وارتفع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بني إسماعيل (٥) منهم ورقة
ابن نوفل ، وزيد بن زمة ، والزبير بن العوام ، والعامر بن هشام . وخويلد بن أسد أبو خديجة
بنت خويلد وحزام بن خويلد (٦) كانت يدهم مفاتيح الكعبة دون سائر بني قصي . ومنهم
عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة ، والحارث بن علقمة ، والنضر بن الحارث
قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأتيل (٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام
الشافعي (٨) منهم نافع بن طريب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم
والحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومسلم بن قرطة ؛ قتل يوم الجمل .

ومن عبد شمس : حبيب^(١) بن عبد شمس ، وريبعة^(٢) بن عبد شمس ،
وعبد^(٣) الغزي بن عبد شمس ، وأمّية بن عبد شمس الأكبر ، وأمّية بن عبد شمس
الأصغر .

ومن أمّية الأكبر : العاص وأبو العاص والميص وأبو الميص (ويسمون
الأعياص^(٤)) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو (ويسمون
المنابس^(٥)) .

ومن أمّية الأصغر : المبلات^(٦) .



ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيفي ، وأبو صيفي^(٧) ، وعبد المطلب



وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ،
والعباس وضرار ، وحجل ، وأبو لهب ، وقُثم ، والفيزان^(٨) ، وعبد الله
(أبو النبي ﷺ) .



(١) منهم عامر بن كرز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابني ربيعة (٣) رجع أبو العاص
ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعباس هاشم بن عفان ،
وعتاب بن أسيد عامل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصي (٥) ومن
المنابس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم الزبيرا بنت عبد الله التي كان
يشجب بها عمر بن أبي ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيفي وأبو صيفي لم يشتهروا
(٨) لقبه الحارث .

فهرس الاعلام

(١)

الأحيمر بن عبدالله : ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١
 الأخيل بن عبادة : ٢٣٩
 أرطاة بن ربيعة : ٣٨٣
 أرطاة بن منقذ الأسدي : ٣٨٠
 أسيع بن عمرو بن لأم : ٦٠
 الأسلع بن القصاص : ٢٢٧
 أسماء المرية : ٢٨٣
 أسود بن بيجر المجلي : ٣٣
 الأسود بن شقيق الضبابي : ٣٠٤
 الأسود بن المنقر : ١١
 أسيد بن جذيمة : ٢٣٧
 أسيد بن حنافة السليطي : ١٨٢، ١٩٢،
 ١٩٧، ٣٦٨
 الأشتر بن عمار الضبابي : ٣٠٧
 أعشى قيس : ٣٤، ٣٨، ٩٩، ٢١٣
 الأعيمر بن يزيد المازني : ١٢٤
 الأغلب المجلي : ٢١٤
 الأقرع بن حابس : ٢٠٦
 أكتل بن حيان المجلي : ٢١٧
 أكم بن صيفي : ١٢٤
 أمامة بنت المداء : ٣٨٠

أبجر بن جابر المجلي : ١٧٢، ١٨٤
 ابن الرعاء الضبابي : ٥٢
 أبو دؤاد الرؤاسي : ١٣٥
 أبو عمرو السنبسي : ٦٠
 أبو سفیان بن أمية : ٣٣٤
 أبو السيد النصري : ٣٣٥
 أبو عامر الراهب : ٧٨
 أبو عمرو بن الملاء : ٣٦
 أبو الفول الطموي : ٢٢٥
 أبو قيس بن الأسلت : ٦٥
 أبو كلبه النيمي : ٣٧
 أبو لطيفة بن الخطيم بن الأعراف : ٣٠٥
 أبيير بن عصمة النيمي : ١٢٤
 أنين بن عمرو السعدي : ١٢٤
 أبي بن زيد : ١٦
 الأجاج الضبابي : ٣٠٦
 الأحوص بن جعفر الكلابي : ٣٤٤، ٣٥٠
 أحيحة بن الجلاح الأومسي : ٦٣، ٦٩،
 ٢٤٦

أمرؤ القيس بن أبان : ١٦٠

أمرؤ القيس بن حجر : ٤٩ ، ١١٥

أميمة بنت أمية بن عبد شمس : ٣٣٨

أنس بن عباس الأصم : ٣٧٠

أنس بن مرة : ٢٨٢

أنوشروان (ملك الفرس) : ٤٠

أنيف بن جبلة الضبي : ١٨٢

الأهثم بن سنان : ١٢٨ ، ٣٧٨

أوس بن حارثة الطائي : ١٣٧

أوس بن حجر : ٢٠٧ ، ٢٣٦

أوس بن خالد : ٦٠

أوس بن قلام الحارثي : ٦

إياس بن عبلة : ٢٢٦

إياس بن قبيصة : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦

أيوب بن محرف : ٦

(ب)

باذان (عامل كسرى) : ٢٧٢

بجير (ابن أخي الحارث بن عباد) : ٣٩

بجير بن عبد الله : ٢٠١ ، ٣٧٥

بدر بن سمير الففاري : ٣٢٢

البراض بن قيس : ٣٢٦

بريقة بنت شيدان : ٢٢٣

بسطام بن قيس الشيباني : ١٩١ ، ١٩٧

٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٣٨٢

البسوس بنت مفند : ١٤٤

بشر بن أبي خازم : ١٣٨ ، ٣٢٩

بشر بن حزن : ٢٢٠

بشر بن الموراء : ١٧٢

بشر بن مسمود : ٢١٧

بكر بن يزيد : ٣٢

بكير (أصم بن الحارث بن عباد) : ٣٩

بلماء بن قيس : ٣٣١ ، ٣٣٧

(ت)

تماضر بنت الشريد : ٢٣٦

(ث)

ثابت بن المنذر بن حرام : ٦٦

ثعلبة بن الحارث : ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦

ثعلبة بن يربوع : ٣٧٠

(ج)

جابر بن وهب : ٣٣٦

جبلة بن باعث اليشكري : ٢٩

جثامة الدهلي : ١٧٦

جزء بن سمدة : ١٩٣ ، ١٩٧

جساس بن مرة : ١٤٣

جشم بن ذهل : ١١١

الجمعد بن النماح : ٢١٥

جمفر بن عبلة : ٨٥

الجليح بن شديد الجمعري : ٣٠٤

جليلة بنت مرة : ١٤٣

جندب بن حصن الكلبي ١٣٨
الجون الكلبي : ٣٥١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٠ ، ١٣٧
حاجب بن حمصة : ٣٠٨
حاجب بن زرار : ٩٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥١
الحارث بن الأبرص : ٣٥٨
الحارث بن بدر : ٢٥٩
الحارث بن بينة المجاشعي : ٥٤ ، ٢١٥
الحارث بن جبلة : ٢٠ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٦٠
١٢٢

الحارث بن ربيعة : ٢٩
الحارث بن شريك (الخوفزان) : ٣٢
١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٣
الحارث بن الشريد : ٢٣٦
الحارث بن عباد : ١٥٤
الحارث بن عمرو (المقصور) : ٤٦ ،
١١٢

الحارث بن قراد : ١٨٢
الحارث بن كلدة : ٣٣٧
الحارث بن مكدم : ٣١٥
الحارث بن همام : ١٦٢
الحارث بن ولة : ٢٥ ، ٢٩
حاطب بن قيس الأوسي : ٧٢
حبيب بن عتيبة : ٤٧

حبش بن داف : ٩٠٩
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٠٨
حجر بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
حجر بن عمرو الكندي : ٤٢
حذيفة بن بدر : ٤٩
حرب بن أمية : ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩
٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
حر بن الحارث العبسي : ٢٥٩
حرقصة بن جابر : ١٨٤
حرملة المكي : ٣٦٠
حريث بن سلمة : ٢٢١
حزيمة بن طارق : ١٨٢
حسان بن ثابت : ٦٨
حسان بن عامر بن الجون : ٣٥٩
حسان بن كبشة الكندي : ٣٦٥
حسان بن وبرة الكلبي : ٣٥١
حسيل بن عمرو الكلبي : ١٣٤
حبش بن نمران الرياحي : ٣٦٦
حصن بن حذيفة : ٢٦٤ ، ٣٥١
حصن بن ضرار الضبي : ٣٩٠
حصينة بن شراحيل : ٢٠٨
الحصين بن أسيد بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن يزيد الحارثي : ١٣٢
حضير بن سمالك : ٧٢ ، ٧٥

الحطيئة (الشاعر) : ١٣٧ ، ٣٧٨

حليمة بنت الحارث النسائي : ٥٤

الحكم بن الطفيل : ٢٧٨

الحمراء بنت ضمرة بن جابر : ١٠٧

حمران بن عبد عمرو : ١٦٧ ، ١٧٨

حمل بن بدر : ٢٤٩

حماد بن زيد بن أيوب : ٧

الحشف الضبي : ٢٧٨

حنديج بن البكاء : ٢٣٩ ، ٣٤٥

حنظلة بن بشر : ١٨٧

حنظلة بن ثعلبة : ٢٩ ، ٣١

حنظلة بن الطفيل : ١٨٧

حنظلة بن عمار : ٣٠٢

حنظلة بن المأمون : ١٧٣

حنابزين : ٢٧

الحوثرية بن قيس : ٣٧١

(خ)

خارجة بن سنان : ٢٧٠

خارجة بن حصن : ٣٧٣

خالد بن جعفر : ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٤٤

خالد بن مالك النهشلي : ٣٩٦

خالد بن يزيد الهراثي : ٢٧

خداس بن زهير : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧

خريم بن سنان : ٢٦٩

خفاف بن حزن : ٤٢٠

خفاف بن غمير : ٢٨٤

خفاف بن ندية : ٧٨

الخنساء بنت عمرو (الشاعرة) : ٢٨٥

٢٩٠

خيرى بن عباد : ٤

(د)

دختنوس بنت لقيط : ٣٦١

دراج بن زرعة بن قطن : ٣٠٨

درهم بن زيد : ٦٥

دريد بن حرمة : ٢٨٥ ، ٢٨٩

دريد بن الصمة : ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٧

(ذ)

ذؤاب بن أسحاء : ٢٩٨

(ر)

الربيع بن زياد : ٢٤٧ ، ٢٤٩

ربيعة بن شكل : ٣٤٩

الربيع بن ضبع الفزاري : ١٢٢

ربيعة بن طريف : ١٧٦

ربيعة بن الطفيل : ١٧٦

ربيعة بن عبد الله : ٣٤٥

ربيعة بن غزالة : ٣٠

ربيعة بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٤٥

وسيمة بن مكدم : ٣١٩ ، ٣١٣

رشيد بن رميض : ٢١٨

رملة بنت صبيح : ٣٨٠

رياح بن الأسك : ٢٣٠

ريان بن الأسلع : ٢٦٣

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٢٤

زرارة بن عدس : ١٠٠

زرعة بن الصمق : ٣٤٥

زنباع بن الحارت : ٣٦٦

زنباع بن الحكم : ٣٦٨

زهير بن أبي سلى : ٢٧١

زهير بن جذعة : ٢٣٠

زهدم بن حزن العبسي : ٣٥٧ ، ٢٩٤

زياد بن نير الأسدي : ٢٨٠

زياد بن الهبولة : ٤٢

زيد بن أيوب : ٧

زيد الخليل : ٦٠

زيد بن عدى : ١٨

زيد بن عمرو : ٢٢٦

زيد الفوارس : ٣٩٠

(س)

ساعدة بن مر : ٢٩٨

سبيع بن الخطيم : ٣٧٣

سبيع بن ربيع : ٣٣٥

سبيع بن عمرو : ٢٦١

سبيعة بنت عبد شمس : ٣٣٥

سحيم بن وثيل : ٣٦٨ ، ٤٠١

سدوس بن شيان : ٤٣ ، ١١١

بسرى بن عبد الله الهاشمي : ٨٧

سعد بن ضبا الأسدي : ٣٠٠

سعد بن فلحس الشيباني : ١٨٨

سعد بن مالك : ١٥٤

سعد بن مرة : ١٤٥

سمدي زوج (أوس بن حارثة) : ١٣٨

سفيان بن أمية : ٣٣٤

سفيان بن عوف : ٣٣٧

سلامة بن جندل السمدي : ١٨١

سلامة بن طلب : ١٧٥

سلمة بن الحارث : ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢

سلمة بن خالد : ١١١

سلمى بنت عمرو : ٧٠

سلمى الحلقى : ٣٨٠

سمير بن يزيد : ٦٣

السموئل بن عاديا : ١٢١

سنان بن سُمَيَّ : ١٧٥

سنان بن أبي حارثة : ٢٥٦ ، ٣٦٠

سنان بن سنان بن أبي حارثة : ٣٧٤

سواده بن يزيد : ١٨٧

سوار بن حيان : ١٨٠

سويد بن الحوفزان : ١٨٨

سويد بن ربيعة الدارمي : ١٠٢

سويد بن صامت الأوسي : ٦٦

(ش)

شاس بن زهير بن حذيفة : ٢٣١

شأس بن عبده : ٥٥

شنير بن خالد الكلبي : ٣٩٠

شداد بن معاوية : ٢٦٣

شراحيل النيداني : ٢٠٨

شراحيل بن النعم : ٣٩٢

شرحبيل بن أخضر بن الجون : ٣٥١

شرحبيل بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

شريح بن الأحوص : ٣٥٩

شريح بن الحارث اليربوعي : ٩٦

شريح بن وهب : ٣٦٨

شريك بن عمرو : ٣١

شريك بن مالك : ٣٧٣

شريك بن الهيثم : ٣٠٥

شمر بن عمرو الحنفي : ٥٢

شمعة بنت الأخضر : ٣٨٦

شميث بن زنباع الرياحي : ٣٦٩

شهاب بن عبد قيس اليربوعي : ٩٥

شيبان بن خصفة : ٢٢٠

(ص)

صخر بن أعلى الهندي : ١٣٤

صخر بن عمرو : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩

صرد بن حمزة : ١٩٣

صرمح بن ربيع : ١٧٨

الصمق بن عمرو : ٣٤٥

صليح بن غنم : ٤٣

الصمة الجشمي : ٣١٥

الصميل بن الأعور الكلبي : ١٣٣

(ض)

ضرار بن الخطاب : ٣٣٠

ضرار الضبي : ٣٩٠

ضرار بن عمرو : ١٠٩

ضرار بن الفقعاع : ١٧٢

ضمرة بنت لبب الحامسي : ١٢٧

ضمضم (أبو الحصين الري) : ٢٥٩

(ط)

طارق بن ديسم : ٩٦

طريف بن عيم العنبري : ٢٠٨

طريف بن عمرو : ١٠٨

طريف بن مالك : ١٠٨

طفيل الغنوي : ٣٠١

طفيل بن مالك : ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦

٣٨٠

طلحة بن سنان : ٢٦٨

طليسة بن زياد المجلي : ١٧٣

(ع)

عاصم بن خبابة الصباحي : ٣٨٤

عاصم بن عمرو : ٦٩

عاصم بن المولى : ٣٢٠

عاصم بن جوين : ١٢١

عاصم بن الطفيل : ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٧٨

٢٨٢ ، ٣٠٢

عاصم بن كعب : ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥

عاصم بن مالك : ١١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥

٣٦٥

عباس الأصم : ٢٨٥

عباس بن مرداس : ٢٨٥ ، ٣٢١

٣٧١

عبد عمرو بن سنان : ١٨٧

عبد الله بن أبي : ٧٤

عبد الله بن جدعان : ١٠٩ ، ٢٤٨

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

عبد الله بن جذل الطمان : ٣١٥ ، ٣١٩

عبد الله بن جمدة : ٢٢٤

عبد الله بن الحارث بن عمرو : ١١٢

١٨٧

عبد الله بن الزبير : ٣٠٨

عبد الله بن الصمة : ٢٩٣

عبد الله بن الطفيل : ٢٨٢

عبد الله بن عامر : ٢٢٠

عبد الله بن عنمة الضبي : ١٨٧ ، ٣٨٥

عبد الله بن غطفان : ٣٩٨

عبد الله بن مالك : ٢٢١

عبد الملك بن مروان : ٣٠٨

عبد يفيث بن سلامة الحارثي : ١٢٦

عبيد بن الأبرص : ١١٣

عتبة بن جعفر : ٣٠٠

عتبة بن شثير : ٣٩٠

عتاب بن هرمي بن رباح : ٩٤

عتوة بن أرقم : ١٨٧

عنبية بن الحارث : ١٧٨ ، ١٩٢

١٩٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣

عنجل بن المأموم : ١٧٢

عثمان بن عبد الله بن سرافة القرشي :

٣٠٨

عثمان بن عفان : ٢٢٠ ، ٤٠٦

عدي بن الفرخ : ٣٧

عدي بن حاتم : ٦١

عدي بن زيد : ١٧

عدي بن مربنا : ١٤

عروة بن جعفر : ٣٠١

عروة بن خالد : ٣٨٠

عروة الرحال : ٢٤٣ ، ٣٢٧

عروة بن الورد : ٢٨٧

عمرو بن عبد الله بن جمدة : ٣٥٢
 عمرو بن عمرو : ٣٥٨ ، ٣٦٥
 عمرو بن قنيس : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٩
 عمرو بن مالك : ١٦٧ ، ٣٢٠
 عمرو المزدلف بن أبي ربيعة : ١٢٤
 عمر بن ملقط الطائي : ١٠٥
 عمرو بن النعمان البياضي : ٧٢
 عمرو بن هند : ١٠٠ ، ١٣٧
 عمران بن مرة : ٢٠٦
 عميرة بن طاري : ١٨٤
 عنقرة بن شداد : ٢٥٨ ، ٢٦٧
 العنقاء بنت همام : ٣٨٠
 عوف بن الأحوص : ٢٦٨ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠
 عوف بن بدر : ٢٥٩
 عوف بن جيل : ٤٩
 عوف بن عتاب : ٩٤
 عوف بن عطية : ٣٧٣ ، ٣٧٨
 عوف بن عمرو : ١١١
 عوف بن القمقاع : ١٧٣
 عوف بن محلم : ٤٢ ، ١١١
 العوام الشيباني : ١٩٤
 عيينة بن حصن : ٧٢ ، ٣٧٣
 (غ)
 غالب بن صعصعة : ٤٠١

عصمة بن أبي التيمي : ١٢٩
 عصمة بن حذرة : ٣٦٨
 عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
 عصيمة بن عامر : ٢٢٣
 المقاق بن التلاق : ٣٦٨
 علياء بن الحارث : ١١٥
 عليبة بن جعفر : ٨٧
 علقمة الفحل : ٥٥ ، ١٠٥
 علي بن جندب : ٨٧
 عمارة بن زياد العبسي : ٢٦٠ ، ٣٩١
 عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٣
 عمرو بن الأحوص : ٣٦٦
 عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
 عمرو بن بشر : ٢٩
 عمرو بن جبلة : ٣١
 عمرو بن جندب : ١٩٩
 عمرو بن الجون : ٣٥١
 عمرو بن جوين : ٩٦
 عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
 عمرو بن حوط : ٩٦
 عمرو بن خالد : ٣١٩
 عمرو بن سنان : ١٢٨
 عمرو بن سواد : ٢١١
 عمرو بن شمات الطائي : ١٠١
 عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣

(ف)

الفارعة بنت معاوية : ٣٨٠
فاطمة بنت الأحجم : ٣٣٩
فدكي بن أعبد : ١٧٦ ، ٢١٠
فراس بن حابس : ٢٠٦
فروة بن الحكم : ٣٦٦
فروة بن مسعود : ٥٣

(ق)

قابوس بن النذر : ٩٥
قباذ بن فيروز : ٤٦
قبيصة بن نعيم : ١١٧
قتادة بن مسلمة : ٢٦٦
قدامة بن سلمة : ٣٦٥
قرة بن قيس بن عاصم : ١٧٦
قرة بن هبيرة : ٣٧٨
قرواش بن عمرو : ٢٦٣ ، ٢٦٨
قمنب بن الحارث : ٣٧٥
قمنب بن سمير : ١٩٣
قمنب بن عصمة : ١٩٣
قيس بن جحدر : ١٠٢
قيس بن حزن العبسي : ٣٥٧
قيس بن الخطيم : ٦٧ ، ٧٩
قيس بن زهير بن جذيمة : ٢٤٥ ،
٣٤٩ ، ٢٤٦
قيس بن عاصم النخعي : ١٢٤ ، ١٧٥

قيس بن عبد الله الفقمسي : ٣٨٠

قيس بن قبيصة : ٣٣

قيس بن مسعود : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،
٢٩٩ ، ٥٣

قيس بن مقلد : ١٧٨

قيس بن انتفق : ٣٥٨

(ك)

كدام بن بجيلة : ٣٧٦
كرب بن صفوان : ٣٥٣
كردم الفزاري : ٢٩٤
كرز بن خالد : ٣١٩
كسرى أبو شران : ٢ ، ١٢٤ ، ١٩١
كعب بن أسد القرظي : ٧٤
كعب النملبي : ٦٣
كعب بن عمرو المازني : ٦٩
كعب الفوارس بن معاوية : ١٣٤
الكاحبة البربوعي : ١٨٢
كايب بن عبد الأشهل : ٧٨
كايب بن وائل : ١١١ ، ١٤٢

(ل)

لأم بن سلمة : ٣٧١
لبيد بن ربيعة : ٣٠٢
لبيد بن عمرو الفسائي : ٥٤
لقيط الأيادي : ٣٩
لقيط بن زرارة : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

ليلى بنت الأحوص : ٣٨٢

(م)

الأمور الحارثي : ١٢٥

مالك بن بدر : ٢٦٠

مالك بن جعفر : ٣٤٥

مالك بن حطان : ١٩٨ ، ٢٠١

مالك بن حمار الفزاري : ٢٨٦ ، ٣٦٠

٣٧٣

مالك بن خالد : ٣١٩

مالك بن الربيع : ٣٠٥

مالك بن زهير : ٢٥٤

مالك بن سلمة (ذو الرقية) : ٣٧٨

مالك بن العجلان : ٦٢

مالك بن قحافة : ٣٠٠

مالك بن قيس : ١٧٣

مالك بن كعب : ٣٨٠ ، ٣٠٠

مالك بن الننفق : ٣٨٢

مالك بن المنذر بن ماء السماء : ١٠٢

مالك بن نويرة : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٣٧٢

مستم بن نويرة : ٩٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣

الثلثم بن قرط : ٣٧٦

الثلثم بن المشخرة : ٣٩١

محرز بن مكعب الضبي : ٢١٨ ، ٣٨٦

محرق الفساني : ٣٨٨

محمد بن هشام : ٩٠

مرثد بن الحارث : ٣٣

مرثد بن ذى جدن : ١٢٠

مرة بن ذهل بن شدان : ١٤٣

مرة بن عمرو : ٢٨

مرة بن عوف الجشمي : ٢٩٨

مرية بنت جابر : ١٤٣

مزيد بن مسم : ٣٠٥

مسعدة السلي : ٢٢٠

مسمود بن معتب الثقفي : ٣١٦ ، ٣٣٥

مسهر بن ذى جدى الجيرى : ١٢٠

معاوية بن الجون : ٣١٥ ، ٣٦٠

معاوية بن شكل : ٢٦٨

معاوية بن الصموت : ٣٦٠

معاوية بن عمرو السلي : ٢٨٣

معبد بن زرارة : ٣٤٧

معدان بن عصمة : ١٩٣

معدى كرب بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

مفروق بن عمرو : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٢

مقاس بن عمرو : ٢١٧

مكسر بن حنظلة : ٢٥

المليد بن مسمود : ٢٠٢

مليز بن عبد الله : ١٩٨ ، ٢٠١

المنذر بن ماء السماء : ٤٦ ، ٥١ ، ٩٤

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ٥٤

المهلل بن وائل : ١٤٩

(ن)

النابغة الذبياني : ٢٨٠

ناشب بن بشامة : ١٧٠

نافع بن حجر : ١١٥

نبيشة بن حبيب : ٣١٥ ، ٢٨٥

نذبة بن حذيفة : ٢٤٥

النضر بن مضارب : ٨٧

النعمان بن جساس النيمي : ١٠٢ ،

٣٧٣ ، ١٢٤

النعمان بن زرعة : ٢٦

النعمان بن فموس النيمي : ٣٦٤

النعمان بن المنذر : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ،

٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥١

نعمة بنت ثعلبة العدوية : ٨

نعيم بن عتاب : ٣٧٦

نعيم بن القعقاع : ١٧٣

نهل بن مرة : ٢٨٢

نوفل بن ربيعة : ١١٤

(هـ)

هاشم بن حرملة : ٢٨٣

الهامرز : ٢٧

هاني بن قبيصة : ١٩٢

هاني بن مسمود : ٩٣ ، ٢٠٩

الهنداق بن ربيعة : ٤٠٢

هذيل بن الأخنس : ١٧١

هريم بن الخطيم : ٣٠٦

هزار بن مرة : ٢٨٢

هشام بن عبد الملك : ٩٠

هشام بن المغيرة : ٣٢٩ ، ٣٣١

همام بن بشامة : ١٧١

همام بن مرة : ١٤٤

هند بنت جروول : ١٠٧

هند بن خالد : ٣١٩ ، ٣٢١

هند بنت ظالم : ٤٢

هند بنت النعمان : ٢٧

هند بنت وقاص : ٣٨٠

هند بنت يزيد بن معاوية : ١٢١

هوزة بن علي الحنفي : ٢

(و)

وبرة السكابي : ١٠٩

وحزة بنت الخطيم : ٣٠٦

وديمة بن أوس : ١٩٣

الورد العبيدي : ٢٥٠

ورقاء بن زهير : ٢٣٨

وكيع بن القصاص : ٢٢٦

الوايد بن المغيرة : ٣٢٩

الوليد بن يزيد : ٩٢

(ى)

يزيد بن حارثة : ٣١

يزيد بن حمار السكوني : ٣٣

يزيد بن حفظة : ٣١

يزيد بن ثرحييل : ٩٩

يزيد بن الصعق : ٣٦٥

يزيد بن عبد المدان : ١٢٥

يزيد بن عمرو : ١١٠

يزيد بن مسهر : ٣٢

يزيد بن معاوية : ١٢١

يزيد بن المحرم : ١٢٥

يزيد بن هوبر : ١٢٥

يزيد بن اليكسوم : ١٢٥

يوسف بن عمر النقي : ٩٢

الامم والقبايل

(١)

بنو آكل المرار ١٢٠

أبو بكر بن كلاب : ٣٠٠

الأجارب : ١٧٥

الأحاشين : ٣٣١

الأزد : ١٢٠، ٦٢

أسد : ٤٦، ١١٢، ١٣٨، ٢٦٢،

٣٠٠، ٣٣١، ٣٩٩

أشجع : ٧٥، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٩٣

أكلب : ١٣٢

الأوس : ٦٢، ٧٣، ٧٤

إياد : ٢٧، ٣٢، ٣٨٨

(ب)

بنو بدر بن فزارة : ٢٤٦، ٣٧٤

البراجم : ٩٥، ١٠٦

بكر بن عبد مناة : ٣٣٤

بكر بن كلاب : ٢٦٨

بكر بن وائل : ٦، ٢٥، ٤٢، ٤٦،

٩٩، ١١٢، ١٤٥، ١٧٥، ١٧٨

١٨٥، ١٩١، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٠

بنو البكاء : ١٣٤

بيضة : ٩٥، ١٠٦

(ت)

تغلب : ٢٧، ٤٢، ٤٦، ٩٩، ١١٢

١٤٥

نميم : ٢، ٢٧، ٥٥، ١٠٩، ١٢٤،

١٧٠، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٢

٢١٧، ٣٣٤، ٣٥٠، ٤٠١

بنو نيم اللات : ١٧٤

بنو نيم الله : ٢٠٦، ٢٢٦

(ث)

الثعالب : ١٩٧

بنو ثعل : ١٢١

بنو ثعلبة : ١٩٧

(ج)

بنو جحجي : ٦٣، ٦٩

جديس : ٣٩٦

جديلة : ٦٠

بنو جشم : ١٤٤ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ،

٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥

بنو جملة : ١٣٣

بنو جعفر بن ثعابة : ١٩٩

بنو جعفر بن كلاب : ٢٦٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٥٠

جهينة : ٧٣ ، ٢٨٤

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ٦٤ ، ٧٢

بنو الحارث بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ٣٠٢

بنو حازنة بن لأم : ٢٢٦

حير : ١٢٠

بنو حنظلة : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٧٢

٢١٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠١

(خ)

خنعم : ١٣٢

الخزرج : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

(د)

الدؤل : ٣٢٦

بنو دارم : ١٠٦ ، ١١٢ ، ٣٤٤

(ذ)

ذبيان : ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٥١

بنو ذهل بن ثعلبة : ١٧٥ ، ١٧٨

(ر)

الرباب : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٦

بنو ربيع بن الحارث : ١٧٨

ربيعة : ٤٢ ، ١١١

بنو ربيعة بن ذهل : ٢٩

بنو رعل : ٣٧٠

بنو رواحة : ٢٢

الروم : ١٢٢

بنو رياح بن يربوع : ١٨٥ ، ٢٢١

(ز)

زبيد : ١٣٢ ، ١٩١

بنو زياد بن الربيع : ٢٥٠

بنو زيد (بطان في الأوس) : ٦٣

(س)

سمد بن بكر : ٣٣٥

سمد بن زيد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،

٢٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨

سمد المشيرة : ١٣٢

سليم : ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ،

٣٣١ ، ٣٩٩

بنو سليط بن يربوع : ١٧٨ ، ٢٠١

بنو سنان : ٢٧

سنبس : ٦٠

(ش)

شهران : ١٣٢

بنو شهاب : ٢٠٠

شيبان : ٢٣ ، ٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٣٨٢ ، ٢٦٦

(ص)

صداء : ١٣٢

الصنائع : ١١٢

(ض)

ضبة : ١٠٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٣ ،

٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،

(ط)

طسم : ٣٩٦

بنو الطماح : ٢٣١

طلي : ٢٢ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٣٧ ،

(ع)

بنو عائذة : ٢٠٩

بنو عاصم بن عبيد : ٢٠١

بنو عامر بن صمصمة : ١٠٩ ، ١٣٢ ،

١٩٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ،

٣٧٦ ، ٣٦٥

عبس : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ،

٢٩٣

عبد القيس : ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٤٩ ،

٣٩١ ، ٣٩٨

بنو عبيد : ١٩١

بنو عتيبة : ١٩١

بنو عجل : ٣١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ،

عدوان : ٣٣٥

بنو عدى (رهط حاتم الطائي) : ١٠٢

بنو عدى بن جندب : ١٧٤

بنو عدى بن كعب : ٣٠٨

بنو عقيل بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

بنو عمرو بن تميم : ١٧١ ، ٣٧٥ ،

بنو عمرو بن جندب : ١٩٨

بنو عمرو بن حنظلة : ٢٠٦

بنو عمرو بن عوف : ٦٣

بنو العنبر : ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٣٦٥ ،

بنو عزة بن أسد : ١٧٥

(غ)

غسان : ٥٤

غطفان : ٤٦ ، ١١٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،

٢٨١ ، ٢٩٣ ، ٣٥٠

غنى : ٢٣١ ، ٢٤٢

غوٲ : ٦٠

(ف)

بنو فراس بن غم : ٣١٥ ، ٣١٩

الفرس : ٣٣ ، ١٩١

فزاره : ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ،

٣٧٣

فهم : ٣٣٥

(ق)

قريش : ١٠٩ ، ٢٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠

٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣١

بنو قريظة : ٦٥ ، ٧٣

قشير : ٣٦٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦

بنو القصاف : ٢٢٦

قضاة : ٢٧ ، ١١١ ، ١٢٥

آل قلام : ٧

قيس بن ثعلبة : ٩٩ ، ١٧٠

قيس عيلان : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢١ ،

٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

٣٠٧

(ك)

بنو كاهل : ١١٥

بنو كعب : ٢٣٨ ، ٣٣١ ، ٣٥٠

بنو كلاب : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٣٣١ ،

٣٤٩ ، ٣٦٨

كلب : ١١٦

بنو كلفة : ١٠٦

كنانة : ١١٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،

٣٣٤ ، ٣٣٧

كندة : ٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٩

(ل)

لحم : ٥٥

اللهازم : ١٧٠ ، ٢٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٤

(م)

بنو مازن : ٢٢١

بنو مازن بن فزاره : ٢٥٣

بنو مالك بن حنظلة : ١٧٢ ، ٢١٦ ،

٣٧٦ ، ٤٠١

بنو مالك بن زيد : ١٩٧

بنو مالك بن كنانة : ٣١٧

بنو مجاشع : ٩٤

مخزوم : ٣٣٤

مدحج : ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٢

مراد : ١٣٢

بنو مرة : ١٤٤ ، ٢٠٩

بنو مرة بن عوف : ٢٧٨ ، ٢٨٣

بنو نعيم بن عامر : ١٣٣

نهد : ١٣٢

نهلش : ١٠٨ ، ٣١٧ ، ٢٢٠

بنو نوفل بن عبد مناف : ١٠٥

(ه)

هلام بن عامر : ١٣٣

هوازن : ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

(ي)

يربوع : ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦

٢٢١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣

٤٠١

يشكر : ٣٢ ، ١٥٤

يورد : ٦٢

بنو مريتا : ٩١

مزينة : ٧٥

مضر : ١١١

مد : ١١١ ، ١٤٢

مقاعس : ١٧٥

بنو منقر : ١٧٩

(ن)

ناهس : ١٣٢

بنو النبيت : ٧٤

بنو النجار : ٦٤ ، ٦٩

نزار : ٤٦ ، ١١٢

بنو نصر : ٢٩٣ ، ٣٢٢

بنو النصير : ٦٥ ، ٧٣

النمر بن قاسط : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٥٤

الأمّاكن

(ت)

تبالة : ١٢٠
تهامة : ١١٣ ، ٦٢
تيمياء : ١٢١

(ث)

ثقتل : ١٧٥

(ج)

جبلّة : ٣٤٩
جدود : ١٧٨
جذع ظلال : ٣٧٣
جفاف : ١٩٢
ذات الجفر : ٣٦٨
جفر الهباءة : ٢٦٣

(ح)

الحديفة : ١٩١
الحريرة : ٣٣٧
الحزن : ١٩١
حوزة : ٢٨٩ ، ٢٨٣
الحيرة : ٤٦ ، ٢٥

(ا)

الأبلّة : ٢٥
ذات الأنبل : ٣٩٩
أجا : ٦١
إرم الكلبة : ٣٧٥
الأفاقة : ١٩١
أنقرة : ١٢٣
أوازة : ٣٢٧ ، ١٠٠ ، ٩٩
إياد : ١٩١

(ب)

البحرين : ٤٢
بردان : ٤٢
برزة : ٣١٩
بزاحة : ٣٨٨
البصرة : ٢٢٠
بطن الجريب : ١٤٦
بطن عاقل : ٢٣٢
بداث : ٧٣

(خ)

خزار : ١١١
الخصافة : ٣٠٤
خصى : ١٩١
خورنق : ٣٣

(د)

الدناء : ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٧١
دومة الجندل : ٤٣

(ذ)

الذئائب : ١٤٦

(ر)

الرحابة : ٦٩
رحران : ٣٤٤
الرقم : ٢٧٨
روضة التمدد : ١٩١

(ز)

زبالة : ٢٠٦
زروود : ١٨٢

(س)

سحبيل : ٧٥
السلان : ١٠٩
سلى : ٦١

(ش)

الشبكة : ٣٠٤

شبيث : ١٤٥

شمطة : ٣٣١

الشیطان : ٢١٧

(ص)

الصراثم : ٣٦٨
الصمان : ١٣٨ ، ١٧١
صومر : ٤٠١

(ط)

طخفة : ٩٤
طلح : ١٨٥
ذو طلوح : ١٨٤

(ع)

عاقل : ٢١٥
عسب : ١٢٣ ، ٤٠٠
عكاظ : ١٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ،
٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

عين الباغ : ٥١
عين التمر : ٣٣ ، ٢١٥

(غ)

غبيط المدر : ١٩٧
غول : ٣٠٤

(ف)

فروق : ٢٦٧
فلج : ١٩٧
فيفه الريح : ١٣٢

(ق)

ذوقار : ٣٣

قدة : ١٢٥

قشاوة : ٢٠١

القصيدات : ١٥٦

(ك)

الكديد : ٣١٢

الكلاب : ١٢٤، ٩٩، ٤٦

الكوفة : ٢٢٦، ٢٢٢

(ل)

لعلع : ٢١٧

اللدى : ٢٩٣

(م)

دارة مأسل : ٣٩٠

مبايض : ٢٠٨

المدنية : ٦٢

مرج حليلة : ٥٤

المشقر : ٢

مليحة : ١٩١

منعج : ٢٣٠

(ن)

النباج : ١٧٥

النتاة : ٢٨١

ذو مجب : ٣٦٥

نحلة : ٣٢٦

النسار : ٣٧٨

نسمة : ١٨٥

ذات التسوع : ١٩٤

النفراوات : ٢٣٥

نقا الحسن : ٣٨٢

النهي : ٥٥

(هـ)

هراميت : ٣٠٤

هجر : ٤٣

(و)

واردات : ١٥٥

الوقى : ٢٢٠

الوقيط : ١٧٠

(ي)

اليحاميم : ٦٠

اليمربة : ٢٦١

اليمامة : ١٠٠

اليمين : ١٢٠، ٦٢

الينسوعة : ١٨٦